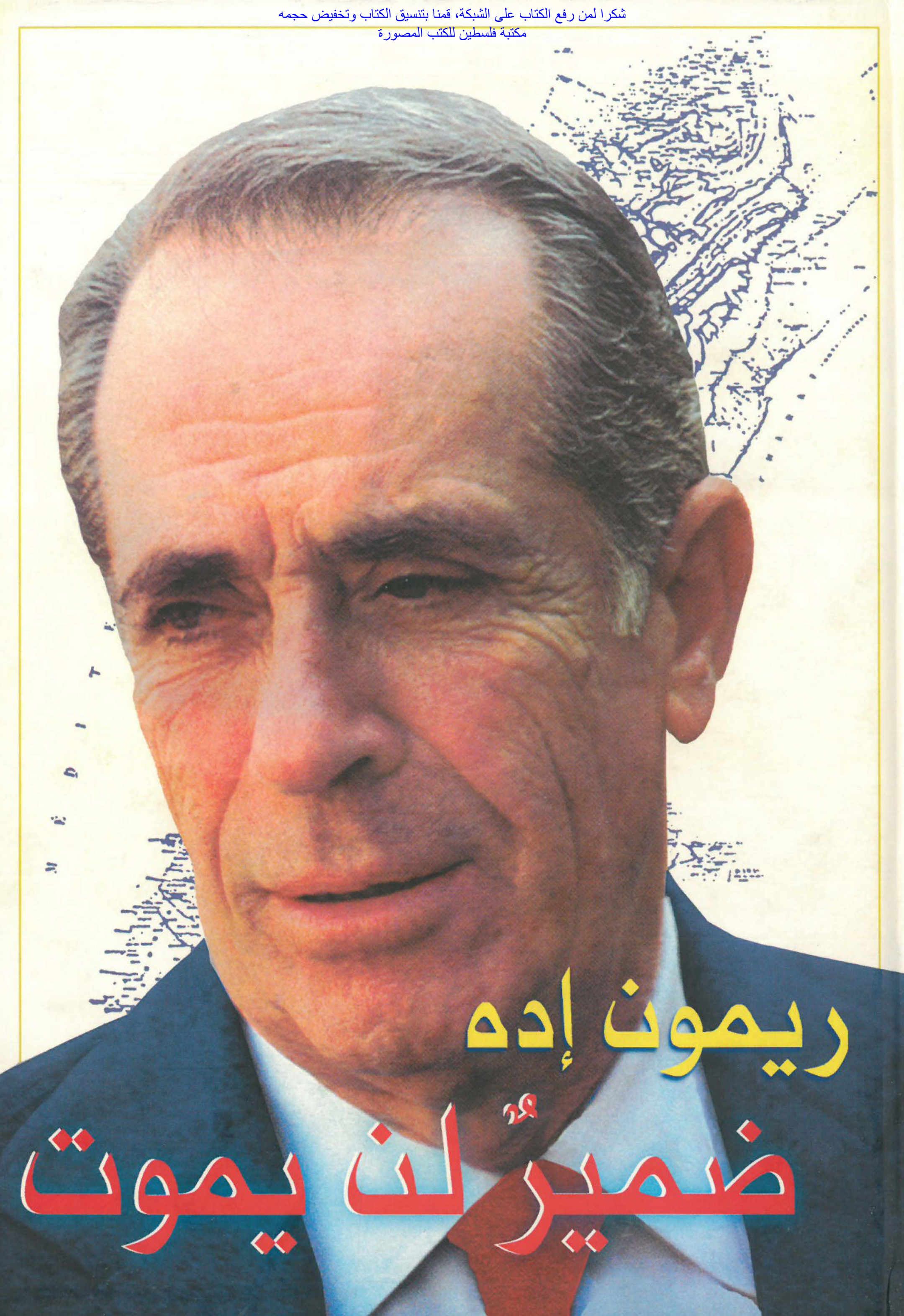


ريمون إده

ضميرٌ لن يموت





أيها اللبنانيون واللبنانيات

... سيجيء يوم يدرك فيه اللبنانيون من جديد، وقد خرجوا من سباتهم إن التعايش بين الطوائف وحده يضمن سعادتهم، وإنه الشرط الوحيد ليعود لبنان كما كان أرضاً للصداقة والحرية والازدهار.

لقد آن لأولئك الذين، وقد ضُلِّلوا، واشتركوا في قتال غير عادل، أن يلقوا السلاح ويمدوا أيديهم إلى الذين هدفهم خلق لبنان جديد يكون فيه العقل والقلب كفيلين بأن يسوده النظام والأخوّة.

... لن نتمكن في الواقع إلاّ باتحادنا الكامل من مواجهة المخاطر التي قد تحوّل هذه المرّة كل لبنان إلى ساحة معركة حقيقية حيث يكون أبناؤه هم الخاسرين الوحيدين.

لقد حان الوقت لكي نعطي للعالم مثال الشعب المتعلق بوطنه والذي يمكنه أن يجتمع بعد أن يكون قد تمزّق.

عاش لبنان

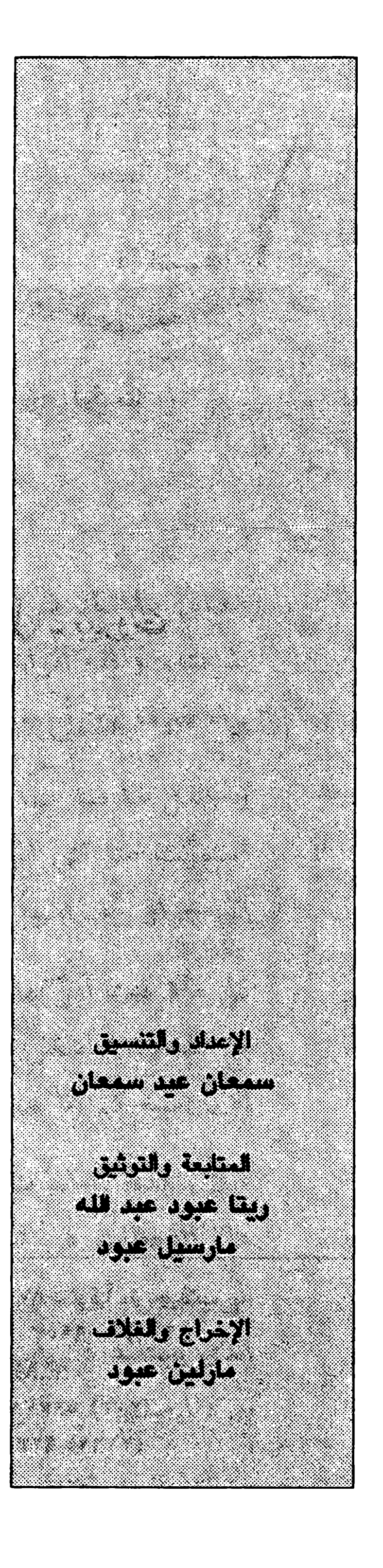
ريمون إده

Raymond Eddé

دار الجيل

ريمون إدّه

ضمير لن يموت

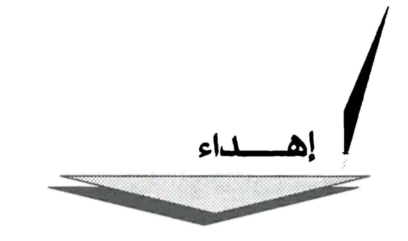


دار الجيل

الطبعة الأولى
٢٠٠٠م

بيروت: البوشرية ـ شارع الفردوس ـ ص.ب.: ٨٧٣٧ ـ برقياً دار جيلاب
هاتف: ٦٨٩٩٥٠ ـ ٦٨٩٩٥١ ـ ٦٨٩٩٥٢ / فاكس: ٦٨٩٩٥٣ (٠٠٩٦١١)
E.MAIL: daraljil@cyberia.net.lb
القاهرة: هاتف: ٥٨٦٥٦٥٩ / فاكس: ٥٨٧٠٨٥٢ (٢٠٢)
تونس: هاتف: ٩٢٢٦٤٤ / فاكس: ٩٢٣٦٣٤ (٢١٦١)





شهادة حب

أحلى ما كان في العميد ظَرفه وسرعة
بداهته، وأُفقه الواسع في تفكيره الذي يجعله يرى من العواقب ما لا يراه غيره، ويتوقّع من النتائج ما لا ينتظره غيره.

وأجمل ما فيه صداقته التي قرنها بالوفاء الممزوج بالمحبة. وقد استمرَّت صداقتي للعميد خمسين سنة لم تنقطع إلا بالموت الذي حمله إلى جوار ربّه راضياً مرضيًّا.

كل مرَّة كنت أمرُّ بها إلى باريس كانت لي محطة لقاء لا أجمل ولا أبهى مع العميد. أشعر خلال اللقاء كم هو مرتاح إلى وجودي معه، وفي الآن نفسه كم أنا سعيد في الجلوس معه.

خلال هذه الجلسات كنت أشعر بالعميد الإنسان، لأنه كان يتخلَّى في هذه اللحظات عن «عُموديته»، وعن وجهه «السياسي»، و«المنفي» طوعياً إلى باريس، ويتجلّى لي ولنفسه الإنسان العطوف الرقيق الحنون المحبّ الذي يستعيد ذكريات الماضي، ويتمنى في قراره نفسه وجهارة ذاته، أن يعود ليعيشها مرة ثانية...

وخلال استعادتنا للذكريات، غالباً ما كان ينفجر ضحكاً صادراً من

أعماق القلب، حتى إذا انتهى من الضحك غالبته دمعة لم يحرص على إخفائها لما كان بيننا من تواصل ودّ وعميق ثقة ومحبة.

وعندما كنا نمرُّ في حديثنا على تدخل الأجهزة في الحياة السياسية اللبنانية آنذاك، وعن مدى فعاليتها في كثير من الأحيان، وعن قدرتها على الأذى لتحقيق مصلحة أو منفعة، كان يذكّرني بما حصل بيني وبينه يوم دعوتُه إلى حفل غداء في قريتي عين كفاع لمناسبة معمودية ابنتي الكبرى ريتا، سنة ١٩٦٩ .

يوم دعوته قال لي بأنه قد لا يمكنه تلبية الدعوة لارتباطات مسبقة ـ علماً أن الدعوة حصلت قبل شهرين من موعدها ـ وأنه سوف يرسل من قِبَله النائبان أحمد إسبر وإميل روحانا صقّر.

لم يعجبني الأمر. حردتُ. لم يبالِ. قلتُ له: هي ذي الدعوة قائمة، وأنا أريدك أنتَ ولا أريد ممثّليك مع احترامي لهم.

عدت إليه ثانية وأعدت على مسامعه دعوتي له، فكان جوابه هو هو لم يتغيَّر.

وفي اليوم المحدَّد للمعمودية، أقمنا المراسم في الكنيسة، وخرجنا منها إلى البيت وجلس المدعوون إلى طاولات الوليمة،. . . وفجأة علا الصراخ والهتاف والتصفيق في الخارج: وصل العميد.

هببنا كلنا لاستقباله وأعددتُ له كرسيًا إلى الطاولة الرئيسية في صدر المكان، ولكن فضّل أن يجلس على كرسيّ فارغ بين الناس رافضاً تصدُّر الحفل وترؤسه.

وبعدما هدأت الجلبة وبدأت الأفواه والأيدي تؤدي واجبها المطلوب منها في مثل هذه المناسبات، وقف العميد وأشار بيده أن توقفوا قليلاً واسمعوني، فأصخنا جميعاً وأصغينا، فقال:

«ها إني جئت، وما خطر على بالي لحظة أن لا أجيء ملبّياً دعوة أخي

عبُّود الذي أُدين له بتفسير وتوضيح. لأنه، يا مجنون، لو قلتُ لك إنني آتٍ لانتشر الخبر وعملوا المستحيل لكي يمنعوا مجيئي من جهة و«يفركشوا» لك الحفلة من جهة ثانية، فتكون بذلك لا عمَّدت ابنتك ولا أتيتُ أنا إلى حفلتك...».

وعلا الهتاف والتصفيق الحار والصراخ بحياة العميد ورجاء سلامته من كل أذى...

ليس من مجال لتعداد النوادر والطرف، إنما اكتفي بهذه الطرفة لأسجِّل بأن العميد الذي تقرءونه في هذا الكتاب هو السياسي بالدرجة الأولى. نعم. ولكنه قبل أن يكون سياسيًا ورجل دولة، فهو إنسان مجبول بكل العواطف الإنسانية والمواقف النبيلة، والمشاعر التي تهزُّ الأفئدة.

وقبل أن أترك القارئ ليتعرف على العميد، أودُّ أن أهمسَ للعميد وهو في دنيا الحق قائلاً له: «إننا نحبُّك ومستمرُّون على ذكراك حبًّا لا ينقضي».

عبُّود خيرالله عبُّود

والذكرى... إن حَكَتْ

كان من نفسه الكبيرة في جيـ ـشٍ، ومن كبرياهُ في سُلطانِ
هو العميد

مالئُ الدنيا وشاغلُ الناس.

جمعَ العراقةَ إلى الأصالة، والعنادَ في الحقِّ إلى التشبُّث بهِ، والثباتَ في المواقفِ إلى الاستبسالِ في الدفاع عنها...

قَرَنَ القولَ بالفعل، فما كان ينويه من «فعل مضارع»، يمضي «قبل أن تُلقَى عليه الجوازمُ».

ودأب أن يرفع صوته عالياً ليسمعه القاصي والداني، ولكي يبقى هذا الصوتُ مجلجلاً يطرق مسامع الناس، يدقُّ أبواب المسؤولين، يقف لهم عند مفارق الطرق، يترصَّدُهم في الاجتماعات والمؤتمرات لينكِّرهم بأن هناك حقاً يجب أن يتَّبعوه، وأن هناك باطلاً عليهم أن يتركوه، ألا إن الباطلَ كان زهوقاً.

نقَّب في التاريخ والوثائق فما قدَّم مطلباً أو أعطى رأياً، أو اقترح فكرة، إلَّا من خلفية تاريخية مدعومة بالوثائق والمستندات.

ارتكز إلى الدستور والقانون والنظام فما طالب إلا من منطلقها.

واستند إلى الأخلاق القويمة السليمة فهاله كل انحرافٍ وصَدَمَهُ كلُّ شذوذ، فما سكت ولا هادن، ولا أمهل ولا أهمل، فكان كالرَّصَدِ على بوَّابة الزمن يدقُّ بمطرقته أبواب المحاريب لكي يتهيَّبَ الجالسون في داخلها، ويسجِّل المآخذ في دفتر التاريخ ليكون للأيام سجلاً وللحساب ميزاناً.

وكأنه أدرك أن الانتماءَ إلى الهويَّة اللبنانية كفاح دائم، ونضال مستمرّ؛ وأن حَمْلَ الهويَّة اللبنانية شرفٌ يجب أن نكون في مستوى الحصول عليه، ولا نصل إلى هذا المستوى إلا بالجلجلة نرسُم على طريقها آثار أقدامنا المضرَّجة.

ما أجمع اللبنانيون مرَّة على شخص واحد كما أجمعوا على ريمون إدّه؛ وما تدافعت جميع الوسائل الإعلامية، على تَسَقُّطِ أخبار إنسانٍ كما فعلت مع ريمون إدّه؛ وما بكى اللبنانيون، جميع اللبنانيين، بمثل المرارة التي بكوا بها على ريمون إدّه...

وما أجمعَ اللبنانيونَ مثل هذا الإجماعَ إلَّا لأن ريمون إدّه كان اللبنانيَّ الوحيد الذي تمنَّى جميعُ اللبنانيين أن يكون، في لحظة من لحظات الزمن، رئيسهم وقائدهم، ليدخل إلى الهيكل ويطرد مَنْ في داخله من لصوص، ويحملَ، في الآن نفسه، سوط العِقاب ينزل به قِصاصاً على ظهور الباعة والتجّار الذين حوَّلوا الهيكل إلى جلسة مقاصَّة يتبادلون فيها المصالح والمنافع.

ونحن، كما جميع اللبنانيين ما أردنا لريمون إدّه أن يموت، وهذا أمر مخالف لسُنَّة الحياة، لرغبتنا الملحَّة والأكيدة في أن يصل ريمون إدّه إلى مركز القرار ليجعله قرار الوطن. لكن الموت أقوى منَّا جميعاً، فهو أمر لا مردَّ له، وكاسٌ حَتْمٌ علينا أن نشربها، شئنا أم أبينا.

كما نحن، في الآن نفسه، متيقّنون، أن الضمير لن يموت، وإن مات الفرد، لأن الضمير هو صوت الله للإنسانية، وحاشا أن يفنى صوت الله.

لذلك نقدِّم لريمون إدّه تحية وفاء، بأن نضع بين أيدي اللبنانيين عصارة إنسان كان محطَّ آمال الجميع وممثِّلاً لآلام الجميع، لتكون هذه «العصارة» نخراً لنا يُعيننا في ساعات الأزمات ويُلهمنا صدق المواقف في الهنيهات العصيبة، ولكي نتذكَّر دائماً أن مَنْ أسمَوْه «ضمير لبنان» لن يموت ما دامت على أرض الوطن قِيَمٌ بها ننادي ومُثُلٌ إليها نتطلّع.. وكنا قد بدأنا بالجمع والتوثيق والتأليف منذ خمس عشرة سنة؛ وقد أطلعْنا العميد على رغبتنا منذ ست سنوات فأمدَّنا ببعض التوجهات. وكنا نتمنَّى لو أفسح لنا الوقت في المجال إخراجه في حياة العميد، ولكن القَدَر كان أقوى من الحذر، فكان هذا الكتاب.. وفاءً للعميد.

* * *

وفاء للذي كان ضمير لبنان، فاحترمه كل اللبنانيين، وإن خالفه بعضهم في بعض آرائه ومواقفه.

وفاء للذي ما ساوم مرّة على مصلحة وطنه وشعبه. ولا آمن مرّة أن المصالح السياسية، وكيف إذا كانت على حساب هذه المصلحة، هي التي «تلعب» بعقول السياسيين.

فالعميد كان وبقي، طوال نصف قرن، رمزاً في الوطنية... ومثالاً لرجل الدولة الرجل.

كان وبقي نائباً، وزيراً، وكرجل سياسة، من الصنف المميّز. يقرن القول بالفعل... إن هاجم لا يتراجع. وإن قال ينفذ.

ولأن العميد أحبَّ لبنان حتى التضحية بالذات...

كان قرار الدار بإصدار هذا الكتاب: «ضمير لن يموت»، بعد أيام من رحيله، وقبل الأربعين على ذكراه.

فهل ندعي أنه يفي العميد حقه؟

بالتاكيد لا. لأن الوفاء للعميد يحتاج إلى مجلدات.

وإذا كان هناك من أخطاء في هذا الكتاب: طباعة كانت، أم في المحتوى والمضمون، فإن «المسؤولية» تقع على عاتق السرعة، وهاجس إصداره في الوقت المحدد.

فإلى العميد، كل الوفاء.

وإلى القارئ، الذي يؤيّد العميد أو يعارضه، كل التقدير.

دار الجيل

كلمة غبطة البطريرك الكاردينال مار نصر الله بطرس صفير في تأبين العميد، مترئساً مراسيم تشييعه في كاتدرائية مار جرجس في بيروت.

«شفتاي تمقتان النفاق» (أمثال ٨:٧)

لو كان للفقيد الكبير العميد ريمون إده، الذي نوّدع اليوم الوداع الأخير بأسف عميق، أن يتَّخذ شعاراً له يستهدي به في حياته، لاتخذ، في اعتقادنا، شعاراً هذه الآية من سفر الأمثال، وهي: «لهاتي تهذ بالحق، وشفتاي تمقتان النفاق».

أجل قضى الفقيد الكبير حياته، وهو يسعى إلى محاربة النفاق، وإعلان الحق، وجلاء الحقيقة. وهذا ما جعل منه زعيماً وطنياً، وبرلمانياً مجلّياً، ورجل دولة يستجلي المستقبل ببصيرة نافذة، مما جعل له وزن رئيس للجمهورية. ولكان جلس في دست الرئاسة الأولى، لو تزحزح، قيد أنملة، عن ثوابته، أو ساوم، للحظة، على مبادئه أو بدل، للمحة، من اقتناعاته.

١ - زعيم وطني

أبصر النور في الإسكندرية في الخامس عشر من آذار سنة ١٩١٣ في بيت تنشق فيه نسيم الحرية، وألف تحت سقفه أفانين السياسة. وكانت عائلته، كالعديد من العائلات اللبنانية، ذهبت في مطلع هذا القرن إلى مصر، هرباً من الكابوس العثماني، وسعياً إلى إزالته، في انتظار انحلال الرجل المريض، على ما وُصفت به الامبراطورية العثمانية، وارتقاباً لفجر جديد سيطلع على لبنان والمنطقة، فجر

الحرية والاستقلال والسيادة الوطنية. وهذا ما عمل في سبيله والد الفقيد المرحوم الرئيس إميل إده، بوصفه عضواً في الوفد المفاوض الذي ذهب إلى مؤتمر السلم في فرساي سنة ١٩١٩ برئاسة المثلث الرحمة البطريرك الياس الحويك. وهذا ما مكّنه لاحقاً من تسنّم سدة الرئاسة بعد شارل دبَّاس وحبيب باشا السعد، في منتصف عهد الانتداب الفرنسي، في أواخر الثلاثينات.

وفي هذه البيئة، نشأ العميد هو وشقيقه المرحوم بيار الذي أصبح لاحقاً نائباً ووزيراً بارزاً. وراح العميد، منذ عهد الشباب، بعدما ورث عن المرحوم والده عمادة حزب الكتلة، يتعاطى الشأن العام، فخاض غمار السياسة، فحالفه فيه النجاح، أكثر مما خانه الحظ. وكان على اتصال دائم بمريديه الذين أحبوه وأخلصوا له، وأعجبوا بما كان يبدي من آراء، ويتخذ من مواقف وطنية. وكان نهجه الصدق والصراحة، ولم يعلن غير ما يبطن. وقد أثبت إن السياسة ليست، كما يظنها بعضهم، خداعاً ونفاقاً. إنها، على ما رآها المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، فن شريف يعتمد الصراحة والشفافية، عملاً بقول السيد المسيح: «ليكن كلامكم: «نعم: نعم! ولا! لا! وما زاد على ذلك فهو من الشرير».

٢ ـ برلماني مجل

فَقِهَ، رحمه الله، النيابة خدمة وطنية، وتخطيطاً لمستقبل مزدهر، عبر تشريع سليم، ورقابة يقظة لسياسة الحكومة. ولم تكن النيابة يوماً خدمة شخصية، أو وسيلة لإثراء على حساب مصلحة عامة، أو حماية لتجاوزات، أو تبريراً لانتهاكات تتجاهل القانون، أو في أحسن الأحوال، تأدية لواجب اجتماعي إرضاء لمشاعر اعتزاز بالذات. وقد عرف كيف يرفع ناخبيه إلى مستواه، فاكتفوا منه بالجري في حلبة المجلس النيابي جري الفارس المجلّي، ولم يطلبوا منه الوقوف إلى جانبهم باستمرار في مأتم وأعراس، ليجد متسعاً من الوقت لاقتراح مشروع قانون، أو مناقشة قضية، أو بحث في المطولات عمَّا يؤيد وجهة نظر أبداها، أو يدحض ما ذهب إليه الخصوم.

وهكذا كانت تلك المجموعة من القوانين التي تحمل اسمه وعناوينها: «من أين لك هذا؟»، و«سرية المصارف»، و«إعدام القاتل»، إلى ما سوى ذلك من قوانين حاول معها الارتقاء ببلده إلى مستوى ديموقراطي رفيع.

وعلى الجملة، لقد كان قائداً يعرف ما يريد، وإلى أين سيصل، ولم يرضَ يوماً بأن يُقاد إلى حيث لا يدري، أو لا يريد. ولهذا آثر النفي الاختياري طوال ربع قرن ظل خلاله كأنه في لبنان، ومع اللبنانيين، في حياتهم اليومية، بالفكر والقلب والتوجيه والموقف. وعانى مرارة البعاد، والقهر، وخيبة الأمل. وعندما دقت ساعة الفرج، دقت ساعته الأخيرة، فمضى ليشهد الفرج من حيث أصبح في جوار ربه.

٣ ـ رجل دولة

واكب أحداث لبنان منذ ما فوق نصف قرن. وكان له على كل منعطف تاريخي وقفة، من مثل اتفاق القاهرة، والاتفاق الثلاثي، واتفاق الطائف، وما عقب هذا الأخير من انتخابات نيابية، وتدابير إجرائية. وشن حملات لا هوادة فيها على انتهاك الحريات، وإخضاع الأجهزة والمؤسسات للهوى السياسي. وكان يحرص على التوفيق بين أقواله وأفعاله. وعندما كانت تجري رياح السياسة بما لا يشتهيه، كان يلجأ دونما تردد إلى الاستقالة من المسؤولية، غير آسف على ما توليه السلطة من جاه فارغ، ومجد باطل. وعرف كيف يوثق مع جميع الأطراف اللبنانيين، على اختلاف المذاهب والمشارب، أواصر الصداقة والألفة، فجسد بمسلكه العيش المشترك خير تجسيد. ولم يكن له صديق غير الحق ولبنان، ولم يكن له عدوّ غير الفساد والطغيان.

وكانت له كتب مفتوحة مطولة وجهها إلى أهل الحكم في مختلف العهود تناول فيها الأوضاع بالتحليل والتعليل والانتقاد والتوجيه. ولكم فاخر بأنه، إبان الحروب اللبنانية، لم يسمح لمحازبيه بحمل السلاح، رغم أنه تعرض للاغتيال

ثلاث مرات. فكان لقامته السياسية بُعد وطني شامل. وإذا دعا، كان الكثيرون عند دعوته الجواب. فلا عجب إذا ما أطلق عليه لقب «ضمير لبنان».

وكان، وهو في باريس، يجعل، كل أحد، من غرفتيه في فندق نزله، منتدى يجتمع فيه اللبنانيون وأصدقاؤهم لعرض الأوضاع الراهنة في الوطن الجريح، وحمل السبع والثمانين خفافاً، وهو على ما يشبه الشباب، صحة تفكير، ومرح روح، وسرعة خاطر، وبراءة نكتة.

ولم يكن بعيداً من ربه، وغالباً ما كان يؤم كنيسة سيدة لبنان في باريس حيث كان يُرى في مقدم صفوف المؤمنين. وقد نشأ في بيت ترعرع فيه عم له أصبح راهباً يسوعياً وأظل والدة له تقية. ومنذ بضع سنوات اتصل بنا هاتفياً ليقول: إنه يقف بيت والده في قب الياس ليكون كنيسة رعية تحمل اسم مار إميل. وهذا ما حدث في الواقع.

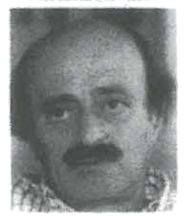
وإنا، إذ نكبر الخسارة في العميد الكبير، تتقدم بأحر التعازي من جميع من نعوه وبخاصة من ذويه وابن شقيقه وخلفه على رأس الكتلة الوطنية، السيد كارلوس إده، ومن جميع أعضائها، ونسأل الله لهم ولجميع اللبنانيين فيض العزاء، وللراحل الكبير الذي تحنو على رفاته تربة لبنان، الراحة الكبرى في دار الخلود.

كلمات وفاء ...



ريمون اده... ضمير عبر إلى الاسطورة.

المحامي ابراهيم اسطفان



ريمون اده... هذا الرجل–الصدق.

النائب وليد جنبلاط



ريمون اده... شامخ كأرز لبنان.

النائب اميل نوفل



ريمون اده... فقيد الاخلاق السياسية.

النائب نهاد سعيد



ريمون اده... الجرأة والصراحة.

النائب محمود عواد



ريمون اده... القائد على حق.

النقيب ملحم كرم

ريمون إدّه...

ضمير عبر إلى الأسطورة

بقلم الأمين العام لحزب الكتلة الوطنية
المحامي إبراهيم اسطفان

تتحدّث الأسطورة العتيقة عن جبيل فتقول:

إن قدموس أبحر من مرفأ جبيل زارعاً المعرفة، ناثراً الأبجدية في أقاصي الأرض وأعماق التاريخ... أمّا اليوم فقد تخطّاهما إلى العالم الكوني.

وإن أدون (أدونيس الجبيلي) الذي تدور حوله القصص الأسطورية، فقد خُص بأعياد ليست كسائر الأعياد.

حالات من الحزن تنتهي بالفرح والسعادة بعودة أدون من الموت كعلامة مميزة لانبعاث الحياة في الطبيعة بفعل الحب... إنه الحب والحياة المنتصران على الموت.

وها نحن نعيش زمناً يعبر فيه ريمون إدّه ضمير لبنان إلى الأسطورة بطلاً للحرية التي بدونها لا يطيب الخبز، ولا الحب يقيم من الموت.

تقول الأسطورة:

أبصر ريمون إدّه النور في الإسكندرية في ١٥ آذار ١٩١٣ لأن عائلته المناضلة لإزالة الكابوس العثماني عن لبنان كانت قد لجأت إلى مصر.

وبعد أن حقق والده منجزات تاريخية أدّت إلى الاعتراف بالكيان اللبناني بحدوده واستقلاله وسيادته، توفي أثناء تصديه «للتنين» المطامع الصهيونية والإقليمية في الاستيلاء على لبنان. فتسلّم ولده ريمون عمدة حزب الكتلة الوطنية اللبنانية.

خاض العميد غمار السياسة بنهج صادق وصريح وشفّاف، فأثبت أن السياسة شفافية وجرأة في قول الحق والوقوف عندها مهما غلت التضحيات.

خطّط لمستقبل لبنان المزدهر، عبر تشريع رؤيوي ورقابة للسلطة الحاكمة وتصدٍّ للتجاوزات والهدر وسن قواعد محاسبة المسؤولين عن قرش «الفقير».

فكانت مشاريعه ومواقفه ركائز متينة في أبعاد السياسة والاجتماع والقانون.

ويوم أطلق «كيسنجر» عنان مؤامرته للقضاء على لبنان تصدّى له العميد بما يشبه الصراع المستحيل مردداً يوم غادر أرض لبنان:

«ضلو اذكروني قوي قد القدر قد المستحيل».

ويوم تنادى بعضهم لمداواة التطرّف بغير الحوار والنظر للبعيد، كان الإجابة؟ بالذات ولو على حساب الحياة.

ومن يومها دخل البطل إلى عالم الميتولوجيا وعالم الأساطير ولو في هذا القرن المادي بطلاً للحرية والديمقراطية والسيادة.

واليوم، وبعده، وبعد بعده لن يدعنا نرتاح قبل أن نحرّر إرادتنا بقدر تحرير أرضنا من هيمنة حتى أي صديق أو شقيق.

وإلى أن نبني مؤسساتنا على الشفافية والصدق والفعالية.

وإلى أن نزيل العماء من نفوسنا فنتحرر من ذواتنا غيرة سامية في مصلحة الوطن.

وإلى أن ننشر مبادئ الحق والعدل والديمقراطية في دنيا العرب والمشرق...

سيبقى بطل الأسطورة الجبيلي يعصف في ضمائرنا ويقلقنا وسيبقى حلماً يراودنا، عنه نتحدّث بحسرة وإليه نشتاق وأملاً يراود مخيلة الأطفال عن لبنان المعرفة والحب والحرية.

٢٠٠٠/٦/٥

ريمون إده...

هذا الرجل ـ الصدق

بقلم النائب وليد جنبلاط

إذا كان لتاريخ لبنان الحديث أن يحفظ سجل رجالاته، فـ«ريمون إده»، هو في قلب هذا السجل، على مدى أكثر من نصف قرن، وفي رأس الصفحات: نزاهةً، وديمقراطيةً، وجرأة رأي، وثبات موقفٍ، ورسوخ قناعات، بلغت به «حدود العناد» الشريف حتى قيل إنه: «العميد العنيد» بسبب شدة تمسكه بالصدق مع النفس، وباحترام الذات.

عاش ربع قرن خارج لبنان، لكنه لم «يخرج» في أية لحظة على لبنان، فكان في «باريس» كأنما هو في «بيروت»، حاضراً في غيابه، وإن غاب عن الحضور؛ قوياً في رأيه، وإن خالفه الرأي كثيرون؛ لكأنه أراد أن يتحدى تلك الرصاصات التي أبعدته إلى فرنسا، وأن يثبت للبنانيين أنها أصابت جسده وحسب، لكنها لم تصب إرادته، ولم تخترق صلابته، ولم تسفح رأيه، وإن سفحت منه بعض الدماء.

قضية الحرية عنده هي كل حياته، وإن كان غيره قد استُشهد على مذبحها، فهو قد عاش من أجلها شهيداً، وعندما أعاده الموت إلى لبنان، سجل له التاريخ في محرابها عمراً جديداً.

لم يتوهم أبداً، أن الحرية حق لذات منفردة، أو لجماعة منفردة، و«الآخر» عنده هو جوهر هذا الحق، والأخلاق والديمقراطية هما شرطان لوجود هذه الحرية.

قناعاته هذه هي ميزته الرفيعة، وهي محور حياته السياسية في لبنان، ونحن وإن

كنا نتفق معه في قضايا كثيرة، ونختلف في قضايا أخرى، إلا أننا كنا نكنُّ له احتراماً كبيراً، ووداً عميقاً، حين نحالفه، وحين نخالفه.

تمسك بـ«لبنان» وطناً للجميع، فرفض مشاريع التقسيم، وحدد العدو بـ«إسرائيل» فقط، وحذر باكراً من خطر هذا العدو، وشدد على سيادة لبنان واستقلاله، وعلى الارتقاء من العيش المشترك بين الطوائف، إلى العيش الوطني بين اللبنانيين. ودعا إلى قيام المجتمع المدني، والدولة العصرية، ودافع عن هذه الفكرة في الندوة النيابية، وفي الحياة العامة. ولقد اختاره القدر للرحيل كما اختار من قبله «كمال جنبلاط»، فلم يحققا أحلامهما، لكنهما حققا في ذاكرة الشعب والوطن موقعاً متميزاً، ونموذجاً متقدماً، وأمثولة سياسية في النزاهة، والصدق مع الذات، وجرأة الموقف، وقوة الشعور بالحرية والديمقراطية، وأصبحا رمزَين موحَّدين في الصفات، متمايزين في الأفكار، مختلفين في الأسلوب، غير أنهما يبقيان بسبب هذا الاختلاف الديمقراطي، نموذجَين للتنوع ضمن الوحدة الوطنية، وقدوتَين تقتدي بهما أجيال لبنان.

ريمون إده... هذا الرجل ـ الصدق.

الرجل ـ الحرية.

الرجل ـ الديمقراطية.

أقل ما يقال فيه: إنه ضمير لبنان.

٢٠٠٠/٦/٥

ريمون إدّه...

شامخ كأرز الرب

بقلم النائب إميل نوفل

رحل العميد ريمون إدّه وعاد إلى تراب وطنه، قبل أربعة عشر يوماً من رحيل إسرائيل وتحرير تراب الوطن. (توفي العميد يوم الأربعاء ١٠/ ٥/ ٢٠٠٠ وانسحبت إسرائيل يوم الأربعاء ٢٤/ ٥/ ٢٠٠٠).

ومع غياب عميد حزب الكتلة الوطنية اللبنانية، يخسر لبنان أحد كباره الذي طبع، وطوال النصف الثاني من القرن العشرين، الحياة السياسية اللبنانية، بعلاقة مميزة ميزاتها: صدق وطنية، ترفّع سياسة، راحة ضمير، نزاهة تصرّف، ثبات كلمة، صوابية رؤية، نظافة كف، صلابة موقف، جرأة رأي...

كان المثال لمن تعاطى الشأن العام، وسيبقى، وأصبح الرمز في الوطنية، يلهم الموقف الصحيح كلما مرّت في سماء الوطن غيمة سوداء.

ومنذ تسلّمه عمادة حزب الكتلة الوطنية اللبنانية في العام ١٩٤٩، ولبنان شغله الشاغل، احتل المكانة الأولى في عقله وقلبه وضميره. حمله عن إيمان وإرادة في داخل الوطن، وفي منفاه الباريسي.

عاش فرح الوطن على قلته. وعاش حزنه: محطات ونترات وعهوداً.. مواطناً مميزاً ونائباً بامتياز.

في العام ١٩٥٢ كان من قادة «الانقلاب الأبيض».

في العام ١٩٥٨ اختير وزيراً في حكومة الأربعة ليداوي جرح «الثورة».

في العام ١٩٦٤ أسقط في الانتخابات لأن السياسة لا تتحمله.

في العام ١٩٦٩ وقف وحيداً ضد اتفاق القاهرة.

في العام ١٩٧٦ خططوا لاغتياله... وكان الرحيل القسري.

واستمرت الحرب... والعميد يرفض السلاح. لا بل حرَّمه.

آمن أن لبنان لا يعيش، ولن يبقى إلّا بالحياة المشتركة. ولذلك كان ميثاق عنايا، بين الجبيليين مسيحيين ومسلمين.

أكّد مرّة بعد مرّة أن إسرائيل هي عدوة لبنان الأولى. وأن لبنان السيد الحر المستقل هو الدولة المنارة في هذا الشرق.

وفي المجلس النيابي كان المشرِّع الأول. وكان المدافع الكبير عن الديموقراطية ودولة القانون والمؤسسات.

وحتى مماته بقي العميد سيد الموقف، يعلنه بكل جرأة، ومن دون أي مساومة. لا يخاف أحداً، ولا يمد يده لأحد... بقي شامخاً كأرز الرب... وصافياً في الوطنية كثلج المكمل.

وبعد رحيله تحقَّقت إحدى أمنياته، وتحرَّر الجنوب والبقاع الغربي.

فهل يعمل جميع اللبنانيين على تحقيق باقي أمنياته، ليعود لبنان الذي يستحقون، وطن الحرية، وطن السيادة، وطن الإنسان؟!

٢٠٠٠/٦/٧

ريمون إدّه...

فقيد الأخلاق السياسية الرفيعة

بقلم النائب نهاد جرمانوس سعيد

ماذا أقول عن العميد، إن أشياء كثيرة تزدحم الآن في ذهني، ولكن لا بد من قول شيء ولو كان مختصراً. لقد عرفته جيداً بعد موت زوجي الدكتور أنطوان سعيد كخصم في المعركة الانتخابية بجبيل، وكان ككثيرين من اللبنانيين يستعظم نزولي ضدّه في معركة انتخابية وهو العميد المعروف والقطب السياسي البارز. وكنت مصمّمة على متابعة رسالة زوجي الإنسانية وخطّه السياسي وإيمانه بدولة القانون والمؤسسات والعدالة الاجتماعية التي كان الرئيس فؤاد شهاب يؤسس لها ويرسي قواعدها. والحق كانت المعارك الانتخابية الثلاث التي خضتها بمواجهة العميد، صعبة وقاسية للغاية إلى درجة أستطيع أن أسمّي كل معركة منها أمّ المعارك. فلقد قسمت هذه المعارك اللبنانيين إلى اتجاهين، اتجاه الدستوريين الذي يؤيدني واتجاه الكتلويين الذي يؤيده، ولم تعد محصورة بجبيل وحدها. ولكن هذا لا يمنعني من الاعتراف بثبات العميد على مواقفه الوطنية ثباتاً مشهوداً قلّ نظيره في لبنان. كذلك لا بد لي من التنويه بالعميد والشهادة له شهادة حق كرجل برلماني مشرِّع من الطراز الأول في لبنان، شهد له الجميع. ومن مشاريع القوانين المعروفة التي طرحها العميد وأصبحت قانوناً، القانون المعروف بقانون سرّية المصارف الذي يقترن باسمه ويحمل سماته.

ورغم المنافسة في الانتخابات فلقد كان الاحترام متبادلاً بيننا. وإني لأذكر أنني عزّيته بأخته في باريس بواسطة الهاتف، فقال: أتعزّينني بواسطة الهاتف! إنني أدعوك إلى الغداء، ولقد تناولت معه طعام الغداء في الفندق الذي يقيم فيه (Prince de

(Guall. وبعد الغداء طلب أن يهديني بعض الكتب عن الحرب اللبنانية من مكتبة بقرب الفندق، ولمّا وصلنا إلى المكتبة سألته صاحبة المكتبة التي كانت على معرفة به كقارئ مداوم على شراء الكتب والصحف منها، عمّن أكون فقال لها ـ رحمه الله ـ إنني أشرس خصم له. فقالت صاحبة المكتبة: إنكم تتخاصمون في لبنان وتتصالحون في فرنسا.

ومن الأشياء الجديرة بالذكر، أن العميد أثناء الحرب الفتنة دعا إلى توقيع وثيقة شرف في عنايا يتعهَّد فيها الموقعون أن يمنعوا وقوع أي اعتداء في جبيل بين الطوائف، وكنت أنا في الوقت نفسه وقبل أن أسمع بهذه الوثيقة، قد صنعت وثيقة شرف حول نفس الموضوع. فلقد كنا مختلفين في المنطقة ولكننا متفقون في المنطق. ولقد كان العميد ـ رحمه الله ـ لكل لبنان لم يهتم بالقضايا العامة وتشريع القوانين لها، وكان يحسب حسابه بالبرلمان كرجل قانوني متمرّس قادر أثناء طرح القوانين ومناقشتها وإجراء التعديلات لها إذا اقتضى الأمر.

ومن لا يعرف أن العميد كان يقلقه الاحتلال الإسرائيلي أعظم القلق؟ والذي كان يدهش الجميع بعد نظره واستشفافه للمستقبل. فكم كانت معرفته عميقة بالنوايا والمخططات الإسرائيلية! وكم نبّه إلى طمع إسرائيل بالمياه اللبنانية! وكم كان مدهشاً في وقوفه بإيمان وطني لا يتزعزع ضد الاحتلال الإسرائيلي، وبكلمة «لا» للاحتلال الإسرائيلي بشكل حازم. وكم كنت أتمنّى أن يكون حياً ليشاهد الانسحاب الإسرائيلي المدوّي من الجنوب وليسمع لبنان والعالم آراءَه وتعليقاته التي ستتفرّد بعمقها وطرافتها كما عوّدنا دائماً. وإني لأؤمن أن روحه مغتبطة الآن كاغتباط اللبنانيين جميعاً. وإني بإيمان أهنئ روحه في عليائها بهذا الانسحاب عن جنوب الوطن الغالي. وكم كنت أتمنّى صادقة أن أهنّته وهو على قيد الحياة.

وبكلمة أخيرة إن العميد ريمون إدَّه فقيد الأخلاق السياسية الرفيعة، وفقيد لبنان بأسره، وخسارة لنا جميعاً نشعر بها ونشعر أنها لا تعوض ـ رحمات الله عليه ـ.

٢٠٠٠/٦/٧

ريمون إدّه...

امتاز بالجرأة والصراحة

بقلم النائب محمود عوّاد

من يقرأ مقالاً عن العميد ريمون إده، يشعر بمتعة كبيرة، لأن سيرته تبعث على الفخر والاعتزاز.

أما من يحاول الكتابة عن ريمون إده فيجد صعوبة كبيرة، لأن شخصيته ظاهرة نادرة، يسهل الحديث عنها ولكن تصعب الكتابة فيها، وربما لأن العميد طبع محبيه بطابعه الشخصي، فأحبوا ما أحبه وكرهوا ما كرهه، فكان يقول أمامهم: أنا أُحسن الكلام بالرغم من لغتي (المفركشة) ولا أحسن الكتابة.

وعلى كل حال أرجو أن يوفقني الله في الكتابة عنه فلعلّي أفيه بعض حقه.

الحقيقة أني لم أجد تعريفاً لشخصه، أفضل من عبارة موجزة رثاه بها غبطة البطريرك صفير حيث قال عنه إنه ضمير لبنان، ولو تزحزح قيد أنملة عن ثوابته لكان رئيساً. وثوابته ليست حديثة العهد، بل هي متأصلة فيه عمرها من عمره السياسي، عارض منذ كان يافعاً قبول والده إميل إده الرئاسة هدية من فرنسا، كما أنه بالرغم من صداقته للفرنسيين رفض أيضاً أن يتنازل عن قناعته الشخصية في كيفية تعاطيهم بالشؤون اللبنانية، وكان يناقشهم فيها نقاش الند للند.

قضى حياته يصول ويجول في حياة لبنان البرلمانية، ما نطق فيها عن هوى، بل امتاز بها بقوة المنطق والحجة المقنعة، حتى اكتسب صفات المشترع الألمعي، وامتاز بالجرأة والصراحة.

كان يفهم النيابة بمعناها الصحيح ويمارسها بمفهومها الحقيقي، لا هي ولاية على مزرعة من مزارع الاقطاع السياسي، ولا هي خدمات شخصية للمحسوبيات، ولا هي وساطة لحماية الازلام وتجاوزاتهم المخلّة بالقانون.

كان يستشرف مواقفه ولا يجازف بها ولا ينساق إليها، إذا لم يكن واثقاً منها.

دافع عن كرامة مواطنيه بشراسة، جميعهم يتساوون عنده أمام القانون، يساعدهم من خلال حرصه على المصلحة الوطنية العليا، ولا يفرط بمصلحة أي منهم. وهل لسواه ما له من مآثر وإنجازات تشريعية خلّدت اسمه ليس أولها قانون من أين لك هذا، ولا آخرها قانون السرية المصرفية، وإذا كانت مآخذ البعض عليه ولا سيما ناخبيه، أنه لا يسعى إلى خدمات شخصية، هي من هذا القبيل، أليست حماية المال العام من الطامعين به، هي خدمة للوطن والمواطنين على السواء؟ أليس تشجيع الاستثمارات الأجنبية والمحلية وحمايتها هي خدمة للوطن والمواطنين معاً؟ يكفيه فخراً أنه لم يسمح لمحازبيه بحمل السلاح والدخول في معمعة الحرب اللبنانية القذرة، بل كان يحذرهم دائماً من مخاطر الانزلاق في التقاتل الداخلي والطائفي، حتى كاد يدفع حياته ثمناً لهذه المواقف.

إن ما رآه ريمون إده ببعد نظره منذ ثلاثين سنة من ضرورة وجود بوليس دولي على الحدود الدولية بين لبنان وفلسطين، يحد من الاطماع الإسرائيلية في لبنان ومياهه، بات يطالب به الزعماء اللبنانيون اليوم بعدما عانى الشعب اللبناني ما عاناه من ويلات الاحتلال الإسرائيلي، ودفع ما دفعه غالياً من شهداء ثمناً لتحرير الأرض.

ويمكن القول وفاء لذكرى العميد، إن بهجة التحرير كانت باهتة بسبب رحيله عشية عرس التحرير.

٢٠٠٠/٦/٥

ريمون إدّه...

القائد على حق

بقلم نقيب المحررين ملحم كرم

القائد على حقّ... يوم هو في دنيا الحقّ!

يوم قائدٌ في الحياة، يظلّ قيد المواجهة والمعارضة واللوم و... التجريح. ذلك بأنّ الناس يمارسون عليه، إذ هو بينهم، دالّةً ودَلّا. لأنه هنا. في مواجهتهم. في مناقشتهم. في الردّ عليهم دفاعاً عن نفسه. في تخطئة المعترضين. في تسفيه المعارضين. هو، هنا، في إطلالته. في مهابته. في حضرته الوازنة.

أكثر بعد. إنه الطمع فيه. في حقّهم عليه. في شيء من هذا الذي يُدني القائد من القاعدة، ولو عبر حوار تستطيل القاعدة فيه، أحياناً، على القائد... عبر الحوار والموقف والحرد في بعض الأحيان. لأن القاعدة، أحياناً، لا تفهم القائد. يندّ عنها أن تقرأ قراءةً حسنة واضحة واعية في كلّ ما يقول.

هذا الضباب كلّه ينقشع يومَ قائدٌ يغيب. يوم يصير في دنيا الحقّ... تُراه، عندهم، هُمْ إيّاهم، أبناء القاعدة أنفسهم، يصير على حقّ. عند ذاك، تنجلي الشحناء عن الأذهان. وتنزاح الغمامة عن القلوب. وتسقط الغشاوة عن العيون... فيصير القائد شفّافاً، أثيرياً، وضّاح الثنايا. وتنحسر المآخذ. وينهزم الدّلال. ويفدح الأمر. بطّل، هو، هنا. وبطّلوا، هم، قادرين على مطاولته في مناقشة يعرفون... أو هم كانوا يعرفون... أنه، فيها، طالعٌ طلّاع الرؤية.

هكذا مع ريمون إدّه. كانوا مدركين كم كبير القدْر، هو. لأنه العميد ابن العميد.

ربّما كان في الواقع شيءٌ من هذا. إميل إدّه صفحة لم تُطوَ... بسطورها المشرقة. وبالسطور المختلف على منطوقها والمضمون. ريمون إدّه أكثر من عميد. أكثر من «العميد». كان القائد. وكان السياسي. وكان الموقف والنزاهة والوطنية والمعرفة. كان يعرف تاريخ لبنان. لأنه كان يعرف أنّ من لا يعرف تاريخ بلد لا يجوز له أن يحكي في سياسته. ولا، طبعاً، أن ينزل، فيه، الساحة السياسية. فمن كان في سياسة وطنٍ «ابن البارحة»، كان طارئاً على سياسته، ولو هو كان أصيلاً في الوطن. في بُنُوَّة، بُنُوَّة النسبة، لهذا الوطن.

والعاطفة الصادقة العارمة التي قوبل بها ريمون إدّه العائد ذِكْراً إلى وطنه بعد نفْيٍ طوّعي... أو قسريّ بعض الشيء... لأن المنفى، غالباً ما لا يكون اختياراً، خصوصاً عند أهل المشورة المؤمنين... العاطفة التي قوبل بها، حكت قصّة طويلة من نفسية وطنية عامّة تعبّأت بكرائم الرجل المتكابر على القصص الصغيرة حتى لَيرى تولّي الحكم، حتى تولّي الحكم، كيفما جاء، واحدة من الحكايا الصغار.

سيرةٌ حلوةٌ ريمون إدّه. وذِكْرٌ هو... يومَ أطلّ. ويومَ نُفي. ويوم عاد تحت شعاع الوضاءة وشهادة الحقّ.

مآتم الرجال ليست مناسبة. ولا هي قصةٌ مرتَجلة. بنت ساعتها. إنها اختمار في النفس الوطنية. في النفسيّة العامة. أندري مالرو حكى، في كلامه على مأتم الجنرال ديغول، قصة الأكاليل الفخمة من زهور المرغريت التي لم ترَها باريس منذ مأتم ڤيكتور هوغو، من سنة ١٨٨٥.

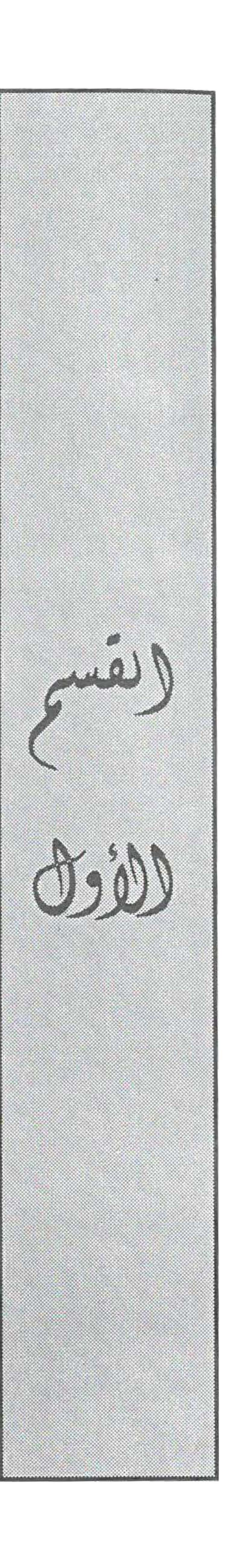
ريمون إدّه اسمٌ باقٍ في روزنامة لبنان. لأنه عرف لبنان. وقاتل، ما إستطاع، من أجل لبنان. ولأنه رأى، بحَدْسٍ متنوّرٍ فيه، إلى ماذا صائرٌ لبنان. فما صدّقوه. لأنهم كانوا انقسموا... فصاروا يصدّقون بآمالهم أكثر ممّا يصدّقون بماهيّة الواقع.

كتبُ عنه كثيراً. وأنا، اليوم، أكتب بعد.

إنّها موضوع لا يجفّ... سيرة الرجال!

٢٠٠٠/٦/٨


جبيل التي أحب : نموذج التعايش



العميد الإنسان

الباب الأول

الجذور والهوية

الفصل الأول

ريمون إدّه... الجذور

إسم أسرة من أسر المسيحيين المشايخ في بيروت، سمّوا باسم قريتهم إدّه التي تقع في بلاد جبيل. وإدّه من جذر «إدّ» السّامي المشترك، وهو يفيد القوة والمنعة والصلابة، ومنه اسم العلم «إدّو» في التوراة. والأسرة عريقة في لبنان، يعود تاريخها إلى عهدي الامارتين المعنية والشهابية في جبيل، حيث خدم بعض أجدادها الأمراء، وقد اغتنت هذه العائلة في العهد العثماني خاصة في القرن الماضي، عن طريق التجارة والتزام جباية الأموال الأميرية على الأراضي، وتمكّنت من استملاك أراض شاسعة.

ومن الباحثين من يروي أن أجدادها قدموا إلى إدّه من يانوح (المغيرة اليوم) القريبة من قرطبا، وينهي نسبهم إلى الشيخ يونان اليانوحي، المتصّل النسب ببني كعب وبني هوازن، والذي له صلة قربى بمالك بن أبي الغيث مقدّم العاقورة الذي جاء من اليمن وتوطّن مدينة إزرع في حوران، ثمّ انتقل إلى تدمر التي في بادية الشام، ومنها نزح إلى يانوح فإدّه في بلاد جبيل. أما خليل حبيش مؤلف كتاب «آل حبيش في التاريخ» فيقول، بعد تأكيده نسب الأسرة ومنشأها: إنّ جدّ أسرته الشيخ حبيش وجدّ أسرة بني إدّه الشيخ يونان، هما أخوان من سلالة واحدة، وبني ملاط فرع منهما، كما يروى أن من بني إدّه آل مرعي وفياض وكريم.

وأشهر من برز من هذه الأسرة قديماً الشيخ يوسف إدّه الذي خدم الأمراء

آل معن في آخر مدّتهم، ثم انتقل إلى خدمة الأمراء الشهابيين، ونال حظوة لديهم، ودعوه شيخاً. والاخوان الشيخان منصور وبطرس إدّه اللذان خدما الأمير منصور الشهابي، فأقام الأول منهما على تدبير شؤونه وأملاكه، وجعل بطرس رئيس الشرط، وكان من مساعيهما الحسنة بناء كنيسة القدّيس جرجس في بيروت وكانت صغيرة فكبّراها بنفقتهما ونفقة مطران بيروت يومئذ الأب يوسف فاضل، والشاعر الياس يوسف إدّه (١٧٤١-١٨٢٨م) الذي اتصل بخدمة الأمير يوسف الشهابي فكان «كاخيته». ثم انتقل إلى خدمة أحمد باشا الجزّار في عكا، غير أنه فرّ خوفاً من تحوّله عليه كما فعل بغيره وعاد إلى بيت الدين واتصل بخدمة الأمير بشير الشهابي. وله ديوان شعر ومجموعة رسائل.

واشتهر من هذه الأسرة في زمن العثمانيين أيضاً قيصر إدّه وميشال إدّه الذي كان مدير الأمور الأجنبية في ولاية بيروت. وخلفه ولده كميل بك إدّه في هذا المنصب. من مشاهير الأسرة جد العميد إبراهيم إده ووالده المحامي إميل إده:

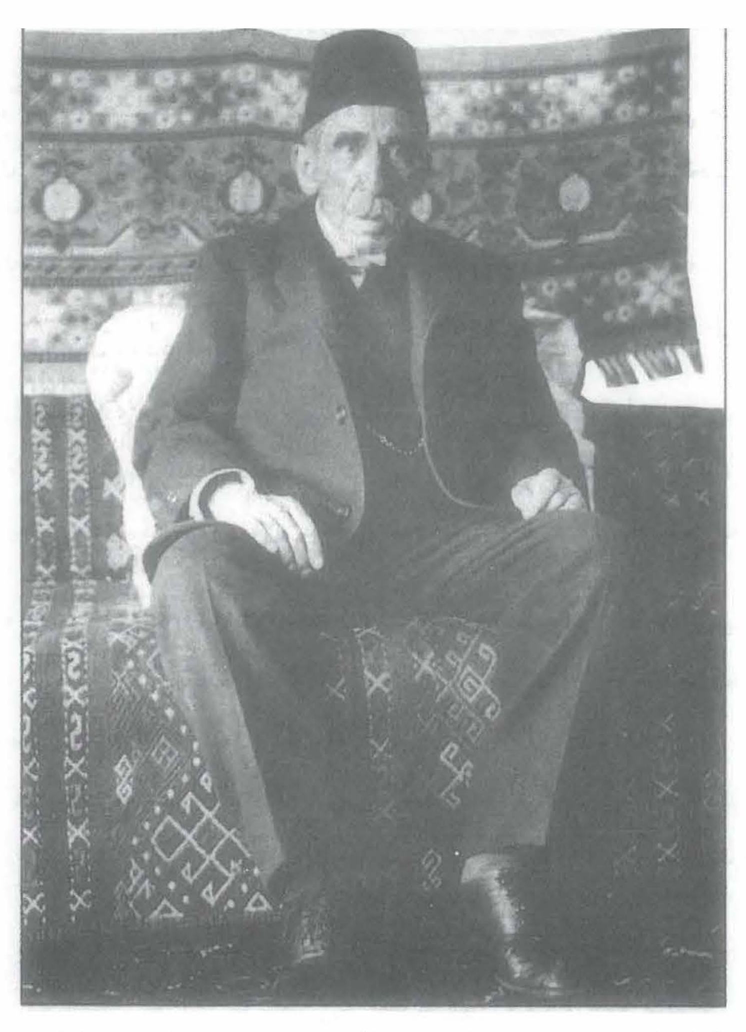
إبراهيم إده كان ترجماناً (دروغمان Drogman) لدى قنصل فرنسا في دمشق في عهد الدولة العثمانية. كانت له علاقات حميمة مع الأمير عبد القادر الجزائري. وفي حوادث ١٨٦٠ المعروفة استطاع بعد أن انتقلت المعارك إلى سوريا، وبفضل الأمير عبد القادر الجزائري إنقاذ ٢٠ ألف مسيحي من الخطف والموت وذلك بتاريخ ١١ تموز من السنة نفسها.

أما إميل إده الذي سعى إلى استقلال لبنان، فقد ذهب مع وفدين من أصل ثلاثة وفود، ذهبت سنة ١٩١٩ إلى فرنسا كي تشترك بمؤتمر السلام، كي تطلب من فرنسا استقلال لبنان بحدوده الواردة في خريطة وضعتها الحملة الفرنسية التي أتت إلى لبنان سنة ١٨٦٠ . أما تاريخ هذه الخريطة فهو سنة ١٨٦٢ .

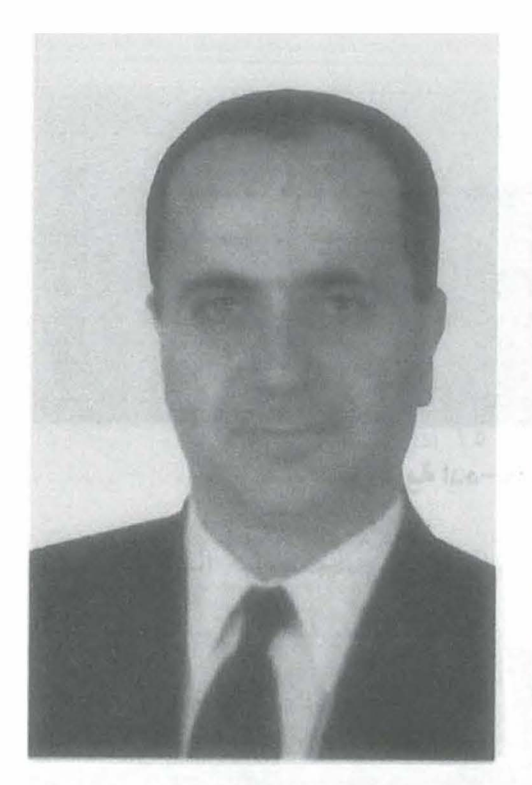
تولى إميل إده رئاسة المجلس التمثيلي (١٩٢٥) ورئاسة الجمهورية اللبنانية (١٩٣٦ ـ ١٩٤١) كما قام بتأسيس حزب الكتلة الوطنية سنة ١٩٤٦ .

أما نجلاه ريمون إدّه الذي أصبح رئيساً لحزب الكتلة الوطنية ونائباً عن بلاد جبيل منذ سنة ١٩٥٣م حتى وفاته، وأحد وزراء لبنان السابقين، وبيار إميل إدّه الذي انتخب نائباً عن المتن وبعبدا وبيروت (١٩٥١-١٩٦٠) وتوّلى وزارة المال مرة.

كما برز أيضاً من هذه الأسرة الوزير السابق المحامي ميشال إدّه، والمهندسان هنري إدّه وروجيه إدّه، وأخيراً كارلوس إده العميد المنتخب حالياً.



الدروغمان ابراهيم يوسف اده، جد العميد، في رسم له أيام الشيخوخة
حوالى سنة ١٩١٠.

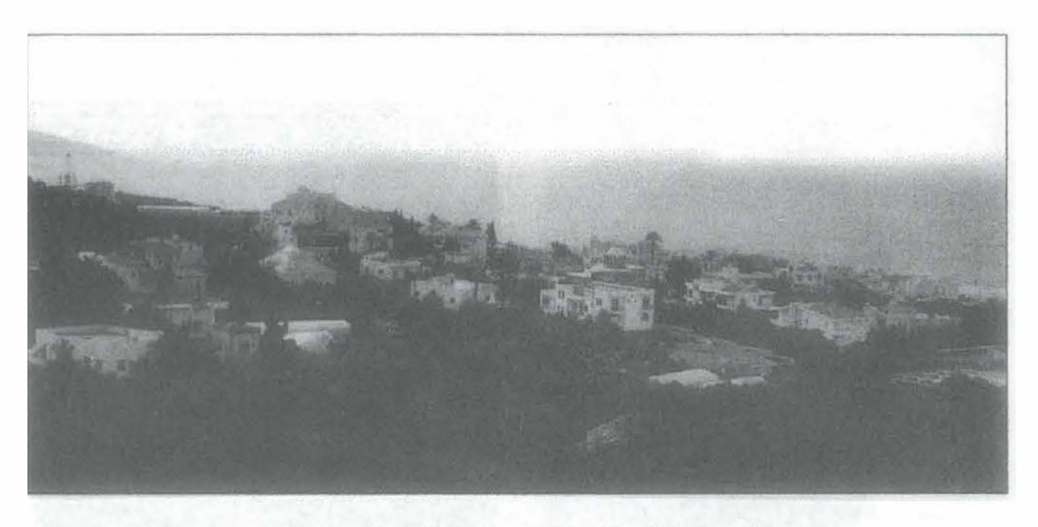


بيار اميل اده.

كارلوس بيار اده.



ريمون كارلوس بيار اده... «العميد» الصغير.



مشهد من قرية اده-جبيل المطلة على البحر.

منزل ابراهيم اده الذي وهبه حفيده العميد ريمون اده الى مطرانية زحلة المارونية كي يصبح كنيسة مار اميل.

الفصل الثاني

ريمون إدّه... الهويّة

- ولد ريمون اده في الاسكندرية في ١٥ آذار سنة ١٩١٣.
- ماروني المذهب.
- يتحدر من عائلة سياسية بارزة، والده رئيس الجمهورية اللبنانية السابق بين عامي ١٩٣٦ و١٩٤١ إبان فترة الانتداب الفرنسي، ورئيس حزب الكتلة الوطنية ومؤسسها اميل اده.

والدته لودي سرسق (والدها جورج لطف الله سرسق).

- تلقى دروسه الابتدائية والثانوية في مدرسة الآباء اليسوعيين في الاسكندرية حيث نشأ في بيت أخواله في مصر.
- عاد إلى لبنان عام ١٩٣١، والتحق بجامعة القديس يوسف في بيروت، وتخرج مجازاً «بالحقوق» عام ١٩٣٤، وتدرج في مكتب والده حتى العام ٣٦. ومارس المحاماة في مكتب والده بعد انتخاب الأخير رئيساً للجمهورية.
- انتخب عميداً لحزب «الكتلة الوطنية» بعد وفاة والده في ٢٧ أيلول ١٩٤٩ الذي أسس الحزب عام ١٩٤٣. وأُعيد انتخابه مراراً حتى وفاته.
- على أثر أحداث تشرين الثاني ١٩٤٣ وسجن الرئيسين بشارة الخوري ورياض الصلح وعدد من الزعماء اللبنانيين، استدعى المفوض السامي الفرنسي، اميل اده لتعيينه رئيساً للجمهورية، فما كان من ابنه ريمون إلا أن لحق به إلى السراي وأوصل اليه ورقة كتب عليها بالفرنسية «أرفض يا أبي». ولكن الجواب كان: «فات الاوان» (هذه الرواية منسوبة إلى الياس ربابي أحد مسوؤلي حزب الكتائب).

• على اثر تزوير انتخابات ٢٥ أيار ١٩٤٧ للتجديد للرئيس بشارة الخوري أعلن ريمون إده لا شرعية هذه الانتخابات بدأ ريمون إده معارضة مكشوفة للرئيس تجلت هذه المعارضة خصوصاً بعد مبايعته عميداً للحزب في ٢٧ أيلول ١٩٤٩ وتبنى موقف والده الذي يعتبر أن انتخابات ١٩٤٧ لا شرعية.

• اشترك عام ١٩٥٢ مع كمال جنبلاط وكميل شمعون في انشاء «جبهة المعارضة الوطنية» لمواجهة رئيس الجمهورية السابق «الشيخ بشارة الخوري» في ولايته الثانية. ولعبت الجبهة دوراً رئيسياً في إسقاط بشارة الخوري قبل إتمام ولايته.

• في ١٨ آب ١٩٥٢ انعقد في دير القمر المؤتمر الذي دعت إليه «الجبهة الاشتراكية الوطنية» المؤلفة من ريمون اده وكميل شمعون وكمال جنبلاط وخطب فيها كل من السادة كميل شمعون وحميد فرنجية وعادل عسيران وعبد اللّه الحاج وأنور الخطيب وغسان تويني وإميل البستاني وكمال جنبلاط وفضل اللّه تلحوق إضافة إلى جورج عقل، أمين عام الكتلة الوطنية آنذاك، وإدوار حنين مفوض الدعاية في الحزب، وريمون اده عميد الحزب كان من أبرز نتائج إعلان الجبهة دعوته إلى إضراب شامل، التزمه كل لبنان واقفل بيروت لثلاثة أيام، مما دفع الرئيس بشارة الخوري إلى الاستقالة في ١٨ أيلول ١٩٥٢ فتم انتخاب مرشح المعارضة المنتصرة كميل شمعون رئيساً للجمهورية بعد أربعة أيام من تلك الاستقالة.

• انتخب نائباً للمرة الاولى عام ١٩٥٣ عن منطقة جبيل، وأعيد انتخابه في الدورات اللاحقة [١٩٥٧، ١٩٦٠، ١٩٦٥، ١٩٦٨، ١٩٧٢] حتى دورة ١٩٧٢، باستثناء دورة ١٩٦٤، لكنه انتخب عام ١٩٦٥ لشغور المقعد بعد وفاة الدكتور أنطوان سعيد. وظل نائباً إلى العام ١٩٩٢ عندما رفض خوض الانتخابات في ظل الاحتلالات داعياً الشعب إلى المقاطعة ترشيحاً وانتخاباً، مما أدى وصول مجلس نيابي بنسبة ١٣,٧٪ وظل على موقفه في انتخابات ١٩٩٩ .

• عام ١٩٥٨ ترشح الجنرال فؤاد شهاب القائد العام للجيش، لرئاسة

الجمهورية. فأعلن العميد ريمون إده كذلك، ترشيحه ترسيخاً لمبدأ الانتخاب الديمقراطي. . .

وكان العميد إدّه الخصم الوحيد للواء شهاب، فحصل «بالوتاج» في الدورة الأولى، ثم فاز اللواء شهاب في الدورة الثانية.

• لم يشارك في أحداث عام ١٩٥٨ وهي الحرب الأهلية التي كانت قد اندلعت في لبنان بين الاخوة والتي رفض العميد المشاركة فيها، بل قام بدور الوسيط للحفاظ على الشرعية الدستورية والوحدة الوطنية.

• دخل الوزارة للمرة الاولى في تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٥٨، في الحكومة الرباعية على اثر انتخاب اللواء فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية، وزيراً للداخلية والعمل والشؤون الاجتماعية، والبرق والبريد والهاتف، ثم عين وزيراً للدفاع والخارجية بالوكالة لشهر واحد.

• استقال عام ١٩٥٩ من جميع مناصبه الوزارية احتجاجاً على تدخل الجيش في الانتخابات النيابية والشؤون السياسية والادارية.

• عُيِّن وزيراً للاشغال العامة والزراعة والتصميم والموارد المائية والكهربائية في الحكومة الرباعية التي شكلت برئاسة عبدالله اليافي في تشرين الاول عام ١٩٦٨، على أثر استقالة الرئيس شارل حلو وعودته عن الاستقالة، إلا أنه استقال من الحكومة في كانون الاول ١٩٦٨، على أثر الغارة الاسرائيلية على مطار بيروت التي حصلت في الشهر نفسه، احتجاجاً على عدم إعطاء قائد الجيش أوامره بالتصدي للهجوم الاسرائيلي، على رغم أنه كان مكلَّفاً من قبل مجلس الوزراء بناء على طلب ريمون إدّه كونه وزيراً للاشغال العامة ومعنياً بشؤون المطار.

• عام ١٩٦٨ كان أحد أركان «الحلف الثلاثي» مع كميل شمعون، رئيس حزب «الوطنيين الأحرار»، وبيار الجميل، رئيس حزب «الكتائب اللبنانية».

• وكان اده من أشد المعارضين للصدامات بين التنظيمات شبه العسكرية، كما كان يعارض سياسة حزب الكتائب، قد نجا من محاولات اغتيال عدة.

• عام ١٩٧٠ تم انتخاب سليمان فرنجية، رئيساً للجمهورية اللبنانية وذلك بدعم حلف المعارضة الذي كان العميد اده أحد قادته.

• عام ١٩٧٤ اشترك في تحالف ثلاثي مع الرئيسين: صائب سلام، ورشيد كرامي لمواجهة عهد الرئيس سليمان فرنجية.

• عام ١٩٧٥ كان عضواً في «هيئة الحوار الوطني».

• رشح نفسه عام ١٩٧٦ لمنصب رئيس الجمهورية ضد الرئيس الياس سركيس، إلا أنه انسحب قبل حصول الانتخابات.

• تعرض في ٢٥ أيار ١٩٧٦ (مايو) لمحاولة اغتيال نفذها مسلحو حزب الكتائب بين نهر ابراهيم والضبية في المنطقة الشرقية، فأصيب بجروح في رجله، وفي ١١ تشرين الثاني من العام نفسه، تعرض لمحاولة اغتيال ثانية أمام منزله في الصنائع في بيروت الغربية. فاتهم السوريين بها، ثم تعرض أيضاً لمحاولتي اغتيال.

• منذ ٢٢ كانون الاول عام ١٩٧٦، وبعد زيارة للقاهرة، قرر الاستقرار في فرنسا وممارسة نشاطه السياسي من باريس.

• في عام ١٩٨٢ طرح اسمه مجدداً كمرشح للرئاسة بعد اغتيال الرئيس المنتخب الشيخ بشير الجميل.

• كان أبرز المشرعين خلال ولايته النيابية، فوضع قوانين عدة ارتبطت بأسمه وساهم في وضع قوانين أخرى عديدة كانت من أسباب ازدهار لبنان المالي والاقتصادي والعمراني والسياحي والزراعي:

أهم مشاريعه : قانون الأبنية الفخمة سنة (١٩٥٤)،

قانون سرية المصارف (١٩٥٦)،

قانون إعدام القاتل سنة (١٩٥٩) على أثر حوادث ١٩٥٨ وهو قانون ارتبط باسمه وفرض الأمن في هذه المرحلة الصعبة من تاريخ لبنان،

قانون إلغاء الضريبة التصاعدية عن الأراضي الزراعية سنة ١٩٥٩،

قانون الحساب المشترك (١٩٦١)، قانون حماية «الشيك» سنة ١٩٦١،

اقتراح قانون في ٣/١٠/١٩٦٦ يتعلق بتحديد الحالات التي يجوز فيها تكليف الجيش حفظ الأمن الداخلي (وصدر القانون العام ١٩٧١)،

اقتراح قانون قدم بتاريخ ٢٠/١٠/١٩٦٦ باعادة حق رفض نقل السلاح إلى وزارة الداخلية،

اقتراح قانون بفصل قوة الأمن الداخلي عن الجيش سنة ١٩٦٩،

قانون تمكين المحامي من الحضور مع موكله أمام المستنطق العسكري ١٩٧٠،

اقتراح استدعاء قوات الطوارئ،

اقتراح قانون بالزواج المدني.

- صاحب رؤيا وطنية شاملة أملت عليه مواقفه التاريخية:

١ ـ نضاله من أجل الديمقراطية والحرية ووحدة العيش مؤمناً بالحوار بين كل قوى المجتمع اللبناني.

٢ ـ سعيه الدؤوب لتكثيف الحوار بين التيارات وقوى الأمة ترسيخاً لوحدة العيش المشترك ومن هذا المنطلق رفضه للغة العنف والاقتتال الطائفي التي تجر إلى التقسيم إيماناً منه بوحدة لبنان أرضاً وشعباً.

وإن هذه المواقف عرّضت العميد لعدة محاولات اغتيال.

٣ ـ كان مدافعاً عنيداً عن السيادة والاستقلال بوجه الاعداء والطامعين بالنيل من لبنان وعليه، فقد عارض اتفاق ١٩٦٩ وجابه اتفاق ١٧ أيار، والاتفاق الثلاثي ورفض دخول الجيش السوري إلى لبنان أواخر ١٩٧٥، ووجه في أول حزيران ١٩٧٦ نداءه الشهير لمقاومة هذا الدخول.

٤ ـ اكتشف العميد باكراً خطر الكيان الصهيوني وأطماعه في الأرض والمياه منذ نصف قرن فطرح استدعاء قوات الطوارئ الدولية لحماية الحدود الجنوبية، كما جهد في المحافل الدولية لانسحاب القوات الإسرائيلية المحتلة تنفيذاً للقرارين ٤٢٥، ٣٢٦ وما يتبع ذلك من جلاء لجميع الجيوش المتواجدة على الأراضي اللبنانية.

• عرف بمواقفه المناهضة للشهابية بسبب ممارسات المكتب الثاني (المخابرات)، وتدخله في السياسة والادارة، معتبراً إياه أحد الأخطار الثلاثة التي تهدد لبنان ،إضافة إلى الصهيونية والشيوعية. ووقف مع حرية الأحزاب وآمن بالنظام الديمقراطي على رغم أخطاء القيمين عليه.

• كان أول مَنْ طرح فكرة تمركز قوات طوارئ دولية على الحدود مع اسرائيل ورفض اتفاق القاهرة بين لبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٩.

• اعتبر أن لبنان يجب أن يكون آخر دولة عربية توافق على الصلح مع اسرائيل، ودعا إلى التعاون والتزام الحياد، ولم يشارك هو وحزبه في الحرب الأهلية التي اندلعت منذ عام ١٩٧٥ ، معتبراً أن الأحداث اللبنانية مؤامرة إسرائيلية لتقسيم لبنان، ورأى أن «لبنان المسيحي سيكون بمثابة إسرائيل ثانية». وفي أيلول عام ١٩٧٥ طالب رئيس الجمهورية بالاستقالة، محملاً إياه مسؤولية الأحداث اللبنانية.

• في ٢٣ شباط عام ١٩٧٦ شكر الوساطة السورية الهادفة إلى وقف القتال في لبنان، لكنه وَجَّه في ٨ حزيران نداء إلى الشعب اللبناني رفض فيه دخول الجيش السوري إلى لبنان.

• عام ١٩٨٠ قال إن هنري كيسنجر تبنَّى مشروع موشي دايان بحل القضية الفلسطينية عبر توطين الفلسطينيين في الدول العربية التي يتواجدون فيها، وقال إن أحد أهداف اسرائيل ضرب استقرار لبنان لتحويله دويلة مارونية حليفة لاسرائيل. ورفض العودة إلى لبنان، عام ١٩٨٢ «إلا بعد تحرير بلادي من الاحتلال الاسرائيلي والوجود السوري». لكنه عاد فميز بين الاحتلال الاسرائيلي والوجود

السوري، وحض عام ١٩٨٣ على رفض الاتفاق اللبناني - الاسرائيلي الذي سقط لاحقاً (اتفاق ١٧ أيار).

• هاجم حليفيه السابقين، شمعون والجميل، وانتقد رئاسة أمين الجميل، وامتدح المقاومة للاحتلال الاسرائيلي معتبراً أنها مؤلفة من أبطال في ريعان الشباب يقدمون حياتهم كي يجبروا اسرائيل على الانسحاب.

• أعلن ترشيحه للرئاسة الاولى عام ١٩٨٨ ولم يعترف باتفاق الطائف عام ١٩٨٩ ولا بنتائجه السياسية ومنها انتخاب الهراوي، وظل يعترف بشرعية العماد ميشال عون حتى ٦/١١/٩٢ حين أعلن اعترافه بشرعية الهراوي وحكومة الرئيس رفيق الحريري. وعارض عام ١٩٩٢ اجراء انتخابات نيابية في ظل وجود الجيوش الاجنبية وقاطعها حزبه.

• تمنى على الفاتيكان ألا يقيم علاقات مع إسرائيل قبل تنفيذها القرارين ٤٢٥ و٥٠٩، وطلب من البابا تأجيل زيارته إلى لبنان إلى حين جلاء الجيشين الاسرائيلي السوري، ورفض طرح العماد عون وغيره للفيديرالية في لبنان، معتبراً أنه طرح اسرائيلي. وأيّد موقف الرئيس حافظ الاسد بمبدأ السلام الكامل مقابل الانسحاب الكامل. واعتبر أن على لبنان ألا يوقع معاهدة سلام مع سورية بل بعدها، وإلا يتخلى عن مياه الليطاني...أيد تنظيم العلاقات مع سورية، مشيراً إلى خلاف معها و«ليس ضرورياً أن يعني الخلاف عداء».

الاوسمة : وشاح الجمهورية المصرية من الدرجة الأولى سنة ١٩٥٩.

وسام الأرز الوطني (اللبناني) من رتبة ضابط أكبر سنة ٢٠٠٠ (بعد وفاته).

الهوايات : الصيد ـ السباحة.

المطالعات : كتب القانون والتاريخ الحديث والمجتمع.

الوضع العائلي : أعزب.



الرئيس اميل اده.



اللبنانية الاولى السيدة لودي سرسق اده.



ريمون اده جالساً في حضن والده اميل اده،

صورة مأخوذة في الاسكندرية عام ١٩١٦.



العميد طفلاً .



... وشاباً مع والده الرئيس اده.



مع المطران صفير والسفير البابوي لمناسبة جناز
والديه في كنيسة مار يوحنا جبيل عام ١٩٦٥.

الباب الثاني

رحيل العميد

الفصل الأول

الأيـام الأخيـــرة

العميد تنبأ برحيله

يروي الأمين العام المساعد لحزب الكتلة الوطنية الدكتور صخر سالم، وهو طبيب العميد الخاص، أنه وقبل أيام على رحيله تعطلت ساعته، فأرسلها للتصليح، وبعد إعادتها، عادت وتعطّلت مرة ثانية. ويرى العميد في ذلك علامة شؤم...

وكما تنبأ بأحداث لبنان... تنبأ أيضاً برحيله.

ويتابع الدكتور سالم (وهذا ما رواه عند تشييع العميد):

«يوم الجمعة العظيمة (١٤ نيسان) تلقَّى العميد إده اتصالاً من بيروت وسارع إلى الرد، فتعثر وسقط أرضاً مما أدى إلى كسر الضلع الثالث إلى اليسار من صدره، فشعر ببعض الألم، إلَّا أنه ارتاح بعد ساعات. ومضى أسبوعان طبيعيان كان خلالهما يمازح الجميع ويتلقى الاتصالات ويتصل. ولكنه شعر الاثنين بضيق في التنفس، وكان يستعد لحضور الاحتفال بتسلم المونسنيور سعيد مهماته كاهناً لرعية سيدة لبنان في باريس. فاتصلت بالمستشفى وانتقلنا إليه. وبعد فحوص تبيَّن أنه مصاب بالتهاب حاد في رئته اليمنى. وبدأ علاجه، ولكن رغم ذلك تأزَّم وضعه الصحي، وبدا أن تعباً أصاب قلبه وكليتيه. علماً أنه كان طوال الطريق يروي الطرائف كعادته، واستمر في مزاحه في المستشفى. وهناك سألته: «كيف صرت؟» فأجابني: «كتير منيح».

ويوم الأحد الفائت كان ساهراً، فقلت له: «لازم تنام»، فرد: «نام أنت. أنا عم فكّر». وفي اليوم التالي ساء وضعه أكثر فأكثر، فقلت له: «لازم نتصل بالأهل»، فرفض وألححت عليه فلم يقبل. لكنني ألححت عليه للاتصال بكارلوس ابن شقيقه بيار فقال لي: «أنا ما بخاف، عشت كتير. كان لازم موت من زمان مع جنبلاط وكرامي وغيرهما، هل نسيت الرصاصات في جسمي؟».

قلت له: «سلامة قلبك يا عميد»، فردَّ: «رح موت بكرا. أنا بقرّر. أنا العميد مش إنت».

وقلت له: «إذا مت شو بتريد؟» فقال: «بدي روح على بيروت لأرقد قرب أبي وأمي».

وهل أنت آسف على شيء؟ أجاب: «بس لأنني رح أرجع عالبنان ميتاً».

ثم ابتسم وأخذ «ينكّت» فقلت له: «هيئتك مرتاح؟» فردَّ: «عم زلغط مبسوط، رح روح شوف أمي».

وتدهور وضعه التنفسي، وأدخل العناية الفائقة.

وصباح الثلاثاء وصل كارلوس فابتسم له وشدَّ على يده. ثم اتصلنا بالمونسنيور سعيد، وقلنا له: «كان العميد يريد التوجّه إلى الكاتدرائية للاحتفال بتسلمك رعيتها، ولكنه لم يستطع، فهل يمكن أن تأتي إليه؟» فحضر المونسنيور سعيد و«مشحه» في وقت كانت اتصالات تجري لنقله إلى لبنان وتأمَّنت طائرة خاصة، إلَّا أن رئيس الأطباء في المستشفى قال إنه لا يتحمَّل الطائرة ليصل إلى لبنان. وهكذا ظلَّ على وعده عندما قرَّر عدم العودة إلى لبنان حياً ما دام هناك احتلال.

ودخل العميد على الأثر في غيبوبة، ونقل إلى منزل شقيقه بيار في باريس ووصل إلى المنزل وهو لا يزال على قيد الحياة.

الساعة ٣,٤٠ بعد ظهر الأربعاء ١٠ أيار ٢٠٠٠ مات العميد ريمون إده في فراش شقيقه الأستاذ بيار إده».

العميد والحكيم

وقبل خمسة أيام على رحيله، أي الجمعة ٥ أيار ٢٠٠٠ يتصل العميد بالدكتور ألبير مخيبر (الحكيم)، صديقه الصدوق، ويدور بينهما الحوار الآتي:

بيروت معك عالسمع.

- بدي إحكي الدكتور مخيبر.

- لحظة، مين بيريدو؟

- قيليلو العميد إده.

يتسلَّم الدكتور مخيبر سماعة الهاتف وبصوت أقرب إلى ضمة المشتاق: «ألو يا أحسن عميد. .».

- اشتقتلك يا ألبير كيفك.

- كتير مشتقلك شو بك صرلك جمعة ما حكيتني، صحياً منيح؟

- ما تعتل هم كل شيء منيح.

وتتابع الحوار حول الوضع اللبناني والمستقبل والانسحابات في همومها والشجون وأسلوب التشابه في كتابة التصريحات وكأنه «التخاطر» بحسب وصف العميد من دون أن ننسى السخرية والذكريات. إلى أن تدارك الحكيم ليكرر للمرة الألف: وك يا ريمون شو قصتك ما بترجع؟ هون منتواصل أسرع وأحسن. . . شغلنا نحنا بدو يخلص البلد. . . شو منتركو للأجيال التانية تتعتر؟

- ما تتعب يا ألبير ما رح إرجع قبل ما يفلو كلون. . .

«انتهى كل شيء»

وكان العميد، وقبل نقله إلى المستشفى قد اتصل بصديقيه فرنسوا خوري غانم ونديم دكاش ودعاهما إلى مقر إقامته.

ولمَّا حضرا وجدا بأنه تعرَّض «لزحطة» في غرفته ما تسبب له بحال من التعب والألم، فاستدعيا للفور طبيبه الخاص الدكتور صخر سالم الذي حضر

وعاينه واتفقوا جميعاً على نقله إلى مستشفى AVICENNES في باريس، حيث أخذت تتناوب عليه حالات من التعب الشديد والانفراج.

ونهار الثلاثاء، أي قبل وفاته بساعات عاده أصدقاؤه المذكورون، فوجدوه في حالة أعياء شديد، ولرفع معنوياته قال له أحدهم: «إنك في أحسن أحوالك، وأنت في طريقك إلى الشفاء العاجل كما أفادنا الأطباء، وما رأيك لو أطلّت الآن عليك إحدى الحسان من النوع الذي يحبه قلبك»، فابتسم وأدار وجهه، وقال له: «انتهى كل شيء».

ثم نظر إلى أحدهم فرنسوا خوري غانم وقال له: «يبدو لي يا فرنسوا أنك «خسرت الشرط»، (وذلك تعقيباً على تأكيد فرنسوا له في أكثر من مناسبة «ستعيش مائة سنة») فأنا راحل اليوم أو غداً».

وقبل أن يعترض على كلامه الحاضرون أردف قائلاً: «لقد تأكّد لي الآن بأن إسرائيل ستنسحب في أعقاب عودتي إلى لبنان. وهذا ما يعزيني. فمرة أخرى أنا على حق».

ولأن العميد كان يخطط دائماً، ولا يقبل أن تستبقه الأمور والأحداث، فهو طلب أن تجهز حديقة منزله في الصنائع وكأنه عائد إليه.

ويرفض العميد أن «يغادر» وهو في المستشفى، فيطلب نقله إلى منزل شقيقه بيار في باريس، ونقل عنه أنه قال: «لا تخافوا سأشهد الانسحاب الإسرائيلي والسوري وأعود إلى لبنان».

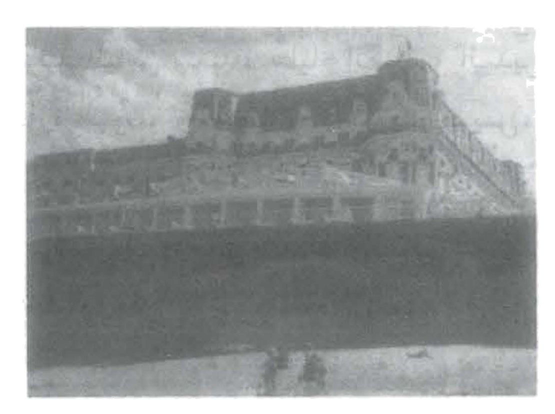
وعند الخامسة إلا ثلثاً بتوقيت بيروت، من بعد ظهر الأربعاء ١٠ أيار ٢٠٠٠ يلفظ العميد الروح.

لدى تبلغ «فرناندو» مدير فندق «بياريتز»، مقر العميد الصيفي، خبر دخول الأخير إلى المستشفى، توجَّه على الفور إلى إحدى الكنائس القريبة من الفندق، وصلّى طويلاً، من أجل شفاء العميد.

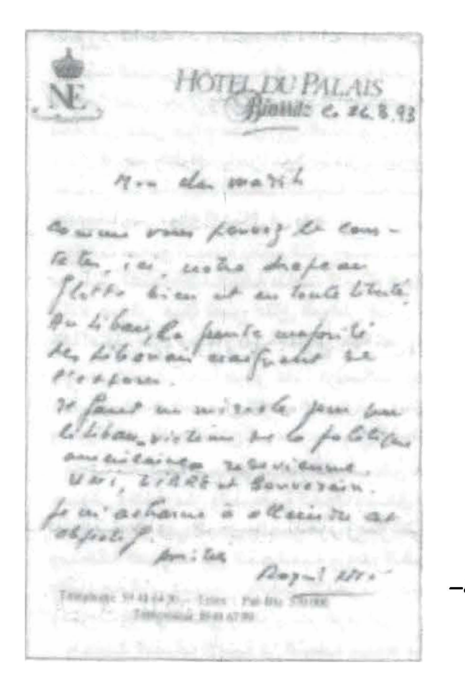
ولمَّا تبلَّغ «فرناندو» نبأ وفاته عقد ربطة عنق سوداء، حداداً على العميد.



العميد وصديقه ألبير مخيبر.



اوتيل بياريتز



HÔTEL DU PALAIS
Biarritz le 26.8.93

Mon cher Wadih

Comme vous pouvez le constater, ici, notre drapeau flotte bien et en toute liberté.

Au Liban, la grande majorité des Libanais craignent sa ...

Il faut un miracle pour que le Liban, victime de la politique américaine, redevienne uni, libre et souverain.

Je m'acharne à atteindre cet objectif.

Amitiés

Raymond Eddé

رسالة بخط يد العميد وجهها الى الشيخ وديع الخازن وفيها:

«كما تلاحظ، فإن علمنا يرفرف هنا جيداً وبكل حرية.

في لبنان تخشى أغلبية اللبنانيين عرضه.

لا بد من معجزة كي يعود لبنان -ضحية السياسة الاميركية- موحداً وحراً وسيداً. وإنني مندفع لتحقيق هذا الهدف».

الفصل الثاني

نعي العميد

النعي في فرنسا

عند شيوع خبر الوفاة غص منزل بيار إده في جادة سان جيرمان بأفراد العائلة ومنهم ابن شقيقه كارلوس بيار إده، ابن شقيقته اندره آلان منوييه، ابنة خالته ميكيت داكوستا، قريبه بيار اينار فيرون، المهندس جان لوي هنري إده، الديبلوماسي في الخارجية الفرنسية فرنسوا أبي صعب، النائب السابق أحمد اسبر، المعتمد البطريركي الماروني سعيد الياس سعيد، علياء الصلح، المدير العام لإذاعة مونتي كارلو الزميل بشارة البون، والمحامي رودريك حويس، بالإضافة إلى حشد من فاعليات الجالية اللبنانية ووجوهها.

ونعى حزب الكتلة الوطنية في فرنسا وآل إده إلى «لبنان والعالم العميد ريمون إده «ضمير لبنان» في منفاه الاختياري في باريس نهار الأربعاء ١٠ أيار ٢٠٠٠».

ويحتفل بالصلاة على جثمانه في كنيسة سيدة لبنان في باريس مساء الخميس ١١ أيار ٢٠٠٠ الساعة السادسة، وينقل الجثمان إلى بيروت صباح الجمعة ١٢ أيار حيث يسجى في منزله في شارع إميل إده في منطقة الصنائع، ويصلى عليه في كاتدرائية مار جرجس المارونية في بيروت يوم الأحد ١٤ أيار ٢٠٠٠.

النعي في لبنان

وينعي مجلسا النواب والوزراء ونقابة المحامين وحزب الكتلة العميد:

مجلس النواب

مجلس الوزراء

نقابة المحامين

حزب الكتلة الوطنية اللبنانية

عائلة الفقيد وأنسباؤهم

ينعون إلى اللبنانيين والعالم

العميد ريمون إده

المنتقل إلى رحمته تعالى في باريس متمماً واجباته الدينية، يوم الأربعاء في العاشر من أيار ٢٠٠٠.

يصل الجثمان إلى مطار بيروت الدولي يوم الجمعة في الثاني عشر من أيار الساعة الثالثة بعد الظهر.

تقام صلاة الجنازة في تمام الساعة الثانية عشرة ظهر يوم الأحد الرابع عشر من أيار ٢٠٠٠، في كاتدرائية مار جرجس المارونية ـ بيروت، وينقل الجثمان إلى مدافن العائلة في رأس النبع.

تقبل التعازي يوم الخميس ١١ أيار في البيت المركزي لحزب «الكتلة الوطنية اللبنانية» الجميزة ـ بيروت.

وابتداء من يوم الجمعة حتى الأربعاء ١٢ و١٣ و١٤ و١٥ و١٦ و١٧ أيار في منزل العميد ريمون إده ـ شارع الرئيس إميل إده ـ الصنائع ـ رأس بيروت.

الاستعداد «للاستقبال»

وتبدأ الاستعدادات في منزل العميد في الصنائع بإشراف شقيقته، ومعها يتقاطر الأقرباء والأصدقاء والمحازبون، وخصوصاً الصحافيون والمصورون الذين لم يعرفوا منزل العميد من قبل.

ويقول الوزير السابق هنري إدّه:

«منذ أسبوعين تناولت الغداء معه في باريس وعرضنا الأوضاع السياسية، ولم أكن أدرك أنها المرة الأخيرة التي أراه وأسمعه فيها. أخبرته عن كاتدرائية مار جرجس في بيروت، وكيف أتممنا عملية ترميمها، ولكن من دون أن يخطر على بالي أو باله أنه سيكون أول مَنْ سيدشنها...».

البطريرك صفير يترأس مراسم التشييع

وفي اليوم التالي يقوم أعضاء الحزب بزيارة القيادات السياسية والروحية لدعوتها للمشاركة في مراسم التشييع. ويقرّر البطريرك ـ الكاردينال نصر الله بطرس صفير ترؤس الصلاة، تماماً كما فعل سلفه المثلث الرحمة البطريرك أنطون عريضة، عندما ترأس في العام ١٩٤٩ مراسم تشييع والد العميد الرئيس إميل إدّه في كنيسة مار جرجس.

وتقرر جبيل الوفية للعميد، الإقفال حداداً للمشاركة في استقبال الجثمان.

نعي حزب الكتلة الوطنية



حزب

الكتلة الوطنية اللبنانية

مجلس النواب

مجلس الوزراء

نقابة المحامين

حزب الكتلة الوطنية اللبنانية

عائلة الفقيد وأنسباؤه عامة

ينعون الى اللبنانيين والعالم

العميد

ريمون اميل اده

المنتقل الى رحمته تعالى في باريس متمماً واجباته الدينية، يوم الاربعاء في العاشر من أيار ٢٠٠٠.

يصل الجثمان الى مطار بيروت الدولي يوم الجمعة في الثاني عشر من أيار الساعة الثالثة بعد الظهر.

تقام صلاة الجنازة في تمام الساعة الثانية عشرة ظهر يوم الأحد الرابع عشر من أيار ٢٠٠٠، في كاتدرائية مارجرجس المارونية - النجمة - بيروت

ينقل الجثمان الى مدافن العائلة في رأس النبع.

تقبل التعازي يوم الخميس ١١ أيار في البيت المركزي لحزب الكتلة الوطنية اللبنانية الجميزة - بيروت.

وابتداءً من يوم الجمعة حتى الاربعاء ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ أيار في منزل العميد ريمون اده - شارع الرئيس اميل اده - الصنائع - رأس بيروت

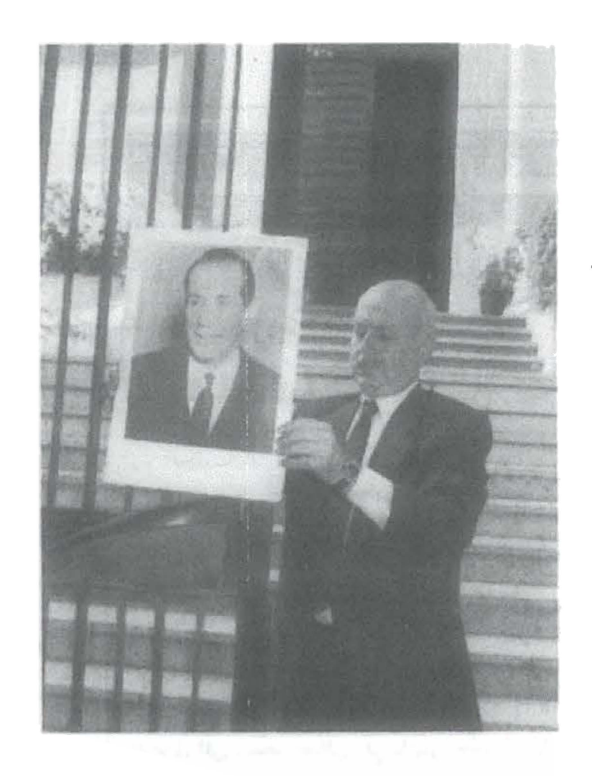
امين البيت المركزي

انطوان الحاج

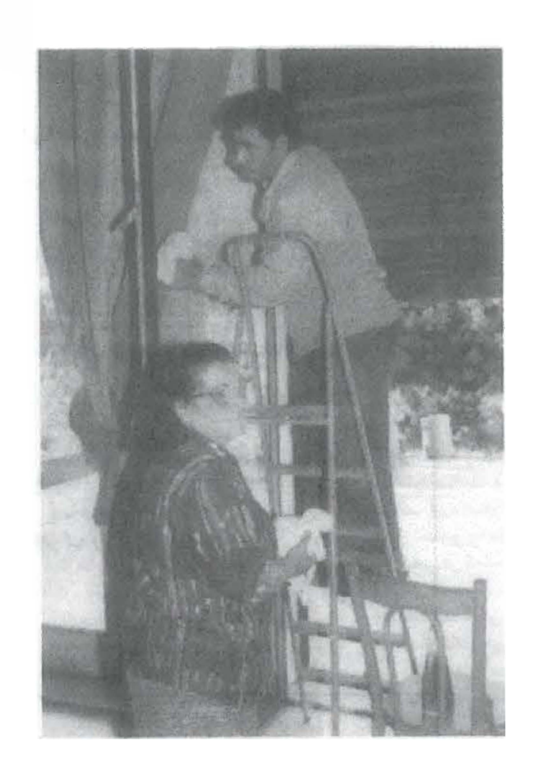
٠١/٤٤٠٠٠٤ - ٤٤٧٧٢٨

٠١/٥٨٤٥٨٥ - ٥٨٤٥٨٦

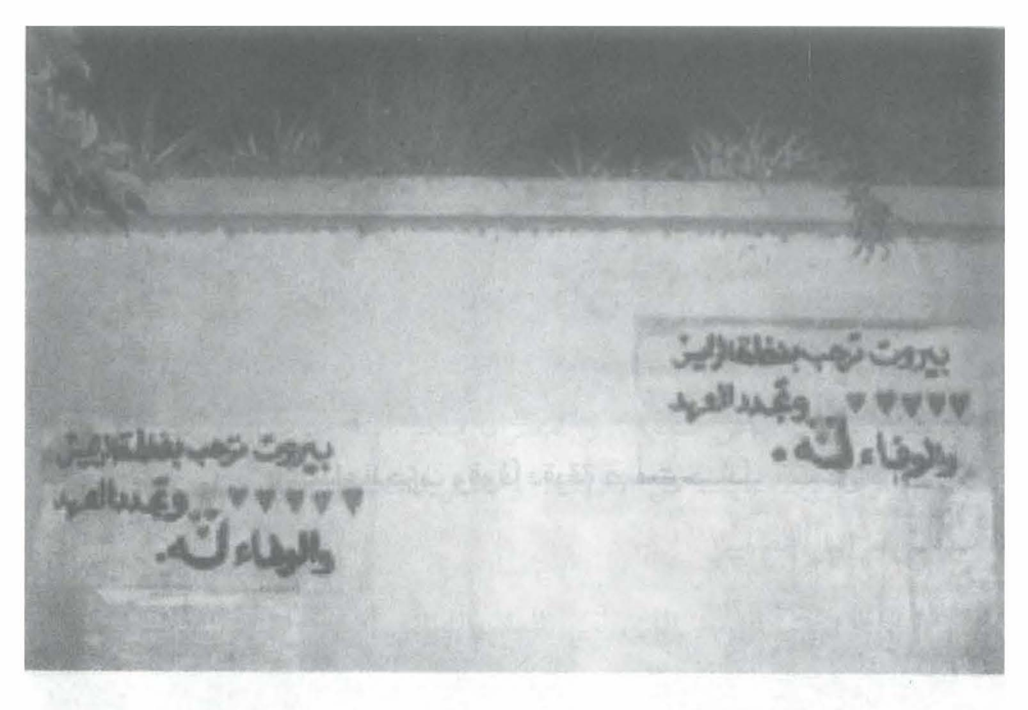
فاكس: ٥٨٤٥٩١



نجيب همدر
مدبّر شؤون منزل العميد
يعلّق صورته على المدخل.



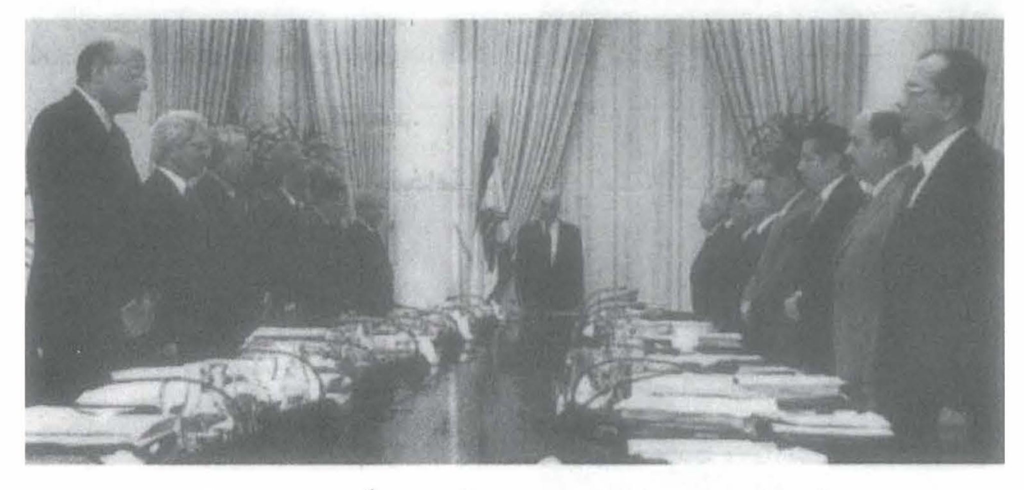
تنظيف المنزل
استعداداً لاستقبال المعزين.



على سور منزل العميد.

ترحيب « بفخامة الرئيس وتجدد العهد والوفاء له ».

أعضاء الحزب وقوفاً دقيقة صمت حداداً.



مجلس الوزراء برئاسة الحص يقف حداداً على العميد اده.

الفصل الثالث

التشييع في فرنسا

التشييع في المنفى

عند السادسة من مساء الخميس ١١ أيار (السابعة بتوقيت بيروت) شُيِّع العميد في فرنسا في كاتدرائية سيدة لبنان بقدَّاس وجناز ترأسهما السفير البابوي لدى جمهورية سلوفينيا الكاردينال إدمون فرحات، والمعتمد البطريركي للموارنة في فرنسا سعيد الياس سعيد، والمطران شكر اللّه حرب، والمطران جورج إسكندر، وعاونهم لفيف من الكهنة. وحضر المعتمد البطريركي الأرثوذكسي الأسقف غفرائيل الصليبي.

وأحاط بنعش العميد الذي لفّ بالعلم اللبناني أفراد عائلته: العميد المنتخب حديثاً كارلوس بيار إده، ابن شقيقة العميد أندره آلان مونييه، وبيار فاران، والمهندس جان لوي إده، وميكيت داكوستا زوجة السفير السابق سرجيو داكوستا، وممثل رئيس الجمهورية السفير في باريس ريمون بعقليني، ورئيس بعثة لبنان لدى الأونيسكو أنطوان جمعة، والعماد ميشال عون، والأمين العام للفرنكوفونية الدكتور بطرس غالي، وسفراء مصر والسعودية والأردن وسوريا والجامعة العربية وفلسطين، والنائبان السابقان أحمد أسبر وألبير منصور، والسفيران السابقان جوني عبدو وكميل أبو صوان.

وحضر أيضاً ممثل الطائفة الشيعية في باريس السيد صدر الدين فضل اللّه، والسيدة عليا الصلح، ووفد من «القوات اللبنانية» برئاسة المحامي إيلي براغيد،

ووفد من «التيار الوطني الحر» برئاسة العماد ميشال عون، ووفد من الحزب السوري القومي، وممثل رئيس حزب الوطنيين الأحرار دوري شمعون الزميل أنطوان كامل، والديبلوماسي في الخارجية الفرنسية فرنسوا أبي صعب، ورئيس حزب الجبهة الوطنية الفرنسية جان ماري لوبن، والسيدتان ميرنا البستاني ومهى الخليل شلبي، والدكتور هشام نشابه، والمحامي روجيه إده، وبيار مساميري مدير مكتب «الميدل إيست» في باريس، وأعضاء اللجنة التنفيذية في الكتلة الوطنية فضول خلوف، وشربل زعني، وجورج مراد، وأنطوان تفنكجي، وحشد غصت به الكنسية.

ألقى المعتمد البطريركي الماروني **سعيد الياس سعيد** عظة بالفرنسية جاء فيها:

كلمة المونسنيور سعيد سعيد

«في كانون الثاني ١٩٧٧، وبعدما رفض ريمون إده الاشتراك في الحرب على أرض لبنان، خرج منه حاملاً صليبه.

ولئن سميت جلجلته باسم باريس فلقد كانت الموضع الذي صلب فيه.

خرج العميد من لبنان ملتحفاً به وقلبه عامر بآمال شعبه. وإذ كان مسمَّراً على صليب منفاه كان يرى الجنود الذين صلبوه يقسمون شعبه حصصاً متعددة. وسمعهم يتشاورون في شأن ردائه، في شأن لبنان: «لا نمزقنه، ولكن فلنقترع عليه».

وطوال نزاعه، طوال صراعه في الصليب ضد موت شعبه وتمزق لبنان، كان العميد غالباً ما يأتي إلى هذه الكنيسة ويلمس سيدة لبنان واقفة بإزائه. واليوم، وقد دخل في مجد ملكة لبنان، وقد اقترب أكثر من قلبها الحنون، فسوف يضرع إليها من أجل لبنان وشعبه وقد أحبهما إلى الغاية فيشير إليها على غرار الرب: «يا أم، هوذا ابنك» ولسوف يردد على مسامع كل لبناني، على مسامع لبنان، وعلى مسامع كل مَنْ سوف يجني أمثولة حياته قائلاً: «هذه أمكم».

لقد شاء العميد دوماً في حياته العامة والخاصة أن يقدم لندمائه، الأصدقاء منهم أو المعارضين أو الأعداء، أن يقدم لهم الخمر الجيدة، خمر الاستقامة والحوار والاحترام العميق لحرية الأشخاص والشعوب. ولكنه ظمأ، ظمأ حقاً ولم يقدموا له بدورهم إلَّا الخل. والعميد، إذ أسلم الروح، ترك لنا على غرار الرب وصية جديدة، لم يتركها فقط لمحازبيه أو المتعاطفين معه ولكن لكل لبناني، «أحبوا بعضكم بعضاً كما أنا أحببتكم: فما من حبٍّ أعظم من أن يعطي المرء حياته فداء عمَّن يحب». عسى استحقاقات آلام هذا اللبناني المخلص والأمين حتى النهاية، عساها تستمطر على اللبنانيين ما نسأل أم الله في يوم الجمعة العظيمة وأنظارنا عالقة بمجد أحد القيامة إذ نردد في طلبتها قائلين: «فليكن موت ابنك حياة لطالبيها».

كلمة رودريك حويس

وبعد رفع صلاة البخور ألقى مساعد الأمين العام للكتلة الوطنية رودريك حويس كلمة جاء فيها:

«دمعتنا عليك، دمعة اليتيم المقهور، نذرفها سخية على جثمانك الطاهر ساعة تتركنا إلى دنيا الخلود، مطمئن البال، مرتاح الضمير، أديت الأمانة وأكملت الرسالة. كنت لنا الأمل وكنت لنا الوطن وكنت لنا لبنان.

وبوداعك اليوم، نودّع الأمل، نودّع الوطن ونودّع لبنان. كنت مدرسة في الوطنية والديموقراطية، مدرسة في الكرامة والحرية.

كنت عنواناً للجرأة ورمزاً للشجاعة، لا تهادن في قول الحق ولا تخشى لومة لائم. رفضت منذ اللحظة الأولى الاشتراك في الحرب القذرة التي دمَّرت الوطن وفضحت المتآمرين عليه، كل المتآمرين في الداخل والخارج...

واللبنانيون الذين سيستقبلونك غداً بالزغاريد، بشيبهم وشبانهم، من جبالهم إلى سواحلهم، في قلوبهم غصة أكبر: إذ كم تمنوا لو تعود إليهم حياً يا مَنْ كنت

بالنسبة إليهم آخر أمل وآخر رجاء. سيقول التاريخ وقد بدأ الآن يقول إنك كنت على حق في كل ما قلت وفعلت، وسينصفك بعد غيابك كل الذين تجنوا عليك في حياتك، لأنك لم تقل سوى الحقيقة ولم تعمل إلّا للحقيقة. سيقول المؤرخون إنك لم تساوم يوماً على سيادة لبنان، ولم تهادن لحظة في هذا السبيل. وأنك كنت مثال الحكمة وبُعد النظر وكنت أذكى وأطهر مَنْ تعاطى السياسة في لبنان. نم قرير العين، فحزبك باق على عهده، صامد في حبه، مستمر في نضاله بقيادة الحبيب كارلوس الذي انتخب عميد لحزب الكتلة الوطنية. سلّم يا عميد لبنان على فخر الدين الكبير، على إميل إده وعلى البطريرك إلياس الحويك وقل لهم: «إن لبنان لم يفقد رجاءه بعد»».

كلمة كارلوس إدّه

وقال العميد كارلوس إده في ختام القدّاس: «إنه لمن الصعب علي إلقاء تحية الوداع على رجل عرفته وأحببته كل حياتي، ومع ذلك، لا بد لي من الإقرار بداهة بأن عمنا ريمون رحل.

إن غيابه المفاجئ وغير المتوقّع يعيدني باستمرار إلى أحلى ذكريات حياتي حين كانت تملكني السعادة في قضاء عيد الميلاد بين ظهرانيه والإصغاء إلى وصلات الجاز على البيانو، والاستماع إلى ظرفه وحنوه على العائلة. سنفتقد لطافته وأريحيته ودعمه المعنوي.

إن عمّنا بقي وفياً لمبادئه، لم يقبل أبداً التسويات التي كانت تمكنه من الوصول إلى أعلى قمة السلطة. وهو بالنسبة إلى العديد من اللبنانيين ضمير البلاد. كان رجل حوار، وعرف كيف يحافظ على علاقات مميزة مع مختلف الاتجاهات السياسية والجماعات الدينية متمسكاً بمبادئه.

وكان الوحيد، مع نواب الكتلة، الذي رفض اتفاق القاهرة لعام ١٩٦٩، ونعرف كلنا ما كان تبعات هذا الاتفاق على البلاد.

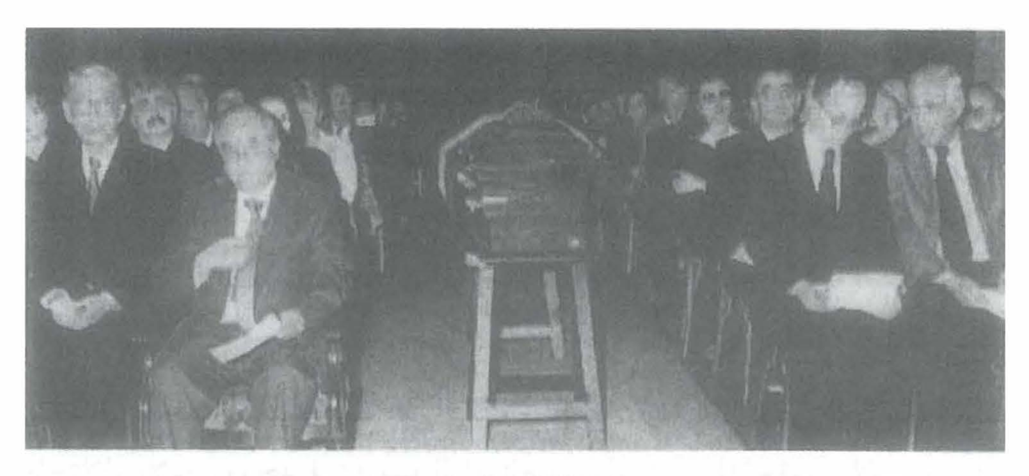
عارض الحرب وندد بالميليشيات. عمل على إنقاذ عدد من المخطوفين من كل الطوائف معرضاً نفسه للخطر. وأدَّت به مواقفه إلى أن يكون ضحية اعتداءات عدة.

العناية الإلهية حمته.

وواصل ريمون إده الدفاع عن أفكاره وعن استقلال لبنان، من دون أن يأخذ في الحسبان التهديدات التي كانت تستهدفه. واختار المنفى لمواصلة تنديده باحتلال بلاده. ووجد في فرنسا البلد الصديق للبنان وبلد حقوق الإنسان ومثله الجمهورية والعلمانية.

سيبقى حياً في وجدان مواطنيه كمثال للصدق.

وأنا فخور بأن أكون ابن أخيه».



نعـش العميد في «سيدة لبنـان» في باريس، ويبـدو السفيـر بعقليني ممثل الرئيس لحود، وكارلوس بيار اده، وبطرس غالي.

نعش العميد ملفوفاً بالعلم اللبناني في كنيسة «سيدة لبنـان» وبدا الدكتور بطرس غالي وأقرباء العميد في مقدم الحضور.

الفصل الرابع

الاستقبال في لبنان

في المطار

لبنان الذي ودّع العميد في العام ١٩٧٧، واقفاً كالسيف القاطع من أجل لبنان، استقبله بعد ثلاثة وعشرين عاماً محمولاً في نعش. ولكن العميد بقي «واقفاً» على كلامه.

عند الرابعة والنصف من بعد ظهر يوم الجمعة ١٢ أيار ٢٠٠٠ حطّت طائرة تابعة لطيران الشرق الأوسط تحمل جثمان الفقيد الكبير ومعه العميد الجديد للحزب كارلوس إده وابن عمته رولان مونييه، وأعضاء من اللجنة التنفيذية للحزب: شربل زعني، جوزف مراد، فضول خلوف، والأمين العام المساعد للحزب صخر سالم.

وكان في استقبال جثمان الراحل الكبير على المطار النائب الدكتور أيوب حميد ممثلا رئيس مجلس النواب نبيه بري، والوزير نجيب ميقاتي ممثلاً رئيس الحكومة الدكتور سليم الحص، والنائب البطريركي العام المطران رولان أبو جودة ممثلاً البطريرك الماروني الكاردينال مار نصرالله بطرس صفير، وعدد كبير من الوزراء والنواب والفاعليات والقيادات السياسية والشخصيات الروحية والهيئات الحزبية والبلدية والإدارية.

وقد أدت ثلة من قوى الأمن الداخلي التحية للجثمان فور نزوله من الطائرة، كما فتح صالون الشرف الذي تقبّلت فيه شقيقته السيدة ليلى، ومعها

الوزير السابق ميشال إده وشارل اده، التعازي التي قدمتها الشخصيات التي توجهت إلى المطار للمشاركة في استقبال جثمان العميد إده.

وكانت الوفود والشخصيات بدأت تتقاطر إلى المطار منذ بعد ظهر اليوم نفسه أبرزها الرئيس رفيق الحريري والنواب: فارس بويز، نهاد سعيد، ألبير مخيبر، إميل نوفل، كميل زيادة، منصور البون، سايد عقل وميشال فرعون.

كذلك وصل إلى المطار رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي النائب وليد جنبلاط على رأس وفد من الحزب ضمَّ النواب: مروان حماده، أكرم شهيب، جورج ديب نعمة، خليل عبد النور، أنطوان اندراوس، ووصل كذلك النواب نايلة معوَّض، بيار حلو وباسم السبع.

وتوجه إلى المطار أيضاً النائب السابق محمود عمار، قائد جهاز أمن المطار العميد الركن فادي أبو شقرا، رئيس مجلس إدارة طيران الشرق الأوسط محمد الحوت، المطران بولس مطر، وفد مجلس بلدية جبيل برئاسة جان لوي قرداحي، إضافة إلى وفود شعبية من المحافظات اللبنانية، وبلاد جبيل التي أقفلت حداداً على العميد.

وكان وصل الأمين العام لحزب الكتلة الوطنية المحامي إبراهيم اسطفان حاملاً معه شلح شجرة أرز ليكرِّر ما حصل مع الرئيس الراحل إميل إده والد العميد حيث وضع المثلث الرحمات البطريرك أنطوان عريضة شلحاً من الأرز على نعش الرئيس الراحل تعبيراً عن مدى تعلق الرئيس إده، وكذلك العميد، بلبنان والدفاع عنه.

وكانت اتخذت تدابير مشددة من أجل تنظيم عملية الاستقبال والانتقال إلى منزل العميد في الصنائع حيث سمح للسيارات بالوقوف على طول الطريق المؤدي إلى المطار، وسمح كذلك لسيارات الرسميين بالوقوف في الباحة الخارجية قرب صالون الشرف، كما اتخذت الترتيبات اللازمة لتأمين وصول الوفود الشعبية التي

تقاطرت إلى المطار حاملة صور العميد وأعلام حزب الكتلة والأعلام اللبنانية، ولافتات تشيد بمواقف العميد الراحل ومنها: «نعشك عرشك، وعروشهم نعوشهم، أنت ميت حي وهم أحياء أموات».

موكب الجثمان

وحرص المستقبلون على حمل النعش على الأكف حوالى كيلومتر إلى أوتوستراد المطار، وهناك وضع في سيارة لنقل الموتى وانطلق الموكب الذي تقدمه العميد الجديد كارلوس إده في سيارته، مجتازاً أوتوستراد المطار الذي رفعت عليه صور العميد ريمون إده وأعلام الكتلة الوطنية والأعلام اللبنانية، وفي وسط النفق المؤدي إليه. ومن هناك نحو الغبيري والشياح ثم إلى غاليري سمعان.

وعند غاليري سمعان، تجمَّع حشد من المواطنين من أبناء الحدث ورفعوا لافتات كتب على إحداها: «الحدث كلها تبكيك يا عميد». وحرص المستقبلون، وفي مقدمهم رئيس البلدية الدكتور أنطوان كرم والمحامي أرنست كرم، على إنزال النعش ورفعه على الأكف في اتجاه بولفار كميل شمعون وصولاً إلى مفرزة سير بعبدا، حيث تم ترقيص النعش مراراً وسط الأوتوستراد.

ومن هناك انطلق الموكب الذي رفعت عليه صور إده وأعلام الكتلة ولبنان، وعلى السيارة الأولى للموكب رفعت صورة للعميد عليها عبارة: «هذا هو الرجل».

وعلى مدخل فرن الشباك لجهة الشياح رفعت لافتة كتب عليها: «عشت للوطن فعاش الوطن بك».

واخترق الموكب طريق فرن الشباك المقفلة متاجرها حداداً، واصطف مواطنون على جانبي طريق الشام، ولوحظ أن عدداً منهم نثر زهراً وأرزاً وعطوراً على النعش.

ومن فرن الشباك إلى مستديرة المتحف، انعطف الموكب إلى كورنيش المزرعة ومنه إلى شارع فردان وبدا السير في هذه المنطقة أكثر تنظيماً، وتحديداً من بولفار شمعون إلى فرن الشباك وصولاً إلى كورنيش المزرعة وفردان.

وفي نزلة السارولا في الحمرا، أنزل النعش مجدداً حيث تجمَّع حشد من المواطنين، ورفع على الأكف وانطلق سيراً يتقدمه الصليب وكاهن رعية الوردية الأب جورج فارس الذي رافق الجثمان من المطار إلى منزل العميد.

شارع إميل إده، ازدان بصور العميد العائد إليه، وبإعلام ولافتات كتب على عدد منها: «لن يهدأ لنا بال حتى تنفيذ القرار ٤٢٥»، «كلنا ريمون إده»، «من أين للبنان أن يحظى بأمثالك؟».

قبالة منزل العميد، ارتفع مبنى «برج الحرية»، ذاك المبنى الذي أطلق منه يوماً الرصاص على العميد وكان «على العضم» ولم يكتمل، لكنه استقبله هذه المرة في محبة.

العميد في «بيته»

أمامه كان نوع من «هستيريا»، حيث تم ترقيص النعش المجلل بعلمي لبنان والكتلة لنحو ربع ساعة، ثم أطلقت هتافات: «إيه ويالله العميد بعد الله»، رافقها تصفيق إيقاعي.

وما إن أدخل النعش إلى المنزل، حتى صاح أحد الحضور: «رجع عميدكم يا شباب»، وصرخ آخر: «أهلاً وسهلاً بالعميد».

ثم سجي الجثمان في الصالون الجنوبي لدارة العميد، وبدأ جميع الموجودين إلقاء نظرة عليه، وسجلت حالات إغماء عدة.

وأمام النعش تليت صلوات عدة، للأب فارس، ثم الأب إميل إده، فللمطران خليل أبي نادر الذي خاطب العميد الراحل على الأثر في حضور العميد

الجديد: «في ٢٧ أيلول ١٩٤٩ كان مسجّى هنا الرئيس الوطني إميل إده، يومها كان كل لبنان يشارك في مأتمه، لأن كل لبنان يقدّر وطنية الرئيس إميل إده ووطنيته الثابتة. وكان مأتم الرئيس إميل إده المأتم الأكثر حشداً في تاريخ لبنان. واليوم يا صديقي ريمون، أنت ابن أبيك. أنت رجل الحرية والديموقراطية والسيادة.

كلنا سنشارك في وداعك. ولبنان في حاجة إليك وخصوصاً في هذه الأيام. ونحن نثق أنك في السماء تحمي لبنان من هناك مع السيدة العذراء ويسوع المسيح».

ثم تقبَّل التعازي السيد كارلوس إده وعمَّته السيدة ليلى سعد، والأهل وأركان الكتلة الوطنية وآل إده، والوزيران السابقان ميشال وهنري. واستمر تقبّل تعازي سيل الحضور من السادسة وحتى ساعة متقدمة من الليل.



في انتظار النعش.



تقديم التحية للنعش.



النعش وشلح الارز.

جماهير تحيط بالنعش لحظة إدخاله الى منزل العميد.



معزّون في منزل العميد.

النعش مسجى في منزل الفقيد في الصنائع.

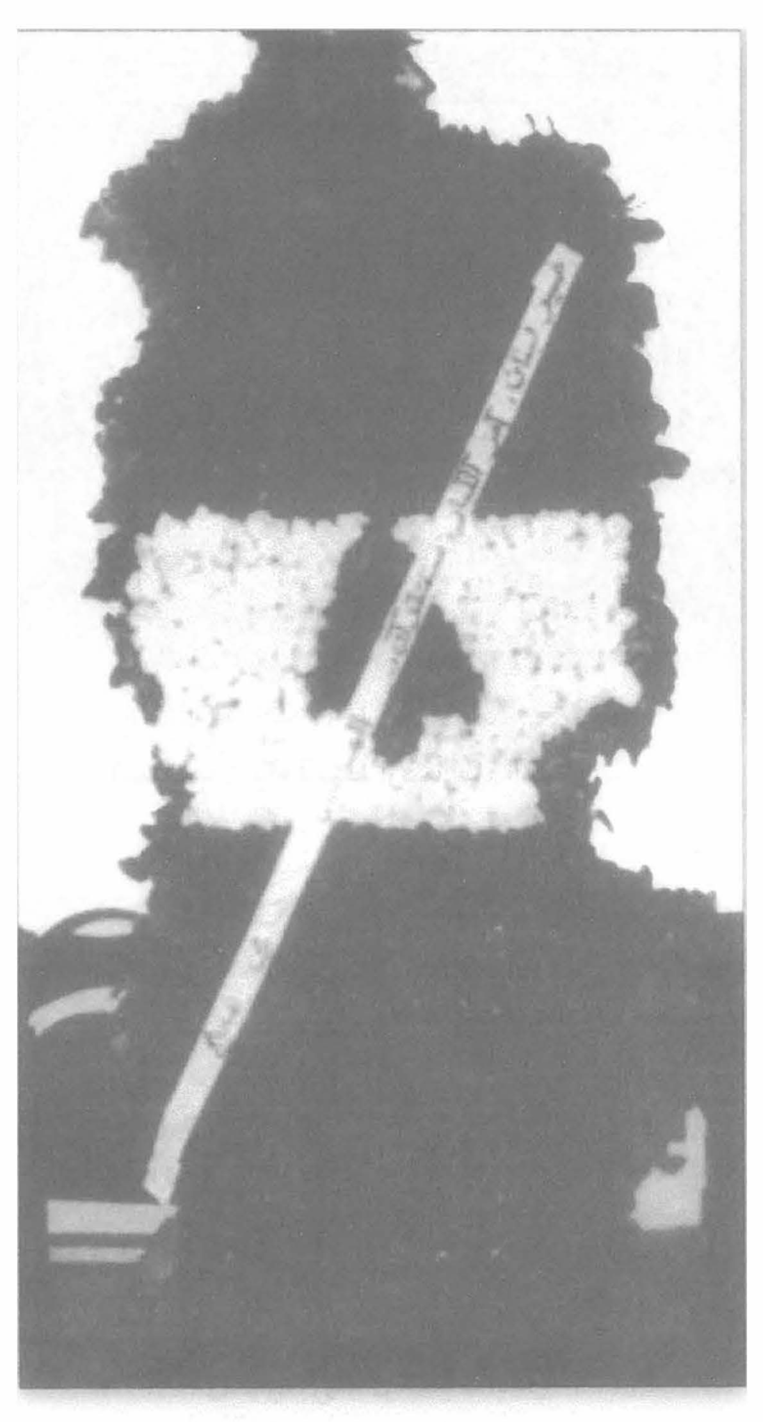


راهبات يصلّين على الجثمان.

أصيب بالإعياء فسقط أرضاً أمام النعش...



نحيبٌ في منزل الراحل الكبير.



إكليل من الزهر على شكل خريطة لبنان.

من كلمات التأبين ...



لكان جلس في دست الرئاسة الأولى، لو تزحزح، قيد أنملة عن ثوابته، أو ساوم، للحظة، على مبادئه...

البطريرك صفير



أيقظت كلمتك الضمائر فإذا لبنان كله مقاوم.

ابراهيم اسطفان



حوار الأسياد وحده ينبت العزة، والمجد، وبراعم الأمل.

انطوان قنيس



كلمة العائلة مبلّلة بالدموع.

كارلوس اده



رح موت بكرا. أنا بقرر. أنا العميد مش أنت...

صخر سالم

الفصل الخامس

التشييــع

الأرزّ والزهر

العاشرة والنصف قبل ظهر يوم الأحد ١٤ أيار ٢٠٠٠، حانت ساعة الرحيل، ودخل كارلوس إده وقرينته هيلين وعمَّته ليلى إده سعد وابنا عمته رولان وآلان والأهل والوزيران السابقان هنري إده وميشال إده، والنائب وليد جنبلاط والنائب مروان حمادة وغسان وجبران تويني وأركان حزب الكتلة الوطنية، إلى الصالون الذي يسجى فيه، يتقدَّمهم المطرانان بولس مطر وخليل أبي نادر والمونسنيور ميشال حايك ولفيف من الكهنة والراهبات، حيث تليت صلاة البخور، ثم بدأ وداع العميد، وتقبيل النعش وسط بكاء وعبارات أسى ودموع لا تكفكف. ثم رفع النعش، وحرص حافظ البيت نجيب همدر على إخراجه نحو الحديقة أولاً لوداعها «إذ كل يوم كان يسألني كيف الجنينة يا نجيب!» وهكذا كان حيث تم ترقيص النعش على الأكف ثم أعيد إلى حيث أخرج، ومنه اخترق النعش صالونات المنزل ثم إلى السلم وصولاً إلى شارع إميل إده حيث انطلق الموكب وسط حديقة من الأزهار، وتحت سيل من الأرز والعطر والزهر انهمر على المشيعين. فيما أدَّت له ثلة من قوى الأمن الداخلي التحية.

دراجات نارية، سبع سيارات «باترول» لقوى الأمن الداخلي، أربع سيارات لنقل الموتى، الصليب، حملة أكاليل الرؤساء إميل لحود ونبيه بري وسليم الحص ونقابة المحامين في بيروت وحزب الكتلة الوطنية والعماد ميشال عون، ثم حملة

أعلام الكتلة والعلم اللبناني، وعلم الحزب التقدمي الاشتراكي، موسيقى جعيتا، فموسيقى قلب يسوع الأقدس ـ المتين.

وتحت لافتة كتب فيها «كلنا ريمون إده» رفعت على الطريق قبالة وزارة الإعلام، اصطف مئات العناصر من كشافة الحزب التقدمي حاملين أعلاماً حمراً اخترقها الموكب ترقيصاً للجثمان على الأكف، ومن هناك نزولاً في شارع إميل إده باتجاه شارع سبيرس حيث نُثر على النعش أرز وزهر، وصعوداً نحو جسر فؤاد شهاب فوق النفق. وقبل الوصول إلى أوتوستراد النفق، وصل النائب إميل نوفل مع وفد كبير قادماً من محيط كاتدرائية مار جرجس وانضم إلى الموكب الذي راحت أعداد المشاركين فيه تزداد بانضمام مواطنين كانوا يصطفون على جوانب الشوارع.

الفرقة ١٦

من على جسر نفق فؤاد شهاب في اتجاه السرايا، حيث أدَّت ثلة من سرية الطوارئ في قوى الأمن الفرقة ١٦ التحية بقبعاتها الحمر، ومع التحية بدأت الموسيقى تعزف «يا بو المرجلي» في إشارة إلى تولي العميد إده وزارة الداخلية وتأسيس هذه الفرقة بعد حوادث ١٩٥٨. وهنا، ارتفعت حماسة حملة النعش وراحوا يرقِّصونه لنحو خمس دقائق، مع صور للعميد إده، قبل أن يتابع الموكب سيره نحو ساحة النجمة ومجلس النواب.

«زيارة» مجلس النواب

وما إن أطلَّ النعش إلى أمام مبنى المجلس حتى تدافع حاملوه على الأكف نحو الدرج ورفعوا صورة العميد إده على الباب المقفل كأن الندوة النيابية في حداد، ثم أُصعد النعش إلى أعلى السلم وكأن العميد اشتاق بعد طول غياب إلى هذا المبنى الذي لم يعرف في حياته صولات وجولات كما عرف مع العميد.

مجلس النواب كان مقفلاً كأنه حزين أو أنه يبكي، وبدا ببابه المقفل وصمته أبلغ تعبير عن حزن عميق على رجل القانون والتشريع وزعيم المعارضة و«الضمير».

ومع تراجع هذه الهمروجة، أدَّت ثلة من قوى الأمن التحيَّة وسط تصفيق حاد. ثم تابع الموكب صعوداً في اتجاه شارع المعرض بعد التفاف حول ساعة العبد.

ومن شارع المعرض إلى شارع الأمير بشير حيث الكاتدرائية، والذي غصَّ بآلاف المستقبلين، رقص بالنعش وبالأعلام وموسيقى حماسية، وعلى مدخل الكاتدرائية رفعت لافتة فيها عبارة طالما ردَّدها العميد: «سلملي على الأودام».

والأوادم في لبنان، بالنسبة للعميد هم: الأمير بشير، البطريرك الحويك، وإميل إده. وفي الزمن الحديث البطريرك صفير وكل مَنْ لم يحمل سلاحاً ولم يسرق ولم يرتش ولم يعث فساداً، وبينهم جماعة الكتلة الوطنية والمقهورون من أبناء الشعب اللبناني، مسيحيين ودروزاً ومسلمين.

وعلى جانب آخر من الكاتدرائية لافتة كتب فيها «لبنان يبكي رائد الحرية والسيادة والاستقلال»، وفي مكان آخر: «حزب الكتلة الوطنية يتعزَّى بدموع كل لبنان على عميده». وعلى واجهة مبنى اللعازارية لافتة: «رفضت الاحتلالات فاحتللت قلوب اللبنانيين».

العميد يدشّن كنيسة مار جرجس

ووسط هتاف المتجمهرين دخل ريمون إده كاتدرائية مار جرجس التي كان «أول زوارها» بعدما دشَّنها البطريرك الماروني الكاردينال مار نصر الله بطرس صفير أثر ترميمها في ٢٤ نيسان ٢٠٠٠.

ولدى دخول البطريرك صفير لترؤس الصلاة، لراحة نفس «رئيس جمهورية لو تزحزح قيد أنملة عن ثوابته»، علا تصفيق حاد. وكذلك علا التصفيق لدى دخول حامل صورة العميد وبعده النعش المجلل بعلمي لبنان والكتلة الوطنية.

وسط الكاتدرائية سجي جثمان العميد وتناوبت عناصر حزبية على حراسته، وأمامها علما لبنان والكتلة. وعلى النعش وضع إكليل باسم كارلوس إده وعائلته. وعلا التصفيق مجدداً لدى دخول العميد الجديد كارلوس وقرينته هيلين، وتكرَّر التصفيق لدى دخول النائب وليد جنبلاط ونواب كتلة النضال الوطني.

صفير يترأس الصلاة

وترأَّس الصلاة الكاردينال صفير يحوطه بطريرك السريان الكاثوليك أغناطيوس موسى الأول داود، والمطران جورج أشقريان ممثلاً بطريرك الأرمن الكاثوليك نرسيس بيدروس التاسع عشر، والمطران يوحنا منصور ممثل بطريرك الروم الكاثوليك مكسيموس الخامس حكيم، والمطران فارطان دميرجيان ممثل كاثوليكوس الأرمن الأرثوذكس آرام الأول، ومتروبوليت بيروت للروم الأرثوذكس المطران الياس عودة، والمطارنة الموارنة: جورج إسكندر، وخليل أبي نادر، وشكر اللّه حرب، وبولس مطر، وبطرس الجميل، ورولان أبو جودة، ويوسف بشارة، وبولس إميل سعادة، وفرنسيس البيسري، ومارون صادر، وطانيوس الخوري، ومطرانا الروم الكاثوليك سابا، واكيم ويوسف كلاس، ومتروبوليت جبل لبنان للروم الأرثوذكس المطران جورج خضر، ورئيس المجمّع الأعلى للطائفة الإنجيلية في سوريا ولبنان القس سليم صهيوني، والرئيس العام للرهبانية المارونية اللبنانية الأباتي أثناسيوس الجلخ، والرئيس العام للرهبانية المارونية الأنطونية الأباتي سمعان عطا اللّه وعشرات الكهنة.

وكذلك حضر رئيس مجلس النواب نبيه بري ممثلاً رئيس الجمهورية إميل لحود، ورئيس الوزراء سليم الحص، والسفير البابوي المونسنيور أنطونيو ماريا فيليو ممثلاً قداسة البابا يوحنا بولس الثاني، والسفير الأردني أنمار الحمود ممثلاً العاهل الأردني الملك عبد اللّه الثاني، وسفراء فرنسا ومصر والبرازيل وقائمون بالأعمال.

وحضر أيضاً الرؤساء شارل حلو والياس الهراوي وحسين الحسيني وأمين الحافظ ورشيد الصلح، ونائب رئيس مجلس النواب إيلي الفرزلي، والوزراء جوزف شاوول وحسن شلق وناصر السعيدي وأنور الخليل وميشال موسى، والوزير المفوض لمنظمة فرسان مالطا ذات السيادة أدوار دولوبكوفيتش والنواب: نايلة معوض، بهية الحريري، الياس سكاف، نزيه منصور، سمير عازار، فايز غصن، نقولا غصن، أنطوان أبو حيدر، فوزي حبيش، الياس الخازن، رشيد الخازن، نهاد سعيد، بطرس حرب، عبد اللطيف الزين، نديم سالم، خليل الهراوي، جبران طوق، نسيب لحود، فريد مكاري، حسين يتيم، جميل الشماس، روبير غانم، شاكر أبو سليمان، سليمان كنعان، بيار دكّاش، ميشال فرعون، بشارة مرهج، صلاح الحركة، جان غانم وإميل نوفل، العميد الركن هشام جابر ممثلاً قائد الجيش العماد ميشال سليمان، والوزراء السابقون: ألبير مخيبر، غسان تويني، ميشال ساسين، رفيق شاهين، محمود عمار، مخايل ضاهر، عثمان الدنا، بهيج طبارة، فريد روفايل، ميشال بشارة الخوري، ميشال سماحة، الياس حنا، ورئيس مجلس القضاء الأعلى الرئيس الأول منير حنين، والنواب السابقون: ميشال معلولي، وشفيق بدر، ومنوال يونس، ونقيب المحامين في بيروت ميشال أليان، وأعضاء مجلس النقابة، ونقيب الصحابة محمد بعلبكي، ونقيب المحررين ملحم كرم، والنقباء السابقون للمحامين: مارسيل سيوفي، وريمون عيد، وسمير أبي اللمع، وميشال خطار، وأنطوان قليموس، منسق «التيار الوطني» نديم لطيف، السيدة ستريدا سمير جعجع، رئيس حزب الكتائب منير الحاج، رئيس حزب التضامن إميل رحمة، الرئيس السابق لجمعية المصارف فرنسوا باسيل، السفير خليل الخليل، الدكتور سليم سلهب، رفيق شلالا، العماد إسكندر غانم وروبير بولس، ووفد من حزب الوطنيين الأحرار برئاسة نائب الرئيس روبير خوري والأمين العام الياس أبو العاصي لوجود الرئيس دوري شمعون في الولايات المتحدة الأميركية، وأركان حزب الكتلة الوطنية ومحازبون وأصدقاء من كل لبنان.

وأدت الخدمة «جوقة سيدة البسمة» في دوفر فرنسا بقيادة المونسنيور منصور لبكي وهي تضم أيتاماً، وصادف أن كانت في لبنان وتربط الجوقة صداقة خاصة بالعميد، وسبق أن زارها مرات وعيّد عيد ميلاده معها. وأدّى الإنشاد المنفرد المونسنيور لبكي والأباتي عطا اللّه والآباء: أنطوان الأشقر، وأنطوان ضو، ويوسف مونس.

وبعد الإنجيل ألقى البطريرك صفير كلمة تأبينية بالراحل الكبير (صفحة ١٣).

وبعد الصلاة قال الرئيس بري: «باسم فخامة رئيس الجمهورية العماد إميل لحود وتقديراً لمواقفه الوطنية، أقلد المرحوم الفقيد الكبير العميد ريمون إده وسام الأرز الوطني من رتبة ضابط أكبر». وسلَّم الوسام إلى السيد كارلوس إده.

كلمة النقيب أنطوان قليموس

وعند انتهاء الصلاة ألقى النقيب السابق للمحامين أنطوان قليموس كلمة جاء فيها:

«قدر المحاماة كقدر لبنان في زمننا الرديء هذا، أن يخسر رجالاته الرجال. اليوم، توقَّف قلب كبير عن الخفقان، إنه قلب ريمون إده ابن هذا الوطن الصغير الكبير، والذي إليه اليوم يعود دون أن يكون قد غادره وفياً لتربته بعدما أدَّى قسطه من العطاء والكبر من خلال عنوانين أساسيين طبعا حياته هما: كرامة المحاماة واستقلال الوطن.

أيها المحامي، لقد آمنت دوماً بأن نقابة المحامين هي الحصن الحصين للحريات العامة وحقوق الإنسان والمدافع الأول عن كرامة المواطن والوطن، وقدَّمت لها كل القوة والدعم، وكنت الموصي دوماً بإبقائها معقلاً للوحدة الوطنية الجامعة وفي منأى من التجاذبات السياسية الرخيصة يوم تعرض الوطن لغدر الغادرين وغصب الغاصبين وذل المتآمرين.

ما غبت يوماً عن هموم نقابتك وتطلعاتها حتى في غربتك القاسية.

فيا ابن العميد الأول الراحل الرئيس إميل إده الذي شرّف النقابة نقيباً، وَعْدُ نقابتك لك أنها ستبقى على أصالتها وعلى رسالتها دون أن ينضب معينها من الرجال الرجال الذين حملوا هَمَّ الوطن عبر الزمن وما زالوا، إنها المشرقة دوماً وأبداً.

أيّها المتطرف في حب لبنان، لقد آمنت بأن مَنْ يعتدل في دنياه يبقى حيث ولدته أمه، فلا يتراجع إلى الوراء ليعلم الناس أمثولة بتقهقره، ولا يخطو إلى الأمام ليرشدهم إلى محجة أو مأثرة؛ وأن مَنْ يعتدل في مناصبة الشر أو مناصرة الخير لا يصرع شراً ولا ينجد خيراً.

يا معلمي، يوم خطواتي الأولى في المهنة الأحب في مكتبك التراثي العريق، علَّمتني أن المحاماة مسؤولية وأمانة، وقيادة الأوطان مسؤولية وأمانة، وأن هذه المسؤولية الأمانة تتنافى والمزاجية والارتهان والوهن أمام كل المغريات.

لقد علّمتني أن الكف الملوَّثة بدماء الأبرياء ومال الذل لا توجع إلَّا صاحبها، وأن النزاهة ليست شعراً أو معنى بل نمط حياة وخبز دائم لمعنى الإنسانية.

لقد علّمتني ألَّا أخاف ظالما بل عليه، وأن القهر يستنفد القاهر ولا يميت المقهور، وأن حوار الأسياد وحده ينبت العزة والمجد وبراعم الأمل.

لقد أعززت الحق وكرّمته ولم تغتل بمعرفتك حق سواك.

أيها الراحل الكبير، يا عاشق الحرية كما الحبيبة، لن يفصلك الموت عنها، إنها بكيانك ولدنك، وستكون خير مدافع في رحاب السماء عن قضية وطنك الجريح، علّ العلي القدير يدرج حلها دائرة تنفيذ الأعاجيب».

كلمة إبراهيم أسطفان

وألقى الأمين العام إبراهيم أسطفان كلمة الحزب وفيها:

«يا عميدنا، حرَّرتنا من ذاتنا لأن «الأنا» قتلت «النحن» وحفرت أثلاماً في أقدام الأصنام، ولأن عماء العصبية امتص دماءنا فعاث تجار الهيكل في وطننا يرومونه أشلاء مبعثرة (...).

يا عميدنا، صوتك الصارخ في البرية، المجرد إلَّا من سلاح الكلمة، تلك الكلمة، على صدقها ونقاوتها وجرأتها، أرعبت هيرودوس والكتبة والفريسيين فتسارعوا إلى اغتيالك مرات، سوى أن كلمتك لأنها الحق، كانت ملكة، إلهة، عصفت بلبنان من أقصاه إلى أقصاه توقظ الضمائر، تزرع قلق الجنوب والاحتلال الإسرائيلي فإذا لبنان كله مقاوم (...).

إن أشرف المقاومين هم أبناء الجنوب المسجونون في الحزام الأمني والمعتقلون في سجون العدو، ولا يقل شأناً عنهم المهجرون في وطنهم، الصابرون على الضيم. وإن عزم الشباب المتحفز للعطاء والشهادة هو أمل لبنان الموحَّد السيد الحر المستقل.

فيا شعب لبنان الذي أحب العميد وحفظه في ضميره ومسلكه وحلمه، منك نتقدم بأصدق التعازي معاهدينك أننا سنستمر على خط العميد، وسيبقى الشمل مجموعاً بقيادة العميد الجديد المنتخب الأستاذ كارلوس بيار إده الذي نتقدم منه ومن جميع آل إده الكرام بأحر التعازي.

أيَّها الرفاق، باسمكم أتعهد للبنان أننا مستمرون وأننا بعد فترة تفكير هادئ وعميق ستكون للوطن مؤسسة سياسية تليق بالعميد».

دموع العميد الجديد

وتقدَّم العميد الجديد كارلوس إده لإلقاء كلمة العائلة، واستهلها: «في هذه اللحظة الأليمة، أشكر فخامة رئيس الجمهورية الممثل بشخص دولة رئيس مجلس

النواب. . . ». لكنه لم يستطع المتابعة إذ غص وخانه صوته واغرورقت عيناه، فاعتذر عن عدم إكمالها «شكراً. . . عفواً. . . لا أستطيع. عفواً لا أستطيع». ونزل من أمام المذبح وإذا بالنائب جنبلاط يدمع ويمسك منديله ويمسح عينيه. ثم كان عناق بين الاثنين وبين كارلوس والأهل.

وتولى أمين سر مجلس الحزب المحامي روجيه خوري تلاوة كلمة كارلوس وهنا نصها:

«في هذه اللحظة الأليمة أشكر فخامة رئيس الجهمورية الممثل بشخص دولة رئيس مجلس النواب الأستاذ نبيه بري، ودولة رئيس الحكومة الدكتور سليم الحص، ونيافة الكاردينال مار نصر الله بطرس صفير وأصحاب المقامات الروحية والسياسية وجميع الفاعليات ومحبي إده.

عزاؤنا أن العميد ريمون إده سيدفن إلى جانب والديه وفي تراب لبنان.

هذه اللحظة لحظة تأمّل وصلاة وإكمال الطريق مع المحبين والمخلصين. شكراً لكم».

ثم ألقى الأمين العام المساعد الدكتور صخر سالم كلمة وصف فيها حالة العميد في أيامه الأخيرة. (صفحة ٥٧).

وبعد أن تقبل العميد كارلوس وأهل العميد وأعضاء الحزب التعازي من الروحيين والرسميين تم حمل نعش العميد على الأكف وسط هتافات: «إيه ويالله، العميد بعد الله». وسلك الموكب سيراً الطريق من أمام الكاتدرائية إلى ساحة الشهداء صعوداً إلى شارع بشارة الخوري، نحو مدفن والدي العميد إميل ولودي إده.

ومن شارع بشارة الخوري إلى جادة الرئيس الياس سركيس، مدخل «بوابة» السوديكو، ومنها يميناً في اتجاه طريق الشام، ثم إلى البريمو ومدافن رأس النبع. . . والنعش على الأكف.

وأمام المدفن كانت صلاة للمطران أبي نادر.

«قبر الرجل»

وألقى مفوّض الإعلام المحامي إيلي مشرفاني كلمة المطران بولس عقل في وداع الرئيس الراحل إميل إده والد العميد إده مع بعض التعديل وجاء فيها:

كلمة الوداع ما أمرها.. ما أمرها، وما أرهبها وقفة.. هل علي أن أودّع الرجل الذي كنا وكان الشعب يتهيَّأ لاستقباله عبر طريق الجهاد المتواصل المخلص؟

لكنها أحكامه تعالى... تباركت حكمتك يا رب العالمين، ولتكن مشيئتك في كل حين. في هذا الوداع دموع إذا جمعت حمل النعش على غواربها لا على الأكف.

وفي هذا الوداع تنوحات لو التقطت تجمَّع لنا سفر من آلاف الجُمل، ولا مراثي أرميا وحزقيال، لكنه الإيجاز، وفي الأفواه ومن القلوب كلام لسواي.

يودّعك المعهد الذي أخذت عنه العلم سلاحاً والفضيلة ذخراً، والذي تفتحت فيه مواهب الرجل العظيم مَنْ صرته أنت في مستقبل أيامك.

فاليسوعيون وقد ألحق بهم بيتكم العريق كبيراً من كبارهم، لا يقبضون عن الناس ما فيهم من علم وفضيلة.

تودّعك الأوساط العلمية والعالمية. تودعكم الممالك والدول والشعوب الذين أكبروك لأنهم وجدوا فيك مناضلاً قوي الشكيمة نادر العزم عن الخير والجمال، عن الحق والحرية.

حق لأجله أُبعدت، وحرية باسمها ظُلمت.

قد ودَّعك غبطة أبينا البطريرك وداع الأب الحنون لابنه، وبكاك ونعاك خسارة فادحة على البلاد وأبناء البلاد.

يودّعك زملاؤك المحامون الذين كان لهم فيك حجة وإليك محجَّة.

تودّعك الصحافة الصادقة الحرة التي أجمعَتْ على الإعجاب بك والاحترام لك فكرَّسَتْك «ضمير لبنان».

تودّعك كتلتك الوطنية التي اقتطعتَها من قلبك وزوّدتَها بخميرة حبك، ورسمتَ لها طريق إيمانك ودجَّجتها بسلاح رجائك وقد قدَّسَتْ فيك ما عرفه الجميع عنك صائبَ رأي وثباتَ مبدأ، رجاحةَ عقل وبُعدَ نظر، رقَّةَ شعور ودقَّةَ ذوق، بشاشةَ وجهٍ وكرمَ كف، حلوَ حديثٍ وجلالَ سحر، حُسنَ صنيعٍ ونُبلَ غاية، وإذ بايعوك عميداً تبوأتَ عمادة البلاد التي ستظل تعرف فيك أولاً.

تودّعك عيلتك التي أبقيتَ لها اسمك شرفاً وعزاً، وجعلتَ لها عملك طريقاً وحقاً، وخلقتَ بيتك على صورتك ومثالك وتركتَ لابن أخيك كارلوس زعامتك وأمل أمتك، ليكون صخرة إيمانك وصادق عزيمتك.

تودّعك الأوسمةُ الكثيرة الرفيعة التي فخرت بصدرك فخر صدرك بها.

تودّعك هذه الجماهير المتألبة حولك من كل أنحاء الجبل وأحياء المدينة من سائر الطوائف والطبقات، مندفعة لا مدفوعة، محمولة على أجنحة الحب والوفاء، وسائرة في سبيل التمسك بمبادئك والتقيّد بعقيدتك والاعتراف بفضلك، تُسمعك أقوال نوادبها المبدعة المؤثرة، ونغمات موسيقاها المحزنة المبكية، لا تمشي وراء حي يَرزق ويُرزق بل أمام ميت يُحَبُّ ويُحترم، على أنها تردد أصوات انتحابها وانتخابها بتأكيد وتأييد، نعم للعميد.

وإن مَنْ تخلّف عن الاشتراك معها فهو إمَّا مقعد في الأسرَّة أو متقاعد عن حب لبنان، والقليلون الآخرون فهم من قال عنهم الرسول بولس: «أعموا عيونهم وأظلموا قلوبهم».

يودّعك لبنان المقيم والمغترب وأنت ابنه البار الذي بك ارتضى وهو يودّعه بوداعك: العلم والعمل، الفضيلة والفضل، الخُلق والخَلق، الشهامة والشرف،

الجرأة والإقدام، العزة والكرامة، الإخلاص والتضحية، وكلها من ذلك القلب الكبير الذي أحب كثيراً فألوى من ثقل ما حمل.

وأرزه، وأنت أرزه، يودّعك ملتاعاً فذهابك عنه اقتطاع لقسم من قلب لبنان وهو هذا الأرز يجلل نعشك بالغصن الذي جاء ينحني على مثواك ويشترك في الوداع.

فإنك، أيها العميد الخالد، نعشك عرشك وعروشهم نعوشهم، أنت ميت حي وهم أحياء أموات.

أيها الراحل الكبير، لقد كنت في حياتك العظمة والعدل، وفي جهادك الألم والأمل، وإنك في موتك المجد والخلود. تودّعك الأرض وتستقبلك السماء.

إخوتي الكرام، لو كتب على هذا الضريح «قبر الرجل» لعرف الجميع إن هنا ريمون إده وهو يرقد بالرب، وسيقوم مع المسيح القائل «أنا القيامة والحياة».

ثم تقبّل أهل العميد وأعضاء الحزب التعازي من المشاركين.

لبنان ودّع العميد، والألوف سارت وراء نعشه، محمولاً على الأكف وعليه غصن أرز الرب.

ألم يَحْمِل العميد لبنان في قلبه وعقله؟

وفي الأيام التي خصصت لاستقبال المعزين، تقاطرت الشخصيات إلى منزل العميد في الصنائع: رؤساء ووزراء ونواب وموفدون عرب وأجانب وسفراء ونقابيون وإعلاميون وحزبيون ورجال دين ورسميون... ووفود شعبية من مختلف المناطق اللبنانية.

وسُجِّلت في سجل التعازي إشادات بمزايا العميد الوطنية والسياسية والأخلاقية... والإنسانية.

كما تلقَّى العميد كارلوس إدّه والعائلة والحزب مئات البرقيات من لبنان والخارج معزية بالراحل الكبير.



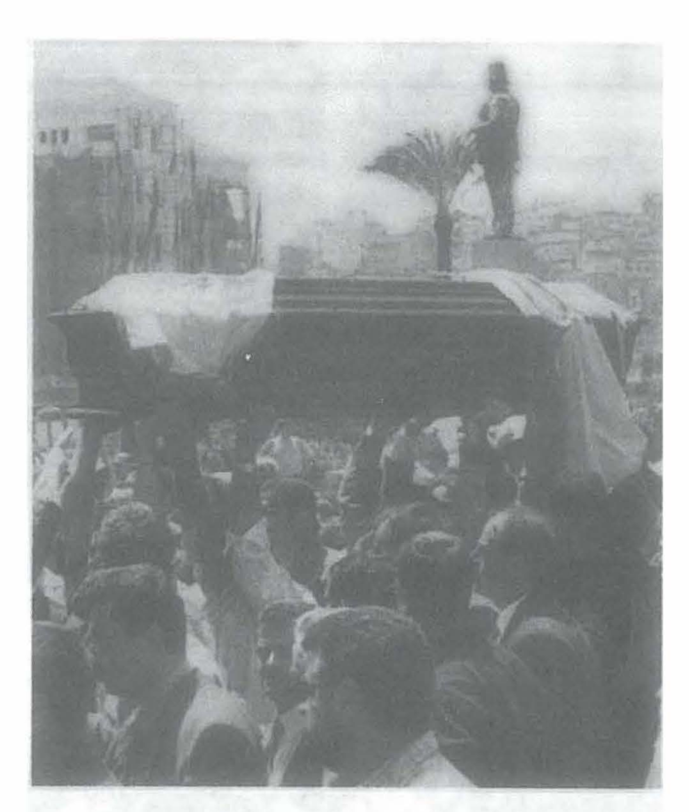
جثمان العميد مرفوعاً على الأكف لدى إخراجه من منزله،
وأوراق الزهر تنثر على النعش.

موكب تشييع العميد لدى انطلاقه من منطقة الصنائع.

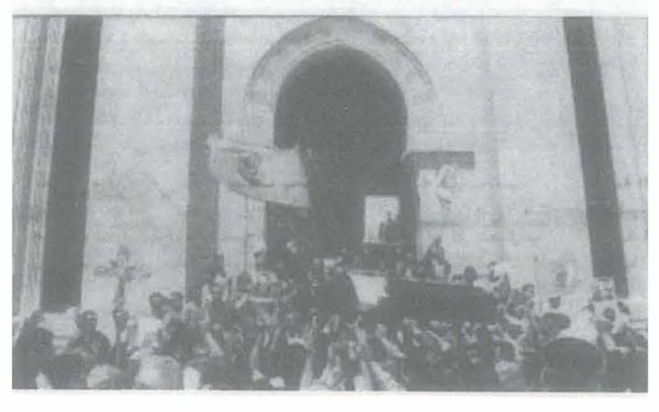


موكب الجنازة قرب السراي، وتبدو أعلام الحزب التقدمي الاشتراكي مرفوعة.

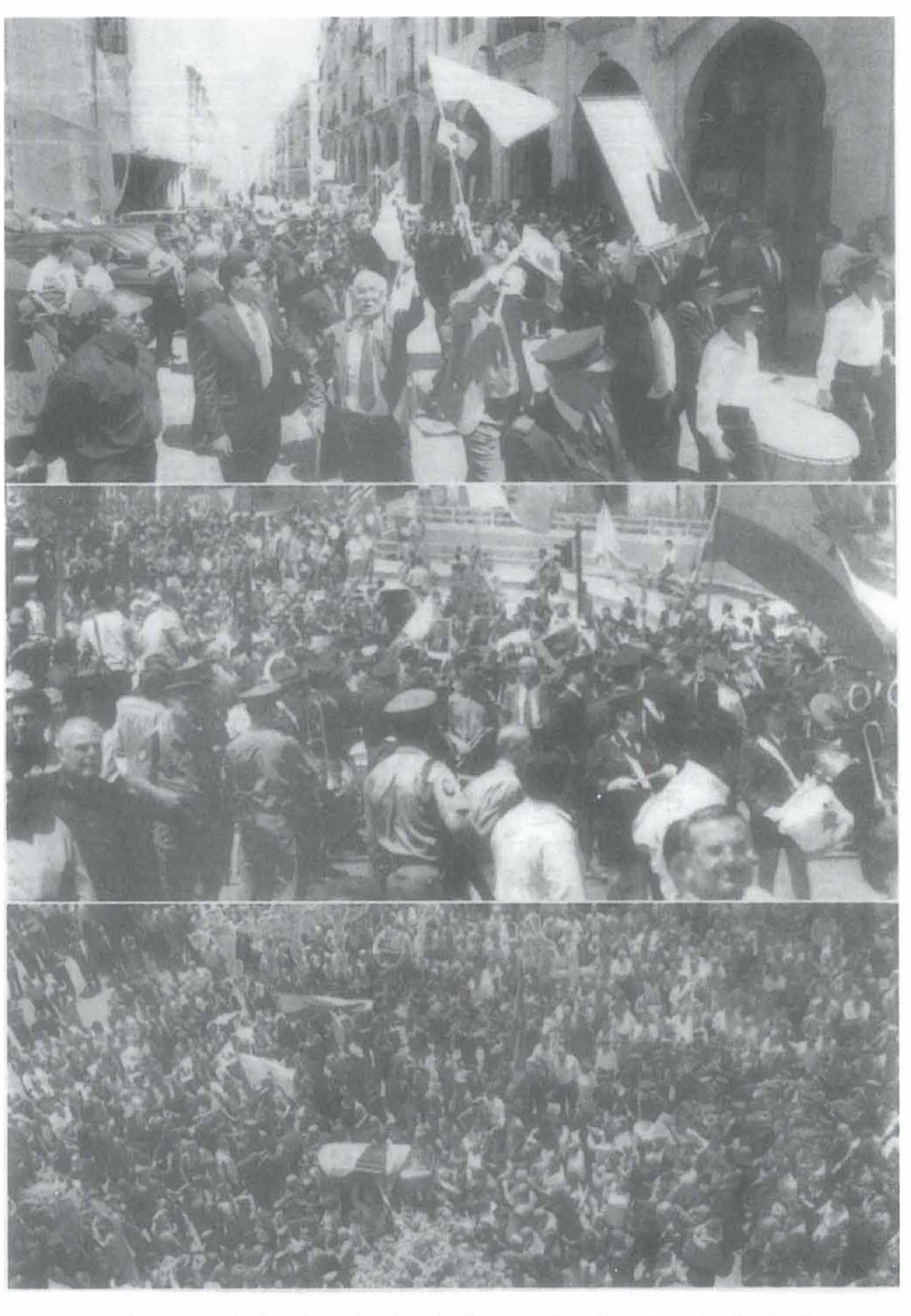
النعش وسط الحشود في القنطاري.



النعش على الأكف في ساحة رياض الصلح.



الموكب أمام مبنى مجلس النواب.



مسيرة الوداع في شارع المعرض، في وسط العاصمة، وأمام كنيسة مار جرجس في بيروت.



البطريرك صفير مترئساً الصلاة.



البطريرك داود والسفير البابوي ومطارنة.



الحضور في الكاتدرائية وفي المقدمة الرئيسان برّي والحص.



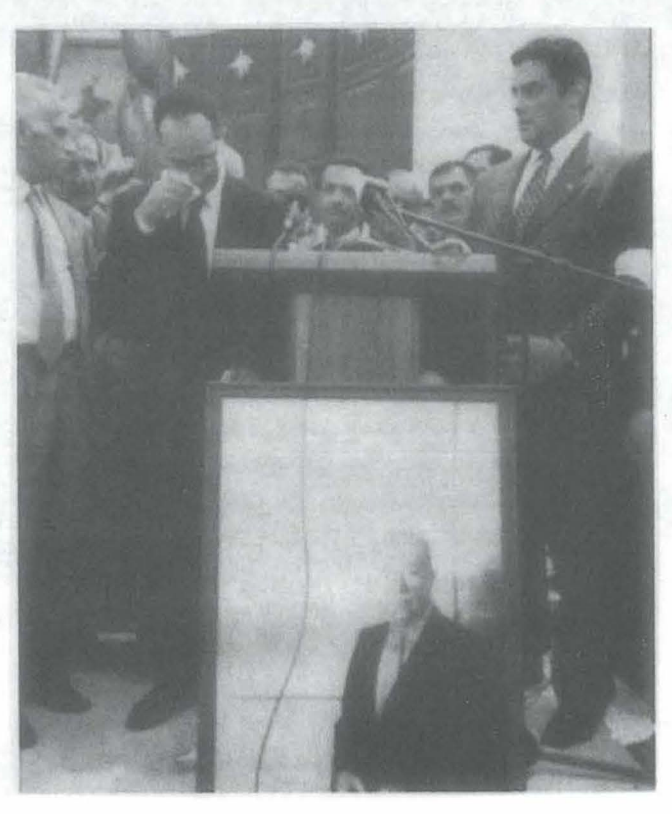
جنبلاط في الكنيسة وإلى جانبه كارلوس اده يبكي الفقيد.



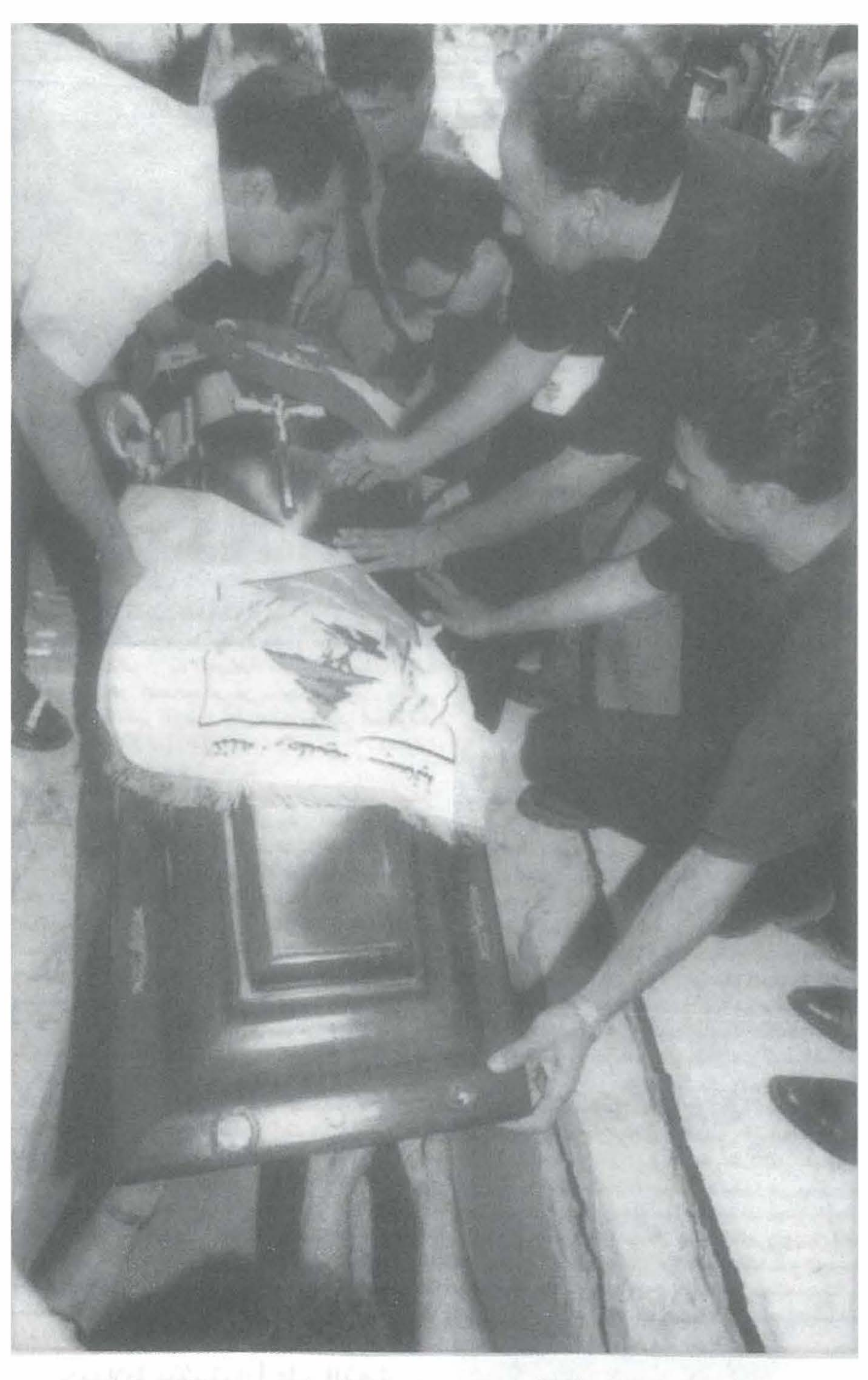
القداس في الكنيسة.



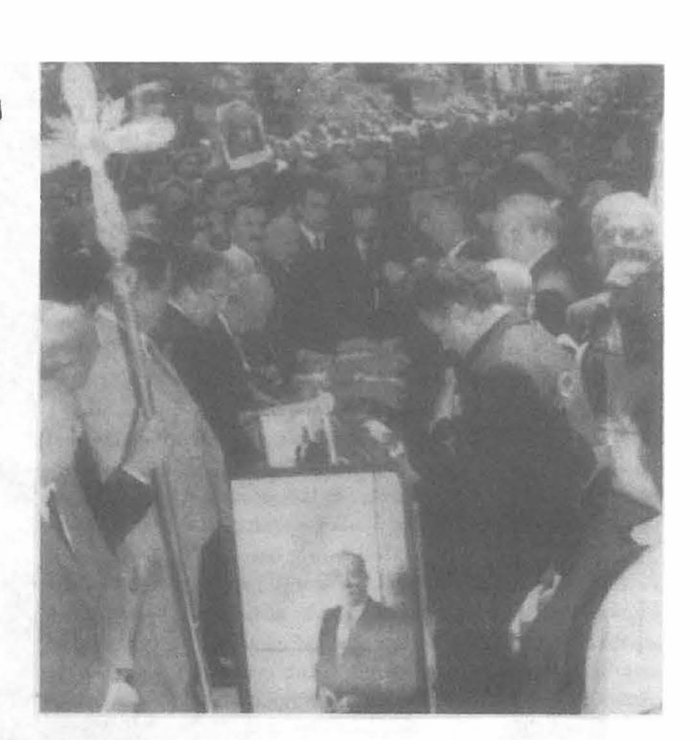
الرئيس برّي يقلّد الراحل وسام الارز.



كارلوس يبكي الفقيد ولم يستطع إلقاء كلمته.



نعش الفقيد أثناء إدخاله إلى المدفن في رأس النبع.



الحشود في مدافن
رأس النبع.



جنبلاط ينثر تراباً على النعش.

الباب الثالث

قالوا في العميد

الفصل الأول

الرؤساء

يرحل العميد وتبقى نكراه كالعطر فواحاً بالوطنية والمبادئ والقيم الأخلاقية... مدرسة في السياسة هو... ما اشتغل فيها إلا لمصلحة لبنان... وما أحبَّ لبنان إلا من أجل شعبه.

وكانت كلمات للجميع، بعد رحيله. فماذا قالوا؟.

الرئيس العماد إميل لحود

«يخسر لبنان بوفاة العميد إده شخصية وطنية. لقد رافق الراحل الكريم الحياة السياسية اللبنانية خلال فترة طويلة كان خلالها برلمانياً لامعاً، ونادى بالوحدة والوئام بين اللبنانيين. رحمه الله».

الرئيس حافظ الاسد

وزير شؤون رئاسة الجهورية السورية غازي الضويحي ممثلاً الرئيس السوري حافظ الأسد، ودوَّن في سجل التعازي الكلمة الآتية: «باسم السيد الرئيس حافظ الأسد، رئيس الجمهورية العربية السورية، أقدم التعازي الحارة بوفاة السياسي اللبناني البارز العميد ريمون إده. سيبقى المغفور له في ذاكرة الأجيال واحداً من رجالات لبنان المؤمنين بوحدة هذا البلد الشقيق، والرافضين على الدوام للاحتلال الاسرائيلي. لقد عاش المرحوم ريمون إده وفي أعماق أفكاره وعواطفه

نبراساً يميز بين الصديق والعدو في كل الظروف. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه».

الرئيس جاك شيراك

«تأثرت جداً بنبأ وفاة ريمون إده، هذه الشخصية المسؤولة في لبنان، وأنحني أمام ذكراه».

الرئيس نبيه بري

«من الجبال الجبال، من أعلى قممنا الديموقراطية سكن خارج لبنان ليسكنه لبنان، ليست ساحة النجمة بعده كما قبله. تخاله من جبيل وبنت جبيل في آن معاً نظراً لعدواته للعدو الإسرائيلي».

الرئيس سليم الحص

«تبلغنا بمزيد الحزن والأسى نبأ وفاة الزعيم الوطني الكبير والنائب والوزير السابق العميد ريمون إده. فلقد دخل في ضمير الشعب من خلال ممارسته السياسية الطويلة التي تميَّزت بالاستقامة والنزاهة والترفّع والخلق الرفيع. به تخسر الديموقراطية علماً من أعلامها الشامخة ونصيراً ثابتاً لدولة القانون، وسيذكره التاريخ إنه كان دوماً وفياً لوطنه وصوتاً مدوياً في نصرة الجنوب، ومحذراً دؤوباً من مطامع إسرائيل وخطرها على أرض لبنان ومياهه، وعلى دوره الحضاري.

أتقدم باسم مجلس الوزراء وباسمي شخصياً بأحرّ التعازي للشعب اللبناني ولأهله ولذويه ولمحبيه الكثر، ولحزب الكتلة الوطنية الذي كان عميده».

الرئيس إلياس الهراوي

«خسر لبنان ركناً كبيراً من أركانه، امتاز بوطنيته الصافية ونزاهته الناصعة وجرأته الفريدة، وخاض من أجل بلاده معارك بيضاء كان سلاحه فيها ضميراً حياً ووجداناً نقياً وإرادة لا يستكين لها مدى، حتى أصبح مثالاً يحتذى به في مضمار

السياسة والشأن العام، سيبقى العميد ريمون إده في ذاكرة الوطن خالداً وحاضراً، وسيبقى رمزاً للرجولة حيث الرجولة شرف واستقامة ورؤية.

رحمات الله على العميد الغائب العائد إلى أرضه محمولاً على قمم الجبال، شامخاً، عالي الجبين، مكللاً بالأمجاد».

الرئيس أمين الجميّل

«فقد لبنان رجلاً وطنياً وتاريخياً سطّر مراحل الحياة السياسية اللبنانية بمواقفه الثابتة المتمسكة بالسيادة والاستقلال. كما خسر برلمانياً نشيطاً ساهم في تشريع قوانين لدولة لبنان الحديث.

ريمون إدّه نفتقده اليوم خصوصاً في هذه المرحلة الدقيقة التي يتقرر فيها مصير الوطن».

الرئيس شارل حلو

«بدأنا معاً في مدرسة الآباء اليسوعيين مطلع القرن وأكملنا معاً معظم الأحيان في مدرسة السياسة والحياة.

وفي المدرسة كنا نتزاحم على المركز الأول وكانت رواياته وتعليقاته الساخرة تشير إلى نباهته وتستثير ضحكات كل مَنْ يستمع إليها.

استمرت صلاتنا قائمة بعد الدراسة حيث كنت أنظر بإعجاب، وأنا المحامي المتدرج إلى والده المحامي اللامع آنذاك ثم الرئيس في ما بعد إميل إده. وعلى رغم انتسابي المبكر إلى «المحور» السياسي الخصم للكتلة الوطنية وانخراطي في حشد الدعم للكتلة الدستورية برئاسة الشيخ بشارة الخوري، إلّا أنني لم أتطرف في حكمي على سلوك الرئيس إده وحزبه المدافع العنيد عن الكيان اللبناني من وجهة نظر مختلفة.

منتصف الخمسينات من القرن العشرين، لمع ريمون إده برلمانياً ومشرعاً وصاحب أفكار تتسم بالحداثة والليبرالية في خدمة مشروع وطني متمايز عن

محيطه العربي الغارق في الانقلابات والمنزلق بسرعة إلى الأنظمة الشمولية والنظم الاشتراكية. وإليه يعود الفضل في هذه الفترة بوضع قانون سرية المصارف الذي شكّل المدماك الأساسي لجذب المدّخرات والأموال الهاربة من سيف التأميمات والسياسات الفظة، ونقطة البداية في نجاح القطاع المصرفي وازدهار الاقتصاد اللبناني.

إنجازه الثاني، الذي تحفظت عنه، عن قناعة مستمرة حتى الآن، هو حماسته لقانون إعدام القاتل وإلغاء الظروف المخففة، عندما كان وزيراً للداخلية في الحكومة الرباعية برئاسة الحاج حسين العويني بعد أحداث ١٩٥٨.

عندما تسلَّمت الحكم سنة ١٩٦٤ كان ريمون إده خارج المجلس النيابي، خارجاً من معركة انتخابية خاسرة في جبيل، وموغلاً في حرب ضروس ضد الشهابية وأجهزة المكتب الثاني. وأوّل ما قمت به في الانتخابات الفرعية سنة ١٩٦٥ في جبيل كان تأمين حياد الدولة والأجهزة لتأمين سير معركة العميد من دون شوائب. ونجح ريمون إده يومها، بينما خسرت أنا، بسبب إصراري على شفافية المعركة، رضى الشهابيين من دون أن أكسب ودّ المعارضين.

وقبلت التحدي وعيّنت ريمون إده وزيراً في الحكومة الرباعية التي ألفت سنة ١٩٦٨ برئاسة عبد الله اليافي وعضوية حسين العويني وبيار الجميّل، حيث تسلم العميد حقائب وزارات الأشغال العامة والموارد المائية والكهربائية والتصميم. لكن هذه الحكومة انفجرت من الداخل بسبب الخلاف على طريقة التعاطي مع العمل الفدائي بعد الاعتداء على مطار بيروت الدولي. والتقيت ريمون إده مجدداً وعرضت عليه الاشتراك في حكومة جديدة فرفض. وقد كان على حق ربما لأن الحكم في تلك الأثناء كان محرقة وكان العميد يفضّل صورة الفارس قائل الحق على أن ينغمس في معركة غير مضمونة النتائج والمضاعفات. ثم جاء اتفاق القاهرة الذي دانه ريمون إده بشدة واندفاع. وعلى رغم مثابرتي على محاولة إقناعه بأن الاتفاق كان ورقة عسكرية مجردة لا تلزم

الدولة ولا رئيس الجمهورية بشيء كوني لم أوقّع بنودها، ولا قيمة قانونية له كما أكَّد على ذلك لاحقاً غير باحث قانوني وقاض لبناني وأجنبي، فقد استمر ريمون إده على موقفه الصلب مؤمناً بطلب المستحيل في السياسة التي هي في الأساس فن الممكن.

لم يتبدَّل ريمون إده، ولم يبدل قناعاته رغم تغير لبنان وظروفه. وهذا هو ربما سبب استمرار تعلق أنصاره به وهو في منفاه الباريسي يساجل ويحلل وينتقد ويدافع عن لبنان الذي كان لوالده جهد أساسي في تأسيسه.

يعود ريمون إده اليوم إلى لبنان آخر، بعدما حمل لبنانه معه إلى الفندق الفرنسي وعلّقه علماً على شرفة رمزاً لأزلية نضاله دفاعاً عن فكرة ووطن.

ترى هل يكون الوداع اليوم لريمون إده أم لشيء آخر انتقل مع العميد إلى المنفى قبل ربع قرن؟».

الرئيس حسين الحسيني

«ما أصعب الموقف!

كأنني أرفض الحزن، لأن قبوله يعني التصديق.

كان ريمون إده، الصديق ورجل السياسة الوطنية، كان بالنسبة إلينا أقوى من الموت، بل في منأى منه، بما له من ثبات وصلابة.

وإنه لمذهل هذا الخبر.

وإنه لمذهل كم كان خارج الحساب.

لكن ريمون إده كان هنا أيضاً، يدفعنا إلى طمع الاعتماد عليه، في ما نتفق فيه أو في ما نختلف عليه.

كان ويبقى العميد».

الرئيس رفيق الحريري

«ما من لبناني، في أي موقع سياسي كان، إلّا ويشعر هذا اليوم، بالحزن الكبير على رجل كبير، افتقده لبنان، هو العميد ريمون اده.

ونحن، بالطبع، في عداد اولئك الذين لامس الحزن قلوبهم، وهم يتلقون نبأ العميد، ويتعاملون معه كما لو كان الرجل الراحل لا يزال في ريعان الشباب، ولم تداهمه السنون بتطاول العقود إلى ما يتخطى الثمانين.

لقد أحببناه من موقع الصداقة واحترمناه من موقع المختلف. وهو أيضاً كان على هذه الصورة، رجلاً صادقاً لمبادئه وأفكاره، لا يتحرك قيد أنملة عن قناعاته، لكأن بينه وبين القناعات، معاهدة عدم فصل، لا يتوقف مفعولها إلا بتوقف إرادة الحياة.

الذين عرفوا ريمون إده في الاربعينات، يقولون إنه بقي هو نفسه لم يتبدل ولم يتغير، لا في الخمسينات ولا في الستينات ولا في السبعينات. والذين تعرفوا إليه، أو استمروا على علاقة به حتى أيامه الأخيرة في باريس، يقولون إن العميد بقي ثابتاً على شخصيته وأسلوبه، وخريطة القناعات التي يرفض التنازل عن حدودها.

ريمون اده في السياسة، كخطوط الابهام ،غير قابلة للتغيير، أو حتى للتزوير.

هو «بصمة» خاصة في الحياة السياسية اللبنانية، ستفتقدها هذه الحياة، التي ستشعر حتماً في بعض زواياها، بفراغ حقيقي، لا يحدثه عادة إلا الرجال الذين هم محل تأثير في أوطانهم ومجتمعاتهم.

العمر لم يفاجئ ريمون إده. لقد فاجأنا الموت بوفاته. فحق لنا أن نحزن عليه مرتين؛ مرة لغياب أحد أعرق السياسيين خلال نصف القرن الاخير من حياة لبنان، ومرة ثانية لكون الغياب قد وقع على آخر العمداء في لبنان.

رحمك الله، يا عميد، وعوّض أصدقاءك ومحبيك سلامة وطننا من الاحتلال الاسرائيلي».

وقد دوّن الرئيس الحريري في سجل التعازي الكلمة الآتية:

«لقد فقدت الأهل والابن، واليوم فقدت الأخ، رحمة الله على العميد، ضمير لبنان»

الرئيس عمر كرامي

«لقد فجع لبنان بوفاة العميد الذي نعتبره ركناً وطنياً أساسياً ومنارة للنزاهة والتجرد، وعَلَماً في مقارعة اسرائيل وكشف مخططاتها. نأمل في العميد الجديد كل الخير على خطى العميد ريمون ونتمنى له كل التوفيق والنجاح في خدمة لبنان».

الرئيس رشيد الصلح

«خسر لبنان اليوم رجلاً كبيراً وزعيماً خدم وطنه وضحَّى في سبيله، فكان مثالاً في الوطنية والنزاهة والصدق والصراحة يحتذى به.

كان رائداً من روَّاد الحرية، عمل لها وضحَّى في سبيلها، كان صديقاً لنا وفيًا كبيراً في صداقته ولا يتوانى عن تقديم الكثير في سبيل الوفاء لأصدقائه.

إننا نتقدم من أهل الفقيد، ومن حزب الكتلة الوطنية، ومن جميع اللبنانيين، بأحرّ التعازي سائلين المولى أن يلهمهم الصبر والعزاء، وأن يسكن الفقيد الكبير فسيح جنانه».

الرئيس أمين الحافظ

«وصفوه فقالوا: ضمير لبنان. ولم يغالوا حين ذهبوا في تصنيفه إلى أنه الأشجع بين الساسة، والأنقى بين المسؤولين، والأصقل بين الوطنيين.

ولأنه كذلك كان في قسوته على المقصّر لا يحفل إذا ما جرحه أو صدعه، وفي مساءلته للحاكم لا يخشى غضبه ولا يداري انتقامه، وفي وفائه لا يحتسب لغضب الأضداد والخصوم، أو لضغينة الحاسد أو الحاقد.

لم يكن لبنانه متطابقاً مع لبناننا، ولو أنه لم يكن مجافياً له. بل لم تكن عروبتنا خصيمة لمفهومه الوطني ولا كارهة له.

تعاون مع مَنْ ليس من نهجه شرط أن يكون مخلصاً للوطن الصغير، حتى ولو كان مراهناً على الوطن الكبير.

كان حرباً على المرتشي والفاسد والمنافق، مثلما كان متصدياً للطامع في أرضنا، صهيونياً كان أم أميركياً.

لم يكن ينسى شاردة مما قدمت يداه من منافع، ولا يسهو عن واردة مما أفاض علينا من آراء واقتراحات ومشاريع، فإذا ما تطابق ما ذهب إليه مع ما طلعت أنت به، فإذا به يمتدحك مداعباً، ويقول مازحاً: «لقد سرقت أفكاري»!

...

كان المواطنون والنواب والصحافيون يتحلقون حوله أينما وجدوه. كانوا يستمتعون بعمق فكره، وخفة ظله وطراوة حديثة. كلنا سنفتقده، لكن سكنت الوطنية، وفُجِع الظُرف في لبنان».

العماد ميشال عون

«عاش العميد ناصع الضمير والكف مرتبطاً إلى ما لا نهاية بالوطن. لم يساوم على القضية الوطنية وضحى بالكثير من أجل الحفاظ على اقتناعاته.

كانت صداقته متعبة، وكذلك خصومته. وفي الحالين كان يطمئن إليه الصديق والخصم. ناضل من أجل إزالة الاحتلالات الغريبة عن أرض الوطن،

وكانت له أمنية أن يتحرر لبنان، وعندما أوشكت أن تتحقق غادر إلى العالم الآخر.

كانت حياته رمزاً للنضال الصافي وستبقى صفحة مجيدة في تاريخ لبنان».

نائب رئيس مجلس الوزراء العراقي طارق عزيز

«تلقيت بأسف بالغ نبأ وفاة العميد ريمون إده. لقد كان رحمه الله رجلاً شجاعاً وقد ارتبطنا بصداقة وثيقة مبنية على الاحترام. أرجو أن تتقبلوا والعائلة الكريمة خالص التعازي».

الفصل الثاني

الوزراء والنواب

الوزير جوزف شاوول

«إن غياب العميد ريمون إده هو خسارة كبيرة لا تعوّض على المستوى الوطني. وقد افتقدناه بشكل خاص نحن أهل القضاء وهو الذي رفد مكتبة القضاء بالقوانين التي انطبعت باسمه والتي كان لها التأثير الكبير في التشريع اللبناني».

الوزير سليمان طرابلسي

«رحل العميد ريمون إده، ربما لأنه اطمأن على قرب تحرير الوطن من الاحتلال الإسرائيلي، وتأكَّد أن الوديعة مصانة بين أيادي رئيس عماد واع لكل الهواجس التي أطلقها الفقيد الغالي».

الوزير كرم كرم

«كان الضمير وكان عنيداً في عشقه للحرية وتمسكه بالديمقراطية، خسر فيه لبنان والعرب مدافعاً شرساً عن الحق».

الوزير نجيب ميقاتي

«إنه بغياب العميد ريمون إده يخسر لبنان عظيماً من رجالاته التاريخيين الذين جعلوا من هذا الوطن الصغير كبيراً في حضوره وتألّقه وتميّزه في الدفاع عن القيم الحضارية والإنسانية، ويفتقد اللبنانيون مَنْ ناضل بنبل واستقامة من أجل إحقاق الحق، وبسط سلطة القانون، والقضاء على الفساد والتسيُّب».

النائب شاكر أبو سليمان

«العميد ريمون إده الذي غاب عن لبنان طوال ربع قرن كان الحاضر الدائم في وجدان أبنائه. حمل لبنان في قلبه وضميره وكان العين الساهرة اليقظة على كل ما يمس حرية لبنان وسيادته».

النائب فارس بويز

«فقدنا عَلَماً كبيراً من أعلام الديمقراطية والحرية والوطنية والسيادة والتشريع. إن غيابه جاء في أحلك الظروف التي يمر بها الوطن».

النائب وليد جنبلاط

«رحل ولم يرَ ذهاب الاحتلال الإسرائيلي نهائياً عن جنوب لبنان وعن الأرض اللبنانية، مات وفي حسرته أن لبنان، وكما كان يقول، تحت الاحتلالات، أياً كانت مواقفه، كان رجل المواقف النزيهة والشريفة والجريئة. إنها خسارة كبيرة تكبدناها، وكان ضمير لبنان».

النائب سامي الخطيب

«مما لا شك فيه أن رحيل العميد ريمون إده عن دنيانا السياسية والوطنية في لبنان خسارة كبيرة جداً، خسارة للحياة السياسية وخسارة للقيم الوطنية. إن العميد إده سواء كان الإنسان معه أم ضده لا يستطيع إلا احترام وتقدير هذا الأداء الوطني والسياسي الراقي، وهذا التمسك المذهل والمدهش بالقيم والالتزام الوطني. مما لا شك فيه أن مدرسة العميد إده ستبقى إحدى أهم المدارس الوطنية في لبنان للمستقبل. وعزاؤنا الوحيد برحيل هذا الرجل الكبير هو استمرار مدرسته في لبنان حتى إن أخصامه والذين لا يوافقونه الرأي أحبوا فيه تشبثه برأيه وتمسكه بالقيم والحق وحرية الإنسان، رحم الله العميد إده».

النائب محسن دلول

«إن خسارة الوطن بالعميد الراحل لا يعوضها إلا التمسك بالقيم والمبادئ التي حمل لواءها ودافع عنها طوال حياته».

النائب كميل زياده

«كان رجل دولة من الطراز النادر وسياسياً نظيف الكف، عنيداً في وطنيته ومشترعاً ترك بصماته على حياة لبنان في تاريخه الحديث وزعيماً لم يحد يوماً عن مبادئه».

النائب بطرس حرب

«إن الكلام عن ريمون إده يستوجب المقالات والمجلدات وقد لا تفيه حقه في ما كان يرمز إليه لأن العميد إده كان مثالاً في تعاطي السياسة بأخلاق وعلم ووطنية، وكان مدرسة لكل من أراد أن يمارس الحياة العامة بشرف وأخلاق، وكان قدوة في لباقة التصرّف بحيث لم يكن يرتدع عن قول الحقيقة التي يؤمن بها مهما كان ثمن ذلك غالياً، وهو في الوقت ذاته عنيد في مواقفه لا يلين أمام الصعاب ولا يرتدع أمام المخاطر.

وباختصار، يخسر لنبان اليوم أحد أهم رجالاته وأحد أنبل فرسانه السياسيين، رحمه الله وعوّض على عائلته وعلى حزب الكتلة الوطنية وعلى كل لبنان، سيادة وكرامة وتحقيقاً لحلم ريمون اده لأن تحويل حلم ريمون اده إلى حقيقة يعيد لبنان إلى ما يجب أن يكون عليه وإلى مرتبته الرفيعة في العالم».

النائب مروان حماده

«إن مشاركة رئيس الجبهة النائب وليد جنبلاط مع نواب الجبهة في استقبال جثمان العميد ريمون إده يعود إلى ما «ربط ريمون إده الراحل بشهيدنا الكبير كمال جنبلاط، وأيضاً لما كان يشدنا إليه من توق إلى الحرية والدفاع عنها في كل موقع وكل مكان».

النائب ابراهام دده يان

«إن الخسارة كبيرة لكن العميد ريمون إده سيبقى الغائب الحاضر في لبنان الوطن والشعب والقضية.

قليلون جداً هم الرجال الذين إذا غابوا، يبقى حضورهم حاضراً دائماً في القلب والوجدان والذاكرة، وليس العميد ريمون إده إلا أحد هؤلاء الرجال القلائل الذين فرضوا حضورهم يوم حياتهم وبعد مماتهم على جميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية في لبنان، وتعداه أحياناً إلى الجوار والعالم».

النائب إلياس حبيقة

«تفتقد الكتلة الوطنية، كما لبنان، عميدها الذي طالما تميَّز بمواقف طبعت حياته السياسية بطابع خاص، وهو كان رمزاً من رموز المدرسة السياسية اللبنانية منذ عهد الاستقلال حتى اليوم.

نتقدم بأحر التعازي من حزب الكتلة الوطنية وأهل الفقيد ولبنان سائلين الله أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يلهمكم الصبر والسلوان. ولكم من بعده طول البقاء».

النائب شوقي فاخوري

«إن الفارس سقط ولم يسقط سلاحه لأن ما قدَّمه لهذه الأرض من عطاءات مميزة وما زرعه من مواقف عنيدة، سيبقى موسوعة وطنية وتشريعية وأخلاقية».

النائب تمام سلام

«إن غياب الزعيم الوطني الكبير ريمون إده يشكّل خسارة وطنية لركن أساسي من أركان الديموقراطية في لبنان، وهو ناضل لسنوات طويلة إلى جانب العدالة والحرية وحقوق الإنسان، وناصر كل مظلوم واعتمد لغة الحوار والمصارحة للتعبير عن مواقفه وآرائه، وكان عنواناً للجرأة والرجولة في نصرة القضايا المحقة من اجتماعية وأهلية ووطنية».

النائب سايد عقل

«إن وفاة العميد إده هي خسارة كبيرة للبنان والخسارة الكبرى أنه لم يتمكَّن من الوصول إلى الحكم قبل الحرب، وإلَّا لكان وفَّر على لبنان الحروب والهموم التي يتخبَّط بها اليوم، خصوصاً وأن العميد كان يتميَّز برؤية سياسية ومواقف وطنية متصلّبة».

النائب موريس فاضل

«إنَّ العميد إده تمتَّع برؤية اقتصادية مستقبلية واعية، ولذلك اقترح القوانين التي تساهم في إنعاش الازدهار الوطني. ونحن نفقد برحيله برلمانياً قانونياً من الطراز النادر ومثالاً للنزاهة والورع».

النائب نسيب لحود

«برحيل العميد ريمون إدّه تهوي أرزة من أرزات لبنان الخالدة وتطوي صفحة ناصعة من تاريخ الوطن والكيان والنظام الديموقراطي، لردح من الزمن، كان هذا الرجل الكبير من أبرز وجوه الحياة البرلمانية في لبنان والرمز الدائم للدفاع عن الحرية والديموقراطية والمؤسسات الجمهورية ودولة القانون بأسمى معانيها.

وعندما استبدت ظلمة الحرب بلبنان، وعندما تفلتت الغرائز الطائفية والمذهبية والفئوية من عقالها، وعندما غدا لبنان ساحة للتناحر الإقليمي والدولي، يشهد لريمون إده، إنه بقي وحده مع نفر قليل ممن عاصره من السياسيين، الصوت المدوي للعقل والضمير الوطني المترفع فوق الولاءات الصغيرة الضيقة، والمتصدي لتدمير الدولة وتفكيك الشعب وتهميش الكيان الوطني.

العميد كان قدوة في النزاهة وتغليب المصلحة العامة، ورمزاً للاستقامة والشجاعة، ورائداً من رواد الوحدة الوطنية. نفتقده في الصعاب. كما يعز علينا رحيله عشية بدء رحلة التحرير وعودة الجنوب والبقاع الغربي إلى أحضان الوطن.

نتوجَّه إلى الشعب اللبناني عموماً وإلى الأصدقاء في حزب الكتلة الوطنية وأسرة العميد خصوصاً بأخلص التعازي، ويقيننا أن ريمون إده، وإن رحل، فإن المبادئ التي عمل في هديها طوال حياته باقية لأنها في أساس وجود لبنان ورسالة لبنان».

النائب بشارة مرهج

«خسرت الحياة السياسية اللبنانية ركناً أساسياً يصعب تكراره».

الفصل الثالث

المرجعيات الروحية

الإمام محمد مهدي شمس الدين

«خسر لبنان بفقده رجلاً من رجالاته السياسية الذي امتاز بنزاهته وثبات مواقفه في التمسك بلبنان في مواجهة الكيان الاسرائيلي والمشروع الصهيوني، حيث كانت رؤيته دائماً أن اسرائيل هي نقيض لبنان وعدوه، وفي نفس الوقت لقد حمل العميد ريمون إده مشروع لبنان الذي كان حاضراً عنده حيثما كان يقيم من خلال متابعته واهتمامه بقضايا لبنان».

العلاّمة السيد محمد حسين فضل الله

«إنه ريمون إده. يحترمه اللبنانيون. تحترمه سوريا. تحسب إسرائيل حسابه. كذلك أميركا. وقف من الدور السوري موقفاً متشدداً ولكن، يا أخي، بعبارات غير حاقدة. إنه يحب لبنان.

وريمون إده، يا أخي، إذا أصبح رئيساً، تحترمه القيادات ويحترمه ممثلو الدول العربية والأجنبية.

العميد لم يهاجر. لم يهرب. العميد حزبه غير مسلح. حزبه برلماني. الوضع كله كان يقول للعميد أن يكون في الخارج. لا. لا. لا يأتي الآن. لا يأتي إلى الغربية. يأتي إلى الشرقية. هو يعرف إلى أين وكيف ومتى. هو يعرف ماذا يريد اللبنانيون.

يوافق على أن اللبنانيين في وضع مائع كالماء في وعاء يحتاج إلى درجة حرارة

ليجمد. و«بحصة» التجميد هي العميد. يذكر أسماء نيابية وغير نيابية وعسكرية سابقة. ليست عنده كالعميد، من بعيد. يحبه ويفضله، ويكرر الأسباب، وفي طليعتها، يا أخي، إنه سياسي له مواقف معروفة. العميد لا يقول جملاً إنشائية، يقول موقفاً. لا كلمة بالناقص ولا كلمة بالزائد. وصريح. ليس عنده ما يخبئه.

اسألوا الناس، الصغار والكبار، يقولون العميد. أنا أؤمن بعفوية حب الشعب له وتفضيلهم إيَّاه. كل الشعب يتكلم عنه. كأن كل فرد يعرفه شخصياً. من حظ لبنان إذا تولى العميد «تظبيط» تركيبته. لا. لا. هذا النظام اللبناني الطائفي سيبقى على الأقل خمسين سنة. إن لبنان حاجة دولية، إذا ألغي النظام الطائفي لا يبقى لبنان «حاجة دولية». الكتائب أخطأت. الكتائب لا تعرف اللبنانيين. حكمت مع الرئيس الجميل وهجموا مع الجيش على بيروت والضاحية وهم لا يعرفون التفاصيل. أنا أقول في أحد كتبي يجب أن يكون عند من يتعاطى الشأن العام «حس اجتماعي»، الآن مطلوب من يكون عنده «حس سياسي». العميد عنده «حس سياسي».

أمين عام حزب الله الإمام حسن نصر الله

«حال الأجل المحتوم دوم مشاركته أبناء الشعب اللبناني في فرحة الانتصار على الاحتلال الصهيوني، وبالتالي فإننا نشعر أننا خسرنا سنداً وطنياً لخط المقاومة ونهجها في مواجهة المشروع الصهيوني وأخطاره في هذه المرحلة الحساسة والدقيقة، مما يزيد في الحزن والأسى حيال هذا الحدث الجلل».

الفصل الرابع

الوزراء والنواب السابقون

النائب السابق ألبير مخيبر

«ريمون اده أنهى وداعه للبنان أول من أمس باستفتاء شعبي أظهر وحدة الشعب في مختلف طوائفه وفئاته.

فالآلاف التي اجتمعت تلقائياً لحمله إلى مثواه الأخير ليرقد في تراب لبنان كانت تحمل في نفوسها وحدة اللبنانيين وخصوصاً وحدة الوطن السيد الحر المستقل.

ونتساءل: هل كان موته ضرورياً ولازماً ولا غنى عنه لينطلق هذا الاستفتاء بنجاح؟

وهل كان هذا الاستفتاء حامل بشرى الانعتاق من الظلمة والارتهان؟

هكذا تتفتح براثن الورود وتنطلق العجائب.

والعجائب اليوم هي نتيجة للمواقف البشرية وتضحياتها المحصنة بالفضائل والاخلاق. أولم يكن للعميد ريمون إده من الفضائل والتضحيات ما يقربه في أفكاره ومبادئه من النبوءات والمقدسات؟

لقد ربح حرب الصمود، فكان قدوة لهذا الشعب الذي أفاق عند موت العميد بل أقول استشهاده.

يا أبناء الشعب اللبناني الأصيل، دعوا المحبة والإخاء، وهما الرباط

العقلي والانساني الأقوى، يشدانكم بعضاً إلى بعض في وجه العواصف والأعاصير، لكي يبقى لكم ولنا وطناً يرسو على الحريات كاملة وعلى الاستقلال والسيادة.

إن أعجوبة استفتاء ريمون اده لشعب لبنان وتوحيد الوطن يؤمنان للبنان إنهاء كل الاحتلالات الجاثمة على أرضه.

ولدتكم أمكم أحراراً فاستمروا أحراراً».

الوزير السابق فؤاد بطرس

«العميد ريمون إده شخصية سياسية بارزة، طبعت الحياة السياسية في لبنان على مدى عقود عدة. عُرف عنه تعلقه بالديموقراطية والحريات سواء كان في الحكم أو المعارضة.

تميز بالشجاعة والوطنية والاستقامة خلقياً وفكرياً، تعلق بالوطن لبنان وبمصالحه العليا وبنظرته إلى المدى المتوسط والبعيد، وتشبثه باستقلال لبنان ووحدة كيانه.

قد لا يتفق سياسيون آخرون معه في بعض نقاط وتفاصيل الأمور الفرعية، لكن لا بد وأن يحترم رأيه، ناهيك عن أنه كان يمارس العمل السياسي على مستوى، ويحافظ على شعبيته في الوقت ذاته.

وما من شك أن وفاته خسارة للبنان ولجميع طوائفه وتياراته، وخسارة للحياة الديموقراطية التي ناضل في سبيلها.

رحمه الله».

الوزير السابق ادمون رزق

«خلال ربع قرن من الغربة، بقي ريمون إده الرجل الأكثر حضوراً في لبنان.

الذين عاصروه وعرفوه قدروه، والذين خاصموه احترموه، والجيل الذي ولد في غيابه أحبه من بعيد، رأى فيه مثالاً مفقوداً لرجل الدولة. القطب الوطني، والزعيم الشعبي، والرمز الديموقراطي المتمسك بالحرية حتى الرمق الأخير، الجاهر بالحقيقة حتى الشهادة، والنموذج الوهاج لنظافة الكف وطهارة الوجدان.

في الأيام الصعبة، وعند فقدان المرجعيات، كان مجرّد التفكير بأن ريمون إده موجود، ولو بعيداً، كافياً لملء الفراغ، وعامل اطمئنان وبارقة رجاء بقيامة لبنان الحقيقي والأصيل.

من المؤسف أن يرحل اليوم، ولبنان بأمسّ الحاجة إلى مثاله النادر، وبالرغم من شعورنا بأنه مستمر في موروثنا الوطني والإنساني، فكراً وعاطفة، فإن حزننا كبير.

لقد لقيته للمرة الأخيرة في باريس، مساء الخامس عشر من آذار الماضي، يوم عيد ميلاده السابع والثمانين، وهو على عادته وقّاد الذهن، وضّاح المحيّا، سريع الخاطر، عفوي العناد، محبب الصلابة، وكان معنا دوري شمعون والياس الفرزلي، ثم انضم إلينا نديم الدكاش، فشعرت بحنينه الكبير إلى لبنان، وشوقه إلى أرضه وسمائه وجماهير شعبه، وعذابه في البعد الذي اختاره قسراً في معادلة صوفية قلما استطاع أهل السياسة ممارستها.

وأذكر أنه، فيما كنا نتداول حديث الأحوال عندنا، ونروي بعض الحوادث وننوه بانتفاضات الشباب اللبناني، وببوادر المشاركة العامة التي تتجاوز كل تصنيف، طائفي أو مناطقي أو حزبي في استعادة الذات اللبنانية والتمسّك بالقيم، قال لي بالفرنسية: (il ya de quoi avoir les larmes aux yeux). «إن ذلك ليملأ المآقي دموعاً»، واغرورقت عيناه!.

أيها الرجل اللبناني العظيم، الشهم الطيب، الأخ الأكبر الحبيب، إن دموع اللبنانيين عليك تجري اليوم أنهاراً، وكلنا حرقة ولهفة في انتظار أن نرفعك على

الأكف، ونحملك على الأعناق في عودة إلى ثرى الوطن الخالد حيث، تظل ينبوع محبة وعنوان ومجد.

* «في يوم رحيله أنا حزين حتى الصمت».

الوزير السابق مخايل الضاهر

«ما أجمع اللبنانيون على أمر كما أجمعوا على احترامك ومحبتك وتقدير خصالك النبيلة ومواقفك الوطنية المشرفة.

وكان يمكن لبعضهم أن يختلف معك في الشكل، في الاسلوب، ولكن ما كان يمكن لأحد أن يختلف معك في الجوهر، فجوهرك هو جوهر لبنان المتألق المتميز بخصائصه الحضارية الراقية، وجوهر المواطن اللبناني النقي الصافي التواق إلى أن يعيش في وطن واحد موحد يحترم حقوق الإنسان في السيادة والاستقلال والكرامة والحرية والديمقراطية والعدالة والقانون.

حلمتَ دائماً بأن ترى وطنك رائداً في دنيا العرب وفي العالم أجمع، يكون أنموذجاً فذاً للتعايش بين مختلف الطوائف والمذاهب، مقتبساً من الأديان كافة أسمى معاني الآيات السماوية في التآخي والتسامح والمحبة حيث لا بد في رحابها من التلاقي والانصهار.

نبذتَ العنف بكل أشكاله وكنتَ قوياً بإيمانك بدولة القانون والمؤسسات ترعى جميع أبنائها، بدون تمييز أو تفضيل، وتحفظ حقوقهم المشروعة في الحياة بكرامة ورفعة.

هذه بعض أحلامك الكثر، يا عميد، فقد تبقى بعد رحيلك ينبوعاً لا ينضب تتدفق منه دائماً الدروس والعبر في الأخلاق الشخصية والسياسية وفي عمق الإحساس بالمسؤولية الوطنية التي كرست لها كل عمرك».

النائب السابق ميشال إده

«إن موت العميد فاجعة وهو المعروف بصلابته من أجل لبنان، وتعلقه بالديمقراطية والقانون، حتى ولو كلفه ذلك عداوات، ودفاعه عن الحريات والاستقلال والسيادة.

كنا بحاجة إليه لتعزيز الجبهة الداخلية، وخصوصاً أنه لم يساوم ولم يتنازل مرة عن مواقفه. إنه مثال وقدوة لكل اللبنانيين، ومبدياً أسفه لأنه لم يعش ليشهد التحرير».

النائب السابق الدكتور عبد المجيد الرافعي

«تبلغنا بمزيد من الأسف والأسى نبأ وفاة العميد ريمون إده الذي خسر لبنان بوفاته ركناً أساسياً من بناة الوطن ومدماكاً لن يعوض في حياتنا السياسية كونه كان من حماة الديموقراطية بكل أبعادها. إننا نتقدم منكم بأحر التعازي القلبية طالبين من المولى أن يسكنه جنانه».

النائب السابق حسن الرفاعي

«يا عميد الشرفاء، كما أن للأديان أنبياءها، كذلك فإن للأوطان رُسُلها. كنت رسول لبنان طوال ربع قرن. إن موت جسدك كموت حبة السيد المسيح. نم قرير العين، فإن إرثك كان وسيبقى عامل افتخار لتاريخ وطنك».

النائب السابق حبيب صادق

«إن العميد إده لم يكن غائباً عن الوطن، في أمسه، ليعود إليه في يومه، بل كان دائم الحضور في نبض الوطن وفي ضوء عينه، فعلى مساحة الخمسين سنة الأخيرة من عمر لبنان لم يغب ريمون إده عن موقع واحد من مواقع المواجهة انتصاراً للحرية والديمقراطية والعفة في ممارسة الحكم والترفع في العمل السياسي...».

النائب السابق عبد الله الغطيمي

«برحيل العميد ريمون إده يكون آخر العمالقة من اللبنانيين الشرفاء قد رحل. أسفي كبير عليه لأن الدهر لم يمهله حتى يرى وطنه قد تحرر من الاحتلال الإسرائيلي وهو قريب... فيعود من منفاه الاختياري وقد تحققت أمنيته.

ليس في لبنان عميد يتحلَّى بكل مزايا العميد ريمون إده الوطنية الفاضلة. لذلك نقترح إقامة تمثال لهذا العظيم الراحل المجيد يشرف على مناطق لبنانية عديدة تقديراً لمزاياه وتكريماً وتخليداً، ودفعاً للقادة، إذا أرادوا الخلود، أن يتزيَّنوا بمثلها كي يستقيم لبنان ويسود».

الفصل الخامس

السفراء والحزبيون والنقابيون والفاعليات

السفير الفرنسي فيليب لوكورتييه

«إن فرنسا التي اختارها كبلد ثان خسرت اليوم صديقاً عزيزاً بوصفه رجل دولة عُرف بإخلاصه وتفانيه المستمر وروحه الاستقلالية، كان ريمون إده شخصية محترمة من الجميع. باسم السفارة الفرنسية وجميع الفرنسيين في لبنان أتقدم منكم بالتعازي العميقة وأرجو منكم أن تقبلوا فائق تقديري واحترامي».

السفير الأميركي ديفيد ساترفيلد

«مع تعاطفنا واحترامنا لذكرى ما تعنيه المبادئ الثابتة».

حزب الأحرار

«تأثرنا لغياب آخر الكبار وضمير لبنان بالمعنى الحقيقي الصديق الصدوق العميد ريمون إده. وتاريخنا السياسي نحن وأياه يشهد لمواقف متطابقة تجاه لبنان إن بالنسبة للديموقراطية أو الحريات أو السيادة والاستقلال. وننحني أمام غياب هذه الشخصية الوطنية الكبيرة».

التيار الوطني الحر

«ونحن نودّع عميد حزب الكتلة الوطنية ريمون إده مشاطرين أحرار لبنان مشاعر الألم والأسى لفقدان مَن التصق اسمه بلبنان والضمير، لا يسعنا إلّا أن

نعبّر عن ذهولنا وشديد سخطنا لما نشهد من تعمّد لتقزيم الراحل الكبير وتحجيم لنضال عمره.

ليس صحيحاً إن العميد قد اختار النفي، لقد فرض عليه قسراً كما فرض على قادة وطنيين آخرين، وها هم اليوم وفي خضم تفجعهم الكاذب ومناحتهم المفتعلة يغتالون ذكراه بعدما فشلوا في اغتياله وهو حي.

وليس صحيحاً أن جهاد عمره كان فقط لإخراج الإسرائيليين. جريمة بحق الرجل والحقيقة والتاريخ ولبنان ألا يقال إن آخر ما لفظه كان «لا تخافوا سأشهد الانسحاب الإسرائيلي والسوري وأعود إلى لبنان».

عاد العميد من منفاه وقد غيّبه الموت من دون أن يرى لبنان وقد تحرر من الإسرائيليين والسوريين. يبقى أن يواصل الوطنيون الرسالة ليستعيد لبنان كامل سيادته وحريَّته فيعود من غربته إلى ذاته وإلى العميد».

المجلس السياسي في «القوات اللبنانية» المنحلّة

«يفقد لبنان بغياب العميد ريمون إده وطنياً مخلصاً وبرلمانياً عريقاً ومدافعاً صلباً عن حرية لبنان وسيادته، ظل حنينه للعودة مرتبطاً بزوال الاحتلالات الغريبة فوافقته المنية بعيداً عن الأرض التي أحب».

رئيس الاتحاد العمالي العام إلياس أبو رزق

«هل هو الضمير يموت؟ هل هي الديمقراطية تخبو؟ هل هي الحرية تتعرض لتجربة مرة؟ هل هو القانون ينعكس؟

إن خسارتنا، كلبنانيين، كرجال ديمقراطية وحرية وأبناء قانون، بالعميد ريمون إده، كبيرة جداً، وقد تكون جزءاً من كل هذا، لكننا في غمرة الأسى العميق على فقده نتعزَّى بأن هذه المبادئ التي طالما ناضل من أجلها وعزز مداميكها تجد مدافعين عنيدين لها في كل لبنان.

إننا نعزي اللبنانيين بفقده، ونعتبر خسارته خسارة لكل الشرفاء ولكل أبناء الأيادي النظيفة ولكل المؤمنين بالحرية والديمقراطية والوطنية الصافية».

رئيس اتحاد بلديات قضاء جبيل جان لوي قرداحي

«سكت القلب الكبير، وأود أن أؤكد لكم أن العميد ريمون إده الصدق والضمير والوطنية لم يسكت. فبكل أسف أتقدم شخصياً من حضرتكم ومن حزب الكتلة الوطنية الكريم بأصدق التعازي راجين الله أن تستمر الكتلة الوطنية على خطاه نبراساً للضمير الوطني».

رئيس التجمع من أجل لبنان في فرنسا سيمون أبي رميا

«مع غياب العميد ريمون إده تنطوي صفحة مجيدة من تاريخ لبنان الحديث. عرفه اللبنانيون صاحب كلمة الحق ومثال النزاهة الصافية والوطنية المتفانية، وسميّ عن حق «ضمير لبنان». غادرنا قبل أن تتحقق أحلامه الوطنية بزوال الاحتلالات واسترداد لبنان سيادته واستقلاله وحرية قراره كي ينعم بديموقراطية سليمة ظلَّ العميد يناضل من أجلها».

رئيس الرابطة المارونية بيار حلو

«عاشرت ريمون إده منذ سنة ١٩٥١، ومنذ ذلك الحين عرفت عنه أنه وفيّ لصداقاته، صامد بمواقفه، رافض للعنف بأشكاله كافة، وقد عبر عن موقفه هذا في أزمة ١٩٥٢، وفيما بعد مع بداية الحرب اللبنانية ١٩٧٥.

كان شريفاً بمواقفه، عرفناه في مجلس النواب مثال النائب المقدام الذي تقدم بجملة مشاريع قوانين كان منها قانون السرية المصرفية».

رئيس جمعية الصناعيين جاك صرّاف

«خسر لبنان بغياب العميد ريمون إده وجهاً وطنياً صرفاً ولبنانياً عنيداً وبرلمانياً ترك بصماته في التشريع اللبناني عبر قوانين وطدت دعائم الاقتصاد ولا تزال».

رئيس المؤتمر الدائم للحوار سمير فرنجية

«ريمون إده رجل وطني يجب إعطاؤه حقه كشخص عبَّر بصدق عن الوطنية اللبنانية من خلال ربطه لأركانها الثلاثة:

الركن الأول، التمسك بالوحدة الداخلية ورفض الاقتتال الداخلي.

الركن الثاني، رفض التعاون مع إسرائيل ودعم المقاومة.

الركن الثالث، التأكيد على ضرورة قيام علاقة جيدة مع سوريا والتأكيد في الوقت عينه، على أن مثل هذه العلاقة لا تقوم، إذا كان أحد طرفيها يشكو من نقص في سيادته وحقه المطلق في إدارة شؤونه بحرية.

الوطنية كما فهمها ريمون إده تتطلب الربط بين هذه الأبعاد الثلاثة، ولا يمكن للوطنية اللبنانية أن تكتمل إذا تم تجاهل مكوِّن من مكوناتها.

هذه هي رسالة ريمون إده، وعلى اللبنانيين أن يستمروا في الطريق التي رسمها والتي ضحَّى في سبيلها خلال ربع قرن في المنفى».

نقيب المحامين السابق شكيب قرطباوي

«يوم رأيتك للمرة لأولى وجهاً لوجه، كنت بصحبة رفيق الشباب المرحوم روجيه سلهب، فوجدناك واقفاً في مكتبك في بيت الحزب وأمامك خريطة لبنان تضع عليها حدود ما سمي في ما بعد «فتح لاند» وكنت تحذر من أخطار ما يجري على مستقبل لبنان في حين كان البعض يهلل له، وصدقت رؤياك! حلمنا معك بوطن حر سيد مستقل خال من أي وجود غير لبناني! حلمنا معك بدولة قوية تحتضن مواطنيها ولا تحملهم على الهجرة إلى أراضي الله الواسعة (. . .) حلمنا معك بطبقة سياسية عنوانها الجرأة ونظافة الكف (. . .) بإدارة نظيفة تخدم المواطن بدلاً من أن تبتزه، فهل ذهبت أحلامنا معك؟ الخيار لنا نحن اللبنانيين».

رئيس اتحاد غرف التجارة والصناعة في لبنان عدنان القصّار

«لقد فقد لبنان اليوم رمزاً كبيراً من رموزه البارزة ورجلاً من رجالاته السياسيين الذين أعطوا وبذلوا الكثير الكثير في سبيل الديمقراطية والدفاع عن الحريات والقيم الحضارية والإنسانية، وعملوا بكل تفان ونزاهة ووطنية في سبيل تطوير الحياة السياسية العامة في بلدنا. وسيسجل التاريخ للعميد وقفاته الوطنية وتضحياته الكبيرة في سبيل لبنان وشعب لبنان، وثبات مواقفه الوطنية في الدفاع عن بلده في مواجهة الخطر الصهيوني.

لقد كان الراحل الكبير دوماً «ضمير لبنان». آمن بوطنه وبتركيبته الفريدة وعمل على إرسائها والحفاظ عليها».

الشاعر سعيد عقل

«أيّها الوَحيد المُسلطِن في كُلِّ سراياتنا، مُؤَجَّلَةٌ كلِمتُنا فيك إلى يوم نَستقبِلك وقد عُدْتَ حقاً، مِن باريس، عظيماً إلى وطَنٍ عظيم».

الشاعر جورج شكور

ولو في القبر جبار

لبنانُ غصَّ أسى والصحبُ والدارُ	قُمْ حَيِّ صَحْبَكَ، ملءُ الدارِ زُوَّارُ
قُم، يا عميدُ تَقُمْ دنيا لمبتهج	من وَهجِ بَسمَتِهِ وَردٌ وأقمارُ
مَنْ لم تَسَعْهُ رِحابُ الأرضِ شاسعةً	هيهاتَ تَحبسُه في الأرضِ أشبارُ
وربَّ قَبرٍ زها بالنازليه كما	قصر، ورُبَّةِ قَصرٍ فيهِ أحجارُ!
أنتَ، السياسةُ قد شرَّفتَ مَجلسَها	وفي الوزارةِ لم تَمْسَسْكَ أوزارُ
ويومَ زارَكَ «دين براون» يعرضُها	والناسُ صوبَكَ أسماعٌ وأبصارُ
قلتَ: الرئاسةُ لا تُغري، وأرفضُها	مرهونةً، لأنا حُرٌّ وأختارُ
عميدَ لبنانَ كَمْ قد رُحتَ تُعَمِّدُهُ	بصائبِ الرأيِ، والأركانُ تنهارُ...

وظلَّ رأيُكَ صِنْوَ السيفِ مُنْشَهِراً إن مسَّ لبنانَ قولَ الحُرِّ بتّارُ
الموتُ حقٌّ، وعدلٌ لا جدالَ بهِ لكنَّ موتَكَ في المَنفَى لَقَهّارُ
للغائِصينَ ببحرِ الذُّلِّ توبتُهم والمُبعَدون وراءَ البحار أحرارُ
لكن حَذارِ، حَذارِ البحرَ إن عَصَفَتْ هوجُ الرياحِ، وإمّا جَنَّ تيّارُ
لَتشهدَنَّ منَ الأهوالِ مَلحَمَةً الريحُ تَعصفُ، والأمواجُ تَزآرُ
ويسقطُ البطلُ، تعلُو رايةٌ خَفقَتْ لِلحَقِّ إن حُماةَ الحقِّ ثُوّارُ
ضميرُ لبنانَ باقٍ ما نَطَقتَ به وفوقَ قبرِكَ خُطَّتْ أحرُفٌ نارُ:
الشعبُ قال، وقولُ الشعبِ إصرارٌ إن العميد، ولو في القبرِ، جَبّارُ
كلُّ الأكاليلِ بعدَ الموتِ مِن زَهَر وأنتَ وحدَكَ يحلُو لي بكَ الغارُ

الأمير حسن بن طلال

«تلقينا ببالغ الحزن والأسى نبأ وفاة فقيد الحركة الوطنية اللبنانية المرحوم العميد ريمون إده رئيس حزب الكتلة الوطنية اللبنانية، وأحد أبرز البرلمانيين في لبنان الشقيق وعالمنا العربي. وإذ نعزيكم وأنفسنا برحيل المغفور له، نتذكَّر مواقفه الوطنية الشريفة والشجاعة ونضاله من أجل الحرية والديموقراطية بكل تقدير واعتزاز. نسأل الله القدير أن يتغمَّد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنانه ويلهمكم الصبر والسلوان. إنا لله وإنا إليه راجعون».

صلاح حنين

«غاب العميد ريمون إده وبغيابه فَقَدَ لبنان أحد رجالاته الكبار، الذين أمضوا حياتهم لخدمة الوطن واستنهاض مجتمعه إلى حالة أفضل. إنما غياب العميد ليس إلَّا غياباً عن البصر، إذ إنه باق في وجدان مواطنيه كالمُدافع الأمثل عن حقوقهم وحرياتهم.

يعود العميد ريمون إده إلى وطنه الذي أحب ليضيف عطراً زكياً، لتراب لبنان فتبقى الروح حية في أرضه وسمائه، وفي قلوب محبيه، وما أكثرهم...».

ريمون جباره

«كان في ودِّي أن أعمل لك مهرجان وداع كآخر العنفوانيين في هذا البلد الذي صار اسمه «وطن» بعد «الطائف»، فلا أتكل على وليد بك ـ وهو مشكور ـ ليحشد محبيه ومحبيك، ولا على بقايا المواطنين الأحرار الذين حضروا مهرجان وداعك، وكل اللبنانيين وإن لم يحضروا كانوا معك في قلوبهم وضمائرهم، ولكنهم تمنوا لو استقبلوك نازلاً سلَّم الطائرة لا محمولا. لكنك أصررت، وما غيَّرت ولا تلونت في زمن التلون الحربائي، على أن تبقى على اقتناعاتك، ولو محمولاً!

«تخَّنتها يا عميد»، في حياتك وفي مماتك. ففي حياتك أربكتني أكثر: كل مطاليبك كانت تقلق غيري، وغيري يقلقني لأسباب لا يجهلها قيصر. طالبت بالسيادة اللبنانية على الأرض اللبنانية، ألم يكن في إمكانك أن تطالب بالسيادة اللبنانية على الأراضي الفرنسية فتريح الجميع ولا تزعج فرنسا ولا حتى سويسرا. وأنا معك ولو بكثير من الحياء لأن درهم وقاية خير من قنطار علاج. وطالبت بالديمقراطية لوطن قاصصه الله فرماه في مستنقع بلدان تعتبر الديمقراطية جرثومة وآفة شعوبية، وتكلمت ـ عن عنفوان الرجال ـ والوطن صار بلا عنفوان ولا رجال».

الأمين العام السابق لحزب الكتلة الوطنية جان حوّاط

«بغياب عميد حزب الكتلة الوطنية ريمون اده، رفيق الدرب والنضال ينقص حجم الوطن.

إن غياب العميد إده خسارة وطنية كبرى ليس لنا فقط بل لجميع اللبنانيين، وإن الأجيال ستنتظر طويلاً بعد سقوط آخر الرجالات الكبار وأول الاعلام في الوطنية والديمقراطية»

المحامي فادي روحانا صقر

كلمة حق لا بدّ أن نقولها بصديق رحل، بقائد غاب. ومهما قلنا يبقى قليل، ومهما كتبنا عن مزاياه ومواقفه لن نفيَهُ حقّه...

جسّد الوطنية. آمن بالحريات ودافع عنها، كان ديموقراطياً علمانياً، نبذ الطائفية وتخطاها، وأبى أن يشترك بالاقتتال. تميّز بالآدميّة وبنظافة الكفّ، لم يرشُ ولم يرتش، لم يتلوّث بالدم، لم يرتكب عاراً ولم يتقبّل الخيانة. عادلاً كان، آمن بالقانون وشرّع له والتزم به وأبى مخالفته. وكان أكثر من ذلك...

وفي كلّ ذلك كان مبدئياً، صلباً، لا يقبل المساومة، لا يناور ولا يهادن... مهما كان الثمن ولو باهظاً....

لم يكن يغويه عز ولا مركز ولا سلطة. وكم من مرة عرضت عليه المناصب، وأعلاها. وفي كل مرة رفضها وفضّل قناعاته ومبادئه عليها.

وفي كلّ محطة ومفصل من تاريخ الوطن كان له موقف وكان المرجع.

هكذا جسّد «ضمير لبنان»...

روجيه إده

«غادرنا العميد عشية الفصل الأخير وربما الأبشع في حرب لبنان المصيرية. غادرنا ليتابع من علياء سماء لبنان نضال حرية وكيان الوطن الذي نذر له حياته حتى الرمق الأخير. غادرنا، كما في كل مرة، ليبقى بيننا يكافح من أجلنا من أجل كرامتنا وحرياتنا وأحلامنا الحضارية ونوعية حياة أفضل رجل، رجل من المعدن الذي لا يذوب ولا يلين ولا ينكسر، رجل من أولئك الذين يبقون أحياء في عالم أحياؤه أموات».

ناظم الخوري

«لقد غاب العميد ريمون إده في وقت يحتاج فيه الوطن إلى رجال من أمثاله. فقد عرفه لبنان علماً من أعلام الديموقراطية البرلمانية وعرفناه في جبيل منافساً انتخابياً شريفاً وخصماً سياسياً رائداً».

الفصل السادس

الإعلاميّـون

*** صباح الحرّية يا عميد**

في أوائل السبعينات جاءني صديقي ياسر عرفات زائراً في بيتنا بالأوزاعي وقال: «سأطلب منك القيام بمهمة مهمة وحساسة وسرية للغاية وعشمي أن تساعدينا كالعادة. نحن قررنا ترشيح العميد ريمون إده كرئيس مقبل للجمهورية اللبنانية».

لم أدعه ينهي كلامه فقاطعته مستفسرة:

ـ «وهل أقر قانون تجنيس الفلسطينيين المقيمين عندنا وأصبحت بموجبه لبنانياً يحق لك إبداء الرأي في الرئيس المقبل للبنان؟»

انزعج أبو عمَّار من عدم فهمي أو بالأحرى من عدم تفهّمي فأجابني:

ـ «لا أبداً، ولكن نحن كقوة فاعلة موجودة في هذا البلد...».

فقاطعته ثانية:

ـ «يا أبو عمَّار، هل نسيت أنت تكلم مَنْ وابنة مَنْ وفي بيت من؟ هذا بيت رياض الصلح. إنه بيت العروبة حقاً. يساعدك حين تحتاجه وتساعده حين يحتاجك، لكن دون مساومات ثم منّة ثم تنازلات ثم وصايات، عباءة الوصاية هذه التي تريد أن تضعها على كتف رئيسنا المقبل، إني لأراها وقد بدت مزركشة بالتغرير مبطنة بالتهديد...».

- «أنتِ صديقتنا وتتكلمين هكذا! فماذا تركت للأعداء؟».

- «أنا صديقتكم لتعودوا إلى دياركم، لا لتتحكموا في ديرتي وتختاروا رئيس جمهوريتي».

- «انقلي الرسالة. ماذا تخسرين؟».

- «أخسر احترام نفسي واحترام العميد لي. ثم هل نسيت يا أبو عمَّار أن العميد كان ضد اتفاق القاهرة وضد وجودكم المسلح في بلادنا وضد تدخلكم في أمورنا؟ ألا ترى في هذا كله جواباً كافياً على عروضك؟».

- «بل لأجل هذا كله اخترناه. نحن نريد أن نتفاهم مع رجل صادق صدوق يمثل وجهة نظر موجودة وراسخة في هذا البلد، ولكن للعميد الجرأة الكافية ليعبر عنها، بينما غالبية الزعماء من المسترئسين يعدوننا في وضح النهار ويدعون علينا حين يسدل الليل».

وكان يعرف أبو عمَّار جيداً عمَّا وعمن يتكلم. لأنه في ذلك الزمن كان المسترئس والمستوزر والمستنوب والمستوجه يقف على باب عرفات في شارع الفاكهاني. هم هم وأمثالهم ومن ورثهم ما غيرهم الذين يقيسون طريق الشام في هذه الأيام. ذاهبون خاضعون آيبون متفرعنون متغطرسون.

إلَّا العميد لم يعرف لا هذه ولا ذاك. وحين دعوته لزيارتي لأنقل له ما حدث، لا لأتوسط، قاطعني بشراسة وجلافة لم أعهدهما فيه من قبل:

- «ألا تستحين يا ابنة رياض! كيف تسمحين لنفسك سماع مثل هذا الكلام، ثم تسمحين لنفسك بنقله إلي وكأنك موافقة عليه؟ أنت ابنة رياض الصلح القائل «نحن نريد لبنان سيداً عزيزاً حراً مستقلاً»، وقدّم سيدا عزيزاً على حراً مستقلاً. وختم العميد قوله برسالة شفهية إلى عرفات:

- «قولي لصديقك عرفات إن العميد لا يقبل منصباً مهما سما أو علا إن

كان ثمنه ولو شعيرات بسيطة تحسم من حرية لبنان. ولو لم يلحظ أحد هذا النقص فأنا سأعرفه وأنتحر. كيف يكون المرء حراً وبلده منقوص الحرية؟ كيف يكون الإنسان سيد بيته وسيادة بلاده مرهونة ومهما كانت الأسباب، أو المبررات أو النكبات؟».

ـ «أطمئن يا عميد لقد وصلته إجابتك هذه بحرفيتها قبل أن تتفوه بها أنت. أعطيته إياها بالأمس أصالة عني ونيابة عنك.

هكذا كان العميد نقي الأحلام، وقد عوّدنا أهل السياسة التواء المقاصد. كان لكل سياسي برنامج حكم وكان للعميد برنامج وطن. والوطن الذي أراده وسعى إليه حتى الموت قهراً وفقراً ومرضاً، هو لبنان الذي سيسترد أرضه السليبة في الجنوب وإرادته المسلوبة في الشمال وأنفاسه المكتومة في كل مكان.

يا أهل الوطن، يا سامعين الصوت، يا أبناء لبنان والحاضر يعلم الغائب إن العميد الضمير قد عاد.

إنه ليس في حاجة إلى دموعكم، لقد بكى كثيراً عنكم وعليكم في ظلام الغربة وظلمها، ونسي أن يبكي على نفسه كي لا يضعف ويستمر في جهاده من أجلكم.

افتحوا النوافذ والأفواه. أخرجوا عن صمتكم، أمطروه حباً وأنساً وقد مات ساكن القصور مدلَّل الناس في وحشة الغربة، وحيد الدار في مسكن لا يسمى داراً، غرفة متواضعة لا يصلها المصعد ولا تصلها محبتكم.

عوّضوه بقولكم:

صباح التحرير يا عميد وقد بدأ.

صباح الحرية يا عميد وسنبدأها معك غداً.

علياء رياض الصلح

ضمير لبنان... مع الحرية والحق لا يموت

هل انفجر دماغه من القلق؟

أم هو الغضب؟ أم القهر؟

أم هي الثورة المكبوتة؟

قلبه الكبير ـ القلب الأكبر بيننا، نحن رفاقه ـ ظلَّ صامداً، ينبض حتى ما بعد غياب وعي العقل. . . ربما لأن العقل والقلب عند العظماء واحد.

هكذا كان «العميد» يريد. . . أم تراه ريمون إده الذي كان يفكّر هكذا، ويحب هكذا، ويكره هكذا، ويجازف هكذا، ويصادق، خصوصاً يصادق ـ ولمدى الحياة ـ وبالكاد يخاصم، ولو عارض. . .

أمَّا «العميد»، فـ. . . . عنيد!

لا محل عنده للقلب، أو بالأحرى لا محل في قلبه إلَّا للبنان. يحب الذين يحبّون لبنان، ويسقط من دنياه الذين ينحرفون ولو قيد أنملة.

ذاك كان الرجل، الإنسان الكبير الكبير.

ومن صفات الرجل، كان تصرّف السياسي الزعيم. لم تشبه سياسة صاحبها كما كانت سياسة ريمون إده، ونهجه وتصرفاته تشبه طبائعه. توجز بكلمة: طبائع الأحرار، يتعبّدون الحرية في كلّيتها، من حرية الإنسان ـ كل إنسان، لكي يستحق إنسانيته ـ إلى حرية المجتمع وصولاً إلى حرية الوطن لبنان، فحريات الأمم كلها، فالحرية في حد ذاتها.

ومن هنا ترداده لنا، كلما ألححنا عليه بالرجوع، أنه لا يشعر نفسه مهاجراً ـ ولا بالطبع مهجّراً ـ من وطن هجرته الحرية، أو هو هجّرها، أو ثمة مَن استحلها وهو يحتل الأرض والشعب، فضج الأحرار وذهبوا إلى. . .

إلى أين؟. . . إلى المهجر. . . وبعض الرفقاء إلى الاستشهاد.

لا، لا... كان يقول العميد إن أجدادنا هاجروا جوعاً، أمَّا هو فذهب يقتطع لنفسه لبنان حراً في فسحات العالم الحرة، حيث للإنسان كرامة الرأي الحر، والكلمة الحرة... الكلمة، الكلمة، الكلمة!...

آه من الكلمة الحرة، نكاد نقول إنها وحدها مَنْ نستطيب استعباده لعقولنا والقلوب.

في الغرفة الصغيرة، في الفندق المتواضع الذي ألحَّ العميد على رفع علم لبنان على بابه، كان يزدحم لبنان...

ليس بالزوار فقط، لا.

بل بكل الأشياء التي تجعل لبنان حقيقة موضوعية واقعية مرئية إلى حد الملموس. الصور العتاق على الجدران كما على الطاولة، و«البراد»، وبين الكتب وعلى الرفوف. والصحف... وقصاصات الصحف!... والخرائط، والبيانات، وكل التذكارات والذكريات.

وناس المستقبل المتعطش إلى الصفاء.

تروح الناس وتجيء، من كل الأجيال والمشارب... بمن فيهم المصطادون في مياه ريمون الصافية، ولا يعكّرون لأنها لا تتعكر، مياه الحرية، لا تتعكّر!

اليوم أو غداً يعود ريمون إده؟

لا... هو موجود. لم يغادر لبنان. كان مع لبنان هنا، ولو لم يكن على أرضه... لا رصاص الاغتيال ولا القنابل الحارقة للوطن كانت تخيفه.

الذين غيّبوا ريمون عن أرضه كانوا يريدون إلَّا تكون للبنان الرئاسة التي تنقذه وديمقراطيته وسيادته من حروبهم ومعاصيها والمآسي... فحمل العميد الرئيس جمهوريته وذهب، مطمئناً إلى أنها جمهوريته حتى لو لم يعد معها.

خلال نصف قرن كان اللبنانيون يسمّون ريمون إده «ضمير لبنان». لا يهاود. ولا هو مرة رضي المساومة حين كانوا يزيّنونها له!

نم مرتاحاً يا عميد. أظنك، نعم، مرتاحاً أبداً. . . وعلى شفتيك البسمة إيَّاها، هنيئة وساخرة في آن معاً.

نم مرتاحاً. ضمير لبنان هنا يحتضنك وهو يلفّك بأرضه، الأرض التي حملت حباتها في قلبك حيث ذهبت.

ضمير لبنان اليوم، كل لبنان، يقسم إنه معك، يظل يستلهمك، نبراساً ومقياساً، يفزع إليك المؤمنون الأحرار رئيساً لهم، تردع قوى الشر ميتاً بمثالك قدر ما هزّأتها حياً، وأكثر.

فسبحان الضمير، إنه حي باق ينتصر للحق، والحرية ولبنان.

غسان تويني

رحيل رجل - رمز : ريمون إده !

لا تعرف أكثرية اللبنانيين ريمون إده بشخصه، فهناك جيلان على الأقل لم يتعرفوا إليه مباشرة، ولا هم استمعوا إلى صوته، ثم إنهم بالكاد لمحوا صورة له خلال ربع قرن من الغياب.

لكن «العميد» عاش في ضمير اللبنانيين جميعاً، بمن في ذلك من يخالفه الرأي ويختلف معه في هذا أو ذاك من مواقفه السياسية...ولعله أكثر السياسيين اختراقاً للطبقات والفئات العمرية والطوائف والمذاهب والأحزاب على تنوعها واختلاف «ايديولوجياتها»!.

وظل نظيف الكف، نزيهاً في التعبير عن مواقفه، يقول ما هو مقتنع به وإن لم يعجب الآخرين، ولذا كانوا يقبلون على محاورته لاطمئنانهم إلى أن لا غرض

له ولا مصلحة، وإنما هي قناعاته التي يستحيل تغييرها لأنه كان «عنيداً» بقدر ما كان «عميداً» ثابتاً لحزبه وأكثر.

وليس مبالغة أن يقال إن ريمون إده عاش نجماً طوال حياته، هنا في بيروت كما في منفاه الاختياري بباريس، وظل حتى يومه الأخير أعظم حضوراً من بين أصحاب الالقاب والمناصب وورثة الجاه والمال والقائمين بالأمر.

لقد أنجب البيت الذي ستقفل أبوابه، اليوم في بيروت، على أحزانه، ثلاثة من البارزين في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية : اميل ثم ريمون وبيار. ولم تكن الوراثة وحدها الطريق.

اليوم، وإذ يعود ريمون إدّه إلى بيروت في كفن، سيفتقد لبنان هذا الصوت الصارخ في البرية، الذي كان كبيراً على الكبار، خصماً مع مَنْ يراه جديراً بالخصومة، وقريباً من هموم المواطن العادي، لا سيما همّ الحرية.

لقد خسر لبنان كبيراً من القلة من رجالاته المحترمين.

وسيفتقده غداً الذين طالما اختلفوا معه ربما أكثر من الذين كانوا يتهيبون الاختلاف أو الافتراق عنه.

رحم الله ريمون إدّه العميد - العنيد الذي ارتقى في ضمير الناس إلى مستوى الرمز... حتى في ظل الاختلاف معه على الكثير من الأساسيات.

طلال سلمان

رحيل العميد ورحلة لبنان

ليس أقسى من رحيل الكبار سوى أن يموتوا في المنفى وهم يحملون الوطن. فكيف اذا كان الراحل هو العمود الأخير في صف القيادات التاريخية : ريمون اده ؟ وكيف إذا كان الوطن الباقي هو لبنان الباكي الذي رأى مَنْ أطلق عليه لقب «**الضمير**» يعيش ثم يموت خارج الوطن ؟

لم يكن ريمون اده مجرد عميد للكتلة الوطنية التي آلت اليه قيادتها بعد وفاة والده الرئيس اميل اده. ولا كان، وهو الذي عاصر ولادة الكيان اللبناني ودور والده فيها ونشأ في بيئة لها موقف من الاستقلال، أقل تمسكاً بالاستقلال وحفاظاً عليه من رجالاته. ولعل هذا هو التغيير الكبير الذي قام به في شبابه قبل أن يستقر على ثوابته السياسية والوطنية. فلا هو تغيّر، على كثرة ما تغيّر لبنان. ولا هو اختار المنفى الباريسي، إلا أنه رفض تبديل خياراته الوطنية. لا حضوره قلّ في لبنان، وان غاب عنه أكثر من ربع قرن، ولا محاولات اغتياله دفعته إلى الخوف والانكفاء، إذ بقي في باريس الصوت اللبناني الصارخ في برية العالم الذي تخلى عن الوطن الصغير.

لكن رحيل العميد يدفع اللبنانيين الى الشعور بالخوف وسط الكثير من الحزن. فالرجل حمل لبنان القديم إلى باريس وعاش هناك فيه وله كأن الذاكرة هي أول ما يحمي الوطن ويدافع عنه ويحافظ عليه أيام المحن. واللبنانيون عاشوا هنا على الذاكرة، وهم يواجهون العواصف والتغيرات. هو لم ينس حساباته القديمة لأن الدفاتر عنده مفتوحة دائماً. وهم لم يقرأوا الوقائع الجديدة بالعمق الذي تتطلبه ،كأن إغلاق الدفاتر يكفي وحده لتجاوز الأحداث أو لكي يكون البديل من مواجهة حقائقها والتحديات.

ولعل أكبر غصّة هي أكبر عزاء. غصّة العميد الذي كان أول مَنْ طالب بالقوات الدولية ثم رحل قبل أن يرى واحداً من أهم أحلامه يتحقق وهو تطبيق القرار ٤٢٥. وعزاء اللبنانيين في الاستعداد لاستعادة الارض والشعب وهم يودّعون ريمون اده.

والرحيل ليس نهاية الرحلة اللبنانية.

رفيق خوري

مات العميد «العنيد» رمز الديموقراطية والنزاهة وصلابة الموقف.

كان مقداماً في مواقفه، شجاعاً في أقواله، ورمزاً لممارسة الديموقراطية والحرية وصلابة الموقف.

على مدى العهود وولايات المجالس كان صوت ريمون إده في ساحة النجمة رمزاً للنائب الذي يقول الحقيقة، لا يساير ولا يهادن ولا يراوغ ولا يتراجع عن موقف إلّا من أجل الحق، ولا يبيع ولا يشتري، ولا يتاجر بدماء شعبه، ولا يحمل بندقية أو يسلح جماعته على أساس طائفي أو مذهبي أو مناطقي، ولا يقيم ميليشيات، ولا يقبض لا من داخل ولا من خارج، ولا يخضع لإرادة داخلية غير محقة، ولا يخضع للخارج.

إن كان صديقاً فهو صديق شريف، وإن كان خصماً فهو خصم شريف، لا يطعن في الظهر، فهو بوجه واحد لا وجهين، وبلسان واحد لا لسانين، ويتكلم لغة واحدة لا لغتين، ولا يعرف اللون الرمادي فالأمور إمَّا بيضاء أو سوداء.

رفض منطق الحرب، ورفض منطق الميليشيات ورفض منطق الخضوع لأي إرادة خارجية أو داخلية مغايرة لقناعته، فجرت محاولات عديدة لاغتياله ونجا منها إلى أن شعر أنه أصبح خطراً على مَنْ هم حواليه فرحل وسكن وحده، وكان يستقبل المواطنين، فلا أزلام معه ولا مرافقين ولا بطانة ولا «حوشة» بل ريمون إده الإنسان الذي يفتح الباب ويستقبل الضيف ويودعه بكل بساطة، وبكل عنفوان، وبكل كبر، وبكل أباء.

...

حزين لبنان وحزن كبير له، ألا يعود ريمون إده إلى أرض وطنه إلّا بالنعش، وسيبقى ريمون إده مثالاً للبناني النزيه والشريف والوطني الصادق والمنسجم مع نفسه، الجريء بأقواله، الممارس الحر للديموقراطية، وبكل عناد، والمحافظ على القوانين وواضعها، رمزاً للشعب اللبناني، رمزاً للصدق، واسماً كبيراً في سماء لبنان وعلماً من أعلامه.

شارل أيوب

وصيّة العميد

. . . ربما أصرّ العميد أن يعود ويُدفن في لبنان، حتى قبل تحرير لبنان وجلاء كل القوات الغريبة عن أرضه واسترجاع سيادته كاملة، ليوجّه رسالة واضحة إلى كل المشككين بوحدة الشعب اللبناني والراغبين في تفتيت الوطن وتقسيمه. . .

ربَّما أصرَّ أن يعود ويُدفن في لبنان في هذا الظرف الدقيق بالذات ليبرهن للبنانيين أن التعايش ما زال ممكناً، بل إنه مطلب حق وضرورة وطنية. . .

ربما أصرَّ أن يعود ويُدفن ليبرهن للبنانيين كم أن مسافات الفراق السياسي صغيرة عندما يقرر الإنسان أن يتخطَّاها. .

ربما أصرَّ أن يعود ويُدفن في لبنان ليذكّرنا في لحظة الحقيقة والخشوع والتواضع بأن الإنسان ما هو إلَّا إنسان وأنه إلى تراب يعود.

ربما أصرَّ أن يعود ليقول لنا إن الوفاق الوطني تأخَّر أو أُخِّر وأنه حان الوقت لتنفيذ هذا الوفاق وتكريسه.

ربما أصرَّ أن يعود ليذكّرنا بأن الديموقراطية ممكنة، وتفاعل الحضارات ممكن، والتعايش السياسي ممكن، والزعامة الحقيقية تتخطى السياسات الضيِّقة والأنانيات.

ربما أصرَّ أن يعود ليدقَّ ناقوس الخطر مذكِّراً الشعب والمسؤولين بأننا على مفترق خطير، وبأن أي خطوة بعد اليوم قد تؤدي إمَّا إلى الخلاص وإمَّا إلى الخراب!

وربما كانت عودته مؤشراً إلى اقتراب موعد التحرير والتحرر.

ريمون إده سواء أحببته أم لا، لا يمكن إلَّا أن تحترمه وتحترم مواقفه الشجاعة وعناوين سياسته الرافضة الاحتلال والذل والتبعية.

ما فعله بموته هو ما كان يجب أن يفعله المسؤولون عن العهود الماضية ولم يفعلوا، عنيت لقاءً جامعاً ووفاقاً وطنياً.

نعم، لقد جمع ريمون إده حول نعشه كل مَنْ لم تتمكّن الاتفاقات والحكومات والرؤساء والمجالس النيابية من جمعهم!

فهل وصلت الرسالة يا ترى؟ هل فهمنا أن المطلوب أولاً وأخيراً وفاق وطني حقيقي ينطلق من الاعتراف بالآخر واحترامه والتعاطي معه كشريك حقيقي في ورشة بناء الوطن؟

جاء العميد إده إلى لبنان برسالة واضحة، رسالة الحوار والتحاور تحت سقف واحد، سقف لبنان وسيادته وحريته واستقلاله واستقلالية القرار اللبناني. . . فجَمَعَ الجميع، جَمَعَ مَنْ لم يجتمع مِن قبلُ ومَنِ اجتمع!

ربما كانت هذه وصية العميد العائد إلى الوطن ليدفن في أرضه بغية دفن المزرعة والتبعية والتزلّف والحقد والبغض!

ريمون إده عاد إلى الوطن، فهل تعود الدولة وتصالح أبناءها ويعود أبناء الجنوب إلى ربوع الوطن وتعود السيادة والحرية إلى لبنان؟

إنه واجب وطني علينا، وعلى الدولة أن تتحمله لتكون دولة للجميع وسلطة عالية لا سلطة أعلى منها ولا وصي عليها!!!

جبران تويني

رحيل في المنفى الطوعي

...لم يكن العميد ريمون اده شخصية سياسية عابرة في تاريخ لبنان، بل كان متواصلاً فيه إلى درجة أنه كان حاضراً في كل حدث، إن لم يكن مشاركاً في صناعته، فهو من دون شك مواجهاً له بسلاح الموقف...

...غيابه يعني انطواء صفحة من تاريخ لبنان السياسي، إضافة إلى أن لبنان

سيفتقد فيه أسلوبه المميز، وخصوصاً لِجهة تعامله مع مسار الأحداث إن كان في لبنان أو المنطقة...

...اختلفنا مع نهجه السياسي كثيراً، ولنا ملاحظات غير قليلة على مواقفه، ولكن كل ذلك لم يفقدنا احترامنا لصدقيته ولديمقراطيته في الحوار...وإذا كنا ننتقده دائماً بأنه قام عمداً ومن دون أي مبرر بتغييب نفسه، حيث اختار الاقامة في باريس، فانما كنا نجدُ له بعض الاعذار، فهو - رحمه الله - كان له نهجه الذي لم يستطع التخلي عنه، وكان بذلك منسجماً مع ذاته، صادقاً مع ضميره...

... قد يكون ريمون اده آخر الكبار في لبنان من السياسيين في القرن العشرين والذين عاصروا كل الأحداث من معركة الاستقلال وما بعده، وذلك ما يجعل من الرحيل حدثاً بارزاً، ومن الغياب مزيداً من الفراغ الذي تركه سياسيون بارزون لعبوا دوراً في تاريخ لبنان الحديث، مثل المرحومين سليمان فرنجية، صائب سلام، عادل عسيران، رشيد كرامي، وغيرهم من رجال كان لهم ثقلهم السياسي النوعي...

... ريمون اده يرحل ويسلم روحه في باريس! وكم كنا نتمنى لو أنه بقي في أرض الوطن ولم يقاطع اجتماعات الطائف، وبعدها انتخابات عامي ٩٢ و٩٦، ولكنه اختار حياة المنفى الطوعي عمداً وعن سابق تصور وتصميم... إنما كل ذلك لا ينفي أننا سنفتقد فيه تصاريحه ومواقفه واستشرافه الحدث قبل أن يقع...

... وريمون اده يمثل حقبة انطوت لتسجل رحيل آخر المتمرسين في اللعبة السياسية اللبنانية... وهو الذي أحبه معارضوه قبل مؤيديه...

عوني الكعكي

«العميد»

. . .

هو آخر الكبار.

لكنه ظلّ كبيراً، في السياسة لا يحنث برأي، ولا يخفر بعهد، ويقوله على أسنّة الرماح.

هل يعجبك رأيه؟

غالباً ما كان يرتاح... ونادراً ما كان لا يصيب، لأنه «الصائب» حتماً في قوله الحق... ولو كان صديقه صائب بك قد سبقه إلى دنيا الخلود.

والسياسي عادة «يقرف» السياسة ويعتزل. لكنه كان سياسياً محترفاً، يحب السياسة حتى العظم، ويقاتل في السياسة، حتى الرمق الأخير.

إلى أن غادر الحياة «خلسة»... وفي لحظات مرض مفاجئ، عطّل عنده القدرة على الحياة.

ريمون إده مدرسة في السياسة لا تجارى.

أعظم لحظات حياته، أنه غاب قبل أن يشهد الفصل الأخير، من مأساة الاحتلال الإسرائيلي.

كان نسيجَ نفسِهِ.

لا يحبُّ التزلف... ولا المتزلفين.

ربما كان يشعر أنه أكبر من سواه، أو أقرب إلى الحقيقة منه، إلى أي صنف من الناس.

هل كان ريمون إده «ضمير الناس» في معاركه مع الحياة؟

حسبه أنه كان «العميد»... عميد كل الناس في محبة الأوطان.

فؤاد دعبول

مشاهد وحكايات من رحلة نصف قرن مع «العميد»

عرفته في منتصف الخمسينات، يوم كنت موظفاً في وزارة البريد والبرق والهاتف، وكان هو قد انتخب نائباً عن قضاء جبيل للمرة الأولى.

وفي مقر قيادة العميد، ذي المقاعد الجلدية، التي يشهد سوادها الباهت على معاناتها مع الضيوف وأصحاب المصالح الحقوقية والسياسية، والصحافية كذلك. بدأت علاقتي مع هذا الإنسان «المميز»، «المشرقط» ذكاء والمعية «المفركش» بلغته العربية، بحكم تربيته وثقافته، المقتنص الكلمة التي تترجم، بأمانة وصدق، المفردة الفرنسية التي يستعملها، الرافض بإصرار وحسم اعتماد أي كلمة غيرها، مردداً جملته المعتادة: «يا أخي أنا هيك بدي».

ومع كل جلسة أو لقاء كنت اكتشف شيئاً جديداً فيه يشدني إليه ويُعمِّق حُبِّي له واحترامي لرجولته:

مباشراً كالرمح كان.. وقاطعاً كالسيف.. وصادقاً كقول الحق.. وصافياً كالماء الزلال.. ونظيفاً كالطهارة.. ومتواضعاً كالنسمة.. وشموخاً كأرز لبنان.. يا عميد الشرفاء والأحرار، والشجعان. بل يا عميد الديموقراطية في هذا الوطن الصغير، في ضمير اللبنانيين أنت باقٍ لأنك كنت ضمير لبنان.

حكمة أبو زيد

عملاق هوى

غاب رجل المواقف. غاب صاحب الكلمة الحق.

غاب قبل أن يتحقَّق حلمه ويرى الجنوب محرراً.

غاب من طالب بانسحاب إسرائيل من لبنان عشية انسحابها.

غاب العميد ريمون إدَّه.

غاب آخر العمالقة.

عاطفي، رقيق القلب.. عناده الظاهري ومواقفه القاسية لا تعكس حقيقة جوهره وداخليته. فهو إنساني إلى أقصى الحدود ومواقفه خلال الحرب أظهرت ذلك.

قاس في حكمه.. متشبث في موقفه لا يهادن. ديموقراطي في التعاطي، عنيد في التصرّف والممارسات.

معبوده لبنان بعد الحرية. وكرّس حياته لخدمته.

يقول: «أنا في باريس لأنه يمكنني أن أتكلّم هنا بحرية دون ضغوط. وقد دفع حزبي ثمن مواقفي وتصريحاتي».

حوّل غرفته في فندق كوين اليزابيت إلى برلمان مصغر كل يوم أحد معتمداً «الاوبن هاوس» وكانت الغرفة ذات العشرين متراً مربعاً تعجّ أحياناً بما يربو على الستين شخصاً.

الغربة لم تفصله عن الوطن وابتعاده عن لبنان لم يبعده عن التفاصيل فبقي قريباً منه يعرف كل شاردة وواردة.

هاتفه لا يتوقَّف عن الرنين والمتصلون من أقطار الدنيا لبنانيون وأجانب يهنئونه على مواقفه ويدعون له بطول العمر وبعضهم يتَّصل لسماع صوته.

تحوّل إلى رمز للبنانيين وحتى الذين لم يعرفوه ولم يعرفوا عنه ولم يستمعوا إليه، كانوا يستفسرون عنه.. ويسألون لماذا هو في الخارج؟

«العميد» لا يمكن إيفاؤه حقه في سطور ولا يمكن التحدّث عنه باقتضاب.. العناوين تكفي فكل منها يصلح عنواناً لمجلّد..

...

هوى فخامة العميد كما رغب فمات في فراشه بعدما أبلغ من هم حوله إنه ذاهب لملاقاة والدته ووالده..

«أنا بقرر.. أنا العميد».

مات ضمير لبنان

وبقي في ضمير اللبنانيين...

فيليب أبي عقل

*** كأنه فوجئ فاعتذر**

«صحيح أن جسدي في باريس، لكن قلبي وروحي ومشاعري وأحاسيسي في لبنان....

كانت هذه الكلمات آخر ما سمعته من العميد. إنما متأخراً تنبهت إلى أن مسحة من الحزن النبيل شابت صوته تلك اللحظة.

وحين أعلن النبأ، تذكرت أنه أضاف بغصَّة فاتني ما تخفي: لم أفارقكم دقيقة واحدة.

وطوى جناحيه وراح.

غافلنا، وربما غافل نفسه ورحل. وعلى نحو ما اعتاد، بوداعة وهدوء وخفر. لا بل كأنه فوجئ بالموعد، فهمس معتذراً من لبنان والناس والمطارح التي لم تبارحه ولم يغادرها.

عاشق الحرية، عاشق الديمقراطية، عاشق لبنان يعود اليوم إلى ربوعه ليفي النذر قبل النظرة الأخيرة.

رحيله فجع حتى خصومه، لأنه كان يشهد دائماً بالحق.

أخافنا أن ريمون إده لم يعد بيننا ولو من بعيد، من باريس. وللمرة الأولى نشعر أننا فقدنا شيئاً منا ومن صلابتنا، مع فقداننا ذلك الحلم بذلك اللبنان لذلك الفارس الذي لن يتكرَّر.

لم يكن العميد يوماً مجرَّد سياسي، أو عميد حزب، أو نائب أو مرشح لرئاسة الجمهورية لم يسع إليها، بل كان مشروع أمل، مشروع خلاص، مشروع لبنان حضاري يعتز اللبناني بالانتماء إليه، ويفتخر به مَنْ له مرقد عنزة في حنواته.

كم قال في الشدائد والحزَّات، وكم ردَّد وهم يمطرونه بالرصاص «أكره أن أموت على فراشي».

عزاؤه وعزاء لبنان أنه لم يمت بل ترجَّل.

زيَّان

*** العميد عاد... فمتى يعود الوطن؟**

ثمة رجال تعتقد أنهم لا يموتون.

ما إن تتفتح على الحياة حتى تسمع اسمهم يتردد مع هالة من الوقار، إن لم أقل التقديس. ثم تكبر ويأخذك العمر على دروب الأيام. وبدلاً من أن يتضاءل وقع الاسم على مسمعك، إذا به يكبر ويكبر، ليصبح في حجم وطن وفي قوة قضية.

ريمون إده بين الرجال كان هذا النوع. كبرنا على اسمه ومعه: بالقفشات، بالنكات، بالمعارضة شبه الدائمة، بالرفض المستمر لكل فساد وخطأ، وبالمواقف الصلبة الجريئة يأتيها بلا خوف ولا وجل، كأن السياسة عنده ليست فن الممكن بل فن طلب المستحيل. وربما لهذا السبب بالذات عاش ريمون إده ضمن النظام اللبناني، كأنه ليس منه. حاول أن يصححه من الداخل، لكن عبثاً. . وعندما عصفت الرياح واشتدت الزوابع وثقلت وطأة الاحتلالات على الوطن، حمل جرحه النازف ومضى إلى باريس، لعل «زهرة الحرية» تمنحه بعض ما افتقده هنا ووهم الانتصار والتحرير.

. . .

لماذا أثر فينا غيابه إلى هذا الحد؟

فأحياناً كنا نرفضه. وأحياناً كنا ننتقده، وأحياناً كنا نتهمه أنه خارج الواقع والعصر، وأن اللعبة تجاوزته، لأنها تجاوزت زمنه، زمن الرجال الواضحين الصادقين.

هل هو الحنين إلى الماضي، إلى لبنان آخر أضعناه، وعندما أضعناه ضعنا نحن ولم نتخلص من ضياعنا إلى اليوم؟

هل لأنه رمز، وغياب الرموز قاس، مُمِضٌّ، يعيد طرح الأسئلة المزعجة الحادة، المروَّسة؟

هل لأن الزعماء ـ الرجال في لبنان اليوم نادرون؟

هل لأننا تعبنا من الواقعيين، المتزلّفين، الزاحفين، المتمسّكين بالكراسي الزائفة، ولو على حساب الحرية والكرامات؟

ربما لكل هذه الأسباب مجتمعة، وربما ليس لأي منها. فالسبب الأهم أننا لم نكن نتوقع غيابه قبل تحرر الوطن، بل إن صورة عودته إلينا ارتبطت عندنا بصورة عودة الوطن إلى الوطن، أي عودة الحرية والسيادة والاستقلال... وهو كان أميناً لهذه الصورة حتى لحظاته الأخيرة. إذ كان يشدد عزيمة القلقين عليه مؤكّداً لهم على سرير الموت: «لا تخافوا. سأشهد الانسحاب الاسرائيلي والسوري وأعود إلى لبنان».

.... لكن الجسد خانه قبل نهاية النفق. غاب ريمون إده والأرض ما زالت محتلة والقرار ما زال مصادرا. الحارس البعيد ـ القريب للوطن تعب من غربته، اشتاق إلى التراب، فعاد إليه مضرَّجاً بالخيبة والوجع... والأمل.

ريمون إده عاد إلى الوطن، الذي كان يردد دائماً أنه لن يعود إليه قبل أن يتحرر من كل الاحتلالات. فهل يعني هذا أن الوطن سيعود هو الآخر من غربة الذات؟... هل يعني هذا أن الوطن سيتحرر؟

وليد عبُّود

*** دعونا نبكيه...**

...

«فخامة العميد»، الكل يعرفك، لكن كثيرين لمصالح ومصالح، يحاولون تجاهل ما تريد. ولكن لا بد من التذكير بمواقف ثابتة يعرفها كثيرون، وطالما رددتها، وتجدر اليوم العودة إليها: «لا لخائن الوطن، لا لخائن الحزب».

أمس، تذكرك كثيرون وتذكروا مواقفك.

أنت العميد الضمير.

غبت كثيراً ولم تغب. أحبك كثيرون ولا يزالون.

أمس غبت عن لبنان ربما قهراً على بلد. ولكن ألم يكن في الإمكان الانتظار حتى تحقيق حلمك بانسحاب الاحتلال؟

الانسحاب قريب، لكنك لن تراه... عفواً فأنت رأيته قبل غيرك وقاومت في سبيله.

أمَّا المخلصون، فمخلصون للعميد، ولـ«العميد الصغير» ولمن سيعود به إلى بيروت. والقادرون الحقيقيون ينتظرون، وهم عانوا بعض ما عانيت في حرب لم تكن تريدها، في «عصفورية فالتة» في بيروت، في فقدان وزن، في هرطقة سياسية، في نظرة رعناء، في حقد مستطير، في بيع وشراء.

عميد! سنشتاق إليك، إلى اتصالاتك، إلى نكاتك وقفشاتك ونقدك اللاذع. وسنذكرك لدى الانسحاب.

في بعض العهود ضيّقوا على العميد وكمّوا كل الأفواه، ومنعوا ظهوره في التلفزيون الرسمي والميليشيوي. كلهم منعوا العميد من الحديث، صوتاً وصورة. تآمروا على الضمير، تآمروا على الوطنية الصادقة.

سنشتاق إلى العميد... دعونا على الأقل نبكيه.

حبيب شلوق

*** رئيسنا السرّي**

وحدك لم تعد تشبه أحداً من اللبنانيين.

رئيسنا السري، غداً تدق ثانية ساعة الترابيين، وتدور طواحين زؤان المراثي والكلام في جنازة، يقيناً، لن تكون يسوعها ولا نحن اللصوص.

رئيس جمهورية اللبنانيين أبداً، وإن لم يحالفك، لحسن الحظ، حظ أو حليف، فتصل إلى رئاسة الدولة (...) هذه، أنت، المطلوب حياً وميتاً، ضميرنا المنفي من لبناننا الكبير الذي يحار المنسحبون منه إلى أين ينسحبون فيه.

تموت ثانية بأن تشيع إلى مثواك المزعوم أخيراً في جنازة تتضافر عليها أيد حالت بما رفعته وبما وقعته دون عودتك إلَّا محمولاً بها.

ريمون إده
لا يرثك إلَّا أنت.
ريمون إده
نعدك بجنازة ثانية، وحدنا، يوم تتحقق أمنيتك التي مت على وعدها.
ريمون إده
لا عليك، على تلك الصخرة، صخرة نهر الكلب، متسع لتواقيع كثيرة بعد.
ريمون إده
لا عليك

شبيب الأمين، رشا الأمير، لقمان سليم

عدت يا أبا لبنان

كتبت هذه الكلمة قبل عشرة أعوام وهي تنشر اليوم

عُدْ لنا يا أبا لبنان، عُدْ رئيساً للجمهورية اللبنانية التي ترهّبت من أجلها فأنت من الرعيل المبارك المتبقي لنا من شباب الاستقلال.

عد يا عميد... إذا لم تكن أنت خير من يضمد جراح العاصمة المذبوحة فمن ذا الذي يفعل؟

أما زلت تذكر أيها العميد حادثة قطار بيروت «الترامواي»، تلك الطرفة التي رويتها أمامنا في إحدى المناسبات الاجتماعية، عند أحد كبار السفراء الأجانب؟

كان ذلك قبل المؤامرة، قبل المجازر، وقبيل رحيلك إلى منفاك الاختياري. وكيف أرجعت أنت القاطرة البيروتية إلى سكّتها.

وعاد قطار العاصمة اللاهية آنذاك يسير ما بين الجميزة والبسطة؟ وسيمُرّ

معك في الضاحية الجنوبية الصامدة الصابرة، وفي خلدة المنتظرة الواجفة، والأشرفية المترقّبة الواعدة.

حقاً يا عميد أنت هو الحل.

لقد كنت الغائب الأكبر عن حبك الأوحد لبنان، ولكنك كنت معه دائماً وفي صميم جرحه.

ألم تحمله معك وأنت تجوب البحار والقارات الخمس في حِلّك وترحالك؟

حقاً يا عميد لن تنأى عنه، عن لبنان، أبداً لله لن تنأى عنه وإن فارقت شاطئه، وقد نأينا وإن كنا مقيمين لله.

لا لن يموت هذا اللبنان يا عميد، بل سيحيا وسيبقى.

وهذا عزاؤنا بفقدك.

سهام الصباح رياض طه

*** يا عميد الكبار علِّمهم محبة لبنان**

رحل العميد ريمون إده، في الوقت الذي يحتاج فيه لبنان إلى كبار:

يا عميد الكبار، في السياسة، والمعرفة، والأخلاق والوطنية، أنت الذي تنسكت من أجل الوطن، في لبنان وفي منفاك، عرفت بوعي وإيمان أن في الوطن وجعاً يطال كل أوادمه، هؤلاء الذين يقدسون الاستقلال بيتا يحتمون فيه، والسيادة أمناً يدافع عنهم، والحرية قيمة لا يوصف الإنسان إلا بها.

يا عميد الكبار علِّم سياسِيِّينا، أن الوطن مقدس وأن الكرامة غالية، وأن السياسة أخلاق.

يا عميد الكبار، وأنت تعود إلى بيروت عاصمة العرب، وإلى لبنان درة هذا

الشرق، مجثى في نعش، كان عليك أن تعود إليهما واقفاً كأرز الرب، شامخاً كجبل صنين، عنيداً كسنديانات مقرات البطاركة، ولكن. . . مشيئة الرب لا تناقش.

يا عميد الكبار، يا مَنْ عشت نظيف الكف، لا تتسول الدرهم (حتى من أخيك بيار) لربط مصلحة صغيرة، ولا ترش الدم لتفك طلسماً من أجل كرسي أو وصول، ارقد قرير العين، مرتاح البال، فعطرك، كإنسان وكسياسي، في حياتك وفي مماتك، هو العطر العطر، الذي سينكّه السياسة في لبنان كلما سكن رئيس في قصر، أو مرَّ وزير في إدارة، أو انتدى نائب في مجلس، أو ناقش مفاوض اتفاقية.

يا عميد الكبار، يا عميد لبنان، يا مَنْ كنت للشعب المثال، لك من كل أوادم لبنان كل الاحترام وكل الوفاء.

يا عميد الكبار، علِّم سياسيينا محبة لبنان.

سمعان سمعان

*** الصحف الفرنسية: ضمير لبنان**

كتبت صحيفة **لوفيغارو** الفرنسية تحت عنوان «وفاة ريمون إده»، تقول بأن العميد مات على سريره. بعد أن نجا بأعجوبة من عدة محاولات استهدفت حياته. . ووصفت الصحيفة الفرنسية الواسعة الانتشار العميد ريمون إده، بأحد أهم وأبرز رموز الزعامة المسيحية والذي كان يوصي بالتعايش السلمي بين المسيحيين والمسلمين والفلسطينيين. . وأضافت: كان الراحل مشهوداً له بمصداقيته واعتداله وشفافيته وتقديسه للحرية وحقوق الإنسان. . وأشارت الصحيفة نفسها، إلى أن العميد إده كان يتميَّز بصراحته المميزة وبأسلوب نقدي لاذع، وبروح مرحة حتى في أحلك الظروف. . وهذه الصفات سبَّبت له الكثير

من العداوة، ولكن أبقت الجميع على احترامه، الأمر الذي أكسبه عن جدارة لقب «ضمير لبنان».

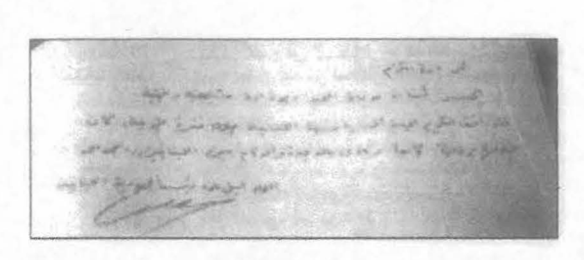
وكتبت «**اللوموند**» فقد أشارت تحت عنوان «غياب أحد رموز المعارضة المسيحية» إلى أن الموت وضع حداً لحلم الزعيم ريمون إده بأن يرى بلاده سيدة حرة مستقلة خالية من وجود الجيوش الأجنبية.

وأضافت أن العميد إده رفض أن يختار بين تيارين لبنانيين متنازعين: الأول ينادي بطرد الفلسطينيين من لبنان، والحفاظ على الامتيازات المارونية التي حتمها الدستور اللبناني، والتيار الثاني الذي يؤيد التحالف مع منظمة التحرير الفلسطينية. لذلك فإنه فضل المنفى الاختياري في باريس منذ العام ١٩٧٦. وانطلاقاً من العاصمة الفرنسية بدأ عميد حزب الكتلة الوطنية نشاطه في الدفاع عن الديموقراطية وحقوق الإنسان في لبنان.

أمّا صحيفة «**الليبراسيون**» فبعد أن استعرضت المحطات البارزة من حياة العميد ريمون إده منذ دخوله معترك الحياة السياسية، وانتخابه نائباً واشتراكه في أكثر من وزارة، ثم مرحلة نضاله انطلاقاً من منفاه الاختياري، أشارت اليومية الفرنسية إلى أن العميد إده، كان يحرص على اطلاع زواره الكثر على خارطة لبنان المعلقة في مكان بارز من غرفة الجلوس، ليشرح لهم بصورة دقيقة المناطق الواقعة تحت الاحتلال. . . وختمت تقول بأن ضمير لبنان رحل قبل أن يشهد رحيل قوات الاحتلال. .



رئيس الجمهورية في دارة العميد معزياً كارلوس اده.



كلمة الرئيس لحود في سجل التعازي.

الرئيس الياس الهراوي معزياً.



الرئيس الحريري يقدم تعازيه في بيت الكتلة وبدا النائبان بويز وفرعون، والمطران أبي نادر والوزير السابق ميشال اده.



الحص والسفير الأميركي ساترفيلد والبير مخيبر يقدمون التعازي.

الباب الرابع



الفصل الأول

الرئاسة على متن دبابة

يجمع كل الذين أحبوا العميد وجالسوه من سياسيين وإعلاميين واقتصاديين... وعسكر، أنه كان حاضر الذهن... سريع البديهة... ما سُئل عن أمر إلا وأجاب عليه بصراحة وجرأة... ومع نكتة أيضاً.

يروي أحد الإعلاميين من أصدقاء العميد الآتي:

كانت الحرب «السياسية» التي لم ترق خلالها نقطة دم واحدة قد وصلت إلى ذروتها خلال الستينات بين العميد ريمون اده وضباط المكتب الثاني أو العسكر. كما كان يفضل أن يسميهم عندما سألته يوما:

ـ ألا تخاف؟

وأجاب: «لو كنت أخاف لساومت. أو لُذْتُ بالصمت. ثم مِمَّ أخاف. من الاغتيال؟ قد يفعلونها، وعندها تربح البلد شهيداً آخر».

وعدت إلى سؤاله: أليس هناك ما يخيفك؟

فأجاب: «بلى. هناك مصدر واحد لخوفي».

وسألته متلهفاً:

وما هو؟

وفاجأني رده عندما قال: «الأمر الوحيد الذي يخيفني في هذه الدنيا والذي أحسب له ألف حساب تيار الهواء. إنه يرعبني سواء كنت جالساً أو نائماً، ولو

كنت مكان ضباط المكتب الثاني لكنت بادرت إلى تعريضي لتيار هوائي وأنا نائم فهذه هيه الطريقة الوحيدة للتخلص مني بهدوء ودون ضجة أو اتهام أو محاكمة».

وبالمتابعة اليومية لحياته السياسية. اكتشفنا أنه كان يخاف من شيء آخر، دون أن يعترف صراحة بوجوده.

كان يخاف الطريقة العربية التقليدية الشائعة بين الأصدقاء والأقارب، عنيت بها عادة أخذ الصديق أو القريب بالأحضان عند اللقاء وتبادل القبل وإياه على الوجنتين والجنبين. وحتى لو كان آخر لقاء بينهما قد حصل قبل أقل من يوم واحد.

وكان العميد يحاول أن يقنع أبو عمار الذي اشتهر عنه تعلقه بهذه العادة أن يقلع عنها. على الأقل عندما يلتقي به هو في المناسبات التي تكررت بكثرة في الأسابيع الأولى من بدء الحرب الأهلية اللبنانية في عام ١٩٧٥.

ولما يئس من إقناع ياسر عرفات بفوائد الاستعاضة عن القبلات بالمصافحة. قال للمرحوم أبو أياد عندما زاره عارضاً عليه فكرة استقبال أبو عمار في منزله في محطة الصنائع في بيروت مع أركان منظمة التحرير: «بيتي مفتوح له بشرط أن لا يصر على تقبيلي. اقنعوه يا أخي. قولوا له إن القبلات هي أقصر طريق إلى تعميم الانفلونزا»... ووعده أبو أياد خيراً. إلا أن عرفات أصر على احتضانه وتقبيل وجنتيه ضاحكاً أمام عدسات المصورين....

وخلال الحرب اللبنانية وفي أشهرها الأولى، وعلى الرغم من حدة حالة العداء التي عمت الشارع المسيحي لكل ما هو فلسطيني، سعى ريمون اده مراراً إلى قادة المنظمة وعرفات بالذات بالتعاون مع المرحوم كمال جنبلاط لإقناعهم باعتماد أساليب أكثر واقعية في تعاملهم مع الواقع اللبناني ومتطلبات السيادة.

في إحدى الليالي الملتهبة بالرصاص والنار. وفي نطاق حالة من الفوضى وعشرات الحواجز المسلحة التي سدت الشوارع في بيروت، ذهب ريمون اده إلى

منزل المرحوم كمال جنبلاط قرب فرن الحطب في بيروت. للتداول معه في صيغة مقترحة آنذاك لضبط الوجود الفلسطيني المسلح.

واقترح عليه جنبلاط أن يتوجه إلى قصر عرفات في محلة الفاكهاني لعرض اقتراحاته عليه، فوافق وتوجه على الفور إلى المقر وحده إلا من سائقه دون حراسة أو حماية. على أن يعود بعد انتهاء الاجتماع إلى منزل جنبلاط في الليلة نفسها للبحث في النتائج.

ولحقت به في سيارتي إلى هناك.

واستغرق اللقاء ساعتين. وانتهى بالفشل وغادر إده الفاكهاني متوجهاً إلى منزله. وألغى فكرة العودة إلى منزل جنبلاط دون أن يقول لنا لماذا فعل ذلك.

وعدت إلى منزل جنبلاط للوقوف على ما لديه من معلومات ففوجئت بالمسلحين في الحزب التقدمي الاشتراكي يملأون زوايا الابنية حول منزل جنبلاط.

وفوجئت بالوزير كمال جنبلاط يحتمي بإحدى زوايا مدخل المنزل حاملاً رشاشا في يده.

وسألت عما حدث. فقال لي «الطالب» آنذاك وليد جنبلاط: «بعد أن غادر العميد منزلنا إلى الفاكهاني انهمر الرصاص علينا من آخر الشارع الغربي. وأعتقد أن مَنْ أطلقوا النار ما زالوا يرابطون في مكان ما هناك».

وبدا واضحاً لنا أن بعض مَنْ لم يعجبهم تحرك ريمون اده نحو الحوار المباشر سبيلاً إلى وقف الحرب، تحركوا لقطع الطريق عليه.

يعود السؤال الذي صار تقليدياً إلى طرح نفسه: هل كان العميد ريمون اده وما زال طالب رئاسة بأي ثمن؟

بالتأكيد الجواب: لا، فهو لم يكن طالب رئاسة بأي ثمن ولن يكون، والأدلة أكثر من أن تحصى..

في شهر آذار «مارس» من عام ١٩٧٦ كان ريمون اده يجتمع في منزله في بيروت ليلا بعدد من النواب بينهم على ما أذكر مخايل الضاهر، وطلال المرعبي والمرحوم ناظم القادري.

وكنت بالصدفة هناك. لتسقُّط الأخبار عندما بث التلفزيون فجأة البيان الانقلابي الأول للعميد السابق في الجيش اللبناني عزيز الأحدب مع قرارات انقلابية متلاحقة بينها على سبيل المثال قرار بمنع التجول في مدينة بيروت.

وراح فريق من النواب الذين كانوا تلك الليلة في منزل إده يسخرون من الانقلاب ويعتبرونه نكتة سوف يزول تأثيرها صباح اليوم التالي.

وقاطعهم إده وهو يرفع صوت جهاز التلفزيون لكي يسمع كل كلمة في بيانات الانقلابيين قائلاً: اسمعوا يا جماعة. ارجوكم، فالقضية ليست «مزحة» والبلاد على كف عسكري.

وجاء مَنْ يقول للعميد إده إنّ في صالون المنزل ضابطاً يلح على مقابلته لكي يبلغه رسالة شفهية مهمة وعاجلة.

واستقبل إده حامل الرسالة، وكان نقيباً في الجيش من آل عثمان منفرداً في غرفة المكتب.

وفوجئ إده بالضابط يقول له إنه واحد من قادة الانقلاب. وإن مجلس القيادة المنعقد في ثكنة الحلو في بيروت الغربية أوفده إليه لكي يعرض عليه منصب رئاسة الجمهورية فورا، وبالشروط التي يفرضها.

وطلب إده من النقيب أن ينقل إلى قادة الانقلاب رفض العرض شكلاً ومضموناً وقال له أيضاً: قل لرفاقك إن ريمون اده الذي حارب تدخل العسكر في الحياة السياسية وعبثهم بالديمقراطية وأحكام الدستور، يأبى أن يصل إلى القصر الجمهوري على متن دبابة، وانقل إلى رفاقك نصيحتي لكم جميعاً: اتركوا كل شيء فوراً وعودوا إلى ثكناتكم...

الفصل الثاني

حكومة في المنفى

عندما غادر العميد، وبعد محاولات اغتياله في العام ١٩٧٦ إلى القاهرة، فكر هناك في تشكيل حكومة في المنفى، وبعد أن اتصل بعدد من الأشخاص، في الفريق الآخر، كي لا تكون الحكومة من لون و احد، ومن بينهم كمال جنبلاط وصائب سلام اللذَيْن رفضا «المشروع»، لكنه عاد وعدل عن «الفكرة». بعد ذلك رفضها.

يروي أحد الإعلاميين...

«تستوقفه لتسأله في مراجعة لسنوات المنفي الطويلة هل هو نادم على شيء لم يفعله؟ يأتي الجواب: «نعم. أنا نادم لأني لم أستطيع تحقيق هدفي في تأليف حكومة في المنفى، نظراً إلى أن الأشخاص الذين طلبت منهم الانضمام إليَّ اعتذروا، وبعد ذلك واحد منهم قتل (جنبلاط)، وآخر نفى نفسه إلى جنيف (سلام)، والباقون حُيّدوا وجرى تهميش دورهم. ويومها كنت على اقتناع بأن تلك الحكومة كان في إمكانها إنقاذ لبنان».

وتسارع إلى طرح السؤال: ولكن ماذا يمنع اليوم من السعي إلى تأليف مثل هذه الحكومة، وأن تمد يدك إلى الزعماء الموجودين في المنفى؟

فيجيب: «أولاً، الظروف اليوم غير مهيأة كما كانت في الأمس. فالأوضاع الإقليمية والدولية، بعد زوال الاتحاد السوفياتي وحرب الخليج، لم تعد نفسها وتغيرت، خصوصاً إن أوروبا باتت غير موجودة سياسياً على الصعيد اللبناني.

ثانياً: إني لا أستطيع أن أمدَّ يدي إلى مَنْ يتحمل مسؤولية تدمير لبنان وقتل قسم من أبنائه وتهجير القسم الآخر. مع أمثال هؤلاء لا أستطيع».

وتسأل: ولكن ألا تعتقد، كما يرى البعض، أن الظرف المصيري الذي يجتازه لبنان يستدعي التسامح والتعالي عن الخلافات وتوحيد الصف لمواجهة ما يواجهه لبنان من استحقاقات؟

جواب إده يأتي بسرعة وحسم: «لا يمكنني أن أطوي صفحة مع أمثال هؤلاء وفتح صفحة جديدة معهم، ذلك بأنهم مسؤولون عن الحالة التي وصلت إليها البلاد».

وتستوضحه: ولو؟ هل خلا لبنان من الأوادم والوطنيين الذين يمكن أن تمد إليهم يدك للتعاون لإنقاذ الوطن؟

فيعلق: «أكيد لا يزال هناك ناس أوادم ووطنيون و«نضاف» ولكن غالبيتهم، ويا للأسف، خارج الوسط السياسي ولهم مصالح ويعملون في مهن يصعب عليهم معها العمل السياسي خصوصاً أن المطلوب أن يكون لهؤلاء صفة تمثيلية ما على الأرض».

وتسأله المزيد: هل أنت نادم على شيء آخر؟

فيتذكر أنه نسي الإشارة إلى فكرة أخرى سعى إلى تحقيقها فيقول: «أنا نادم أيضاً لأني لم أستطع تحقيق هدف سعيت إليه وهو إقامة لوبي مسيحي كاثوليكي أميركي على غرار اللوبي الصهيوني من أجل الضغط على إدارة الولايات المتحدة وحكومتها لمساعدة لبنان على استعادة سيادته واستقلاله وحريته وتنفيذ القرارات الدولية. وهذا ما طالبت به خلال زيارتي إلى واشنطن في نهاية ١٩٧٥ ولكن ويا للأسف لم يتحقق حتى اليوم مثل هذا المشروع».

وتسأله: إذا أردت القيام بجردة حساب فما هي حصيلة تجربتك السياسية؟

بعد تفكير يأتي الجواب: «حاولت في كل حياتي السياسية لفت نظر الشعب

اللبناني وتحذيره من الأخطار المحدقة به وبمصير وطنه. والترضية الوحيدة التي أشعر بها هو قول الناس: كان العميد على حق. فكل شيء قلته داخل مجلس النواب وخارجه في الخمسينات والستينات والسبعينات حدث ولو أخذت به الحكومات اللبنانية المتعاقبة ربما لما كان وصلنا إلى ما وصلت إليه الحالة اليوم، أكان بالنسبة إلى القوات الدولية أو بالنسبة إلى اتفاق القاهرة أو غيرها. لكن ما لا يعزيني هو الوضع المأسوي الذي يعيشه الوطن، خصوصاً على صعيد هجرة مئات الألوف، والشباب الذين وجدوا عملاً في الخارج لا يفكرون في العودة».

الفصل الثالث

المـرأة

يؤكد العميد أنه لا يمكنه «العيش من دون امرأة»، وأنها «كانت دائماً موجودة في حياته»، ولذلك قال كيسنجر في رده على رسالة العميد الشهيرة في العام ١٩٧٦ «يقولون لي إنك دون جوان».

في حوار معه عن المرأة ييجب العميد:

ـ أذكر مرة كنت برفقة خمسة شباب وخمس بنات على الكوت دازور، وصودف مرور بدوية قرب طاولتنا في المطعم تطلب المساعدة، فناديتها وأجلستها قربي. احتج رفاقي، ولكنني أصررت على بقائها. وعندما انتهت من طعامها قالت لي: الآن سأقرأ لك البخت. فجاوبتها: القهوة الفرنسية ليس لها طحل.

فنادت شخصاً مصري الجنسية مكلفاً بتحضير القهوة العربية في المطعم؛ فأتى بفنجانين واحد لي وآخر لها. بعد الانتهاء مباشرة، أخذت فنجاني وبدأت تبصّر لي، أنا شخصياً لم أكن أؤمن بذلك. وأذكر أنها قالت لي يومها: حظك مرتبط بالرقم ١١، والنساء يحببنك، أعطيهنَّ ثقتك لأنهن مخلصات لك أكثر من الرجال.

مرت الأيام فتعرضت للاغتيال في ١١ تشرين الثاني، ومن ثم في ١١ كانون الأول، ولكنني نجوت فكان الحق معها، أما النساء فقد علّمتني الحياة أن أثق بهن أكثر من الرجال، وخاصة سياسياً.

*** ما الذي يعجبك فيهنَّ؟**

ـ أولاً لا يجب أن تكون المرأة بلهاء (يبتسم) كما أكره أن تكون مدَّعية، لا يمكنني معرفة إذا كنت سأحبها يوماً ما. فكل شيء يستند على إحساسي تجاهها حين أراها. أنا صراحة أرتاح للفرنسيات أكثر من اللبنانيات. وحتى في بيروت كان لدي هذا الشعور، والسبب يعود إلى أن اللبنانية متعلقة بفكرة الزواج ومصرة على بناء العائلة، في حين أن الأجنبية تبقى فترة معينة في حياة شريكها، ومن ثم تخرج من دون مشاكل (يبتسم).

*** ولماذا هذا الإصرار على عدم الارتباط؟**

ـ في ذلك الوقت كان شغلي الشاغل هو السياسة، وما زلت حتى الآن. فلو تزوجت لما تحمَّلت زوجتي هذه الحياة.

*** كم مرة أحببتك في حياتك؟**

ـ لا أستطيع الإجابة، لكن بصراحة لا يمكنني العيش من دون امرأة، دائماً هي موجودة في حياتي، أتكلم معها في كل شيء إلا في السياسة.

*** نستنتج أنك لم تكن ثابتاً في حياتك؟**

ـ كنت أخرج من العلاقة بنعومة دون أن أجرح أحداً. أذكر أنني كدت أن أتزوج ثلاث مرات، لكن الأولى والثانية كانتا متزوجتين وأجنبيتين، ولم يكن بإمكاني الارتباط بامرأة مطلقة بسبب أمي التي كانت ترفض هذا الموضوع. أما في المرة الثالثة فلم توافق أمي أيضاً على ارتباطي لأن الحبيبة كانت ممثلة مسرح. أما والدي الذي تعرَّف بها وأعجب بذكائها قال لي: غداً، عندما تذهب إلى باريس عاشرها شهراً ومن ثم قرر على ضوء ذلك.

فذهبت إلى باريس وهناك عاشرتها مدة شهر لمعرفة ما إذا كان تصميمي على الزواج منها في محلَّه، فكانت عيشة صعبة، إذ في أغلب أوقاتها كانت متعبة تذهب إلى المسرح وتعود منه لتنام. عندها غيَّرت رأيي وعدت إلى لبنان، وهكذا انتهت القصة. يومها فكَّرت أنه لو عاندني أبي لكنت تزوجتها.

الفصل الرابع

الخطيــب

يعترف كل النواب الذين عاشوا زمالة مع العميد في المجلس النيابي أنه كان من «ألمع» الخطباء فيه بالرغم من عدم إتقانه للغة العربية بشكل جيد، كزملائه: حسن الرفاعي، إدوار حنين، لويس أبو شرف...

ولأنه كان يدرك هذا «التقصير»، لجأ إلى تطعيم كلامه في المجلس «بلطشة» لهذا و«زكزكة» لذاك.

وهذه مقتطفات من مناقشته الطويلة جداً للبيان الوزاري بعد اتفاق القاهرة في ٤ و٥ و٦ كانون الأول ١٩٦٩ .

رئيس المجلس: (صبري حماده) لقد وجهت كلمتي في أول الجلسة لحضرة العميد، على أننا لسنا الجمهورية الثالثة بفرنسا، ولكننا في جمهورية لبنانية عربية. وقد وضعنا لهذا المجلس نظاماً داخلياً وبموجب نظامنا الداخلي، الرئاسة لها الحق إذا فاتها الوقت أن تصدق محضر الجلسة، الرئاسة هي تصدق محضر الجلسة وفيما خص الانتخابات فأنا صدقت محضر الجلسة.

ريمون اده: ما راح جادلك لأن اللياقة تقتضي. . .

رئيس المجلس: إذا بتريد تا فرجيك اياه.

ريمون اده: لا! ما تفرجيني اياه.

. . . ضحك.

رئيس المجلس: لذلك ليسمح لي حضرة العميد بأني ما أعطيته حق الكلام

إلا ليناقش البيان الوزاري ولكنه خرج على الموضوع. الرجاء الرجوع إلى مناقشة الموضوع.

ريمون اده: أيها الصديق صبري بك. من الخطر جداً أن يتكلم النائب في آخر الجلسة بعد أن يكون جميع الزملاء قد تكلموا «ونهبوا» قسماً من أفكاره، ولكن، لحسن حظي، إني قرأت البارحة، في جريدة صوت العروبة،لأخينا عدنان الحكيم، سلفاً، موضوع خطابي في هذه الجلسة، أي قبل ٤٨ ساعة: «ماذا سيقول الاستاذ ريمون اده في مجلس النواب:

أولاً: الطعن باتفاق القاهرة والتهجم على كل من وافق عليه». هذا يجوز.

ثانياً: التهجم على إحدى المؤسسات الوطنية والطعن بكبار المسؤولين فيها وتجديد مطاليبه السابقة للتشفي منهم» يمكن ما أعملها.

ثالثاً: ترويج أنباء جديدة عن وجود مخالفات في دوائر الدولة والمطالبة بمحاكمة المسؤولين عنها، مع العلم أن هذه المخالفات غير واردة إلا في مخيلته الخصبة». همني أنهم يتكلمون سلفًا عن وجود مخالفات، وانهم يقولون إن هذه المخالفات غير واردة. المخالفات موجودة.

وقالت: «إن الأوساط السياسية والبرلمانية والشعبية لن تستغرب اسطوانة العميد الجديدة، لأنهم يعلمون مضمونها، ولو كان مخلصاً للبنان ويرغب في تأييد استقراره، لتناسى أحقاده وصرف النظر عن لعبته الجديدة التي لن تنطلي على أحد».

لا أعرف إذا كان صاحب الجريدة يطلع عليها. إنني متأكد من أن الصديق عدنان الحكيم ليس له علم بهذا الموضوع.

عدنان الحكيم: هذا صحيح.

ريمون اده: اهه... وصلنا لها.

نحن مع احترامنا للصحافيين، نعرف أن هنالك بعض وكالات الأخبار ـ في كل بلاد العالم، توجد هذه الوكالات ـ تقبض من الحكومة، لكن هنا، عندنا، يوجد نوع من الوكالات لا مثيل لها في غير بلاد. هذه الوكالات تنفذ تعليمات بعض الأجهزة التي تكلم عنها عطوفة الرئيس كامل بك الأسعد أو تعبر عن أفكارها. في الماضي كنت وحدي الذي يتكلم بهذا الموضوع. اليوم، صار الجميع يسبقونني إلى الحكي فيه. لذلك أقول: ملاحظة أولى: إن الخطر على الديمقراطية ليس من الطائفية، كما قال الرئيس اليافي والاستاذ شفيق الوزان، بل الخطر على الديمقراطية في لبنان ـ وإنني أتفق على ذلك مع صديقي القديم كمال بك جنبلاط ـ هو من تدخُّل هؤلاء الجماعة الذين بالزمان كانوا يوقفون سيارتك يا صبري بك، عندما تخوض المعارك الانتخابية في بعلبك قبل أن تتحسن علاقاتك ببعض المراجع.

هؤلاء هم الذين يفسدون الديمقراطية. وإني أجزم أن وراء كل وزير من الوزراء الذين يتولون وزارة سياسية، ليس الزراعة طبعاً، وراء كل وزير من هؤلاء شخصاً هو بالواقع الوزير الحقيقي: مثلاً وراء الرئيس كرامي يوجد شخص اسمه لحود، طبعاً ليس سليم لحود. وراء معالي وزير الداخلية ـ إلا إذا كانوا يخافون منه ـ يوجد شخص اسمه الخطيب، طبعاً ليس أنور الخطيب.

رئيس المجلس: حضرة الزميل، لقد تكلم أكثر من نائب وتكلم أكثر مما تكلمت يا حضرة العميد أرجوك المحافظة على النظام وعدم ذكر الأسماء. . . .

(احتجاج وضجيج)

ريمون اده: لماذا تقاطعني. سميت سليم لحود وأنور الخطيب لا هذا احتج ولا ذاك، النظام الداخلي لا يقول. . . .

رئيس المجلس: بلى، النظام الداخلي. . . .

ريمون اده: إني أحفظ هذا النظام الداخلي مثلك.

بهيج تقي الدين: كيف تحمي لبنان؟

ريمون اده: أنا سوف أقول لك كيف تحمي لبنان. اثناء الاستقالة وغياب الحكومة كنا نسمع أن الطيران الاسرائيلي هاجم قرى الجنوب، شبعا، شويا، كفرشوبا، ومنذ شهرين، عيترون. وقد تكلم بخصوص عيترون كامل بك الأسعد. وكنت أنا أتساءل أين الطيران اللبناني لأن المعركة بقيت ساعتين. معركة عيترون بقيت ساعتين. نحن اشترينا ١٢ ميراج، أنا لست اختصاصياً. لكني أجزم أننا لسنا بحاجة إليها. ولن نقدر أن نستعملها لأن مساحة لبنان ضيقة لدرجة، أن الميراج إذا طارت صوب الجنوب تصل إلى إسرائيل وهنا المشكلة، وإذا طارت صوب الشرق تصل إلى سوريا وهذه مشكلة ثانية. وإذا طارت من جهة البحر تصل إلى قبرص، وهناك نعلق بالمطران مكاريوس، يعني من كل الجهات، استعمالنا الميراج سيخلق لنا المشاكل.

الاختصاصيون قالوا إنه في بلد كلبنان لا فائدة للميراج. الميراج مفيدة للعراق، لسوريا، لمصر. وكما قال صائب بك سلام، هناك وسائل دفاعية مفيدة لبلد كلبنان أكثر بكثير من الميراج. عدا عن أننا البلد الوحيد الذي يكلفه الميراج على الأرض أكثر مما يكلف لولا طار، لماذا؟ لأننا أثناء الأزمة الأخيرة كنا خائفين أن يسرقوها لنا، لم نكن نعرف أين يجب أن نخبئ هذه الطائرات، كنا نخاف أن يسرقها الفدائيون أو غير الفدائيين. هل يستطيع أحد أن يصدق أن الطائرة على الأرض تكلف الدولة أكثر مما تكلفها لو أنها طارت، وكلنا يعرف كم تكلف هذه الطائرة عندما تطير؟

وقصة الميراج أقدم من ذلك: كان علينا أن ندفع نصف ثمنها، لأن القسم الثاني كان على الدفاع المشترك العربي أن يدفعه، لكن الدفاع المشترك العربي لا أعرف السبب، عدل عن ذلك. فأصبحت القضية بيننا وبين فرنسا. عندنا قرض من فرنسا قدره مئة مليون فرنك نريد أن نستعمله لغير هذه الأمور، لكن الفرنسيين

قالوا: لا نرضى فنحن سنحسم منه ثمن الميراج. قد تكون اليوم طائراتنا الميراج برسم البيع كما قيل لي. ولا أعرف إذا كنا سنلاقي مَنْ يشتريها بعد أن شعرنا أن لا حاجة لنا بها.

(مقاطعة من علي ماضي)

ريمون اده: انت هلق يا سيدي بتحكي وبتعطيني متيلي.

علي ماضي: ما تخاف عا لبنان الجنوبي يا عميد.

ريمون اده: انت هلق بتحميه بعويناتك.

(مقاطعة).

ريمون اده: (موجها كلامه لرئيس المجلس): تريد أن تفهم النائب المحترم أن لا يقاطعني، أنا سأقول لك كيف أدافع عن الجنوب، لأنك انت لا تتجاسر أن تقول كيف، أنت لا يهمك الجنوب، أنت بتهمك نيابتك.

(مقاطعة وضجيج)

ريمون اده: والشيء نفسه عن الرادار، اشترينا رادار كلف ٦٠ مليون فرنك، شو بيعملوا باللبناني (موجها كلامه ليوسف سالم)؟.

يوسف سالم: ٣٦ أو ٣٨ مليون ليرة.

ريمون اده: الرادار لا ينفع لبنان بسبب ضيق المسافة أيضاً، لأن الموظف الموجود أمام شاشة الرادار لا يستطيع أن يقول، إن طائرات العدو تهاجمنا، إلا عندما تقطع الناقورة. وطائرات العدو كي تصل من الناقورة إلى بيروت يلزمها دقيقتان. معنى ذلك أن الموظف لا وقت لديه ليتصل برياق، أو بالقليعات أو بالجيش، للإعلام عما رأى. قد نكون اشترينا الرادار لسوانا. ولكن من المؤكد أن لا فائدة لنا منه. هذه المعلومات أخذتها من اختصاصيين في فرنسا. أخبروني أننا نشتري أسلحة لسنا بحاجة إليها. فقلت لهم: لماذا تبيعوننا إذاً إياها؟ قالوا: نحن تجار، مصلحتنا أن نبيع، ولكن أنتم لماذا تشترون؟

قد يكون هنالك سبب يمنع شراء الضروري والنافع.

لذلك عندما كنت وزيراً اقترحت أن تؤلف لجنة تدرس الأسلحة التي نحن بحاجة إليها والتي تناسب وضعنا، وأعتقد أننا طلبنا من فرنسا اختصاصيين أرسلوهم لنا، ولم أعرف ما حدث بعد ذلك. ولكن يا دولة الرئيس لا يجوز أن نصرف الملايين لشراء طائرات لا يمكن أن نستعملها، ورادار لا نستفيد منه. في حين أن هنالك طرقاً وأسلحة يمكن أن تفيدنا. ولكن قد يكون السبب ما قاله صائب بك وهو، أن قيمة فاتورة ما يفيدنا ضئيلة جدا والقومسيون عليها، ما بتحرز!!.

رئيس المجلس: أظن يا حضرة الزميل أن قرار مجلس الدفاع المشترك أوجب على لبنان أن يشتري طائرات ميراج.

ريمون اده: مظبوط.

رئيس المجلس: وهو يدفع النصف.

ريمون اده: بس، ما دفع.

رئيس المجلس: القضية أساسها مش لبنانية، القضية قرار مجلس الدفاع المشترك العربي.

ريمون اده: مظبوط، قلت هيك.

رئيس المجلس: وهو بدو يدفع.

ريمون اده: لم يدفع، لم يدفع.

...

جان عزيز: هذا اتهام واضح لنواب الجنوب. أنت طلبت أن يتراجع الجيش إلى القاسمية.

ريمون اده: أنا لم أطلب. أنا قلت ولا أزال أقول وأردد إن وجود الفدائيين...

جان عزيز: أنت قلت لي. . .

ريمون اده: الحكي معك ليس له قيمة.

(ضحك)

ريمون اده: أنا ضد اتفاقية القاهرة لأنها تعطي عذراً لإسرائيل. لماذا العذر؟ لأن لبنان عضو في هيئة الأمم. . .

(مقاطعة مطرقة الرئيس)

ريمون اده: لأن وجود الفدائيين سيسبب مشاكل بين اللبنانيين. هنالك إمكانيتان. . .

(مقاطعة)

اتفاق القاهرة لا يعرفه أحد. نتائجه فقط معروفة وهي التمرين في مخيمات اللاجئين، مرورهم بسلاحهم الكامل عبر الأراضي اللبنانية، حرية تنقلهم، استعمال أرض لبنان للهجوم على إسرائيل. أنا منذ البدء قلت لكم أنتم الأكثرية ـ لكنكم رفضتم ـ ليؤلف رشيد بك حكومة نهجية ويتحمل مسؤولياته تجاه البلاد. لكن رشيد كرامي كان ذكياً مرة جديدة، وقال: لن أتلبك وأعمل حكومة نهجية وأتحمل وحدي المسؤولية. أريد أن أضع إلى جانبي بيار الجميل وجوزيف أبو خاطر وموريس الجميل أيضاً من أجل التخطيط وكذلك سلميان فرنجية. أريد أن أعملهم وزراء. برافو عليه، ولكن أنا سأعارض. هل تمنعوني أن أعارض؟ ربما يبدو غداً أن الحق كان مع الحكومة، وربما أعمل أنا غداً تمثالاً لرشيد كرامي، ولكن، ربما أيضاً يأتي يوم نبكي فيه جميعاً. أرجو أن لا، ولكن عندئذ تكون إسرائيل قد هاجمتنا واستولت على قسم من أراضينا.

(مقاطعة من جان عزيز. ضجيج. لغط)

ريمون اده: نعم يا جان أنت ستعطي الثقة.

جان عزيز: أنا لن أعطي الثقة.

ريمون اده: مش صحيح، مش صحيح.

جان عزيز لن أعطي الثقة، لن أعطي الثقة حتى أبرهن لك أني لا أأتمر بأمر أحد، ولكن الحكي الذي تحكيه يسهل لإسرائيل ضرب الجنوب.

ريمون اده: من الصباح أنت قررت إعطاء الثقة.

(مطرقة الرئيس. ضجيج)

ريمون اده: أنت راح تعطي الثقة ومجبور تعطي الثقة.

(مقاطعة)

ريمون اده: (لسليم حيدر) يا سليم بك اقعد ارتاح.

(مطرقة الرئيس. ضجيج)

علي ماضي: انت تخوِّف الجنوب.

سميح عسيران: انت تخوِّف أهل الجنوب. أرجو من الرئاسة، إن هذا الكلام يعاقب عليه قانوناً بموجب قانون العقوبات العامة.

(احتجاج من النواب على كلام سميح عسيران وضجيج)

سميح عسيران: إن أبناء الجنوب باتوا يتخوِّفون من هذا الكلام غير المسؤول، لا يجوز أن يتكلم هذا الكلام.

(مطرقة رئيس المجلس)

رئيس المجلس: أستاذ ريمون تفضل كمِّل.

ريمون اده: يا صبري بك أنا ما ذنبي؟ ما مسؤوليتي في حادث عيترون؟ هل أنا الذي قلت للفرقة الاسرائيلية أن تدخل عيترون؟ جاوب انت.

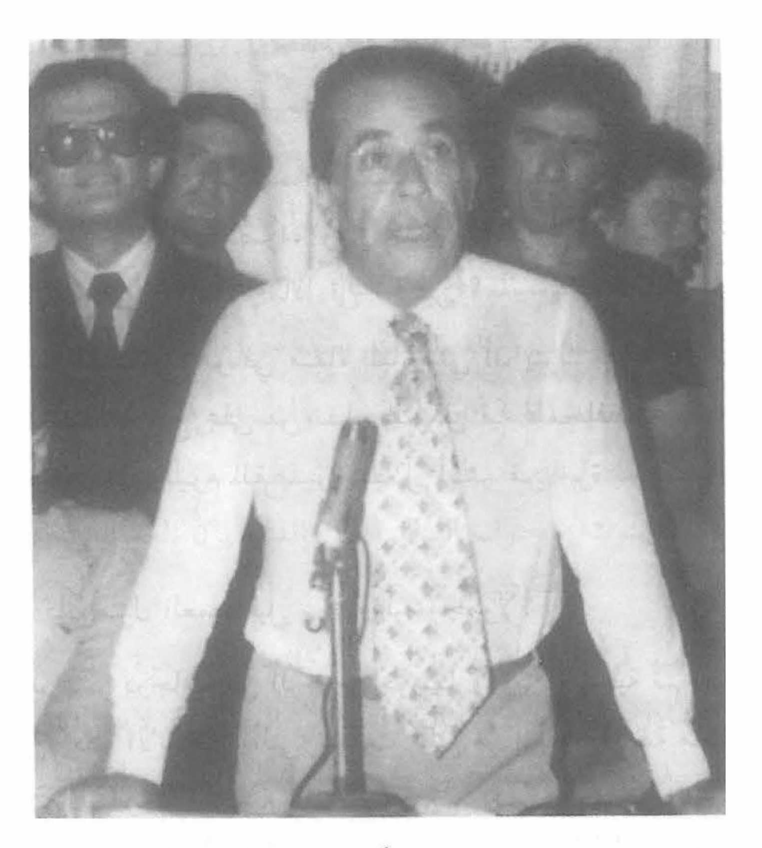
(ضجيج. مطرقة الرئيس، مقاطعة من معروف سعد، ضجيج، مطرقة، لغط).

ريمون اده: شو عملت أنت لأهل عيترون؟ جاوب انت.

معروف بك قال إنه لو كان هنالك فدائيون لما دخلت إسرائيل عيترون. يجوز. إنما لماذا انتظرنا حتى البارحة حتى توافقوا على الفدائيين؟ لماذا لم توافقوا على الفدائيين لما....

عبدالله اليافي: انت ما وافقت.

ريمون اده: أنا وحدي، والله برافو عليّ. راح صدق حالي إني كل البلد. شو هالحكي. كان من الواجب إذا كانت الأكثرية مقتنعة أن الوجود الفدائي هو لمصلحة لنبان ويتمكن من الدفاع عن لبنان، كان من واجب الاكثرية، وهذه الاكثرية كانت موجودة، لم تخلق أمس هذه الأكثرية، الأكثرية موجودة منذ اليوم الذي ألف به رشيد كرامي أول حكومة، كان من واجب هذه الأكثرية أن تأتي إلى هنا وتقول: أنا أوافق على العمل الفدائي. وهكذا نكون قد وفرنا دخول إسرائيل إلى عيترون، ونكون قد وفرنا على سبعين عائلة لبنانية نزوحها من هناك، ونزوحها ليس بسببي أنا، يا أستاذ غسيران، بل لأن الاسرائيليين دخلوا قريتهم، ولأن الجيش اللبناني كما شرح كامل بك الأسعد، بالرغم من بقاء المعركة ساعتين ونصف، لم يذهب ليدافع عنهم، هربوا من هناك ليس بسببي أنا.



العميد خطيباً عام ١٩٧٥.

الفصل الخامس

«قصره» الرئاسي

في البيتين اللذَيْن سكنهما العميد، الدار الكبيرة في بيروت، و«الشقة» الصغيرة في باريس، كان مصرًّا، وهو الذي لم يتزوج، أن تكون صورة والدته لودي سرسق مرافقته الدائمة. فماذا في «البيتين»؟

لم يشأ العميد، وهو في منفاه الباريسي أن يترك منزله، الذي تربى فيه، وحيداً. ولذلك كان يلح على من تسلم السكن فيه للمحافظة عليه، أن يبقى بابه مفتوحاً. وكان في اليوم القصير يتصل أكثر من مرّة بساكنيه للاستفسار والاطمئنان.

كيف كان منزل العميد قبل عودته إليه محمولاً؟

تصعد عشر درجات من الرخام تحوطها ورود بنفسجية ثم تعبر باباً فسيحاً وعريضاً إلى ردهة الاستقبال التي شهدت على مر العقود الآنفة محطات مع كبار الشخصيات اللبنانية والعالمية. الأثاث قديم، عمره ربما من عمر الاستقلال، ألوان الكنبات متناغمة، أو الأصح أنها كانت كذلك قبل أن يترك العمر بصماته عليها. فرش مكتبه الخاص بين الزهري والبنفسجي، كان يحب هذا اللون.. وعلى المكتب ركزت صورة رسمية لوالده إميل إده ومجلد الأعداد الأولى من مجلة «المعرض». وخلف كرسيه ركزت مكتبة تحوي كتباً في القانون والأدب والسياسة والتاريخ، ونالت فرنسا «حصة الأسد» منها: ثمة كتاب يحكي عن ذكريات الحرب الفرنسية كما رواها شارل ديغول، وثان بعنوان «باريس وضواحيها». العميد فرنسي «الهوى» والاهتمام من زمان.

الرسوم ترتاح فوق الجدران التي أخضعت لترميم أبرز ألوانها مجدداً. وغالبيتها تبرز صوراً عن الفروسية والأحصنة والقوس والنشاب والرمح.

غرفة العميد في الطبقة العليا، صغيرة جداً، بل الأصغر بين الغرف الثماني التي تتوزع في أرجاء البيت. شَغَلَها مذ كان طفلاً ورفض تغييرها حين كبر. وهي بدورها مزدحمة بالكتب، وعلى الأرض أكوام منها. كان يمضي ساعات طويلة هناك،يستريح بين أرتال الكتب بعد عناء السياسة. كتاب جيسكار ديستان «ديموقراطية فرنسية» لا يزال «مشلوحاً» جنب السرير، نسيه هناك قبل عقدين ونصف عقد، وعلى مقربة كتاب «الملاذ والمنهل» فهل بدأ يفكر في المنفى من وقتها؟

جنب السرير أيضاً كرسيان من قش قبالتهما مكتبة وطاولة خشب عليها ملف باسمه يحوي جدولاً بأسماء رؤساء بلديات قضاء جبيل آنذاك.

في غرفة نوم العميد أيضاً ألعاب صغيرة وأشخاص من جفصين وليرة لبنانية صادرة عن بنك سوريا ولبنان «مؤطرة» وعليها توقيع سفير أميركا المعتمد في لبنان عام ١٩٥٩، «ماكلينتوك» ويعترف السفير على الليرة بأن العميد ربح رهان عقده معه.

كرسي العميد في الحديقة لا تزال في مكانها، آخر مرة جلس عليها كانت في الليلة التي غادر فيها لبنان. جال وقتها في الحديقة، لامس كل زهرة فيها على حدة، اغرورقت عيناه بالدموع ورحل. يومها ظن الجميع أنه ذاهب إلى مصر بدعوة من رئيس جمهوريتها آنذاك أنور السادات، وسيعود.

وكيف ترك «قصره» الصغير في فندق «كوين إليزابيت»، الذي أراده مقراً لرئاسة جمهوريته؟

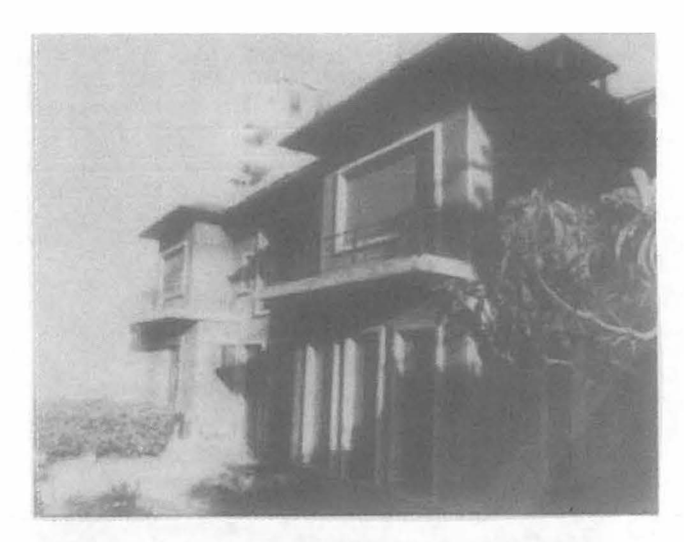
في الركن الجانبي تظهر لوحة لمرفأ جبيل حيث تختلط ذكريات الماضي بالحنين إلى العودة. وفي الزاوية المقابلة تتصدَّر الغرفة صورة تذكارية لرحلته إلى الاتحاد السوفياتي. وهي تمثله إلى جانب حاكم طشقند، وقد ظهر خلفهما السفير السوفياتي عظيموف وكمال جنبلاط ورشيد كرامي. وفوق الحائط الشرقي ترتفع

صورة ملونة ضخمة للعميد وهو يمسك بلجام حصان أبيض. والصورة هذه التقطت له في البرازيل يوم زار شقيقه بيار. وتحت زجاج الطاولة مقتطفات منتقاة من صحف لبنانية وأجنبية، بينها صورة كميل شمعون وبيار الجميّل يستقبلان سفير ليبيا. وقرب المرآة حنفية معدنية مهداة من مصطفى درنيقة مع ملاحظة تقول: «ليش مسكّر الحنفية يا عميد؟». والحنفية بمعناها الرمزي تذكر «بمعلقات» ريمون إده في البرلمان، وبتصاريحه المتدفقة مثل مياه النهر. أمَّا صورة والدته لودي سرسق، فمثبتة إلى جانب سريره وكان يعتبرها المرشدة والمربية الأرثوذكسية التي أبعدته عن مناخ التقوْقع والتعصب، وحررته من عدة العزلة والانغلاق، وكل ما يعاني منه غالبية زعماء الموارنة، وكما حرص العميد على نقل أشيائه الشخصية إلى باريس، كذلك حرص على إبقاء أثاث منزله في رأس بيروت، مع كل ما يحتويه من لوحات وسجاد وقطع أخرى، ولمَّا بلغه مرَّة أن بندقية الصيد سرقت، قال: «إن هذه الحادثة لن تستفزني لتغيير رأيي. إن منزلي سيبقى في بيروت الغربية رمزاً لوحدة العاصمة. الأثاث ليس أغلى من الوطن. أنا أريده أن يبقى عنوان عودتي مهما طالت غربتي».

في ظل هذه الجمهورية الخاصة كان العميد يغتبط لسماع لقب «رئيس جمهورية المنفى»، وهو لقب يحمل الكثير من العزاء إذا ما قيس بأدوار المنفيين من قبله مثل ديغول وكرامنليس والخميني.



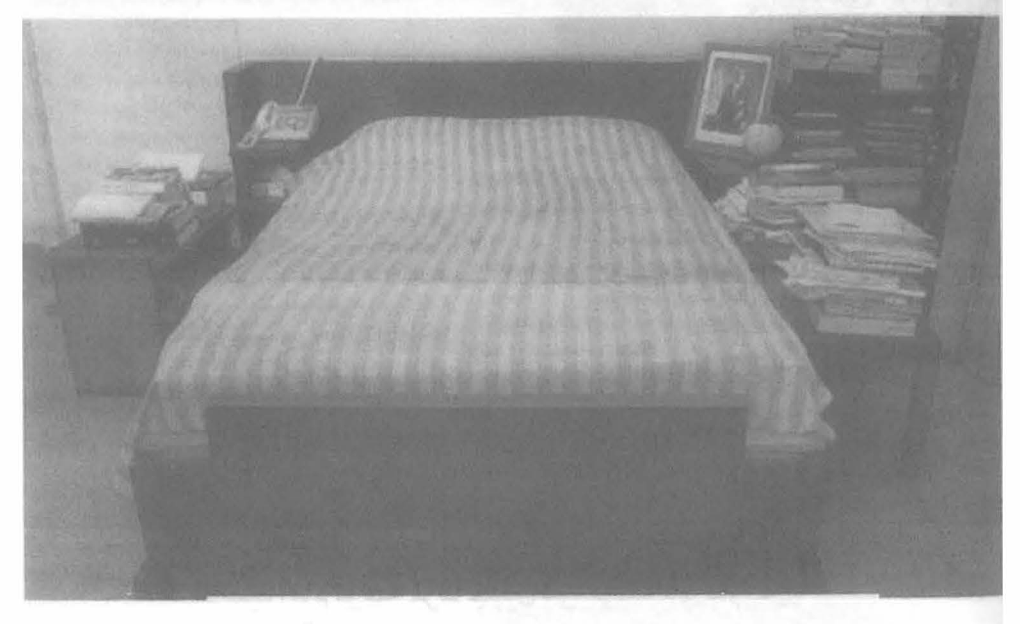
في هذا الحي كان منزل الرئيس السابق اميل اده.



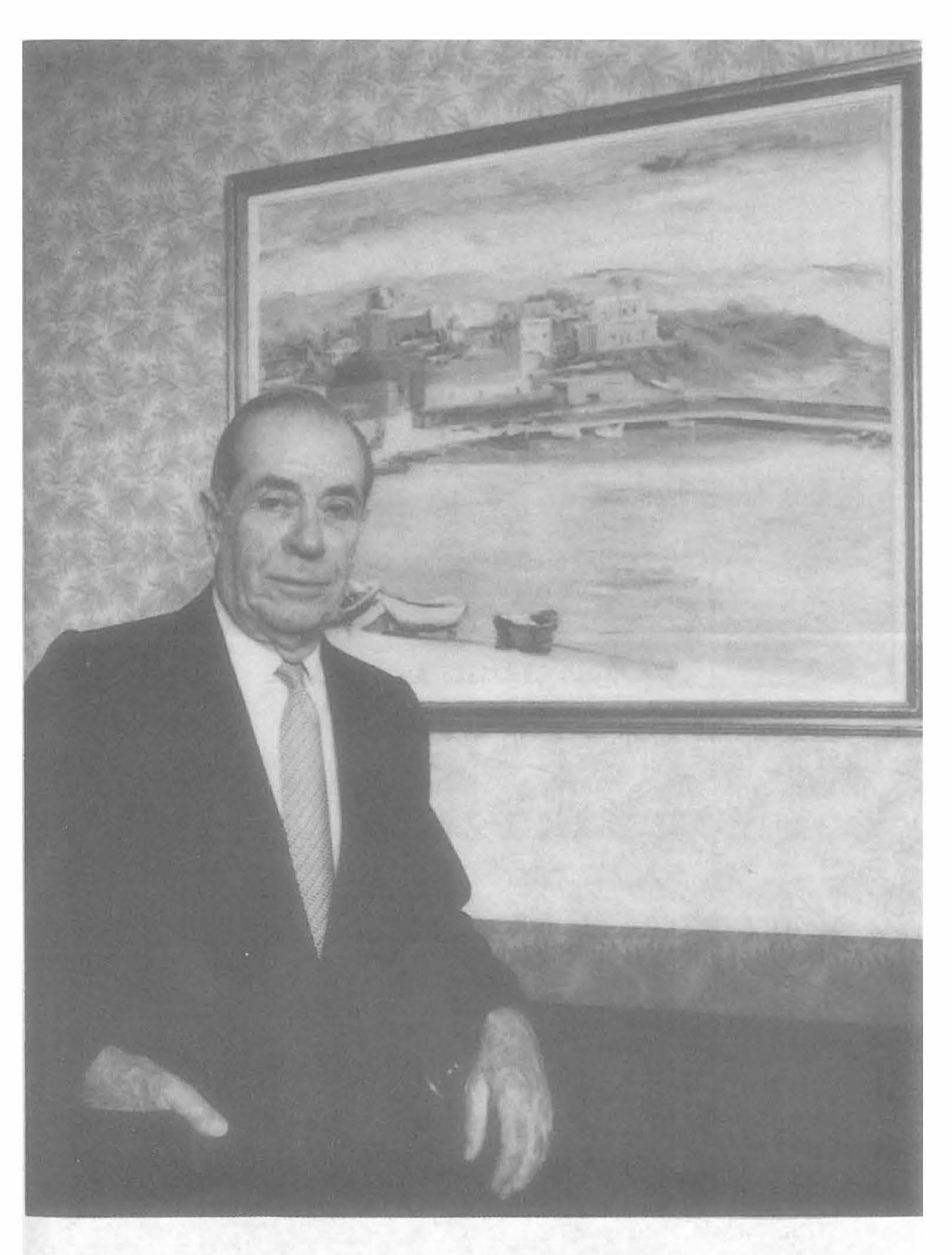
منزل العميد اده في الصنائع -بيروت.

داخل منزل العميد: صورته إلى جانب صورة والده.

مكتب العميد في منزله في الصنائع.

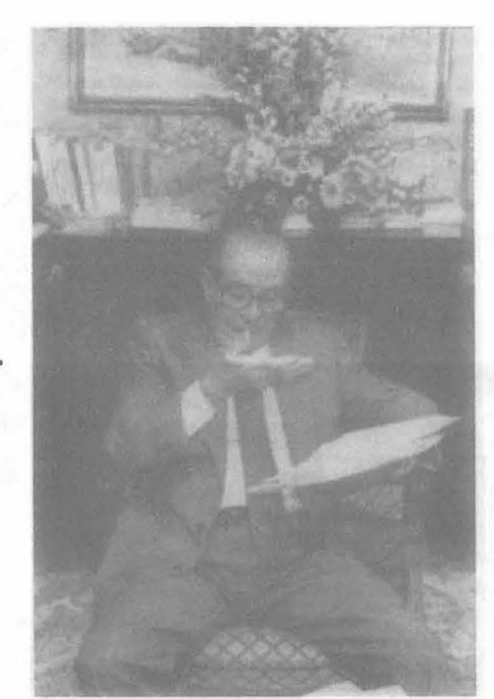


سريره وكتبه كما ظلت طوال ٢٥ عاماً.



العميد أمام لوحة لمرفأ جبيل في غرفته في باريس.

في آخر حديث له مع نهاد طوباليان (الأنوار) يدلي به من غرفته في باريس.



... ويتحدث عن الدستور.



أمام فندق كوين اليزبيث في باريس تحت العلم اللبناني الذي حرص على رفعه على واجهة الفندق.



خريطة الجنوب على باب غرفته.



صورة له مع رشيد كرامي وجنبلاط وسفير روسيا عظيموف معروضة في غرفته .

الفصل السادس

روح الشباب

هل عاش العميد إدّه حياته مترهِّباً للسياسة فقط؟

كل الذين رافقوه يؤكدون إنه أعطى لكل وقت «حكمه». فهناك وقت للسياسة، وهناك وقت لممارسة كل الهوايات، وما يرتاح إليه القلب...

صحيح أن العميد لم يتزوج، بل «تزوج» السياسة، لكنه كان خبيراً في شؤون العينين، يحبهما ثاقبتين، واثقتين ولامعتين، تدلان على أن صاحبتهما تملك، إضافة إلى الجمال، الثقة بالنفس والمعرفة.

وقصص العميد مع النساء لا تحصى... وهو الأعزب الدائم... حتى في عمر الشيخوخة، كان يرتاح لمرافقة امرأة إلى مطعم أو صالة سينما أو سهرة... وهدفه الإثبات أنه، وبالرغم من السنين، لا يزال قلبه مليئاً بنبض الشباب.

ألم يقل عنه كيسنجر إنه «دون جوان»؟

ومع أن العميد كان يرفض قبلات «أبو عمار»، فإنه في المقابل، كان يرتاح كثيراً لقبلة صبية أو سيدة لها من الجمال ما ترتاح له العين وما يسرّ به القلب.

وبقدر ما كان العميد يحب المرأة، كان يمارس باقي هواياته من صيد وسباحة وركوب خيل... فالذي اعتاد على التحدي في السياسة، يريد أن يكون الفارس في البر والمغامر في البحر.

والجميع يتذكَّر الأوقات التي كان يمضيها في فندق «السان جورج»، فندقه

المفضّل، تحت الشمس، أو مع الأصدقاء «يركّبون مقلة» هذا السياسي، أو يدبّرون «مقلباً» لذاك الصديق.

كما يتذكرون أيضاً «رحلاته» إلى الصيد مع المناصرين والمحازبين في مناطق جبيل أو البقاع... فكما كان العميد «صياداً» من الطراز الأول في السياسة. هكذا كان صياداً للطيور... وفي أحيان كثيرة يصيب «الطريدة»، من دون إطلاق رصاص البندقية، بل بإرسال إشارات، كما تتناغم وتتناغش الطيور.

وإذا كان العميد قد تميَّز بهذه الصفات، فإن الميزة الأساسية التي طبعته، هي روح النكتة. فهو كان سريع البديهة، حاضر الذهن، «وجوابه تحت باطه»، كما يقال، لكي يرد «الصاع صاعين»، لمن يريد المزاح معه. فكم من مرّة سجَّلت جلسات المجلس النيابي تلك «اللسعات المميتة» للعميد، لكل من يحاول «حركشته». عندها كان يستعمل كل أسلحته في «التنكيت» لإسكات الخصم... والرئيس صبري حماده، أو كامل الأسعد، يسعى لإسكاته، طالباً منه التوجّه بكلامه إلى الرئاسة، وليس إلى «الزملاء النواب».

باختصار لم يرضَ العميد ممارسة السياسة كهواية. لكنه في المقابل، مارس هواياته حتى في سن الشيخوخة، وأحلاها لقاء مع امرأة، وقلبه مليء بروح الشباب.

العميد «الشاب» يركب دراجة في مزرعة آل الخليل قي شبريحا.

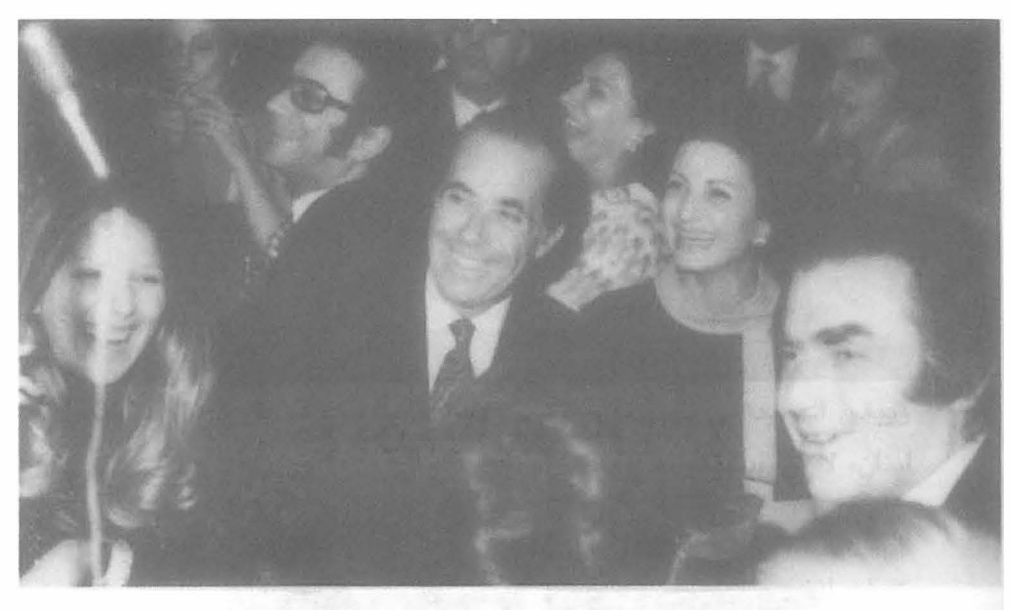


ريمون اده في عانا، على أراضيه (البقاع الغربي).



ريمون اده محاطاً بعلياء الصلح (يمين) والاميرة الايطالية ماريا بيا (يسار) وديك دوسورمان.

الكل يرقص وريمون اده بقي جالساً.وقبالته زوجة السفير الكندي.



في مسرح الساعة العاشرة مع ليلى الصلح وهيلين بادارو ود. بشير سعادة.



منتظراً سيارته أمام فندق سان جورج.



مع جورجينا رزق عام ١٩٧٣.



مستجماً مع بعض الاصحاب على الشاطئ.



لحظات أخرى من الاستجمام.

الفصل السابع

كلمات للتاريخ

ويبقى العميد في تصرفه مثالاً لكل من يريد أن يشتغل في السياسة في لبنان، لا أن «يشتغلوا» فيه.

وتبقى كلماته عبراً في الوطنية والأخلاق والصدق وقول الحق.

كلمات للتاريخ...

* «. . . هدفي ليس القعود على كرسي الرئاسة للبخترة و«العنترة». إن ما أسعى إليه هو تحرير وطني وتوحيد بلدي وبناء دولة القانون وقيام لبنان مزدهر وسيِّد»

* «نحن أعطينا الولايات المتحدة الأميركية جبران خليل جبران وهي أعطتنا إسرائيل. . »

* «لا أخاف الموت. أنا ضميري مرتاح وعشت كثيرا. وكان يجب أن أموت مثل رشيد كرامي أو كمال جنبلاط. لا أريد الموت هكذا ببساطة»

* «أنا الذي سأقرر متى سأموت، فأنا العميد وأنا صاحب القرار الوحيد»

* «أمنيتي أن أعود إلى لبنان وأدفن إلى جانب أمي وأبي»

* «سأرى لبنان من فوق عندما أكون ميتاً وأنقل إلى بيروت»

* «لو أن الدولة دولة لكانت الفاعليات أمام المحكمة بدلاً من أن تأتي إلى الحكم»

* «لا يمكن أن أعمل باش كاتب لدى أي دولة أجنبية»

* «لبنان أصبح بفضل اتفاق القاهرة مستعمرة»

* «الشعب اللبناني أذكى شعب وأكرم شعب وهو مضياف مؤمن بالله ومحب جداً، ولكنه، سياسياً، تحت المستوى المسموح، وأنا آمل من الجيل الطالع أن يدرس ويطالع جيداً لأنه سيواجه مصاعب كبيرة إذا تم توقيع الصلح مع إسرائيل، كونه سيواجه مزاحمة من الإسرائيليين في كل الحقول. إذاً فليدرسوا فليدرسوا فليدرسوا»

* «مَنْ باعوا ضميرهم وسلّموا سيادة وطنهم وانتهكوا كرامة شعبهم.. أبناؤهم لن يرحموهم»

* «أمد يدي لكل واحد مخلص. أما لكل واحد تلوثت يده بالدم اللبناني فلا»

* «إني أموت عندما يقرر إلهي ذلك. وإذا أبقاني الله على قيد الحياة ربما لأدافع عن وطني وأقاوم كل الذين يريدون القضاء عليه»

* «أحياناً كثيرة بعض مَنْ يتصور نفسه أنه داخل الوطن يكون في الواقع خارجه. والعكس صحيح»

* «لم أصب بالخوف بعدُ، ولم يزل في إمكاني بعد، أن أركب دراجة وخيلاً، وعندما أعود سأرقص الدبكة مع شباب العاقورة. والرابط بيني وبين شبيبة لبنان حبنا للوطن. فالإيمان المشترك بلبنان سيد مستقل حر لا علاقة له بالعمر»

* «اخترت الطريق الصعب وضميري مرتاح»

* «لقد شرشحنا الاستقلال خصوصاً عندما اجتمع النواب خارج الوطن»

* «إن اللبنانيين تقسّمهم الانتخابات ولا توحّدهم»

* «سيعرفني الجيل الجديد من خلال مواقفي التي تعبر عنها تصريحاتي.

وعندما تزول الأسباب التي تحول دون عودتي إلى الوطن يتعرف عليَّ هذا الجيل وجهاً لوجه»

* «لدى قراءتي الصحف اللبنانية ابتسم حيناً وأحزن في غالب الأحيان، لأن أخبار الوطن صارت من المضحك المبكي»

* «أيها اللبنانيون واللبنانيات، أرجو أن تصدقوني، ليس لدي أي طموح سوى إنقاذ بلادنا».

* «لنصل إلى الجنرال ديغول يلزم اليوم مائتا سنة، يجب إعطاء الوقت للعرب. لا يوجد عرب الآن. عندما كان العرب، كان الفرنج «نوَر» الآن حرب الخليج غيرت كل المعطيات، العرب نسوا كل شيء»

* «أنا هكذا، الذي يعجبه جيد، ومن لا يعجبه لا يعجبه»

* «إنني أشعر أحياناً بالخجل أن أكون لبنانياً، إلا أن يوماً سيأتي أعتز فيه بلبنانيتي شأني في الماضي»

* «أنا لست ورقة في يد أحد، لست مع الفلسطينيين، ولست مع السوريين، ولست مع إسرائيل، أنا مع تحرير لبنان وتوحيده. ولهذا أعمل فإما أن أعود بالحل أو أعتزل»

* «إن الوطن في خطر، اليوم أكثر منه أمس.

ولكن بادئ ذي بدء، ما هو الوطن؟

الوطن هو البلد الذي ينتمي إليه المواطن. ولوطننا حدود، هي حدود استقلاله وسيادته.

إنكم باتحادكم، مسيحيين ومسلمين، ستدحرون الغزاة. وبتناسيكم أسباب الفرقة بينكم ستنقذون لبنان، ولبنان يصرخ لكم وينتظر أن تلبوا نداءه. عاش لبنان»

* «مهما انتقدوني وغالوا في انتقاداتهم فلا يمكنهم أن يقولوا عني أني سأصمت ولو مرة واحدة أمام القضاء على وحدة وسيادة بلادي»

* «ضجرت من البقاء... هنا ولكني لن أقول متى أنا عائد.

هذا سر المهنة وكل ما يمكنني قوله الآن: إني «شبعت» من باريس»

* «لقد حان الوقت لكي نعطي للعالم مثال الشعب المتعلق بوطنه والذي يمكنه أن يجتمع بعد أن يكون قد تمزق»

* «الفرق بين الشعب الفرنسي والشعب اللبناني، أن الشعب الفرنسي حاكم المسؤولين بعد المحنة، أما نحن، فبعد كل محنة نقول: الذي مضى مضى ولا غالب ولا مغلوب... ويتعانق اللبنانيون من جديد في انتظار محنة جديدة. والمثل الدارج يقول: كما تكونون يولَّى عليكم... والسلام»

* «لقد وعدت الناس بأشياء لم أستطع أن أحققها، فماذا سأقول لهم لهم إذا عدت! باختصار لقد فشلت».

* «أنا أكرر نفسي عن قصد لأؤكد أني لم أغيِّر اقتناعاتي ومبادئي كما فعل ويفعل الكثيرون غيري. وأنت تعرف، والكل يعرف، أني لو صمتُّ فقط أياماً لحملت لقب صاحب الفخامة منذ زمن بعيد»

* «صحيح أن جسدي في باريس، لكن قلبي وروحي ومشاعري وأحاسيسي في لبنان»

* «اصمدوا وهدوا ولا تبيعوا أرضكم ولا تهاجروا، تشبثوا بالوطن وتمسكوا بصيغة العيش المشترك»

* «إن تخاذلت دول العالم لا يعني أننا على خطأ في موقفنا، بل على العكس يجب أن يكون حافزاً لنا للاستمرار في عقيدتنا ومبادئنا مهما طال الزمن ومهما عاكستنا الظروف. وفي النهاية لا بد أن يأتي يوم تنتصر فيه الحقيقة»

* «وسيأتي يوم، قريباً، وأنا أتمناه، نتخلص فيه نهائياً من الطائفية»

* «لو كنت أخاف لساومت. أو لُذْتُ بالصمت. ثم مِمَّ أخاف. من الاغتيال؟ قد يفعلونها، وعندها تربح البلد شهيداً آخراً»

* «لا أستطيع أن أقول لهم (للبنانيين) شيئاً لأني لا أستطيع أن أكذب عليهم»

* «علَّمتني الحياة أن أثق بالنساء أكثر من الرجال»

* «أنا رجل ديمقراطي وأدعو إلى انتخابات حرة ونزيهة، ولا أخشى على الكتلويين في جبيل لأنهم يفكرون تلقائياً مثلي».

* «اعتقدت دائماً أن على المرأة التي تحبني أن تفعل من أجلي أنا، لا من أجل ما أنفقه عليها»

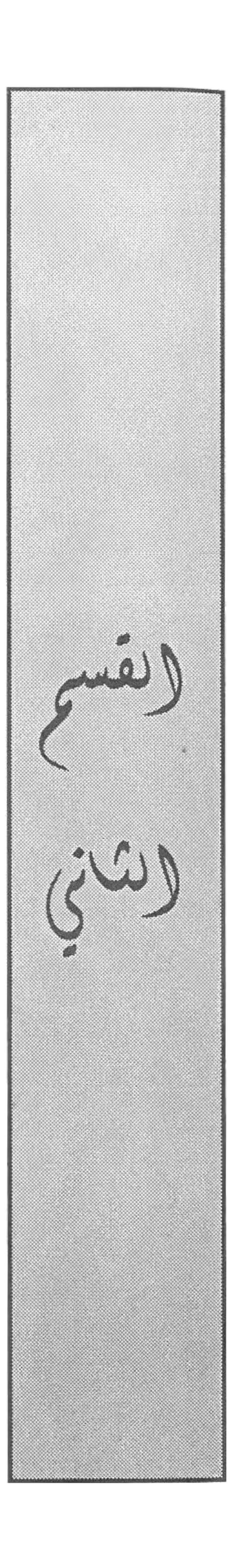
* «إن لبنان هذا، يا سيد كيسينجر، صائر اليوم إلى الزوال بسببك. لا تلمني إذا كنت على هذا المقدار من الصراحة والقسوة: إنني أدافع عن بلدي.

واليوم، من الواجب مساعدة لبنان. من الواجب إنقاذ استقلاله وسيادته، لأن وجوده لا يزال ذا نفع للعالم»

* «أعزائي الشباب.

إن النسيان يوقع مجدداً في الخطأ، ومعرفة التاريخ واستذكاره دائماً، وحده يعلم ويحذر ويساعد على بناء المستقبل»

* «إني أفضل أن أبقى بريئاً من كل ما حصل وسيحصل للبنان!»



القسم الثاني

العميد السياسي

الباب الأول

العميد في الداخل

الفصل الأول

الحزب

لم يكن العميد إدّه رجل سياسة، كباقي رجال السياسة في لبنان. ولم يتعاطَ هذا العمل الشريف، بالمفهوم الصحيح لكلمة سياسة، «بالحرتقات» وصغائر الأمور. بل كان وبقي كبيراً في ممارسة العمل السياسي، كما كان كبيراً في حياته الشخصية. رفض ومنذ تسلّمه عمادة الحزب أن تكون نتائج هذا العمل لخدمة مصالحه الشخصية أو محازبيه مهما كانت، حتى في الوصول إلى رئاسة الجمهورية. التزم بالمبادئ الوطنية الكبرى القائمة على القيم والأخلاق، والتي تخدم لبنان وشعبه، بعيداً عن المذهبية والطائفية والمناطقية والنفعية. وحدهما الدستور والقانون هما المنطلق لكل عمل أو تصرف عنده.

ولأن العميد إدّه استمر على هذه القناعة، طوال نصف قرن، عاش بين السياسيين في لبنان، وكأنه «يغرد خارج سربه»، أو كما قال أحدهم «فاتح على حسابه». لكن هذا «التغريد» لم يكن إلّا لجلب الفرح والسعادة للشعب اللبناني، وهذا «الحساب» لم «يفتحه» العميد إلّا ليبقى لبنان وطناً سيداً حراً مستقلاً. وفي الوقت الذي كان يضيف على هذا «الحساب» أرصدة أخرى، كان معظم السياسيين يغرفون منه ليصبح الوطن على حافة الإفلاس.

باختصار كان العميد رجل دولة، ومن المرتبة المميزة بامتياز. حتى قال البعض إن العميد «ما بيصلح يتعاطى السياسة في دول العالم الثالث».

«خلّوه ينام بالحبس»

يروي أحد الكتلويين عن العميد الآتي:

عام ١٩٧٣، وصلنا خبر عن اشتباك حصل بين تلامذة الكتلة الوطنية وتلامذة الكتائب في ثانوية غزير، مما أدى إلى توقيف رئيس الخلية في الكتلة الوطنية. فسارعنا إلى العميد نخبره نحن بالأمر. وعندما عاد من سهرته وأخبرناه قال لنا: «إذا صحيح ضارب رفيقه، روحوا ناموا وخلوه ينام بالحبس».

وعندما كان العميد وزيراً للأشغال العامة عقد بين الكتلويين التزامات مع جهات عدة لتنفيذ مشاريع. وقبل إنهاء الاتفاقات بالكامل استقال العميد. وعموماً عندما يستقيل الوزراء يوقعون على العقود في تواريخ مسبقة. لذا أخذ الكتلويون المعاملات إلى العميد ليوقع عليها، فرفض قائلاً إنه استقال. وعندها قالوا له إن الوزراء المستقيلين يوقعون في تواريخ مسبقة، قال لهم إن هذا ضد القانون وهو لا يوقع على هذا الأمر. فسألوه: ماذا نفعل؟ أجابهم: «اعملوا لي حسابهم سأدفع من جيبي».

وعام ١٩٧٣ حصل اجتماع في بكركي ضم البطريرك خريش، ريمون إده، بيار الجميل، كميل شمعون وطوني فرنجية، وتركز البحث على الاحتكاك مع فلسطينيي المخيمات، فكان هناك رأيان: الأول يقول إن ثمة مشروعاً لتوطين الفلسطينيين وعلى المسيحيين التسلح لمواجهتهم، أما العميد إده فكان رأيه مغايراً، إذ قال: «لا مصلحة للمسيحيين وخصوصاً الموارنة، أن يتسلحوا ضد الفلسطينيين، لأن العالم العربي متعاطف مع الفلسطينيين، وهذا الأمر يقلب العالم العربي ضد المسيحيين. علينا أن نفصل موضوع الوجود الفلسطيني عن قضايا المسلمين ومطالبهم. ويجب أن نسلم الجيش اللبناني، ونطلب إليه مواجهة الفلسطينيين وضبط الأمن ولا نتسلح كفريق مسيحي. كما علينا أن نحاور المسلمين ونعطيهم بعض مطالبهم، لأنه لا بد من إصلاح النظام السياسي». لكن

هذا الرأي، الذي أيده البطريرك خريش، لم يلق تأييد أكثرية المجتمعين، وسارت الحوادث في اتجاه آخر.

وفي نقاش لمحازبين معه، قال له أحدهم: «نريد أن نحمل سلاحاً للمحازبين». فرد عليه العميد: «ومن أين نحصل عليه؟» أجابه: «مثل غيرنا من الأحزاب». عندها قال العميد: «إذاً سنحصل عليه وفق دفتر شروط من سيعطينا إياه. ونحن لا نقبل أن يملي علينا أحد شروطه. أنا ضد حمل السلاح وضد العمل الميليشياوي، لأن هذا النوع من العمل لا يمكن ضبطه».

من هذا المنطلق، واستناداً إلى هذا التصرف، امتهن العميد السياسة لمصلحة لبنان.

تأسيس الحزب

في ١٥ أيار ١٩٤٦، أسَّس الرئيس إميل إدّه حزب الكتلة الوطنية اللبنانية، وبقي عميداً له حتى وفاته في ٢٧ أيلول ١٩٤٩، يوم وفاته.

وفي ٣٠ أيلول ١٩٤٩، وبعد مراسم دفن الرئيس إدّه، اجتمعت اللجنة التنفيذية وانتخبت نجله ريمون عميداً للحزب.

ومنذ ذلك اليوم، والعميد لا يتّجه بالحزب ومحازبيه، إلّا إلى «المطارح» والمواقف، التي لا تعرف إلّا لبنان، وطن الديموقراطية والحرية.

جاء في المادة الأولى، من الفصل الأول: صفة الحزب وغايته: «حزب الكتلة الوطنية اللبنانية، حزب جمهوري، ديموقراطي، اشتراكي، يقوم على مبادئ شرعة حقوق الإنسان، ويعمل على تقدير كيان لبنان والمحافظة على سيادته واستقلاله وشخصيته المميزة، ويسعى لتأمين رفاهية بنيه».

الأطر الأساسية

وعندما تسلَّم العميد العمادة، وضع مع أركان الحزب الأطر الأساسية الجديدة لحزب الكتلة وتتضمن:

على الصعيد الخارجي:

ـ العمل على توطيد شخصية لبنان المميزة، داخلياً وعالمياً، وعلى تظهير حقائقه التاريخية.

ـ الاستمرار في سياسة الانفتاح على العالم العربي، لتتبلور معها مكانة لبنان الدولية وإمكاناته الفعَّالة في الدفاع عن قضايا العرب من ضمن الدور الذي أعدَّه له واقعه التاريخي وأعدَّته له شخصيته المميَّزة وطبيعة بنيه.

ـ إعلان حياد لبنان التام إزاء ما يفرّق بين العرب، مع سعيه لإقرار السلام بينهم والوئام، لأن سياسته إزاءهم يجب أن تقوم على المحبة والخدمة للجميع.

ـ تعزيز الروابط التي تشدّ الوطن المغترب إلى الوطن المقيم.

على الصعيد الداخلي:

ـ إكمال ترسيخ ركائز الأمَّة اللبنانية، وفي مفهوم الحزب أن الأمة تجد تحديدها وأُسُسها في الرغبة الواحدة لدى شعب معيّن للعيش المشترك على أرض معينة وفي سبيل توق واحد موحَّد. والحزب يرى، انطلاقاً من مفهومه هذا، وبما هو واقف عليه من واقع لبنان وتقاليد اللبنانيين، أن التركيز على الأمة هو الأساس الذي يصلح لتحقيق وحدة اللبنانيين على اختلاف مذاهبهم ومعتقداتهم.

ـ الحزب يؤمن بلبنان القيمة الإنسانية، ويؤمن بأن كل إنسان يعيش على أرض لبنان حرّ في معتقده وفي إيمانه. وانطلاقاً من هذا يرى الحزب أن يعمل على تحقيق الأمور التالية:

* تأمين العدالة الاجتماعية السليمة للجميع من ضمن اشتراكيته اللبنانية الديمقراطية.

* الزواج المدني.

* إلغاء الطائفية السياسية.

* تعديل قانون الانتخابات بما يؤمن للمواطن الاقتراع الحرّ النزيه.

على صعيد التنظيم الحزبي

حزب الكتلة الوطنية لم ينطلق يوماً، في المجالات الوطنية، إلَّا من مركز القوة، وقد أثبت وجوده على أكثر من صعيد، وقد كان، لمواقفه المختلفة، الأثر الفعَّال في توعية الرأي العام وفي توجيه دفَّة الحكم نحو السبيل السليم.

إلَّا أن اللجنة التنفيذية رأت، في هذه المرحلة من حياتها الحزبية، أن لا بد من القيام بتنظيمات حديثة متطورة. فعهدت، بهذه المهمة، إلى الأمين العام، الأستاذ أنطوان أبي زيد، الذي سار شوطاً بعيداً في هذا المجال من ضمن المخططات التالية:

- الانطلاق في حملة واسعة لتأمين عنصر الشباب اللازم، عدداً ونوعاً، لتكثيف الهيئات الحزبية التالية: القطاعات السياسية، مجالس الدوائر، والفروع.

- وضع وإقرار مشروع نظام الحزب المالي.

- تعزيز البيت المركزي.

- العمل على إعادة إصدار النشرة الحزبية.

- العمل على تنظيم حلقات ومحاضرات دورية، في البيت المركزي، وفي المناطق، تتناول بالبحث والمناقشة الأمور الحزبية والقضايا الوطنية المطروحة، وبصورة أصلية، شرح عقيدة الحزب ومبادئه وأهدافه.

- العمل على تأسيس فروع وعلى تعيين معتمدين في بيروت والمناطق.

- العمل على نشر عقيدة الحزب ومبادئه وأهدافه في سائر المحافظات تمهيداً لتأسيس الفروع فيها وتعيين المعتمدين وإنشاء الهيئات الحزبية.

- العمل على تحضير وتنظيم مؤتمر الحزب السنوي.

ـ إعادة النظر في منهاج الحزب وإدخال التعديلات اللازمة عليه لجعله أكثر انسجاماً وتوافقاً مع متطلبات العصر المتطور.

ـ إدخال التعديلات على نظام الحزب بغية الحد مما حواه من تضييق في الصلاحيات يعيق حرية التصرّف بالسرعة المطلوبة في بعض الظروف، والعمل على تحقيق اللامركزية».

برنامج العام ١٩٦٨

وقبل الانتخابات النيابية العام ١٩٦٨، وضع الحزب برئاسة العميد برنامجاً سياسياً شاملاً جاء فيه:

على الصعيد الداخلي

* احترام الدستور، ومبدأ انفصال السلطات الدستورية الثلاث.

* احترام حق المجلس النيابي في سن القوانين ومناقشتها ومراقبة أعمال السلطة التنفيذية مراقبة فعلية.

* احترام شرعة حقوق الانسان.

* تعديل قانون الانتخاب بما يصون إرادة الناخب، وبما يؤمن صحة التمثيل الشعبي.

* تعديل قانون الصحافة بما يعزز حرية الرأي والنشر، ولاسيما نشر أقوال النواب في المجلس دون أن تتعرض الصحف للملاحقة.

* إلغاء المرسوم الاشتراعي الرقم ٥٥ الصادر بتاريخ ٥ آب ١٩٦٧.

أمن البلاد والوطن

إنه بما للمواطن من حق في العيش ضمن بلاده في جوٍّ من الأمن سليم، كذلك على المواطن واجب الدفاع عن هذه البلاد بروح قومية سليمة.

وإن حزبنا ليرى أيضاً أن سلامة الامة في سلامة وحدة أبنائها.

ولذلك يدعو إلى:

* توعية المناقبية الأصيلة للشعب اللبناني، للخروج بالمواطن من اللامبالاة، وجعله مشاركاً في المسؤوليات العامة، والشعور بأن أمن البلاد يقع على عاتقه أولاً.

* اشتراع القوانين الحديثة الكفيلة بشد روابط الوحدة الوطنية.

* التشدد في مكافحة الجرائم بتعديل بعض نصوص قانون العقوبات، ولاسيما ما يختص منها بجرائم القتل.

* احترام حرمة المنزل.

* احترام حرية الانسان بأن لا يوقَف إلا بأمر قضائي.

* منع رخص حمل السلاح عن المستزلمين.

العدالة الاجتماعية

مما لا شك فيه، أنه ما قامت وحدة صحيحة بين فئات الشعب، إلاّ على أساس عدالة اجتماعية سليمة.

ولذلك يرى الحزب :

* تعديل قانون الضمان الاجتماعي بشكل يتفق والعدالة الاجتماعية مع ضمان الحقوق المكتسبة.

* تعديل القانون بما يتوافق والتطور الاجتماعي.

* الاسراع في إنشاء شركات ذات رأسمال مشترك بين الدولة والافراد لبناء بيوت تمكِّن العمال وذوي الدخل المحدود من التملك بدفع الثمن على أقساط.

* محاربة البطالة في البلاد واتخاذ التدابير الآيلة إلى إيجاد فرص متكافئة في العمل.

على الصعيد الاقتصادي

* التمسك بمبدأ الاقتصاد الحر.

* مقاومة الاحتكارات على اختلاف أنواعها.

* العمل على تخفيض العجز في الميزان التجاري، بزيادة صادراتنا الزراعية والصناعية.

* مراقبة تنفيذ الاتفاقات التجارية القائمة على أساس المقاصة بين لبنان وبعض الدول.

* حماية الصناعات القادرة على البقاء، وتشجيع الصناعات التي تتمكن من التصدير وحماية صيد الاسماك وتنظيمه.

* تشجيع تصنيع وتحويل الفائض من المنتجات الزراعية.

* إعادة النظر في الضريبة التصاعدية على الأبنية.

* تخفيض رسوم رخص البناء.

* إنشاء مجلس اقتصادي واجتماعي يعمل على تنسيق التعاون بين مختلف الفئات المهنية ويؤمن مشاركتها في وضع السياسة الاقتصادية.

* إيجاد مؤسسة تسليف لاصحاب الحرف.

الزراعة

إذا كانت الزراعة ضرعاً من ضروع الثروة الوطنية فهي أيضاً حائل دون هجرة الريف واختناق المدينة.

ولذلك يجب :

* إلغاء الضريبة الزراعية.

* حماية الانتاج الزراعي من المزاحمة في مواسمه.

* تعزيز التعليم الزراعي.

* تشجيع التعاونيات الزراعية.
* تأمين الاسمدة والأدوية الزراعية ووسائل الزراعة الآلية بأقل التكاليف.
* تأمين الأسواق الخارجية لتصريف الانتاج الزراعي.
* الاهتمام بانماء الثروة الحيوانية.
* العمل على تحريج لبنان.

الادارة

إن تطور المجتمع، يفرض معه تطوراً في الادارة يجعلها على مستوى مهمتها من حيث متانة التنظيم وكفاية الأجهزة الفنية والتنفيذية.

وأنه يجب :

* تنفيذ اللامركزية تنفيذاً فعلياً.
* تبسيط المعاملات الادارية الى أقصى الحدود.
* إعطاء المجالس البلدية استقلالها ورفع الوصاية عنها.
* توسيع صلاحيات المختارين.

القضاء

* زيادة رواتب القضاة وتعزيز استقلالهم.
* التشدد في سرعة فصل الدعاوى.
* إنشاء قصور للعدل في الأقضية وتجهيزها بمكتبات للقضاة.
* تعديل قانون أصول المحاكمات المدنية.

المغتربون

قامت ولا تزال علاقات وثيقة بين لبنان المقيم ولبنان المغترب. ومن أجل تدعيم هذه العلاقات يجب جعل المغتربين قوة فعالة تؤمن الوجود اللبناني في العالم، وتقوية الهيئات العاملة في سبيل ذلك، وأخصها جامعة اللبنانيين في العالم.

* تنشيط زيارة لبنان من الناشئة الفتية للمغتربين.

خلوة باريس

وهكذا ومع كل محطة أساسية من تاريخ لبنان، أو معركة انتخابية، كان للحزب برنامج عمل يتوافق مع هذه المحطة أو هذه المعركة. ولكن من دون المساس بالثوابت التي يرتكز عليها الحزب، ومن دون أن يرتبط هذا البرنامج بمصلحة ضيقة، إلّا مصلحة لبنان.

في الأول من تموز ١٩٩٨، عقدت اللجنة التنفيذية في مقر العميد في فندق «كوين إليزابيت» في باريس، خلوة برئاسته، استمرت حتى الرابع منه، ناقشت فيها التحديات التي تواجه لبنان واللبنانيين ومنها:

- أهداف إسرائيل منذ تأسيس لبنان.
- التواجد العسكري السوري في لبنان.
- خطة عمل الحزب في هذه المرحلة المصيرية.

واختتمت الخلوة ببيان عرف «ببيان باريس» تلاه الأمين العام إبراهيم اسطفان في مؤتمر صحافي عقده في البيت المركزي للحزب بعد أيام من الخلوة وجاء فيه:

اختتمت اللجنة التنفيذية للحزب خلوتها برئاسة العميد ريمون إده ومؤازرة رئيس مجلس الحزب سليم سلهب، والأمين العام إبراهيم اسطفان، وحضور الأعضاء التالية أسماؤهم:

فاديا كيوان ـ صونيا إبراهيم ـ خليل تابت ـ فضول خلوف ـ شربل زعني ـ أدمون شبير ـ أندره شدياق ـ كلوفيس شرتوني ـ سمير عبد الملك ـ جوزف عم ـ شربل عواد ـ نصري فضول ـ بول كنعان ـ كما حضر الأمينان العامان المعاونان: رودريك حويس وصخر سالم.

تولّى أعمال أمانة السر الرفيق أندره شدياق.

«حضوركم اليوم إلى البيت المركزي لحزب الكتلة الوطنية اللبنانية ـ بمناسبة إذاعة البيان الصادر عن خلوة اللجنة التنفيذية برئاسة العميد التي انعقدت في باريس من (١ إلى ٤) تموز ١٩٩٨، هو حضور عزيز علينا يلزمنا الوضوح والإيجاز.

«لذلك، نبادر إلى تأكيد الثوابت التي يناضل الحزب في سبيلها والتي تعرفونها دون ريب، سوى أننا وقدوةً بعميد الحزب نعيد تقييمها وتكرارها.

«هذا التكرار الذي نشأ عنه تفسير خاطئ لدرجة أن اعتبر البعض أن العميد والحزب يعيشان في الماضي. والحقيقة، أن إعادة التذكير تهدف إلى:

أ ـ إحياء الذاكرة لعدم الوقوع تكراراً في الأخطاء التي تسببت للبنان واللبنانيين بخسائر فادحة. نحن نعمل لعدم ذوبان الذاكرة خوفاً من اضمحلال الخصوصية اللبنانية التي تجعل من لبنان رسالة فريدة للمجتمعات المركبة وبالتالي لمستقبل الحضارة العالمية.

ب ـ يُستقرأ المستقبل عادة من الماضي. لذا يتم تحديد التراث على أنه مستقبل الماضي. وهو الذي يهدي الشعوب إلى أصالتها الروحية التي نادراً ما تتأثر بالأحداث العابرة.

لذا نؤكد أن أعمال الخلوة تناولت التحديات الأساسية التي تواجه لبنان واللبنانيين المتمثلة بصورة أساسية بالتالي:

١ ـ إعادة تقييم للاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان وبقاعه الغربي الذي عزَّز نظرية عميد الحزب بأن إسرائيل، بضمانة وتشجيع معيب من الولايات المتحدة الأميركية، تنفِّذ خطة ترمي لاستقدام ما يقارب ١٥ مليون يهودي إلى إسرائيل التي تريدها قائمة على وسع مملكة داوود التوراتية التي تشتمل على أراضي فلسطين والأردن ولبنان وسوريا حتى الفرات. مع وضع اليد على المصالح المالية والاقتصادية والإنمائية لمنطقة الشرق الأوسط وما يحيط بها.

٢ ـ إزاء هذه المخاطر وضع الحزب خطة عمل لسياسة جديدة الغرض منها إعطاء أولوية مطلقة ومحررة من أي قيد أو شرط لجهة تنفيذ القرار ٤٢٥ واسترداد الحرية والسيادة والاستقلال كمدخل لمواجهة المخطط الصهيوني.

٣ ـ التعاطي مع الوجود العسكري السوري في لبنان المؤثر على الخصوصية اللبنانية وعلى نظامه الديمقراطي البرلماني ومصالح الشعب اللبناني، بشفافيةٍ ومصارحة، ومكاشفتهم بأن إشكالية التعارض بين النظامين اللبناني والسوري لا يمكن تصحيحها إلَّا بحوار متكافئ حر وصريح من خلال الوحدة الوطنية اللبنانية والعيش المشترك ووحدة المصير للبنانيين، ومن خلال مؤسسات الدولة الفاعلة والقادرة.

٤ ـ مناهضة ومعارضة تسلط الميليشياويين على القطاعات السياسية والاقتصادية والمالية، لأن ذلك عزَّز الفساد والرشوة وهدر الأموال العامة. ومحاولة تغطية كل ذلك بستار من الطقوسية الانتخابية لا تجدي نفعاً. الانتخاب هو خيار حر بين موقفين أو أكثر.

٥ ـ إعطاء الأولوية:

إلى دعم المقاومة اللبنانية بمعناها الشامل. والحزب رائد في إطلاق هذه المقاومة بوجهين منها هما:

أ ـ ترسيخ الشرعية الدولية والمطالبة بتنفيذ القرارات الصادرة عن مجلس الأمن الدولي بالضغط على الولايات المتحدة الأمريكية لاستكمال تنفيذ القرار ٤٢٥ بموجب ما نص عليه القرار ٤٢٦.

ب ـ المقاومة الديمقراطية لكافة مشاريع التقسيم والتقاسم ومكافحة الأحزاب والشرائح الميليشياوية بكشف مخططاتها.

فنحن أول مَنْ ميَّز بين الاحتلال الإسرائيلي، والوجود العسكري السوري. وأول مَنْ أصرَّ على زوال الاحتلال قبل الطلب إلى الجيش السوري للخروج من لبنان مع سائر القوى المسلَّحة غير اللبنانية وبما فيها القوى الفلسطينية، منعاً من

الوقوع مجدداً في الفخ اللبناني لكامل الوضع العربي وقيام حالة من الإرباك والفوضى تلهي الجميع عن الأمور الجوهرية.

٦ ـ التأكيد على:

أ ـ ديمومة الحزب واستمراره وتجدده من خلال الوجوه الشابة التي تتولى المسؤوليات فيه على مستوى اللجنة التنفيذية ومجلس الحزب ومجالس الدوائر والمعتمدين في بلاد الاغتراب. وقد جرى اليوم تعيين اثنين من الرفاق هما:

الرفيق الياس شلهوب معتمداً في فرنسا.

والرفيقة تريز فضول معتمدة في الولايات المتحدة الأمريكية.

وكان قد سبق تعيين الرفيقين فادي آصاف وكمال رعيدي في أفريقيا الغربية.

ب ـ دعوة الشباب اللبناني للتعرّف إلى أهداف ومبادئ وتاريخ حزب الكتلة الوطنية اللبنانية وخطة عمله الجديدة الرامية لدعم مناعة الخصوصية اللبنانية التي تقوم على أساس الالتزام بلبنان وبلبنان وحده وطناً حراً سيداً ومستقلاً.

٧ ـ تأسيساً على التحديات، وما أكثرها، سيكون الحزب محور منظومة من المجموعات، ودونما خلط بين الهيكلية الأساسية أو الهيكلية الأم، والتنظيمات المعاونة التي تدور في فلكه من مؤيدين ومناصرين أو أحزاب سياسية يلتقي معها في تقاطعات معينة كمقاومة الاحتلال الإسرائيلي، والعلمنة ومكافحة الفساد والإثراء غير المشروع، أو تحقيق العدالة الاجتماعية التي أصيبت إصابة بالغة نتيجة العولمة.

٨ ـ مواجهة المستقبل بمزيد من التكيّف والحركية التي تبنى على المعرفة كأساس صلب للمبادرة الخلاقة الرائدة والأخلاقية والتي تعرف أن الأزمة إنما تقوم على مستوى الأنسنة في الإنسان، وليست مجرد مواد أولية أو صناعية أو تكنولوجية.

إن واقع المواجهة الذي يعترض له اللبنانيون يدعو الشباب اللبناني كلاً

بحجم إمكانياته إلى مسؤولية مواجهة صدمة الغد الذي يراه الحزب قلقاً ومقلقاً نتيجة الصراع حول ثلاثة مثلثات هي:

أ ـ البترول في الخليج

ب ـ المياه في الشرق الأوسط

ج ـ أوراسيا (بلقان ـ أوروبا الشرقية ـ قوكاز ـ الهند) والتي ستسمر ردحاً طويلاً تصيب الاستقرار في لبنان بخضّات وهزّات متتالية وخطيرة.

الحزب سيفعّل عمله بدعم من اللبنانيين لتعزيز الوحدة الوطنية بإخراج مسألة المهجّرين من دائرة التجاذب السياسي عن طريق عدم استخدام أموال صندوق المهجّرين لإقامة البنى التحتية، وعدم استغلال مسألة التعويضات في سبيل زعامةٍ قوامها أساساً محبة الناس وتقديرهم.

الحزب يحضّر نفسه للفوز بقانون انتخابات على مستوى الدائرة ـ القائمقامية تحريراً للإرادة الوطنية وحماية العيش المشترك من أيَّة هيمنة، كما يحضّر ذاته تأسيساً على ذلك من أجل الفوز بالانتخابات النيابية سنة الألفين».

الكتلويون والمبادئ

انطلاقاً من هذه المسلمات ـ المبادئ، ومن كون العميد إدّه عميدَ حزب الكتلة الوطنية مدة نصف قرن، لا يعرف المهادنة ولا المواهنة، ولا يرضى بالخيانة، ولا يسلم بأي تبرير يحاول معه المنتسب إلى الحزب، الخروج على هذه المسلمات ـ المبادئ، فكما كان العميد عنيداً وصلباً وصارماً في مبادئه، أراد أن يكون الكتلويون أصحاب مبادئ، لا إصحاب مصالح، يتعين انتماؤهم لتحقيق هدف شخصي، ويتبدَّل التزامهم عند طلب وظيفة أو منصب أو مقعد نيابي.

في حزيران ١٩٥٠، فصل الحزب عضو لجنته التنفيذية صلاح لبكي. وعندما سئل العميد عن الموضوع أجاب: «السياسة شيء والاعتبارات الشخصية شيء آخر».

وفي ٢٩ نيسان ١٩٥٢ اعتبرت الهيئة المركزية العليا برئاسة العميد، رئيس مجلس الحزب الشيخ كسروان الخازن مستقيلاً لأنه تنصَّل من توقيع بيان الحزب بشأن سياسة الحكومة.

ويستمر العميد متيقظاً، في لبنان وفي منفاه، لكل هفوة أو غلطة يرتكبها أعضاء الحزب، وموقفه واحد من كل الذين يخرجون على مبادئه.

في العام ١٩٩٢ قرر العميد مقاطعة الانتخابات النيابية، وكذلك في العام ١٩٩٦، لأنها تجري في ظل الاحتلال الإسرائيلي والوجود السوري الكثيف، ونتائجها ستكون أغلبية في المجلس تؤيد ما يريده السوريون في لبنان.

ومع هذا الموقف، دعا العميد كل الحزبيين الذين يرغبون في ترشيح أنفسهم للانتخابات النيابية إلى الاستقالة. فكان أن استقال النائب سايد عقل في العام ١٩٩٢، ليعيد ترشيح نفسه عن دائرة البترون.

وفي العام ١٩٩٦، قرَّر الأمين العام للحزب جان حواط ترشيح نفسه للانتخابات النيابية عن دائرة جبيل. اتصل بالعميد يعلمه بقراره. وكان رد العميد: «استقل من الحزب».

لكن الحواط أراد أن يترشَّح وهو في منصب الأمين العام للكتلة. وأعلن ترشيحه. عندها طلب العميد بحسب صلاحياته الحزبية من المجلس التأديبي محاكمة الحواط وفصله من الحزب.

بعد أيام وجَّه رئيس المجلس التأديبي البدائي في الحزب جورج داوود إلى الحواط التبليغ الآتي:

«حضرة الأستاذ جان الحوّاط المحترم ـ جبيل في ملكه.

حدّد هذا المجلس تايخ ٢٦/٧/١٩٩٦، الساعة العاشرة صباحاً، موعداً لمحاكمتكم بناء على إحالة اللجنة التنفيذية وعلى قرارات المدعي العام المكلّف الذي يتّهمكم بمخالفة قرارات العميد واللجنة، القاضية بمقاطعة الانتخابات تصويتاً وترشحاً، والحنث بقسمكم الحزبي، والتهمة تقضي بفصلكم نهائياً من الحزب.

في حال تخلّفكم سيصدر المجلس حكمه عليكم غياباً بمثابة الوجاهي، ويجري تنفيذ الحكم أصولاً.

وتخلّف الحواط عن الحضور وفصل من الحزب.. ورشّح نفسه للانتخابات النيابية.

وفي أيار ١٩٩٩ صدرت عن بعض الشخصيات السياسية والمفكرين والمثقفين وثيقة بعنوان «دعوة للاتفاق على معنى لبنان»، كان من بين الذين وقّعوها أربعة ينتمون إلى حزب الكتلة هم: الرئيس السابق لمجلس الحزب الدكتور سليم سلهب، عضوا اللجنة التنفيذية سمير عبد الملك وأندريه شدياق، ونقيب المحامين السابق شكيب قرطباوي.

وعندما علم العميد بأمر الوثيقة طلب من الأمين العام إبراهيم اسطفان، إبلاغ الموقّعين: إمَّا الانسحاب من «الكتلة» التي وقّعت الوثيقة، وإمَّا الاستقالة من حزب الكتلة.

أمام هذا الواقع، وفي تصرّف يليق بعراقة حزب الكتلة وديموقراطيته، كتب سلهب وعبد الملك وشدياق وقرطباوي رسالة إلى العميد، أكّدوا فيها أنهم ليسوا في صدد إنشاء حزب أو تكتل، إنما وقّعوا الوثيقة بصفتهم الشخصية. ومع ذلك كتبوا استقالتهم وأرسلوها للعميد.

«افتخر أنت كتلوي»

ولأن العميد والكتلويين تمسّكوا بمبادئ الحزب، التي ترتقي بهم إلى

مصاف المواطنين، وليس الرعايا، دعاهم في أكثر من مرة إلى أن يكونوا «فخورين بالانتماء إلى حزب الكتلة».

جاء في رسالة وجَّهها إلى الحزب في كانون الأول ١٩٩٨:

«وفي ما يخصني شخصياً، سامحت جميع الذين حاولوا اغتيالي وجرحوني بإطلاقهم النار عليّ خلال حملاتي الانتخابية، إذ كان في إمكاني عندما كنت وزيراً للداخلية في عهد الرئيس فؤاد شهاب، إن أوقفهم وأحيلهم على القضاء. ولم أفعل ذلك.

وأقول لكم في ختام كلمتي: عليكم أن تفتخروا بانتمائكم إلى حزب الكتلة الوطنية اللبنانية الذي أبى أن تكون في صفوفه ميليشيات ورفض أن يدمر، أن يقتل، أن يسرق، أن يخون وأن يتسبَّب في هجرة الشبيبة اللبنانية.

يحق لكم إذاً أن تسيروا مرفوعي الرأس.

عاشت الكتلة الوطنية اللبنانية وعاش محازبوها وعاش لبنان موحداً، حراً وسيداً».

وفي كلمة وجَّهها إلى الرفاق والأصدقاء، في العشاء السنوي للكتلة، وبعد انتخاب النائب إميل نوفل نائباً عن بلاد جبيل، في الانتخابات الفرعية التي جرت العام ١٩٩٧، بعد الطعن الذي أبطل نيابته، قال العميد:

«أيها الرفاق، أيها الأصدقاء،

أنا سعيد لعلمي باجتماعكم هذا المساء في عنايا. وآسف ألا أتمكن من الحضور بينكم. فأنتم تدركون الأسباب التي تمنعني والتي، آمل، في أنها ستزول قريباً.

في يوم التضامن هذا، يجب أن تكونوا فخورين بالانتماء إلى حزب الكتلة الوطنية وهو وحده، أكرر، حزب محض لبناني.

يجب أن تكونوا فخورين أيضاً لأن الحزب، بفضل أصدقائه، سجل أخيراً انتصاراً انتخابياً كبيراً في جو ديموقراطي للمرة الأولى.

أتمنى لكم سهرة طيبة وأقول لكم: عاشت بلاد جبيل، عاشت الكتلة الوطنية اللبنانية، عاشَ لبنان موحداً حراً وسيداً».

وقبل رحيله. بأقل من ثلاثة أشهر، أي في شباط ٢٠٠٠ قال العميد:

«أنا أؤكد أن حزب الكتلة الوطنية اللبنانية هو الحزب الوحيد اللبناني مئة في المئة... محازبوه لم يسرقوا، ولم يقتلوا ولم يخونوا. غيرنا من الأحزاب المسيحية وغير المسيحية شارك في الحرب سنة ١٩٧٥، واستمر في الحرب، وجماعتهم سرقوا ووضعوا أيديهم على المرفأ وخانوا لبنان، لأن علاقتهم مع إسرائيل واضحة، والحرب في رأيي سببها «اتفاق القاهرة» الذي كان وراءه الرئيس شارل حلو، ربما بهدف إرضاء عبد الناصر ليمدد ولايته».

ويرحل العميد وهو مطمئن أن حزب الكتلة، الذي رعاه مدة نصف قرن «هو الحزب الوحيد اللبناني مئة في المئة...»، لم يساوم على حبة من تراب الوطن، ولم يسعَ إلى هدف على حسابه، لا بالدم ولا بالمال.

ويجتمع مجلس الحزب برئاسة رئيسه ادمون شبير وينتخب ابن شقيق العميد، كارلوس بيار إدّه عميداً جديداً.

عمداء حزب الكتلة الوطنية



اميل ابراهيم اده (١٩٤٦ - ١٩٤٩)



ريمون اميل اده (١٩٤٩ - ٢٠٠٠)



كارلوس بيار اده (٢٠٠٠ -)

رؤساء حزب الكتلة الوطنية



الشيخ كسروان الخازن

(١٩٤٦-١٩٥٢)



الشيخ طنوس فريحة

(١٩٥٣-١٩٦٢)



د. اميل سلهب

(١٩٦٣-١٩٨٣)



سليم سلهب

(١٩٩٢-١٩٩٣)

(١٩٩٥-١٩٩٧)



جبرايل جرمانوس

(١٩٩٣-١٩٩٥)



إدمون شبير

(١٩٩٨-   )

الأمناء العامون لحزب الكتلة الوطنية



جورج عقل

(١٩٤٦-١٩٥٤)



ادوار حنين

(١٩٥٤-١٩٧١)



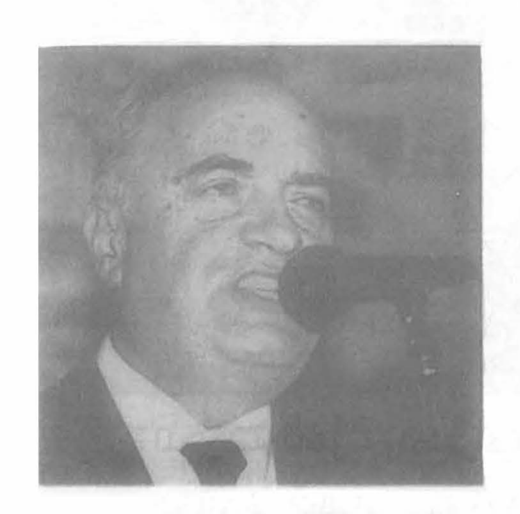
انطوان أبو زيد

(١٩٧١-١٩٩٠)



جان حواط

(١٩٩٢-١٩٩٦)



ابراهيم اسطفان

(١٩٩٦-   )

ايها اللبنانيون

انتخبوا قائمة الكتلة الوطنية المخلصة للوطن

وهذه هي اركان القائمة

الرئيس اميل اده	كمال بك جنبلاط
جورج بك زوين	الدكتور جميل طلحوق
الشيخ كسروان الخازن	المقدم علي بك مزهر
اسعد بك البستاني	السيد احمد الحسيني
امين بك قمر	الدكتور عبد الغني الخطيب
السيد وديع الاشقر	السيد غبريال المر
[illegible] بك ابو ناضر	الدكتور توفيق ابراهيم رزق
امين بك السعد	
الاستاذ جورج عقل	
الاستاذ جورج زبلك	

قائمة الكتلة الوطنية في جبل لبنان عام ١٩٤٣.



المعارضة الكتلوية والاشتراكية تلتقيان في دارة الشيخ كسروان الخازن في إنطلياس سنة ١٩٥٠.

الوثيقة رقم ١٩

بيان الرئيس إميل إدّه
رئيس الجمهورية اللبنانية السابق
بحضور قادة الكتلة الوطنية اللبنانية وممثلي الصحافة
أثناء حفلة الشاي التي أقامها في منزله نهار الجمعة الواقع في ١١ تشرين الأول ١٩٤٦

أيها السادة

إنني لشديد الاغتباط بهذه الفرصة التي أتيحت لي للترحيب بكم والتعبير عمّا أشعر به من سرور بالاجتماع بكم وأنتم كما عهدتكم متراصون متحدون ملء جوانحكم الرغبة الصادقة في مواصلة النضال للدفاع عن مصالح لبنان.

إن حزب الكتلة الوطنية الذي يعود تشكيله إلى انتخابات سنة ١٩٤٣ ليس فقط حقيقة واقعية بل هو أيضاً حقيقة قانونيّة لا تستطيع قوّة ما الحيلولة بينه وبين حقّه في العمل والاستمتاع بالحرّية. هو حزب نازل على إرادة الحقّ ومصمّم على عدم الخضوع للاستبداد.

إنني أتوجّه بخالص شكري إلى ممثلي الصحافة الذين تكرّموا بإجابة دعوتي فمهّدوا لي سبيل الاتصال بالرأي العام الذي يتوق إلى الاطلاع ويتشوّق إلى الطمأنينة.

وأرى من حقّ هذا الرأي العام عليّ أن أذكّره مرة أخرى وبصورة نهائية بالموقف الذي وقفته الكتلة الوطنية حيال وضع تعمّد بعضهم إيهام الناس أنه الاستقلال بعينه وحيال تعاوننا مع البلاد العربية.

أما في ما يتعلّق بهذا الاستقلال الذي جعلوه موضع جدل فإني أقول، وأنا شديد الثقة فيما أقول، أنه لا يوجد لبناني واحد لا يتمناه من أعماق نفسه لبلاده. تلك عاطفة طبيعية يأبى كل إنسان متزن التفكير أن يحتكرها لنفسه أو يستأثر بها لمصلحته. وكأني بأكثر الذين يحاولون رفع أنفسهم إلى مقام بطولة هذا الاستقلال قد نسوا أو تناسوا ما كان لهم من مواقف في الماضي القريب، أي من بدء الانتداب حتى نهايته، وأنهم كانوا في طليعة من ينحني أمام صاحب السلطان ويذعن خاضعاً وضيعاً لأيّة إرادة تصدر عنه.

ألا فليعد المنصفون إلى تاريخ كلّ منّا وليبحثوا في طيّات محاضر المجالس التمثيلية والتشريعية التي تعاقبت في لبنان، فعندئذٍ يتضح لهم إذا صحّ أنهم في حاجة إلى الإيضاح،

من هم الذين لم يتورعوا عن مقاومة السلطة كلّ ما جاوزت حدود القانون، ومن هم الذين كانوا يتسابقون إلى قبول كل تجاوز عن ضعف في نفوسهم أو تمهيداً لما كانوا يرمون إليه في مصلحة أو مطمع.

إن الاستقلال لا يكتفي بالإشادة والتغنّي فهو يتطلّب قبل كل شيء أن يقف المتهمّون به موقف الدفاع عنه ضدّ المحاولات المتتابعة التي تهدف إلى الانتقاص منه والتي تضعف أسبابه وتهدّد كيانه وهو يقضي بأن يكون دائماً محفوناً بالاحترام ويأبى أن ينزله بعضهم إلى مستوى أداة سياسية يستخدمها فريق من الأشخاص أو عائلة ما للقضاء على المعارضة ولمطاردة الخصوم مطاردةً لا تنتهي إلاّ على الديكتاتورية.

ومن حقّ هذا الاستقلال على الأمّة أن تسعى إلى تدعيمه وسدّ ما في جوانبه من ثغرات بالحرّيات الديمقراطية، وهي حرّيات إذا كان الدستور قد أقرّها فهي ما زالت في عالم الوهم.

من منكم يستطيع القول أن حرّية الصحافة مضمونة في لبنان، وسيف التعطيل الاداري مسلّط فوق رأس كل صحافي يجيز لنفسه الخروج على الإدارة، والانحياز عن رضى السلطة! ومن منكم يمكنه أن يتحدّث بلهجة التأكيد عن حرّية الاجتماع وتأليف الجمعيات!

لقد زعمت الحكومة في ما زعمت من أسباب خاطئة بنت عليها أمر منع الكتلة من عقد اجتماعها العام، «إن نشاط هذا الحزب موجّه ضدّها فهو بهذا خطر على الأمن العام». وهكذا أتتنا الحكومة بالبيّنة على أنه لا يحق بالحياة في لبنان إلاّ لحزب واحد مكوّن من أشياع السلطة وممالئيها وأن كلّ ما شذ عنه يكون عرضة للاضطهاد والانتقام.

ولقد قامت الأدلة من جهة أخرى على أن الموظف الذي يجيز لنفسه توجيه السلام أو الكلام إلى الذي شرّفته المعارضة برئاستها نصيبه العزل أو النقل إلى أقاصي البلاد ولعمري أن أشدّ أنصار الفاشستية والنازية لم يصلوا إلى ما هو أشدّ من هذا. وأنتم تعلمون أن مثل هذه التصرّفات قد تكاثرت في الآونة الأخيرة فكشفت عن جنوح إلى استبداد ليست البلاد مستعدّة لقبوله وإذا دلت بعض هذه التصرفات على شيء فإنها تدلّ على ضعف الذين يلجئون إليها وعلى تطيّرهم من مغبة نفور الأمّة منهم.

إن أمين سرّ الكتلة الوطنية العام، حضرة النائب جورج عقل، قد دفع بوثائق رسمية كل الأسباب التي تذرعت بها الحكومة لمنع حزبنا من الاجتماع، وليس لنا ما نضيفه إلى دفعه. وإذا فرض أن حضرة وزير الداخلية قد رأى أن صيغة العلم وخبر الذي سلمه لا

تستوفي تماماً الشروط الشكلية، فماذا ينتظر ليسلمنا علماً وخبراً آخر وليعمد إلى احترام الحريات التي كفلها الدستور.

أما وإن هذه الحرّيات معدومة، فهل يمكن أن يُطلب مني أن أعود إلى حوادث العام ١٩٤٣.

فما دامت الصحافة على الحالة التي تعرفونها مهدّدة دائماً بالتعطيل الاداري بحيث تحبس عني حرّية الرد إذا أثار أحدهم الجدل والمناقشة.

وطالما إني والحالة هذه لا أستطيع أن أعرض بالبحث لبعض الشخصيات، فاني لن أدلي بأي تصريح بصدد تلك الحوادث.

ويعلم الله والناس أنني كنت دائماً أضطلع بمسؤولياتي بدون وجل وأن ليس في وسع أحد أن يرميني بالجبن والتهرّب - وإني أعاهدكم على كشف الستار عن كل شيء في اللحظة التي أستعيد فيها وإياكم حرّية القول والكتابة والعمل.

وانتقل الآن إلى قضية تعاوننا مع البلدان العربية. لقد كنّا دائماً قائلين بهذا التعاون. إننا نريده رحباً أخوياً إلى أقصى الحدود على شرط أن يكون استقلالنا التام محترماً وأن تظلّ سيادتنا المطلقة وشخصيتنا مصونتين من كل انتقاص.

لقد أكدنا ذلك في برنامجنا الانتخابي الذي يرقى إلى العام ١٩٤٣، فأين مقطع الحقّ في قول القائلين أنّا تغيرنا أو تطوّرنا، وما قيمة الدعاية التي تهدف إلى إقناع الناس بأنّا قبلنا واهتدينا.

وإذا كنّا قد قبلنا بميثاق القاهرة فلأن هذا الميثاق الذي جاء موافقاً لآرائنا ينصّ على أن قرارات الجامعة العربية لا تلزم من أعضائها إلاّ الذي ساهم في وضعها أو وافق عليها موافقة صريحة.

وما دامت الجامعة العربية تحترم سيادة كل عضو من أعضائها وتكتفي بأن تكون أداة تعاون وتفاهم وتضامن فإنها تجد فينا أشدّ المؤيّدين وأثبت المدافعين عنها.

وينتج من الإيضاحات التي أعدنا تكرارها على مسمع من لا يعمي بصائرهم سوء النيّة أن عقيدتنا في ما يتعلّق باستقلال لبنان وبالتعاون مع البلدان العربية هي من الأحكام والوضوح بحيث لا تترك مجالاً لأي تأويل أو لأي إلتباس أو لأيّة مناورة.

إن الخصوم الذين لم يتمكّنوا من النيل منّي على هذا الصعيد قد حاولوا أن يستغلّوا ضدّي حديثاً لم أدلِ به فزعموا أني ارتأيت إنشاء وطن مسيحي في لبنان ووطن صهيوني في فلسطين.

لقد سارعت إلى تكذيب هذا الحديث تكذيباً قاطعاً حازماً. وأنا لا أكتفي بالقول أني لم أدلِ بهذا التصريح المزعوم بل أضيف أنه لم يكن في مقدوري أن أدلي به دون أن أقع في تناقض فاضح مع برنامجنا الانتخابي. - إن هذا البرنامج مستوحى بكامله من فكرة قومية لا من نزعة طائفية، وعلى من أعوزه الاقتناع بهذا أن يرجع إلى المادة الثانية عشرة منه، وهي خاتمته ونصّها: «ضم جميع اللبنانيين على اختلاف مذاهبهم في قومية موحّدة: الوطن اللبناني».

أجل الوطن اللبناني، تلك هي غاية الكتلة الوطنية وهذا الوطن للمسيحيين كما هو للمسلمين والدروز وكما هو لجميع اللبنانيين بدون ما تفريق.

هي غاية لم نتوانَ عن إعلانها. وإني شخصياً كنت كلّما توليت الحكم أخضع تصرفاتي لها. إنه لم يكن لي وليس لي من طموح غير خدمة لبنان. ولا بدّ من أن يُعترف لي أيضاً بأني لست من الذين يقبلون بالمساومات أو من الذين يقدمون مصلحتهم الخاصة ومصلحة أنسبائهم وأنصارهم على المصلحة العامة.

أما في ما يتعلّق بالقضية الفلسطينية فإنه لم يكن لي فيما مضى وليس لي الآن أيّة صلة سياسية أو تجارية مع الصهيونيين. فهل في استطاعة الذين يهاجموني، هم أو أقاربهم وأصدقاؤهم، أن يأتوا بمثل هذا التأكيد.

ليس لي صفة رسميّة تخوّلني التعرّض لهذه القضية، ولكني ككل لبناني أتمنّى أن يكون الحلّ الذي تنتهي إليه المساعي والمفاوضات حلاً عادلاً صادقاً يصون مصالح لبنان ويقع موقع الرضى والقبول في البلاد العربية.

ومن حقّكم عليّ أن أدلي إليكم في الختام بتأكيدين:

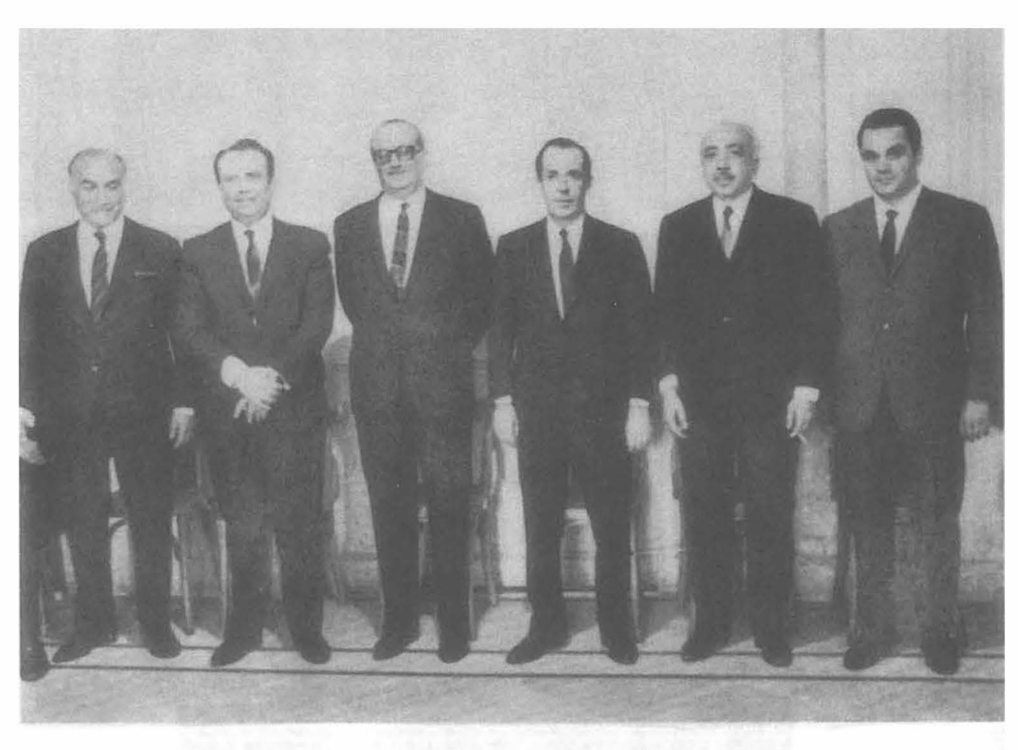
التأكيد بأن الحالة الشاذة لا يمكنها أن تستمرّ مدة طويلة وان تغيّراً لا بدّ من وقوعه.

التأكيد بأن الانتخابات المقبلة ستكون حرّة وأنه ليس من نفوذ أو تدخّل ولا ضغط يمكن أن يقع لتحويل مجراها أو لتبديل نتائجها.

إن في هذا ما يدعو الجميع إلى الأمل وإلى الثقة بالكتلة الوطنية التي عاهدت الله والأمّة على النضال في سبيل مثلها الأعلى الذي هو مثل جميع اللبنانيين.

عاشت الكتلة الوطنية وعاش لبنان.

(عن كتاب « آل اده في التاريخ »، الاب اميل اده، ص. ص. ٣٣٩ - ٣٤٢)



نواب الحزب عام ١٩٦٨ :

سايد عقل، ادوار حنين، ريمون اده، اميل سلهب، احمد اسبر، ونهاد بويز.

العميد يرأس اجتماعاً في مقر حزب الكتلة الوطنية.



ومترئساً اجتماعاً آخر للكتلة الوطنية.



أعضاء الهيئة الناخبة في الحزب يصوّتون لكارلوس اده أثناء اجتماعهم في بيروت في ١١/٥/٢٠٠٠.



علما لبنان والكتلة الوطنية منكسان حول صورة العميد في مقر الحزب في الجميزة.

الفصل الثاني

بكركـي

علاقة العميد إدّه مع بكركي، والبطاركة أسيادها، علاقة بنوة وأبوة. علاقة احترام للدور والمكانة. فالعميد يدرك عن اقتناع وتبصر، أن من «أعطي مجد لبنان»، يجب أن يبقى مميزاً، وفوق الجميع، لكي يتمكَّن من توجيه أبنائه نحو الشاطئ الأمين. وبكركي هذا «الفاتيكان الشرقي»، يجب أن يكون المقصد الأول، الذي يلتقي فيه الجميع، مسيحيين ومسلمين، عرباً وأجانب، من أجل مصلحة لبنان.

عاصر العميد أربعة بطاركة. البطريرك أنطون بطرس عريضة (١٩٣٢ ـ ١٩٥٥) البطريرك ـ الكاردينال بولس بطرس المعوشي (١٩٥٥ ـ ١٩٧٥). البطريرك ـ الكاردينال أنطونيوس بطرس خريش (١٩٧٥ ـ ١٩٨٦). البطريرك ـ الكاردينال نصر اللّه بطرس صفير (١٩٨٦. . . . أمدَّ الله بعمره).

بين الأمس واليوم

وفي ٢٧ أيلول ١٩٤٩. توفي الرئيس إميل إدّه، وترأَّس مراسم تشييعه البطريرك عريضة في ٣٠ منه، في كاتدرائية مارجرجس المارونية في بيروت.

في ١٠ أيار ٢٠٠٠، توفي العميد ريمون إدّه، وفي ١٤ منه يترأَّس مراسم تشييعه البطريرك ـ الكاردينال صفير في الكنيسة نفسها.

أليس في هذا «التكريم»، دلالة على مكانة الرئيس ونجله العميد عند سيدي بكركي؟

بالتأكيد نعم، طالما أن الرجلين ما كانا مرة ضد لبنان، وما عملا مراراً وتكراراً إلّا لمصلحة لبنان.

وانطلاقاً من هذا الدور، وهذا التقييم، بنيت واستمرت علاقة العميد ببكركي وأسيادها البطاركة.

في العام ١٩٥٢، وقبل حصول الانقلاب الأبيض، الذي أدّى إلى إسقاط الرئيس الشيخ بشارة الخوري عن كرسي الرئاسة الأولى في ١٨ أيلول، بقي العميد على اتصال بالبطريرك عريضة، واضعاً غبطته في أجواء كل تحرك، كي لا تأخذ المعارضة طابعاً طائفياً أو فئوياً، ولإعطاء «الانقلاب» صفة وطنية.

البطريرك المعوشي

وينتخب المطران بولس المعوشي في العام ١٩٥٥، بطريركاً. وتقوم علاقة وطيدة بينه وبين العميد إدّه، قائمة على الوضوح والصراحة، لأن العميد ينطلق في مواقفه من مصلحة لبنان وليس من أي مصلحة شخصية أخرى.

وعندما اندلعت ثورة ١٩٥٨، وقف البطريرك المعوشي ضدها، لأنه أدرك المخاطر التي سيتكبدها لبنان في حال توسّعها واستمرارها.

ويبدي العميد ارتياحه للتصريحات التي تصدر عن سيد بكركي الرافضة للثورة، ولأنني «أريد أن تبقى القضية غير طائفية لدى الفريقين».

و«السياسة» التي اتبعها البطريرك المعوشي، مدة توليه السدة البطريركية، كانت سياسة الاعتدال بين جميع اللبنانيين. فكان أن لُقّب من بعض «المغالين» المسيحيين بـ«البطريريك محمد المعوشي».

ويبقى البطريرك على موقفه. لكن هذا الاعتدال لم يمنعه من اتخاذ المواقف التي يمليها الواجب والضمير، عندما بدأ الرئيس عبد الناصر بالتدخّل في الشؤون الداخلية اللبنانية مع قيام الوحدة بين مصر وسوريا، ومن ثم، بعد انطلاق الثورة الفلسطينية من الأراضي اللبنانية.

ولأن العميد أدرك أبعاد المؤامرة وخفاياها على الوطن الصغير، بعد انتهاء العهد الشهابي، وبداية عهد الرئيس حلو، واظب على زيارة البطريرك المعوشي للتداول معه في كل شاردة وواردة تتعلق بالمؤامرة، ولأن بكركي «كانت ولا تزال المكان الذي يلتقي فيه جميع اللبنانيين».

وتتوالى أحداث المؤامرة. وتأتي السنوات الأولى من السبعينات حبلى بكل ما انعكس شراً على لبنان واللبنانيين. وتصبح بكركي مقر استقطاب لمعظم الاجتماعات واللقاءات المسيحية منها، خصوصاً المارونية، وغير المسيحية، والعميد له دور أساسي فيها. إذ إنه، وبالرغم من مواقفه المؤيّدة أو المعارضة لهذا أو ذاك، بقي يشكّل «الكلمة الموحدة» بين الجميع، وبكركي تؤيّد هذا الخط. لكن لغة السلاح ظلَّت أقوى من لغة العقل. واحتكم اللبنانيون بدعم من هذه الدولة أو تلك، إلى اللغة الأولى.

البطريرك خريش

في العام ١٩٧٥ انتخب المطران أنطونيوس خريش بطريركاً. ولم تكن له تلك السطوة والرهبة التي كانت لسلفه البطريرك المعوشي. أمَّا العميد فاستمر مقتنعاً أن بكركي هي خشبة خلاص اللبنانيين، وليس للمسيحيين فقط.

وتعدَّدت اللقاءات في هذا الصرح وتسارعت: مع الرسميين والسياسيين، السفراء والموفدين، عرباً وأجانب، جبهة لبنانية، حركة وطنية، أحزاب اليسار، أحزاب اليمين، فصائل مقاومة، وبكركي وسيدها على الموقف نفسه، والعميد أيضاً: دعوا لبنان وشأنه. ولبنان ليس لفريق واحد، بل لكل اللبنانيين، ولبنان لا يحكم من فريق واحد، بل بالتعايش والوحدة والديموقراطية.

بعد استقباله للعميد في العام ١٩٧٦، واستعراضهما للأحداث المتسارعة على الساحة اللبنانية، قال البطريرك خريش: «زارنا العميد بعد رجوعه من السفر وأطلعنا على ما قام به في جولته، وتبادلنا الرأي وإيَّاه في الحالة الراهنة والعمل بالتعاون مع جميع أبناء الوطن لما فيه خيره ومصلحته».

أضاف: «نحن نعمل على جمع كل قوى الوطن وتوجيهها لخدمة البلد. نحن لسنا في صدد إقامة تكتل ضد تكتل، ولسنا لفئة ضد أخرى، ومواقفنا معروفة. نحن للبنان بكل فئاته... ما تدخلونا بهالقصص».

«دعوا لبنان وشانه»

وينتقل العميد إلى منفاه في بداية العام ١٩٧٧. من هناك استمرعلى اتصال دائم بسيد بكركي للتشاور وتبادل الرأي، علَّ ذلك يساعد على هداية اللبنانيين، فيتخلون عن التبعية لهذا الفريق أو ذاك، أو لهذه الدولة الإقليمية أو تلك. لكن لا حياة لمن تنادي.

المؤامرة نجحت. الحرب اندلعت بين الجميع وعلى الجميع. ولبنان وشعبه هما الضحية.

ويشاهد البطريرك ـ الكاردينال الحرب من بكركي. يرى بيروت والمناطق اللبنانية تحترق في (١٩٧٦ ـ ١٩٧٨ ـ ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ ـ ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦...) مرّات من قبل الفلسطينيين ومرات من قبل السوريين، ومرات من قبل الإسرائيليين، ومرَّات من قبل اللبنانيين أنفسهم. والعميد من باريس يشجّعه على اتخاذ المبادرات، ويؤيّده في رفض كل سلاح أجنبي على الأرض اللبنانية، وكل سلاح من الأرض اللبنانية. لكن مصالح الدول الإقليمية والدولية، ومشكلة الشرق الأوسط بكل تشعباتها... من مصر إلى الأردن، إلى سوريا، إلى الفلسطينيين، إلى إسرائيل، إلى لبنان... كانت أقوى بكثير من صوت بكركي المعتدل، الذي يصرخ «دعوا لبنان وشأنه».

البطريرك صفير

وينتخب المطران نصر اللّه صفير بطريركاً في العام ١٩٨٦. ويتسلَّم ملف الحرب اللبنانية. كان ملماً بكل تفاصيله، يعرف من تعاطاه بالاسم من رؤساء

ووزراء ونواب وشخصيات ورجال دين وموفدين ومفاوضين. . . لبنانيين وغير لبنانيين. فالبطريرك الجديد، كان النائب البطريركي العام مع سلفيه البطريرك ـ الكاردينال المعوشي، والبطريرك ـ الكاردينال خريش.

ومع وصوله إلى السدة البطريركية أمل العميد إدّه خيراً، وتمنى لو أنه كان إلى جانبه ليتحمَّل معه «العبء الثقيل»، علّه يساعده على خلاص لبنان. ويزيد العميد من اتصاله بالبطريرك صفير بالاتصال المباشر من باريس، أو بالرسائل، أو عبر الموفدين من حزب الكتلة الوطنية، أو الأصدقاء، مقتنعاً أن كلمة البطريرك ودرايته واعتداله وإلمامه بكل تفاصيل الحرب ستؤدي إلى خلاص لبنان.

ويصل العام ١٩٨٨، ومعه انتخابات رئاسة الجمهورية، وتُعتمد بكركي من قبل المسؤولين اللبنانيين، رؤساء ووزراء ونواباً وسياسيين، مسيحيين ومسلمين، وبقدر ما أعطوا من هامش للتحرك والتفاوض، مكان لقاء للتداول في الانتخابات الرئاسية. تعقد الاجتماعات، وينتظر المجتمعون الرسائل الآتية براً وجواً. ولكن من دون نتيجة. فلا اتفاق ماروني على اسم معين لانتخابه رئيساً للجمهورية. ولا الفريق الآخر أعطاهم «الصلاحية» للاختيار.

البطريرك واتفاق الطائف

وتبقى الرئاسة من دون رئيس. وتعود المعارك. إلى أن كان اتفاق الطائف، الذي قَبِلَ به البطريرك ـ الكاردينال صفير كاتفاق «الأمر الواقع»، وربما كاتفاق «الأمر المفروض»، وبهاجس وضع حدٍ للحرب خصوصاً «حرب الإخوة»، وبالتالي إنقاذ لبنان.

أمَّا «حليفه» العميد إدّه فيرفضه لأنه لا يقول بانسحاب القوات السورية من لبنان، بل بإعادة تمركزها.

هذا الخلاف لم يؤد إلى القطيعة بين سيد بكركي و«المنفي» في باريس. فخلاص لبنان يستحق كل تعاون، فكيف إذا كان هذا التعاون مع البطريرك ـ

الكاردينال صفير الذي كان يضع «النقاط على الحروف» في رسائله وعظاته الدينية وأحاديثه الإعلامية.

مقاطعة الانتخابات

وتقرر الحكومة «الحصية» في العام ١٩٩٢، إجراء انتخابات نيابية، بعد ٢٠ سنة على انتخابات آخر مجلس في العام ١٩٧٢. يرفض العميد إجراءها مطالباً بتمديد ولاية مجلس العام ١٩٧٠ بسبب الوجود السوري، العامل الأساسي في مجيء مجلس يدين بالولاء لسوريا. ويوجه العميد رسالة إلى البطريرك صفير جاء فيها:

«غبطة البطريرك مار نصر الله بطرس صفير - بكركي.

صاحب الغبطة، قرأت بكل اغتباط الرسالة التي وجهتموها إلى الشعب اللبناني في مناسبة عيد الفصح.

وأنتم إذ قمتم بذلك،وضعتم أنفسكم في مصاف البطاركة الموارنة العظام الذين لم يترددوا في الفترات العصيبة من تاريخنا في أخذ موقف وقول الحقيقة وإن كلفهم ذلك حياتهم.

وكما تقولون تماماً، لا يمكن أن تجري انتخابات نيابية حرة عندما يكون البلد محتلا من العدو في الجنوب، واسمحوا لي بأن أضيف عندما يكون الجيش السوري ورجال الاجهزة الامنية السورية موجودين على ٩٠ في المئة من الأرض الوطنية.

وآمل في أن يحذو رؤساء الطوائف الأخرى حذوكم في سبيل حماية الوحدة والديمقراطية وسيادة لبنان.

صاحب الغبطة، أرجو أن تتقبَّلوا تهانيّ الحارة في مناسبة قيامة سيدنا يسوع المسيح، والتعبير لكم عن عميق احترامي.

ريمون إده

بكركي المرجعية

وعندما زارته لجنة المصالحة في تموز العام ١٩٩٢، والتي ضمَّت النائب قبلان عيسى الخوري، ورئيس الحزب الديموقراطي المسيحي جورج جبر ورئيس الرابطة المارونية أرنست كرم وأمينها العام نعمة اللّه أبي نصر، لبحث موضوع تأسيس «مرجعية مسيحية» برئاسة البطريرك صفير، من بين أعضائها: الرئيس أمين الجميل، العماد ميشال عون... قال العميد: «هذه المرجعية موجودة وهي ممثلة في شخص غبطة البطريرك، ولا داعي «لتوسيع البيكار»، لأن لا فائدة من هذه المحاولة»، داعياً الجميع إلى احترام هذه المرجعية.

ويلتزم العميد موقفه من مقاطعة الانتخابات العام ١٩٩٦، ومن ثم، وقبل رحيله العام ٢٠٠٠، وفي المرتين يطلب من البطريرك صفير دعوة اللبنانيين عموماً، والمسيحيين خصوصاً، إلى مقاطعتها، لأنها تجري في ظل الوجود السوري، ولأن المجلس الذي «سينتخب» لن يكون أكثر حرية من مجلس العام ١٩٩٢، الذي طالب بتمديد ولايته.

«رضى الجهات النافذة»

ولذلك وجَّه إلى غبطته والأساقفة الموارنة الرسالة الآتي نصها:

«بصفتي رئيساً مارونياً لحزب لبناني صرف لم يشترك أفراده في حرب أهلية، ولم ينهبوا يوماً، ولم يقتلوا ولم يخونوا، اسمحوا لي أن أعلق على مقطع من بيانكم المتعلق بموضوع الانتخابات النيابية المقبلة والمنشور في الصحف الصادرة في تاريخ ٢ آذار ٢٠٠٠.

لقد صرحتم بحق: «... ما من أمل في التغيير المطلوب إذا كان المرشحون يستجدون رضى الجهات النافذة للفوز بالمقعد...».

إنما وجدتم، في الوقت نفسه، أن من الأفضل، عدم ذكر أسماء هؤلاء النافذين. الشعب اللبناني، يعرفهم منذ عام ١٩٩٢. وهم عملاء سوريون، وبخاصة ضابط سوري مقيم في عنجر.

لذلك قررت حينذاك، باسم حزبي، مقاطعة الانتخابات، وكذلك، رأيتم أنتم أيضاً، يا صاحب الغبطة، أن من الضروري مقاطعتها عام ١٩٩٦، استمررت على موقفي، لعلمي أن المجلس الجديد سيتألف بأكثريته من الموالين لسوريا.

أنتم يا صاحب الغبطة، ولأسباب لا أسمح لنفسي بمناقشتها، شاركتم في الحملة الانتخابية، وهكذا ولد المجلس الحالي.

صاحب الغبطة، أصحاب السيادة.

ألا تعتقدون أن الانتخابات النيابية المقبلة، التي تتحكم بها دمشق، ستقدم لنا مجلساً موالياً لسوريا أكثر مما هو المجلس الحالي؟

اللبنانيون والمرشحون مقتنعون بذلك. الأولون لن يحملوا أنفسهم عناء الذهاب إلى صناديق الاقتراع، والأخيرون يذهبون من الآن إلى دمشق.

ألا تعتقدون أنه من الأفضل تمديد ولاية المجلس الحالي إلى اليوم الذي تنسحب فيه اسرائيل وسوريا من الأراضي اللبنانية كاملة؟

ثم إن القانون الذي يرعى الانتخابات المقبلة قد نص على إمكان تمديد الولاية النيابية لإنقاذ موسم الاصطياف المقبل. إذا مبدأ التمديد قد سبق وأن أقر.

أخيراً، يجب أن يدرك العالم والدول العظمى، أن لبنان، هذا البلد الصغير، الديمقراطي، يرفض أن يكون شريكاً في المؤامرة التي تحاك ضده والتي قد تؤدي إلى ضياعه كدولة مستقلة سيِّدة.

وكذلك، أطلب من الروح القدس أن يلهمكم».

النتائج والمصلحة

ولم تمر رسالة العميد هذه، من دون تعليق نشره إميل خوري في صحيفة «النهار» في ٧ آذار ٢٠٠٠، يرى فيه أن بكركي «لا تستطيع أن تمثّل طرفاً ولا أن تكون طرفاً في صراع سياسي ولا يهمها تسجيل موقف».

فيرد عليه العميد برسالة أخرى جاء فيها:

«أود أن أذكّرك وأذكر المرجع الديني الذي أدلى بهذا التعليق بأن بكركي ليست مرجعاً دينياً فحسب، بل هي مرجع وطني، وقد اضطلعت على مر السنين منذ العهد العثماني إلى قيام لبنان الكبير، بدور أساسي في الحفاظ على كيان لبنان.

وبفضل بكركي، نشأ لبنان المستقل، إذ اتخذ البطريرك الحويك آنذاك، موقفاً صلباً عنيداً، لا تراجع عنه، رغم الصعوبات، عندما كان رئيساً للوفد الثاني الذي ذهب إلى باريس ليطلب أن يكون لبنان مستقلاً عن سوريا. وهكذا فعل أيضاً المطران عبد اللّه الخوري إذ قام بالمهمة ذاتها عندما كان رئيساً للوفد الثالث.

في الأمس كذلك اليوم، كانت الحركة الصهيونية تنازعنا الحدود في الجنوب للاستيلاء على الليطاني. ومن جهة أخرى، كانت المساعي والدعوات لضم لبنان إلى سوريا، تحقيقاً للوحدة السورية.

وقد كان البطريرك الحويك يؤمن بحق، أن مواقف بكركي لا تتقرر وفقاً للنتائج التي تحصل أو لا تحصل عليها، بل تتقرر وفقاً لمصلحة لبنان.

أمَّا ما تقوله عن الديموقراطية، فأود أن أذكرك بأن انتخاب النواب هو أساس النظام الديموقراطي، لذلك فإن الاشتراك في انتخابات نيابية غير حرة معروفة نتائجها سلفا، هو تآمر على الديموقراطية.

وفي الختام أود أن أذكرك بما سبق أن قلته لك في رسالة سابقة تاريخ ٢٤ تموز ١٩٩٨: إن تخاذل دول العالم لا يعني أننا على خطأ في موقفنا، بل على العكس يجب أن يكون حافزاً لنا للاستمرار في عقيدتنا ومبادئنا مهما طال الزمن ومهما عاكستنا الظروف. وفي النهاية، لا بد أن يأتي يوم تنتصر فيه الحقيقة.

والآن أضيف: على بكركي أن ترفض إجراء انتخابات مزورة».

ويرحل العميد، وهو على اقتناع أكيد، ما زاح عنه يوماً، إن «مواقف بكركي لا تتقرَّر وفقاً للنتائج. . . بل تتقرر وفقاً لمصلحة لبنان».



البطريرك انطون بطرس عريضة عام ١٩٣٥.



اجتماع للنواب الموارنة حول البطريرك-الكاردينال بولس بطرس المعوشي.

ومن الحاضرين: موريس زوين، رينيه معوض، نهاد بويز، إميل مكرزل، الأب سمعان دويهي، قبلان عيسى الخوري، خليل الخوري، بيار الجميل، ريمون اده، مارون كنعان، د. عزيز عون، مانويل يونس، إدوار حنين، ميشال فرحات، موريس الجميل.



العميد مع البطريرك-الكاردينال انطونيوس بطرس خريش.



مع البطريرك خريش والشيخ بيار الجميل في بكركي.



العميد مع البطريرك-الكاردينال نصرالله بطرس صفير.

الفصل الثالث

رئاسة الجمهورية والرؤساء

في حديث له في ٦ تموز ١٩٨٧ يقول العميد:

أولاً، أنا لا أطمح إلى رئاسة الجمهورية فقط لأصبح رئيساً للجمهورية. أنا أعتبر أن رئاسة الجمهورية بالنسبة لي تضحية كبيرة جداً. أنا ما زلت رجلاً عازباً. وأعتبر أن تضحية كبيرة مني أن أتزوج «ختيارة بشعة مهرية ومجوية» كرئاسة الجمهورية اللبنانية. ولكن واجبي الوطني يقضي بأن أتزوج هذه «الختيارة» وأن أوافق على ذلك شرط أن أتمكّن من تحرير بلادي من كل القوات الأجنبية ومن كل الميليشيات القائمة على أرض لبنان، وأن أعيد وحدة لبنان إلى ما كانت عليه في الماضي، وأن أعيد الأمن والسكينة. لربما يقال لي: عليك أن تأتي إلى رئاسة الجمهورية، أولاً، وبعد ذلك تقوم بمثل هذه الإصلاحات. وجوابي على هذا بسيط: لا يمكن أن أنجز أي إصلاح ما دامت إسرائيل عدونا المشترك موجودة على الأراضي اللبنانية لأنها يمكن أن تمنعني بكل سهولة من القيام بذلك. أنا ريمون إده لبناني بكل معنى الكلمة. أنا من دعاة لبنان الواحد الحر السيد. لا أريد أن انتخب إلّا من نواب لبنانيين أحرار، ولم ولن أقبل بأي ضغط خارجي على السياسة التي أريد أن أنفذها لمصلحة كل الشعب اللبناني وليس لمصلحة فريق دون الآخر.

وقبل الانتخابات الرئاسية في العام ١٩٦٤، أيام كان «القرار» في يد ضباط المكتب الثاني، قال رئيس مجلس النواب صبري حمادة للعميد: «يا عميد لو بطاوعني وبتغير أسلوبك ما كان حدا بيسبقك على الرئاسة».

واستمر العميد على أسلوبه.

وانطلاقاً من هذا المفهوم للرئاسة، وعملاً بهذا الأسلوب نظر العميد إلى رئاسة الجمهورية. فهي ليست كرسي شرف، بل عمل متواصل ومضن يرتكز على تخطيط ووضوح رؤية، وإيمان أن لبنان قبل الجميع في الداخل والخارج، أفراداً وجماعات وأنظمة ودولاً.

فما هي قصة العميد مع الرئاسة الأولى؟

تبدأ من الانتخابات النيابية في ٢٥ أيار ١٩٤٧. أيام الولاية الأولى للرئيس بشارة الخوري. يوم ذاك اعتبر مؤيدو الكتلة أن هذه الانتخابات مزورة، وبالتالي اعتبار التمديد للرئيس الخوري ولاية ثانية، باطلاً، واستناداً إلى هذه الانتخابات. وتشكَّلت جبهة وطنية معارضة ضمَّت، إلى العميد، كميل شمعون وكمال جنبلاط وغسان تويني وغيرهم... ودعت هذه الأحزاب إلى الإضراب العام، فأقفلت العاصمة لمدة ثلاثة أيام.

ويطرح اسم العميد، ولأول مرّة، كمرشح للرئاسة، في حال قرَّر الرئيس الخوري إعادة ترشيح نفسه.

العهد الشمعوني

بعد استقالته في ١٨ أيلول ١٩٥٢، انتخب كميل شمعون رئيساً للجمهورية في ٢٢ منه. وفي العام ١٩٥٣ انتخب العميد نائباً عن جبيل، بعد أن أسقطه الرئيس الخوري في انتخابات العام ١٩٥٢.

وكان عهد ازدهار، عرف فيه اللبنانيون البحبوحة والانفتاح على الدول العربية والأجنبية. وكان العميد من أفضل المشرعين في مجلس النواب، إن لم يكن أفضلهم، حتى لقب لبنان بـ«سويسرا الشرق» بفضل قوانينه.

ويأتي العدوان الثلاثي على مصر، ويتصاعد نفوذ التيار الناصري، مع

الانتصار وتأميم قناة السويس. وتقوم الوحدة المصرية السورية، وينتج عنها تدخّل في شؤون لبنان الداخلية.

هذا التدخّل أدّى إلى قيام «الحرب الأهلية» العام ١٩٥٨، ويرفض العميد استقالة الرئيس شمعون، «لأن النظام البرلماني يجعل رئيس الجمهورية غير مسؤول، وأن الذي يتحمَّل المسؤولية هو الحكومة».

في المقابل يرفض قائد الجيش اللواء فؤاد شهاب إنزال الجيش لوقف المعارك، مستنداً إلى أن الجيش لا يتدخَّل في القتال الداخلي.

ويطمئن العميد إدّه، الذي لعب دور «الإطفائي» للحرب الأهلية، المعارضة إلى أن جلسة مجلس النواب المقررة في ٢٤ تموز ١٩٥٨ ستعقد في موعدها، وأن الرئيس شمعون لن يشكّل حكومة جديدة لتعديل الدستور.

العهد الشهابي

وتجري الاتصالات في الداخل والخارج، بعد إنزال قوى البحرية الأميركية (المارينز) على شاطئ بيروت، وسقوط حلف بغداد، لانتخاب اللواء شهاب رئيساً للجمهورية، ويعلن العميد ترشيح نفسه لمنع انتخابه من الدورة الأولى وترسيخاً للديموقراطية. وهو كان يعرف أن اتفاقاً مصرياً أميركياً فرنسياً تم على اختياره.

ويشكل الرئيس شهاب حكومة العهد الأولى، تلقى معارضة قوية، فلم تعمر طويلاً. ويقترح العميد على «الأمير» تشكيل حكومة إنقاذ وطني من أربعة وزراء. وكان ما اقترح. والعميد وزيراً للداخلية.

هذه العلاقة الطيبة، القائمة على الصداقة والتعاون بين الرئيس اللواء والعميد، لم تدم طويلاً، فاستقال من الوزارة في تشرين الأول ١٩٥٩. وابتدأت حرب «داحس والغبراء» بين العميد والشهابية أو النهج والمكتب الثاني. علماً أنه لفت الرئيس شهاب وأكثر من مرة، إلى تدخل العسكر في الشؤون السياسية، حتى إنه اعتبر نفسه «باش كاتب»، وليس وزيراً للداخلية مع هذا التدخّل.

ويدق العميد «ناقوس الخطر» في خطب له في المجلس النيابي العام ١٩٦٣، محذراً من تدخل العسكر في السياسة، مؤكداً أن المعركة ليست بينه وبين الرئيس شهاب، بل هي بين ما يمثل وما تمثله الشهابية. فهو مع الحريات وحقوق الإنسان والديموقراطية وسيادة لبنان، والشهابية تسعى إلى عكس ذلك.

ومع انتخابات العام ١٩٦٤، كانت المعركة الكبرى من قبل الشهابية ضد العميد، فأسقط مع كامل لائحته في دائرة جبيل، بعد إن كان تعرض في نيسان من العام نفسه لاعتداء مسلح عندما كان متوجهاً إلى البترون. ولم تتمكَّن الحكومة من التحقيق في الحادث، مع إنها كانت ترغب في ذلك.

ويبرق العميد إلى رئيس الحكومة الحاج حسين العويني بالآتي:

«لما كنتم قد نشرتم بلاغاً بشأن الحادث الذي تعرضت له عند ذهابي إلى البترون، يتضمَّن معلومات مغايرة للواقع والحقيقة، فإنني أرى نفسي ملزما بأن أكرر علناً طلبي إليكم في مقابلتنا هذا الصباح، وهو التحقيق مع آمر الدورية الذي تقولون إنه لم يمنعني من المرور ومواجهتي به حتى أثبت لكم إنه قال لي شخصياً إن لديه أوامر من (. . .) بمنعي أنا شخصياً.

راجياً تلبية هذا الطلب بأقصى السرعة جلاء للحقيقة وإثباتاً لحياد حكومتكم، وتفضَّلوا بقبول وافر الاحترام».

وبعد هذا الحادث، اعتدي على أنصاره ومحازبيه قبل الانتخابات النيابية في جبيل. ويعلّق العميد: «الحاج حسين العويني بات لا يملك من الصلاحيات إلّا صلاحية الحكي». ويحمل الرئيس العويني أوراقه إلى قصر الذوق، ويقابل الرئيس شهاب. لكن الاعتداءات على أنصاره تستمر.

وتعلن نتائج الانتخابات، ويسقط العميد مع اللائحة. فما كان منه إلّا أن «شكر الأبطال الذين انتخبوا لمصلحتي في منطقة جبيل لأنه كان لديهم الجرأة الكافية، والتي وصلت إلى حد البطولة الخارقة، إذ تمكَّنوا من اختراق الجدار الإرهابي الذي عرفه ويعرفه الجميع والذي ضرب حول بلاد جبيل».

وتعنون «النهار»: عدد المقترعين في جبيل أكثر من. . . عدد المقترعين».

ويرفض الرئيس شهاب تعديل الدستور لتمديد ولايته، بالرغم من إلحاح النهجيين.

العهد الشهابي الثاني

وينتخب وزير التربية شارل حلو رئيساً للجمهورية في ١٨ آب ١٩٦٤. ويستمر العميد في حملته ضد ضباط المكتب الثاني، لكن من خارج المجلس.

في العام ١٩٦٥، يعود العميد إلى ساحة النجمة، بعد أن رشَّح نفسه للانتخابات الفرعية في جبيل وفوزه بفارق كبير على منافسته السيدة نهاد سعيد، أرملة المرحوم النائب أنطون سعيد.

ومع هذا الفوز يتابع حملته على الشهابية على الرئيس حلو، الذي حكم تحت تأثير ضباط المكتب الثاني.

وللقضاء على النهج يؤسس العميد مع الرئيس كميل شمعون والشيخ بيار الجميل الحلف الثلاثي، وهدفه الفوز في الانتخابات النيابية العام ١٩٦٨، وبالتالي، منع وصول مرشح شهابي إلى الحكم في ولاية ثالثة العام ١٩٧٠.

وكان للعميد ما أراد، إذ إن مرشحي لوائح الحلف فازوا في الانتخابات. وأصبح الأمل في عودة الشهابيين إلى الحكم صعباً، إذا لم يكن مستحيلاً.

ويشارك العميد، بعد هذه الانتخابات في حكومة رباعية في العام ١٩٦٨، تسلَّم فيها وزارة الأشغال. . . لكنه استقال في بداية العام ١٩٦٩، بعد أن اعتدت إسرائيل على مطار بيروت.

وتوقّع اتفاقية القاهرة، بين لبنان والفلسطينيين، في ٣ تشرين الثاني ١٩٦٩، ويشن العميد حملة شرسة وعنيفة ضد الرئيس حلو، محملاً إياه المسؤولية، معتبراً أنه اخلَّ بقسمه الدستوري في حماية الأرض والسيادة.

ويستعد الحلف ومن معه من المعارضة للعهد الشهابي الثاني، لمنع وصول مرشَّح شهابي آخر. وكان الاسم المقترح الياس سركيس، الذي تدرَّج على يدي «الأمير».

عهد «كول وشكور»

ويتَّفق «الحلفيون» وحلفائهم على ترشيح النائب سليمان فرنجية. فينتخب في العالم ١٩٧٠ بفارق صوت واحد.

وتقوم علاقة ودّ وتعاون بين الرئيس «الزغرتاوي»، الذي لم يرضَ بترك مسدسه عندما دخل إلى قاعة المؤتمر الذي جمع الأقطاب اللبنانيين في جنيف العام ١٩٨٣، في محاول لصياغة وثيقة وفاق وطني.

وينحرف الرئيس فرنجية عن الخط الذي يراه العميد صحيحاً لخلاص لبنان. وتحصل القطيعة بينهما وتأتي الأحداث المتلاحقة من الاصطدامات بين الجيش والفلسطينيين العام ١٩٧٣، إلى بداية الحرب ١٩٧٥ والأزمة الوزارية. ويبدأ العميد بمهاجمة الرئيس فرنجية واصفاً عهده بعهد «كول وشكور».

يقول العميد في تصريح بعد إطلاقه هذا الشعار:

«إنني لا أعتبر أن الجرّة قد انكسرت بين العهد وبيني. وإنني أرى في تصريحاتي مجرد نقد ذاتي. ذلك أنني أعتبر العهد عهدي، فقد أعطيته ستة أصوات حتى وصل، لا ثلاثة، مثلاً، كما هو عددنا الآن.

سمعة العهد

وإذا أراد العهد أن يعارضني فإن له ذلك. أمَّا أنا فلا أريد أن أعارضه، بل إن كل ما يهمني هو أن أحافظ على سمعته التي يستمر البعض في الإساءة إليها بعدما عزل العهد وراح يتصرَّف كما يشاء.

وأنا عندما أقول الزغرتاويين لا أقصد كل أهالي زغرتا بل بعضهم، هذا البعض يستثمر العهد ويستغله لمصلحته خاصة من دون أن يكون العهد مسؤولاً أو على علم بكل هذه التصرّفات والأعمال، لقد قيل لي إن هؤلاء سبب غلاء الترابة لأنهم يسيطرون على شركة شكا، وقيل لي أيضاً إنهم سيطروا على السماد الكيماوي وعملوا على رفع سعره مما سيؤدي إلى غلاء أسعار المنتجات الزراعية. وقيل لي إنهم وضعوا يدهم على توزيع البضاعة ليتحكَّموا بأسعارها. وكل هذا لا يجوز، ومن جهتي لن أسكت. ومن مصلحة العهد ألا أسكت. فأنا مضطر لأن أحافظ على العهد ومن حقي، بالتالي، أن أنبهه...

«لا أريد أن أسحب وزيري. وقد شرحت السبب غير مرة. وأنا حر في ذلك. إن انتقادي مجرد نقد ذاتي. وقد وجدت أن من واجبي «دق البرزان» لتنبيه العهد إلى ما يجري لأنني أريد المحافظة على سمعته. كثيرون، بل الجميع، يقولون أكثر مما قلت، لكنهم لا يتجاسرون على إعلان ما يقولونه في مجالسهم الخاصة لأنهم يعملون مئة حساب قبل أن يقولوا كلمة... بعضهم يفكّر ويحسب لسنة ١٩٧٦ وبعضهم يحسب لأشياء أخرى. أمَّا أنا فليس عندي إلَّا مصلحة بلادي، ولقد وجدت أن من واجبي، كرئيس حزب وكنائب، أن أثير الموضوع وأنبه إلى الفوضى وإلى كل ما يجري».

ويرفض العميد أيضاً الحكومة العسكرية التي شكَّلها الرئيس فرنجية ويقول: «أنا حاربت الشهابية لمنع وصول العسكر».

الاستقالة الاستثنائية

وبعد انتقال الرئيس فرنجية إلى كسروان، بسبب القصف الذي تعرَّض له قصر بعبدا، يطالب العميد بتعديل الدستور كي يتمكَّن المجلس النيابي من انتخاب رئيس جديد، خوفاً من حصول فراغ دستوري. ومع التعديل يطلب من الرئيس فرنجية «الاستقالة استثنائياً»، معتبراً أن التأخير في توقيع التعديل الدستوري الذي

أقرَّه مجلس النواب سيؤدي إلى «فتنمة» لبنان، وإن «الوطن المسيحي» الذي يسعى إليه الرئيس سيكون «وطن الهجرة».

ويصرح العميد:

«إن هذا الرجل ينوي البقاء في الحكم حتى آخر يوم من ولايته. وأنا أعرف هذا الرجل، إنه يضع شروطاً تعجيزية».

أضاف: «أنا أعتقد أن من واجب رئيس مجلس النواب والأشخاص الذين صرح الرئيس فرنجية أمامهم بأنه ينوي الاستقالة أن يتدخلوا لديه كي ينشر قانون التعديل. وأنا أعتقد أن الرئيس فرنجية يلجأ إلى هذه المماطلة لسبب شخصي، فهو في حاجة إلى ضمان لحياته ويريد أن يتأكَّد من وصول الشخص الذي يريد إلى الحكم».

«الهريبة تلتين المراجل»

كما يصرح بعد انتقال الرئيس فرنجية إلى كسروان:

«أولاً «الهريبة تلتين المراجل»، ولو كان استقال عندما طلبت منه «بلطافة» إذ طرح عليّ سؤالاً في أيار ١٩٧٥: «لو كنت رئيساً للجمهورية ماذا كنت فعلت؟» فأجبت: «إنني كنت قدَّمت استقالتي رحمة بالشعب اللبناني وتوفيراً للدماء البريئة التي تهدر».

ولو إنه سمع مني لكان أنقذ من الموت ألوفاً من اللبنانيين وأنقذ العاصمة من الدمار والخراب، كذلك المؤسسات الصناعية والتجارية والسياحية، وها هي النيران تلتهم اليوم المرفأ والمنطقة الحرة، وكان حتى البارحة يتفرَّج عليها من غرفته الزجاجية من دون أي انزعاج ومن دون أن يهتم بالعمل على إطفائها».

أضاف: «والآن أعطيه نصيحة ثانية، وهي أن يلجأ إلى البطريركية المارونية، لأن السياسة الحكيمة التي صدرت عن هذا الصرح بفضل حكمة بطريرك الموارنة مار أنطونيوس بطرس خريش، والذي وقف منذ بداية الحوادث

موقفاً لبنانياً يتّفق مع مصلحة الشعب اللبناني، كل الشعب اللبناني، ولأنه في بكركي سيكون في مأمن، أمَّا في سائر المناطق فسيكون في خطر لأن أرواح الضحايا ستلاحقه أينما كان.

وهذه المرة أقول له إن تقديم الاستقالة اليوم يوفر أيضاً ألوف الضحايا البريئة وخراب البقية الباقية من لبنان، فليسمع هذه المرة النصيحة المجانية».

عهد سركيس

وينتخب الياس سركيس رئيساً للجمهورية، ويقاطع العميد الانتخابات، في أيار ١٩٧٦، بعد أن أعلن سحب ترشيحه. ولم يتسلَّم الرئيس سركيس الحكم إلَّا في ٢٣ أيلول من العام نفسه، لأن الرئيس فرنجية بقي في سدة الحكم حتى آخر يوم من ولايته.

ويهنئ العميد الرئيس سركيس بالرئاسة، ويدرس وسائل تسهيل مهمته ووضع مشروع بالحلول، محذراً إيَّاه من «الانخداع بالوعود التي تقطعها سوريا لأنها تريد وضع يدها على لبنان»، مصراً عليه أن يقسم اليمين الدستورية في بيروت وليس في شتورا.

ويطالب العميد الرئيس سركيس بعد تسلّمه مهام الحكم، بتحديد مهام قوات الردع العربية، خصوصاً القوات السورية التي تشارك فيها.

لكن العميد لا يستمر طويلاً في بيروت، فغادرها إلى باريس. ومن هناك تابع تحركات الحكم الداخلية والخارجية.

ومع تسارع الأحداث والاشتباكات العسكرية التي اندلعت العام ١٩٧٨، حيث قصفت الأشرفية ومناطق أخرى، يدعو العميد اللبنانيين إلى الالتفاف حول رئيسهم. لكن الرئيس عجز عن حل مشكلة لبنان. وكيف يمكنه ذلك والقضية ليست بيده؟ فانتقده بشدة، معتبراً أن رحلاته الأربع إلى دمشق لم تُجْدِ نفعاً، وأن مواقفه لا تتحلى بمصارحة الشعب اللبناني بكل ما يجب أن يعرف، داعياً الرئيس حافظ الأسد لزيارة رئيس الدولة اللبنانية كما تقضي «اللياقة».

وتستمر الأحداث مشتعلة في لبنان، فيطلب العميد من الرئيس سركيس زيارة الدول الأوروبية لإقناعها بإرسال قوات من جيشها لحفظ الأمن وإنهاء الحرب في لبنان.

انتخاب بشير الجميل

وينتخب بشير الجميل رئيساً في العام ١٩٨٢. وينتقد العميد هذا الانتخاب الذي جرى في ظل الدبابات الإسرائيلية، كما ينتقد اختيار المدرسة الحربية مكاناً لانعقاد جلسة الانتخاب، رافضاً في الوقت نفسه الدعوة التي وجَّهها إليه الرئيس المنتخب للعودة إلى الوطن، معتبراً أنه رئيس فُرض من قِبل إسرائيل.

تجدر الإشارة إلى أن العميد كان قد قرَّر ترشيح نفسه للانتخابات الرئاسية محدداً لذلك ثلاثة شروط:

- انسحاب الجيش الإسرائيلي.
- انسحاب الجيش السوري.
- إحلال قوة سلام دولية مكان الجيش السوري من جنود دول غير مشاركة في مجلس الأمن حتى لا تتعرض لفيتو سوفياتي، أو إحلال قوة أوروبية ـ عربية.

عهد الازدواجية

في ١٤ أيلول ١٩٨٢ يُغتال الرئيس بشير الجميل. ويُنتخب شقيقه أمين رئيساً، ويمد العميد يده للرئيس الجديد لمعاونته، إذا عمل على تحقيق انسحاب الجيش الإسرائيلي والجيش السوري. ثم ما لبث أن عارضه بشدَّة مع بدء المفاوضات مع الإسرائيليين لتوقيع اتفاق ١٧ أيار ١٩٨٣.

وبدءاً من العام ١٩٨٤، وبعد انقسام بيروت والجيش، طالب العميد الرئيس الجميل بتقديم استقالته، معتبراً أن إبعاده عن الحكم ينهي المشكلة اللبنانية، رافضاً المشاركة في مؤتمرات الحوار الوطني التي عقدت في الداخل وفي جنيف

ولوزان، لأنها لن «تؤدي إلى إنهاء الاحتلالات». ولأنه لا يريد المشاركة في تقسيم لبنان. وسنة بعد سنة يرى أن الرئيس الجميل قد غرق في مأزق مزدوج. فمن جهة يريد إرضاء إسرائيل، ومن جهة ثانية يريد إرضاء سوريا. ومع أن الرئيس الجميل زار دمشق اثنتي عشرة مرّة، فإنه لم يتمكّن من كسب رضاها.

ويأتي العام ١٩٨٨، وتُحدَّد جلسة أولى لانتخاب رئيس للجمهورية. لكن هذه الجلسة لم تنعقد بسبب عدم التوافق على اسم الرئيس. ويحدد الرئيس حسين الحسيني موعداً لجلسة ثانية في ٢٢ أيلول من العام نفسه وهو اليوم الأخير من المهلة الدستورية. ويبرق العميد إلى رئيس المجلس بالتالي:

«أتشرَّف بإعلامكم بأنني قررت ترشيحي لانتخابات رئاسة الجمهورية اللبنانية الذي حددتموه في ٢٢ أيلول ١٩٨٨».

حكومة شرعية وحكومة دستورية

وتنتهي المهلة الدستورية، ويمنع النواب من الوصول إلى مكان الجلسة. ويبقى لبنان من دون رئيس للجمهورية. ويسلم الرئيس الجميل السلطة إلى حكومة انتقالية برئاسة العماد ميشال عون، لم يلتحق بها الوزراء العسكريون المسلمون.

ويتكلَّم العميد عن حكومتين: حكومة شرعية، (شعبية) برئاسة الرئيس سليم الحص، علماً أنه كان رئيساً للحكومة بالوكالة. وحكومة دستورية برئاسة العماد عون شُكِّلت استناداً إلى مواد الدستور.

انتخاب معوض وعهد الهرواي

في العام ١٩٨٩، وبعد التصديق على اتفاق الطائف، يعلن العميد أنه يرشح نفسه للانتخابات الرئاسية إذا انسحب الجيش الإسرائيلي. ويُنتخب النائب رينه معوض رئيساً في تشرين الثاني ١٩٨٩. بعد أيام من انتخابه، في ٢٢ منه، اغتيل بمتفجرة وضعت على طريق عودته من قصر الصنائع حيث كان يتقبل التهاني بعيد

الاستقلال. في اليوم التالي ينتخب النائب الياس الهراوي رئيساً ويعتبره العميد رئيساً دستورياً، ولكن تنقصه شرعية التأييد الشعبي. ويبلغ العميد الرئيس الجديد أنه لن يهنئه بالرئاسة، إلّا إذا تمكّن من سحب «الجيشين الإسرائيلي والسوري» من لبنان.

وتوقّع معاهدة الأخوّة والتعاون والتنسيق بين لبنان وسوريا في ٢٢ أيار ١٩٩١، ثم اتفاق الدفاع والأمن. وتقوم «قيامة» العميد لأنهما سيؤديان إلى «الوحدة» مع سوريا. ولأن المعاهدة لا تتحدّث عن انسحاب الجيش السوري من لبنان، بل عن إعادة تمركُزه.

تمديد الولاية

ويقرر الحكم إجراء انتخابات نيابية العام ١٩٩٢. ويدعو العميد إلى مقاطعتها لأنها ستجري في ظل الوجود السوري، طالباً من الحكم تمديد ولاية مجلس العام ١٩٧٢. لكن الانتخابات تحصل ويتشكّل مجلس من ١٢٩ نائباً بموجب تعديل قانون الانتخاب. ويعلن الرئيس الهراوي في العام ١٩٩٤، عدم رغبته في تمديد ولايته. أمّا العميد فدعاه إلى تمديد هذه الولاية سنة بعد سنة، بانتظار تحرير لبنان وإجراء انتخابات ديموقراطية يختار فيها النواب رئيساً للجمهورية بعيداً عن التدخّل السوري.

في العام ١٩٩٥، يُعدَّل الدستور، ويُجدَّد للرئيس الهراوي نصف ولاية، أي حتى العام ١٩٩٨. ويتقرر مع هذا التجديد إجراء انتخابات نيابية في العام ١٩٩٦. يقاطعها العميد أيضاً، مطالباً بتمديد ولاية مجلس العام ١٩٩٢.

عهد لحود

وينتخب المجلس الجديد قائد الجيش العماد إميل لحود رئيساً للجمهورية في ٢٠ تشرين الأول ١٩٩٨، ويصرح بالتالي:

«أنا عبَّرت عن موقفي، وأنا ضد انتخاب عسكري لرئاسة الجمهورية. أمَّا اليوم فإن موقفي لم يتغيَّر، فأنا ضد العسكري في الحكم، وأنا لا أعرف العماد لحود شخصياً، بل أعرف والده ويظهر إنه «طالع لبيو إدمي ونظيف. . . لقد أعجبتني كلمة نظيف الكف التي استعملوها، فهل تعني إن كل الذين كانوا قبله أيديهم وسخة؟»

يضيف: «لقد انزعجت لأن العماد لحود انتخب بالإجماع، ولم تكن هناك سابقة في تاريخ لبنان أن ينتخب شخص بالإجماع، ولا في تاريخ الدول الديموقراطية، إلَّا إذا كنت مخطئاً. . . لا أعرف إذا كان إميل لحود سيكرر تجربة فؤاد شهاب، وأخاف أن يتدخَّل العسكري في السياسة غصباً عنه لأن ذلك من طبيعة العسكر وأتمنى أن أكون مخطئاً».

العميد والرؤساء

شمعون

وماذا يقول العميد في الرؤساء؟

الرئيس شمعون: «تعرَّفت إلى كميل شمعون باكراً وأحببته وكنت في تلك الأيام صغيراً. تدرب كميل شمعون على ممارسة المحاماة في مكتب والدي إميل اده. كان يصطحبني معه إلى الصيد. والحقيقة أنه كان صياداً ماهراً. رحلات الصيد كانت في جبيل ثم في البقاع وبعده في سوريا. في ١٩٤٣ كان والدي يفضل شمعون على بشارة الخوري لرئاسة الجمهورية. انتخب والدي رئيساً للجمهورية (١٩٣٦ ـ ١٩٤١) وفاز بصوت واحد في المجلس الذي كان مؤلفاً من ٢٥ نائباً. غالبية الناس قالت إنه كان صوت كميل شمعون.

تعاونا من أجل إسقاط بشارة الخوري في إطار الجبهة الاشتراكية الوطنية التي جمعت كميل شمعون وكمال جنبلاط وأنا، انضم إلينا عبد الحميد كرامي. أقفلت بيروت لمدة ثلاثة أيام وسقط بشارة الخوري.

كانت العلاقة مليحة مع كميل شمعون لكنني كنت حذرا. شمعون سياسي يملك قدرة على المناورة وكان لا بد من قَدَرٍ من الحذر في التعامل معه. لدى خوضه انتخابات الرئاسة أيده حزبي واقترع شقيقي بيار له. أما أنا فكان بشارة الخوري قد أسقطني في انتخابات جبيل (١٩٥٢). كميل شمعون وكمال جنبلاط مشيا معنا أنا وشقيقي في جنازة والدي، وكنا يومها في شبه عزلة. تولى شمعون الرئاسة فخلا مقعده النيابي في الشوف، وكان بَدَيهيًّا أن يؤيد جورج عقل أمين سر الكتلة الوطنية من أجل إرضاء كمال جنبلاط جاء شمعون بإيلي مكرزل فاختلفنا. طبعاً إن محاولته إسقاط بعض الأقطاب لشعوره أنهم لا يمكن أن يوافقوا على التجديد له كانت خطأ كبيراً».

شهاب

الرئيس شهاب: «لم تكن المشكلة مع شخص فؤاد شهاب فهو نزيه لكن غلطته الأولى كانت رفضه أي مس بالمكتب الثاني، وميله إلى الاستماع إلى ما يقولونه. لولا هذه النقطة لكان عهده ربما من أفضل العهود. لم يحاول فؤاد شهاب الدخول في صفقات مالية ولم يتهم بسرقة أموال الدولة. أقول ذلك لأن الإنصاف واجب على السياسي حين يتحدث».

حلو

الرئيس حلو: «أنا لم أر بين رجال السياسة في لبنان مَنْ يوازي شارل حلو في ثقافته. إنه صاحب ثقافة واسعة. مشكلته في نقص الشجاعة لديه. كان المكتب الثاني يريد عَدَّه مجرد استمرار لعهد فؤاد شهاب، أي أن يحكم من ورائه. حلو لا يحب الحسم والمواقف المكلفة، والسياسة تحتاج إلى هذا النوع من المواقف. ذاكرته قوية إلا حين يريد أن ينسى. لا صحة لما يتردد عن أنه شجع قيام الحلف الثلاثي. لم يأخذ أحد رأيه قبل قيام الحلف».

فرنجية

الرئيس فرنجية: «انتهت ولاية شارل حلو وكان الهم الأول إنهاء حكم

الأجهزة وتدخل العسكر في السياسة. سبقت ذلك انتخابات ١٩٦٨ والنجاح الذي حققه الحلف الثلاثي الذي ضمني مع كميل شمعون وبيار الجميل. طبعاً حلم الرئاسة راود كميل شمعون مجدداً لكن مروره كان مستحيلاً، والأمر نفسه بالنسبة إلى بيار الجميل. كان يفترض بهما أن يدعماني، لكن ذلك لم يكن وارداً بالنسبة إليهما، لأنني ماروني من جبل لبنان ورئيس حزب. طبعاً كانت المعركة دقيقة من حيث الأصوات. وفضل شمعون والجميل مارونياً من الشمال هو سلميان فرنجية.

كان جبل لبنان، أي من جبيل إلى المختارة، أساس السياسة التقليدية. رجحت كفة سليمان فرنجية في اجتماع عقد عند كاظم الخليل في عاليه. قال كميل شمعون: «لماذا نتعب بريمون اده فهو ضد الانكليز والاميركان. وأنا بدوري أيدت سليمان فرنجية لأنه مشى معي ضد المكتب الثاني. بعدها أيد صائب سلام فرنجية وكان صديقاً له. رشيد كرامي ربما كان يفضلني.

والحقيقة هي أنني لم أكن مقتنعاً بانتخابه، لكنني أيدته بسبب موقفه من المكتب الثاني. ذات يوم كنت أريد إقامة مرفأ سياحي في جبيل، وحين سألت عن اعتماد مخصص له بقيمة مليونين ونصف مليون ليرة، قالوا لي استخدمه الرئيس في منطقته. ذهبت إلى القصر الجمهوري وسألته، فأجابني: «يا عميد شو نحنا قاسمين»؟ أجبته: «لولا صوتي أنا لما نجحت في انتخابات الرئاسة». فرد قائلاً: «أنا ما كنت نجحت لولا صوتي أنا». فقلت له: مبروك عليك هالصوت ولن تراني عندك بعد اليوم. وهذا ما حصل.

أقول ذلك وأكرر أنه كان من الطبيعي أن أؤيد سليمان فرنجية ضد الياس سركيس الذي كان أمضى عمره مع فؤاد شهاب ومع العسكر الذين كانوا يريدون وصوله لضمان استمرارهم. وفي عهد الرئيس فرنجية وتحديداً في ٢٥ أيار ١٩٧٦ أطلق عليَّ مسلحون كتائبيون النار وأصابوني في قدمي. كنت عائداً من جبيل وطاردوني من نهر ابراهيم إلى ضبية. لم يفعل فرنجية شيئاً، وأنا لم أتقدم بشكوى. فحتى هذه لا يستحقها حزب الكتائب».

سركيس

الرئيس سركيس: «ظروف وصول الياس سركيس معروفة. كميل شمعون وبيار الجميل قبلا به لأنه موظف من الشبانية وليس زعيماً من جبل لبنان. قاطعنا الانتخابات يومها بسبب الضغوط وجلسنا في منزلي ومنزل صائب سلام وكنا نتبادل الزيارات. إلياس سركيس كان «آدمي» وحريصاً على أموال الدولة. حين جاء بعد الرئاسة إلى باريس كنت أتصل وأسأل عن صحته».

الجميل

الرئيس الجميل: «لا سلام ولا كلام. خرَّب البلد ونسف العملة. ذهب ١١ مرة إلى الشام وقال عبد الحليم خدام إنه لن تعقد قمة أخرى. قبل نهاية ولايته ذهب إلى دمشق على أمل إقناع الرئيس حافظ الأسد بالتمديد له، وحين لم يحصل ذلك شكل حكومة عسكرية وكان ميشال عون كارثة. كانت مهمة عون الوحيدة أن يؤمن انتخاب رئيس للجمهورية، لكنه فعل كل شيء كي لا تحصل الانتخابات».

الهراوي

الرئيس الهراوي: «إلياس الهراوي صاحبي، وفي المجلس النيابي كان يجلس في الجهة نفسها التي كنت أجلس فيها. لماذا لا يتصل؟ يمكن بيفزع. حين جاء إلى فرنسا ذهبت إلى اسبانيا. خفت أن يتصل ويقول إنه آت لزيارتي. ويمكن أن لا يتجاسر على ذلك. أنا قلت إنه دستوري ولكن تنقصه شرعية التأييد الشعبي. ليس لديه أحد في البقاع ونجله سقط في الانتخابات. لم تعجبني طريقة وصوله إلى الرئاسة وجلوسه في أبلح، وأستغرب كيف قَبِلَ أن ينتخب قَبل دفن رينيه معوض.

بالنسبة إلى انتخابات رئيس الجمهورية أقول إنه لم يتغير شيء عن الانتخابات النيابية. ماذا تغيَّر لنغير رأينا. انتخاب رئيس الجمهورية يجب ألا يتم

من قِبَلِ مجلس لم نعترف به. المجلس والحكومة أمر واقع. أنا لا اعترف برئيس المجلس نبيه بري. الحل هو الضغط لانسحاب المحتل الاسرائيلي، وحين ينسحب الاسرائيليون لن يستطيع السوريون البقاء. عندها نجري انتخابات نزيهة وينتخب المجلس الجديد رئيس الجمهورية. إذا لم تحصل انتخابات فالحل هو أن يجتمع هذا المجلس، لا أعترف أنا به لكن العالم يعترف، ويعدل البند الأول من المادة ٤٩ من أجل التمديد سنة للرئيس الياس الهراوي على أن يتم التمديد سنة فسنة بانتظار انسحاب الجيش الاسرائيلي. طبعاً المقصود هو الضغط وإثارة انتباه العالم ليمارس ضغوطاً على إسرائيل. ثم إن الياس الهراوي اعتدنا عليه واعتاد علينا. أما عشرات الطامحين إلى الرئاسة فيجب عليهم دفع تكاليف إعادة تعبيد طريق الشام التي اهترأ الزفت عليها من كثرة ذهابهم وإيابهم».

لحود

الرئيس لحود: «أنا لا أعرفه كثيرا والذين يعرفونه يقولون إنه شخص آدمي. والده كان صديقي. أنا موقفي معروف، وأنا ضد دخول العسكر في السياسة، وضد ترشيح عسكري لرئاسة الجمهورية، لأن خراب الجيش ينجم عن وجود عسكري في قصر الرئاسة».

رئيس «الجمهورية الدائم» من دون حكم، تعامل وقال عن رؤساء الجمهورية الذين تعاقبوا على الحكم. لكنه ولا مرّة تنازل عن رأي أو موقف أو مبدأ «ليشلّح» أحدهم الكرسي. ولم يسع إليها من خلال إرضاء هذا الشخص أو ذاك الفريق في الداخل، أو هذا الرئيس أو تلك الدولة من الخارج.

وهكذا استمر عازباً. لم يتزوج امرأة لأنه «تزوَّج» السياسة. ولم «يتزوج» الرئاسة لأنه رفض أن يطلب «يدها» من أحد.

قال فيهم ...



علاقة حذرة... سياسي يملك قدرة على المناورة وكان لا بد من قدرة من الحذر في التعامل معه.



علاقة طيبة لم تدم طويلاً. معه كانت حرب «داحس والغبراء».



لم أر من يوازيه في ثقافته، إنما تنقصه الشجاعة.



لولا صوتي لما نجح في انتخابات الرئاسة.



كان آدمياً وحريصاً على أموال الدولة.

قال فيهم . . .



رئيس فُرض من قبل إسرائيل. فقد جرى انتخابه في ظل الدبابات الإسرائيلية.



لا سلام ولا كلام. خرّب البلد ونسف العملة.

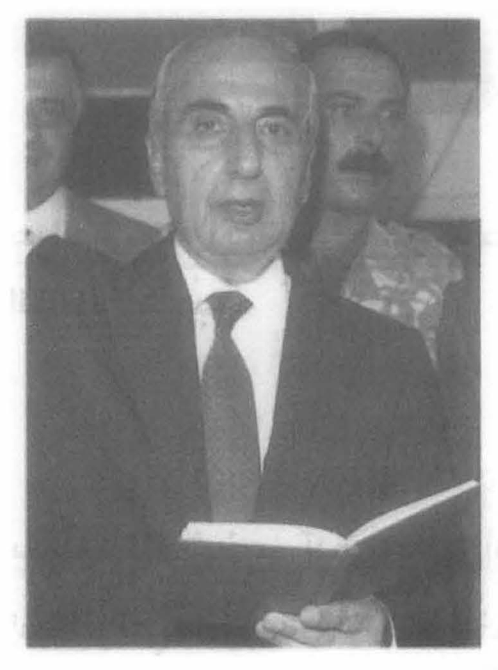


صاحبي. إنه دستوري ولكن تنقصه شرعية التأييد الشعبي.



يقولون إنه شخص آدمي، يظهر أنه طالع لبيو. إنما موقفي معروف، فأنا ضد دخول العسكر في السياسة.

١٩٤٣ : انتخاب بشارة الخوري رئيساً للجمهورية بعد انتخاب صبري حمادة رئيساً للمجلس.



١٩٨٩ : الرئيس رينيه معوض يقسم اليمين الدستورية في القليعات بعد انتخابه رئيساً للجمهورية.

الفصل الرابع

الانتخابات النيابية

منذ تمرسه في العمل السياسي، والعميد يرشح نفسه للانتخابات النيابية. الهدف الوصول إلى ساحة النجمة، ليس من أجل الكرسي، أو «النمرة الزرقاء»، وهو الذي لم يضعها مرّة على سيارته، التي تحمل الرقم ٨٢١، بل من أجل أن يكون له الدور في تشريع سياسة الوطن ومراقبتها.

في العام ١٩٥٢، وقبل «الانقلاب الأبيض»، يرشح العميد نفسه للانتخابات عن دائرة جبيل ويخسر.

وفي العام ١٩٥٣، يعيد ترشيح نفسه، مع بيان يعرض فيه منهاج الحزب في الحقلين الداخلي والخارجي. يفوز، ويوجه للجبيليين الشكر.

في العام ١٩٥٧ يعود العميد إلى مقعده النيابي بالتزكية.

وفي العام ١٩٦٠ يشكل لائحة تضمُّه وجبرايل جرمانوس وأحمد إسبر تقابلها لائحة أخرى، شكلت من الدكتور شهيد الخوري وادوار نون وأحمد الحسيني. وكان الفوز حليف العميد وحليفيه.

«أول كوع» انتخابات ١٩٦٤

وتدور الدائرة، ويخاصم العميد العهد الشهابي، بسبب تدخل المكتب الثاني في السياسة. ويبدأ، ومن دون هوادة، بمهاجمة ضباطه. هذا الهجوم المتواصل على الشهابيين، يدفع بهولاء الضباط إلى انتظار العميد على «أول

كوع». وكم من مرّة انتظره أعوانهم على «كواع» الطرقات الجبلية الجبيلية. ولتصفية الحساب كمنوا له في انتخابات العام ١٩٦٤. فالعميد ليس من نوع السياسيين، الذين يستجدون خدمة أو منصباً أو رخصة سلاح. . . ليتمكن هؤلاء من معاقبته.

ويأتي العام ١٩٦٤، وفيه الانتخابات النيابية. وتندلع معركة سياسية حامية بين العميد والمكتب الثاني، حلبتها بلاد جبيل. وتقع أحداث كثيرة. ويحذر الحكم والحكومة من التلوث بالدم. ويُمنع من دخول البترون. ثم يُعتدى على انصاره، عندما كانت لائحة الكتلة، التي تضم العميد وإميل روحانا صقر وأحمد اسبر، تجول على قرى بلاد جبيل. وتستمر الاعتداءات على أنصار الكتلة ومعها التهديد والترهيب.

وتفوز لائحة النهج التي ضمت الدكتور شهيد الخوري، والدكتور انطوان سعيد وعلي الحسيني. وتخسر لائحة الكتلة. وتنفجر «خسارة» العميد مدوية في كل لبنان. وتعنون «النهار»: «عدد المقترعين في جبيل أكثر من. . . عدد المقترعين».

فخامة العميد

ويكتب أنسي الحاج في «النهار» أيضاً تحت عنوان «فخامة العميد»، وقبل الانتخابات الرئاسية:

«إنني انتخب ريمون إده رئيساً للجمهورية.

إنه الرجل الذي تحلو ضده المبارزة ويحلو في وجهه العناد ويرتفع الحوار وإياه إلى مستوى الكلمة.

عندما سقط في معركة النيابة كأنه ربح حرب العرش، بل ربح من قبلُ شرف التمرد في مجلس طغت على أكثريته موجة الصمت أو موجات التملق والخضوع والمسايرة. ويوم كدنا ننسى أننا مواطنو دولة ديموقراطية، كان نائب

جبيل أحد القلّة الذين مزقوا برصاص شجاعتهم خيوط العنكبوت. وما دام النطاق محصوراً بالموارنة فإنني أنتخب ريمون إده رئيساً للجمهورية.

لقد استعمل النواب حقهم في الدعوة إلى مرشحيهم وأنا أستعمل حقي كمواطن في اختيار الرجل الذي أحلم بأن يتحقق على يديه ولو شيء من طموحه، ولو شيء من طموح الذين لم يفسح لهم بعدُ في المجال تحقيق أحلامهم الكبيرة: هؤلاء ليسوا حملة الشهادات ولا أغنياء حرب السياسة ولا حديثي النعمة في الوجاهة والسلطان. وإنما هم المبدعون من المثقفين والفنانين والشعراء الذين بفضلهم يمكن للبنان أن يرفع رأسه. هذا الرأس الذي ما فتئ التجار والسماسرة والمحترفون والانتهازيون يشدونه كالجبابرة إلى الوحل.

إنني أرى في ريمون إده حليفاً لذلك القلب المبدع في لبنان، بل أراه هو نفسه فناناً. وإذا كان اللاسياسيون لا يستطيعون أن يجيئوا برئيس للجمهورية لأنهم لا يتعاملون بالعملة الزائفة، فإنهم يستطيعون أن يرفضوا رئيساً للجمهورية بل يستطيعون أن يسمموا له الجو. وفي المقابل هم لا يريدون إلا رجلاً يدعوهم إلى المشاركة في العمل ويؤمن بهم ولا يعتبر أحلامهم جنوناً ومطالبهم هراء. الفنان والإنسان في ريمون إده هما الأرض الخصبة للذين لم تتحقق أحلامهم العظيمة في هذا الوطن الذي ليس بالوطن والذي ما يزال رقعة أرض واطئة ومساحة تسرح فيها عصابات الجهل وتصول خيول التعهير والقذارة.

لم أعرف كثيراً من السياسيين القلقين وريمون إده سياسي قلق أي أنه أصيل وحتى مناوراته الوصولية لا تسيء إليه لأنها مصطنعة ولأنه في قرارة نفسه متمرد وفي النهاية فريسة الأحلام الحماسية تضطرم في صدره نار الرفض وتشتعل أصابعه بنور الهدم وتلمع عيناه ببريق الخيال الرائع.

انتخب ريمون إده رئيساً للجمهورية من أجل سلامة الحياة في الطبقة العليا من هذا البلد ومن أجل القيام بمحاولة إنقاذ لنظافتنا ومن أجل الثورة الحقيقية:

ثورة العقل والروح والخيال وثورة الثوار الحقيقيين الذين ما زالوا مكبلين مخنوقين محتقرين والبعض منهم بدأ يستسلم لتيار الكذب والديماغوجية والانهيار.

لقد سقط ريمون إده في جبيل لكن الجبل يجب أن ينتقل إليه. وفي عهد ريمون إده يجب أن نؤسس لبنان الحلم ونهجم على شهواتنا العميقة ونطلق سراح كبتنا الخلاق ونفجر صخور النوم وننفض غبار الذل والعتمة والدعارة. يجب أن نضحك من كل شيء ونجعل كل شيء يضحك لنا. يجب أن نركب حصان السفر الهائج وعواصف الضخامة والمجد. وحتى لو لم يجئ ريمون إده إلى العرش فإنني أنتخبه رئيساً للجمهورية وأصوب إلى صدره العصبي عيون الذين قاوموا مثله المخرز بالعين ووقفوا مثله ضد كل شيء ومزقوا مثله عنكبوت الخوف والجبن والدعارة برصاص الكلمة يلعلع بغضب التمرد ويقول لوجه لبنان الذليل: لا.

بعد ست سنوات من التصميم والتهدئة وبعد ست سنوات من الرئاسة العاقلة الحكيمة نريد ست سنوات من الرئاسة المتفجرة التي تطمح بعصبية وهياج ولو أخفقت في الوصول.

بعد ست سنوات من الرئاسة الفاضلة نريد ست سنوات من الرئاسة الهاجمة إلى الخلق. إنني أضع في ريمون إده العصبي جميع أعصاب الخلاقين المحمومة وجميع أحلامهم المكبوتة ولا أخاف عليه من الاختناق. ومهما يكن رأي السفراء والكواليس والجواسيس والسلاطين، فإنني ورفاقي الهواة ننتخب ريمون إده رئيساً للجمهورية».

العودة إلى ساحة النجمة

ولا يتأخر العميد في العودة إلى ساحة النجمة، بعد أن فاز في معركة الانتخابات الفرعية العام ١٩٦٥، وبفارق ٢٤٠٠ صوت، وبعد وفاة النائب سعيد، وترشيح أرملته السيدة نهاد جرمانوس سعيد.

هذا الفوز أزعج كثيراً ضباط المكتب الثاني والنهجيين، فكان أن دبروا

اعتداءات على أنصار العميد في جبيل، ويعم الإقفال المدينة احتجاجاً على هذه الاعتداءات مدة يومين ويكتب غسان تويني افتتاحية «النهار»:

... وانتصر العميد، رغم كل شيء!

انتصار كبير، ولو بأرقام صغيرة، ومعركة، إذا ما قيست بالسياق الطويل والإطار الواسع، تظل، بحد ذاتها، صغيرة.

أما السياق الطويل، فعندما تصحح، في انتخابات عامة جديدة، نتائج الجبل، بل نتائج لبنان كله...

وأما الإطار الواسع، فإطار الحكم، كل الحكم: الإطار الذي رسمت خطوطه العريضة عندما فشل التجديد، ثم تحدد بانتخاب شارل حلو للرئاسة، وتوضح بعض الشيء عندما بدأ العهد يبدو عهد نفسه، لا استمرار سواه.

انتصر العميد؟

لا، بل العهد الذي انتصر...

انتصر بالعميد، بقدر ما انتصر له العميد وأكثر.

لا بالانتقام وحسب ـ ولو كان الانتقام جميلاً...

ولا بالصفعة، وتحطيم الصنم، وتقويم الاعوجاج، وعودة الأمور إلى مجاريها، والناس إلى مقاعدها... ولو كان ذلك حقاً وجميلاً!

إنما الانتصار في الاستفتاء حول المواقف والمبادئ والمثل... وفي أن الاستفتاء جرى وجهاً لوجه مع القوة، من غير أن ينكفئ خصم، ولا أن ينسحب من الساحة أعند الذين كانوا قد اغتصبوها!

الانتصار؟

في أن جبيل، باسم لبنان، قالت نعم للحرية، للديموقراطية، لحقوق الإنسان، للحكم البرلماني، للدستور، وللمدنيين...

قالت نعم، هكذا، مواجهة...

قالت نعم لريمون إده، وفي ودها أن يسمع شارل حلو. وقد سمع، ونرجو أن يكون سواه قد سمع، مرة أخيرة، واكتفى!»

الحلف الثلاثي

وتحسباً لما يضمره الشهابيون للانتخابات النيابية في العام ١٩٦٨، يتحالف العميد مع رئيس حزب الوطنيين الأحرار الرئيس كميل شمعون ورئيس الكتائب الشيخ بيار الجميل ليشكلوا معاً الحلف الثلاثي.

وتأتي انتخابات هذا العام، وكل عناصر المعركة، عدة وعديداً، مستنفرة بين الحلف والشهابيين. فالقضية ليست «رمانة» (انتخابات نيابية فقط)، بل قلوب «مليانة». وتصويب مركّز نحو «المقتل» في الانتخابات الرئاسية في العام ١٩٧٠.

ويخوض العميد معركته مع حليفيه السابقين: روحانا صقر وإسبر، أما لائحة النهج فتضم إضافة إلى العقيد نجيب الخوري وعلي الحسيني، أرملة النائب سعيد السيدة نهاد. وتأتي النتائج، بالرغم من كل التدخلات والتهديد والترهيب، معلنة فوز العميد واسبر والعقيد الخوري.

وتحصل انتخابات العام ١٩٧٢. ولكن هذه المرة في غياب الشهابيين، بعد أن عمل الرئيس فرنجيه وحلفاؤه صائب سلام وكميل شمعون والعميد... على «القضاء» عليهم عندما تمكنوا من إسقاط مرشحهم للرئاسة إلياس سركيس. وتفوز لائحة الكتلة، العميد ومعه روحانا صقر وإسبر.

حفظ صناديق الاقتراع

وترفع صناديق الاقتراع. تحفظ في مخازن وزارة الداخلية. لتوزع بعد عشرين سنة، أي العام ١٩٩٢.

عشرون سنة، ومجلس العام ١٩٧٢، يمدد لنفسه. السبب الحرب اللبنانية،

التي تمنع تلاقي اللبنانيين. ليس ذلك فقط، بل تمنع وصولهم إلى قراهم وبلداتهم لممارسة حقهم الانتخابي.

ويقرر الرئيس الهراوي والحكومة، إجراء انتخابات نيابية، طالما أن البلاد تسير على «سكة» الأمن (يذكر أن المقاعد التي شغرت في مجلس العام ١٩٧٢ والمؤلف من ٩٩ نائباً بسبب وفاة عدد النواب، «احتلها» نواب معيَّنون).

مقاطعة الانتخابات

ويعدِّل قانون الانتخابات، لناحية رفع عدد النواب إلى ١٢٨ نائباً، وتقسم الدوائر بشكل لا يتفق مع مضمون الدستور. ويرفض العميد المشاركة في هذه الانتخابات، ويدعو إلى مقاطعتها، متمنياً على البطريرك الكاردينال صفير الدعوة أيضاً إلى مقاطعتها. وحجة العميد أنه «لا يجوز إجراء انتخابات نيابية ما دام العدو الإسرائيلي يحتل جنوب لبنان، وفي ظل وجود ٤٠ ألف جندي سوري على بقية الأرض اللبنانية».

وتجري الانتخابات. وتقاطعها بلاد جبيل، ملبية دعوة العميد، وبنسبة قاربت المئة في المئة. وكادت أن تصل إليها لولا بعض المنافسة على المقعد الشيعي. ويعتبر العميد المجلس الجديد غير شرعي.

وتجري انتخابات العام ١٩٩٦ كمثيلتها انتخابات العام ١٩٩٢، لجهة الشوائب الكثيرة في قانون الانتخاب، وتقسيم الدوائر العشوائي: محافظتان في الجنوب، محافظة الشمال، محافظة بيروت، محافظة البقاع قسمت إلى دائرتين ومحافظة جبل لبنان إلى ست دوائر. (محافظتان، محافظة، نصف محافظة، قضاء) ويبقى العميد على موقفه داعياً إلى مقاطعتها.

ويوجه إلى الحزب الرسالة الآتية:

«جانب اللجنة التنفيذية لحزب الكتلة الوطنية،

أصدقائي الأحباء

لقد دعوتكم الى الاجتماع لأذكركم بأن حزب الكتلة الوطنية اللبنانية كان دائماً حزباً لبنانياً صرفا، خلافا لمعظم الأحزاب اللبنانية الموجودة في لبنان.

علينا، إذاً، أن نضع مصلحة لبنان ووحدته واستقلاله وسيادته فوق مصالحنا الخاصة.

نحن أيضاً حزب ديمقراطي، فأنتم مثل أسلافكم، أخذتم القرار بمقاطعة الانتخابات. عام ١٩٩٢، كنا أول مَن اتخذ هذا القرار، الذي اتبعته غالبية اللبنانيين، تذكرون من دون شك النتائج: في جبيل، لم يتجاوز عدد الناخبين ١,٠١٪. في بيروت ٣,٢٧ فقط. إن مجموع الذين اقترعوا في لبنان لم يتجاوز ١٣,٧٨٪.

كان هدفنا في ذلك الحين أن يأتي مجلس غير شرعي لا يمكنه أن يربط نهائياً لبنان باتفاقات مناقضة لمصلحة الشعب اللبناني.

بعض هذه الاتفاقات التي أقرها، يمكن تعديلها يوم يصبح في إمكان مجلس منتخب بحرية، بعد انسحاب القوات الغريبة، أن يشرع بدون إكراه.

لماذا غير البطريرك والأساقفة الموارنة رأيهم ما دامت الظروف لا تزال هي ذاتها التي كانت سائدة عام ١٩٩٢: لبنان محتل، وجود سوري كثيف، غياب الحريات الديمقراطية، ولبنان الجنوبي لا يزال محتلاً من الجيش الاسرائيلي؟

أصدقائي الأحباء،

... إن القرار الذي اتخذناه لمصلحة لبنان يثير في صفوف محازبينا ردود فعل مختلفة ومنتظرة.

ولكنني واثق بأن اللبنانيين الحقيقيين الذين يريدون المحافظة على لبنان وعلى مستقبل أولادهم، يفهمون مخاوفي.

ما خدعتكم مرة واحدة منذ أكثر من خمسين عاماً.

ما حملتكم مرة واحدة على ارتكاب خطأ.

عاش لبنان موحداً حراً وسيداً.»

ريمون اده

وتجري الانتخابات في بلاد جبيل، مع «تدفق» من المرشحين الموارنة والشيعة. ويكتمل عقد المجلس النيابي، الشبيه بمجلس العام ١٩٩٢.

«لا أقبل الترشيح...»

يقول العميد:

«السؤال هو «شو طلع» من هؤلاء النواب؟ لقد حجبت المقاطعة الشرعية عن مجلس ١٩٩٢ في حين أسبغت دورة ١٩٩٦ الصفة الشرعية والقانونية على مجلس قد يصدر قرارات تزيل الكيان اللبناني. ولا يمكن حزبنا أن يقبل بالوحدة مع سوريا ولا بالوحدة الجمركية أو بالمشاركة في انتخابات مزورة على غرار جريمة ٢٥ أيار ١٩٤٩. لكننا نواجه اليوم عنصراً جديداً يتمثَّل في العامل السوري، فكيف يمكن أن نقبل بإجراء الانتخابات في ظل الاحتلال؟.

نحن مع لبنان الواحد الحر السيد المستقبل حتى لو بقينا وحدنا.»

ويضيف: «طلب مني كثير من المحازبين والأنصار أن أترشح وأنا في باريس وأكدوا لي أن النجاح مضمون، لكنني لا أقبل أن أترشح للأسباب الآتية:

أولاً: لا يمكنني أن أترشح ما دامت الأسباب التي تدعو إلى المقاطعة لا تزال قائمة.

ثانياً: ما هي فائدة وجودي في مجلس نواب كهذا ما دام ينفذ أوامر السوريين؟

ثالثاً: لا يمكنني أن أشترك في الانتخابات وأنا مقيم في العاصمة الفرنسية».

مشاركة أم مقاطعة؟

وتعقد خلوة باريس في ١٩٩٨، بين العميد وأعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الكتلة. وكان قرار بالتحضير للمشاركة في انتخابات العام ٢٠٠٠.

ويصرح الأمين العام للحزب إبراهيم اسطفان:

«لا شك أن خلوة الكتلة الوطنية بعميدها الثمانيني الأولى منذ ٢١ عاماً أسفرت بعد إذاعة التوصيات عن جملة مواقف وقرارات من شأنها أن تغير الكثير من معالم الأمور، وترسم موقعاً مميزاً لحزب الكتلة على الساحة السياسية في المرحلة القادمة.

إلّا أن أبرزها انبثق عن اجتماعات مسؤولي الحزب في «الكوين إليزابيت» والتي يصر العميد على وضعها في خانة الأمور التنظيمية، وقراءة أخطاء الماضي للانطلاق في المستقبل، كان قرار المشاركة في الانتخابات النيابية القادمة وقد كان العميد «شيخ المعارضين» إزاء هذه المسألة وأول الداعين إلى مقاطعة الاستحقاق، فما الذي تغيَّر ليوافق العميد؟

إلّا أن قناعة العميد بأن شيئاً ما سيحصل ربما لجهة تنفيذ القرار ٤٢٥ وانعكاس ذلك على الانتخابات المقبلة لجهة توفير الشروط التي يطالب بها العميد، ربما يكون رجّح الكفة لصالح صدور قرار المشاركة، وهذا القرار يليه سلسلة خطوات وقرارات مماثلة في المراحل القادمة...».

لقد تنبأ العميد بتنفيذ القرار ٤٢٥، وانسحاب الجيش الإسرائيلي. لكنه رحل قبل أن يتخذ قراره النهائي: مشاركة في انتخابات العام ٢٠٠٠، أم مقاطعة؟

١٩٦٤ : انتخابات قضاء جبيل وقد أسقطت نتائجها العميد.



إلى جانب نهاد سعيد التي كانت خصمه البارز في الانتخابات.

١٩٦٥ : فوز العميد في انتخابات جبيل الفرعية.

العميد على الاكتاف أمام مقر الحزب بعد فوزه عام ١٩٦٥.

العميد على حصان في جبل العاقورة عام ١٩٦٦.



... ومع مناصريه في جبيل.

العميد برفقة أحمد اسبر، ادوار حنين واميل روحانا صقر.

مع لائحة المتن الشمالي : جوزيف خوري، اميل سلهب، البير مخيبر واسد الاشقر.

الفصل الخامس

الإصـــلاح

ينطلق العميد إذّه في دعوته إلى الإصلاح، وفي شتى ميادينه من ثلاثة ثوابت:

- المحافظة على النظام الجمهوري الديموقراطي البرلماني.
- المحافظة على الحقوق السياسية والمدنية وكل الحريات الديموقراطية.
- المحافظة على الاقتصاد الحر والمبادرة الفردية.

وطوال مدة تمرسه في العمل السياسي، في النيابة، في الوزارة، أو خارجهما، والتي دامت نصف قرن، كان العميد المثال للرجل السياسي، الذي يقدم مصلحة وطنه على كل مصلحة، والذي يضحي بكل شيء، من أجل هذه المصلحة.

ففي النيابة كان المشرع الأول.

وفي الوزارة كان المتابع لكل شؤون وشجون المواطن، مؤيداً ما يؤمن لهم العيش الرغيد، رافضاً لكل ما يحوّل الدولة إلى «مزرعة».

أمّا في السياسة، فما تنازل عن حق، وما تقيّد إلّا بالمبادئ والقيم.

حقوق المرأة

ويبدأ العميد رحلته مع الإصلاح، منذ تسلّمه عمادة الحزب، ففي العام ١٩٥٠، يعيد الحزب إحياء اقتراح القانون الذي تقدم به نواب الحزب في العام ١٩٤٥ حول حقوق المرأة وهذا نصه:

«لمَّا كانت المرأة مساوية للرجل تتحمل مثله الواجبات الوطنية وتتحلّى بثقافة كافية وأهلية وافية وكان من الواجب أن يعترف لها بالحقوق السياسية.

ولمَّا كانت المبادئ الديموقرطاية توجب المساواة في الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة.

فإننا نقترح ما يلي:

مادة وحيدة ـ للمرأة اللبنانية ذات الحقوق السياسية المعترف بها للرجل ولها الحق بأن تَنتخب وأن تُنتخب وفقاً لأحكام القوانين المرعية ولأحكام الدستور مختلف الهيئات السياسية والإدارية».

وفي بيان للكتلة في ٢١ أيلول ١٩٥٠ حول تأجيل الانتخابات البلدية جاء:

كلما دنا موعد إجراء الانتخابات البلدية، أدرك «المسؤولون» خطورة موقفهم وأسرعوا إلى تأجيل الانتخاب. ولا ندري كيف يبررون أعمالهم العدوانية ضد حق البلدة اللبنانية وضد الشعب المقترع. إن حالة المدن والقرى أصبحت بائسة بسبب عدم وجود مجالس بلدية منتخبة من الشعب تولي العناية للنواحي العمرانية والصحية والاجتماعية في داخل كل بلدة.

ولهذا فالحزب يستنكر المحاولة الجديدة ويتحدى المسؤولين أن يتركوا للشعب مجال الانتخاب البلدي وقد قرب، حتى يختار سكان المدن والقرى أعضاء مجالسهم البلدية، وينتهي عهد الفوضى وسوء الاستعمال من جانب الإداريين الذين تسلَّطوا على مالية هذه البلديات المنحلَّة منذ سبع سنوات وأكثر.

الإثراء غير المشروع

ويطلب حزب الكتلة في بيان له في نيسان ١٩٥٢: تعديل قانون الانتخابات النيابية على أساس الدائرة، إعطاء الناخبين بطاقة خاصة (أقرت في التسعينات وتطبق كلياً في انتخابات ٢٠٠٠)، جعل الاقتراع سرياً بواسطة الغرفة المعزولة،

وإعطاء المرأة حقوقها السياسية، تنفيذ قانون الجنسية اللبنانية لإعطاء المغتربين الجنسية، الإسراع في إجراء الانتخابات البلدية، اتخاذ التدابير لجعل لبنان منطقة حرّة، تمكين المصارف من أن تفتح لزبائنها حسابات مغفلة، تعديل ضريبة الأراضي الزراعية، تعديل قانون الإرث بإعفاء الفروع من الضريبة، إنعاش القرية لرفع مستوى حياة المزارع.

ويقترح الحزب أيضاً قانون الإثراء غير المشروع، أو من أين لك هذا، الذي يقر في العام ١٩٥٩، لكنه لم يوضع موضع التنفيذ إلّا في العام ١٩٩٩، حيث تقدمت الحكومة بمشروع قانون معدل وأقرّه مجلس النواب.

ويعود الحزب ليؤكّد على هذه المطالب في بيان برنامج إلى اللبنانيين واللبنانيات في العام ١٩٥٣ قبل الانتخابات النيابية.

نفقات الانتخابات وسرية المصارف

وبعد انتخابه نائباً، يطالب العميد بإصلاح قانون الانتخاب بمكافحة الرشوة والفساد ومنع المرشحين من نقل الناخبين على حسابهم (تحديد نفقات الانتخابات).

ويقدم العميد في العام ١٩٥٥، اقتراح قانون يتعلق بسرية المصارف، وفيه أنه يحق للمصارف أن تفتح لزبائنها حسابات مرقَّمة، ولا تعلن هوية صاحب الحساب المرقوم إلّا بإذنه الصريح أو بإذن ورثته أو إذا أعلن إفلاسه. ولا يجوز التصريح بذلك لأي فرد كان أو سلطة عامة إدارية وعسكرية أو قضائية إلّا بإذن صاحب الشأن.

ويوجّه في العام نفسه سؤالاً إلى الحكومة حول عقود الزواج في الخارج، وإذا كانت تتطلّب تصديق الرئيس الروحي لتسجيلها في قلم الأحوال الشخصية.

وفي العام ١٩٥٦، تدرّس لجنة الإدارة والعدل النيابية اقتراح القانون الذي يحظر الجمع بين النيابة والوظيفة.

وفي العام نفسه يصدِّق مجلس النواب اقتراح القانون حول سرية المصارف، وهو الذي أدَّى إلى تدفق الرساميل على المصارف اللبنانية، خصوصاً من الدول العربية، فعرف لبنان فترة ازدهار كبيرة.

ويقترح في العام ١٩٥٧ بنص التعديلات على قانون الانتخاب، ومنها الإجازة للنائب بتسلَّم مهمة رئيسية موقوتة تتعلَّق باختصاصه، وإمكانية استعانة الإنسان المعاق بناخب ينتقيه لوضع ورقته في صندوق الاقتراع.

الغاء الرقابة على الصحف

كما يقدّم اقتراح قانون معجّل مكرّر بإلغاء الرقابة على الصحف من خلال وقف مفعول عبارة: «أو النشرات المخلّة بالأمن» والمصدَّقة العام ١٩٥٣ عند إعلان حالة الطوارئ.

في العام ١٩٥٨ يوجِّه سؤالاً إلى الحكومة حول أزمة النقل في قرى المناطق الجبلية، ويقترح حلاً لذلك بتوزيع نمر (لوحات) جديدة.

ويقترح أيضاً مشروع قانون معجل مكرر، لإلغاء قانون الصحافة الذي نشرته الحكومة بمرسوم.

المراسيم الاشتراعية

ويتسلَّم العميد إدّه في أواخر هذا العام وزارة الداخلية ووزارات أخرى، ويساهم مساهمة فعَّالة وكبيرة، بعد أن أُعطيت الحكومة الصلاحيات الاستثنائية في نشر المراسيم الاشتراعية المتعلّقة بالموظفين واستحداث المجالس كمجلس الخدمة المدنية والتفتيش المركزي وديوان المحاسبة وغيرها من المراسيم، وكانت المقدمة للإصلاح الإداري، أو ما عرف بالتطهير في بداية العهد الشهابي. لكن السياسيين وتدخلهم الدائم وتخطيهم للقوانين، جعل هذه الإصلاحات. . . غير فعّالة.

ويتابع العميد أعمال وزاراته خصوصاً الداخلية منها، لتخطي آثار ثورة ١٩٥٨، والجميع يذكر كيف أنه لاحق المجرمين وألقى القبض عليهم (قصة التكميل). لكن اليد الواحدة لا تصفق، فكان أن اتهم موظفي الداخلية وقوى الأمن في العام ١٩٥٩، بالتخريب وإحباط خطط الحكومة.

في شباط من العام نفسه، تقع أحداث مخلَّة بالأمن في بيروت، ويتهم العميد شخصيات سياسية من دون أن يسميها. وبالرغم من فساد جهاز قوى الأمن، يرفض توصية اللجنة المركزية للإصلاح، بوضع قوى الأمن الداخلي بإشراف الجيش.

الزواج المدني الإجباري

ولأنه يؤمن بعلمنة الدول، يقدم مشروع قانون إلى مجلس الوزراء يتعلَّق بتطبيق الزواج المدني الإجباري في لبنان. جاء في تصريح له حول هذا الموضوع:

«١ ـ القضاء اللبناني يعترف الآن بالزواج المدني الذي يعقد خارج الأراضي اللبنانية.

٢ ـ إيجاد زواج مدني إجباري لجميع اللبنانيين وهذا معمول به في جميع الدول الأوروبية.

٣ ـ الأشخاص الذين يريدون عقد زواج ديني، بعد الزواج المدني لا يستفيدون من أحكام قانون الزواج المدني فيما يتعلَّق بأمور الطلاق».

وقال: «إن هذا المشروع سيرضي الفئتين: أي الذين يفضلون الزواج المدني والذين يريدون زواجاً دينياً...

إن الوضع القائم بالنسبة للمتزوجين زواجاً مدنياً يتعارض مع النظام العام. فالقضاء اللبناني يعترف بالزواج المدني المعقود خارج الأراضي اللبنانية، وتتولى دوائر الأحوال الشخصية تسجيل هذا الزواج وتسجيل أولاد الزوجين.

إن القضية بالنسبة لمعارضي هذا النوع من الزواج ليست قضية مبدئية، باعتبار إن القضاء يعترف بالزواج المدني المعقود خارج الأراضي اللبنانية.

وإذا رفض مجلس الوزراء الموافقة على المشروع، فإني مستعد لعرضه على مجلس النواب عندما ينتهي عملي في الوزارة وأعود إلى المقاعد النيابية.

ولا بد من التذكير هنا، أن الرئيس الهراوي، وقبل انتهاء ولايته، اقترح أن يطبق الزواج المدني الاختياري، لكن المعارضة الكبيرة من المسلمين والمسيحيين، وتمنُّع الرئيس رفيق الحريري من طرحه على مجلس الوزراء، دفع بالرئيس الهراوي إلى طيه.

ويقدم مشروع قانون آخر، لجمع السلاح من اللبنانيين، مؤكداً أنه لن يوافق على مبدأ شراء الأسلحة منهم، لأن الحكومة بهذا العمل تكون قد أقرَّت مبدأ المتاجرة بالأسلحة.

إعدام القاتل

ويقر مجلس الوزراء مشروع القانون القاضي بتطبيق أحكام الإعدام، على القاتلين عن قصد، من دون الأسباب التخفيفية، وأعطته صفة الاستعجال لكي تتمكَّن من وضعه موضع التنفيذ في خلال ٤٠ يوماً، إذا لم يصدقه مجلس النواب. لكن المجلس لم يتأخَّر في إقراره.

ومع الرئيس حلو، أوقف العمل بهذا القانون، واستمر ذلك طيلة الحرب اللبنانية، حتى بداية عهد الرئيس الهراوي الذي أعاد إحياءه. وكان أن علِّقت المشانق.

ويهاجم العميد «النواب الأصدقاء» الذين يُخفون المجرمين. وقبل أن يستقيل من الحكومة، بسبب تدخّل ضباط المكتب الثاني في الشؤون السياسية، ما أدَّى إلى زيادة الفساد في الإدارات العامة يصرح:

«إن حالة الأمن قد تحسَّنت بدون شك، ولكن هذا التحسّن لا يمنع أن يظل اللبناني لبنانياً بعاداته وتقاليده. فمثلاً من الصعب أن نفهم كيف يقتل الأخ أخته إذا اعتبر هو وحده أنها خرجت عن الطريق المستقيم.

وهناك مناطق لبنانية مسلَّحة تقليدياً كالهرمل مثلاً، ولا يتمكَّن أهلها من تغيير تقاليدهم التي تختلف اختلافاً كلياً عن عادات وتقاليد ابن المدينة. وأقول نفس الشيء عن أهالي زغرتا الذين أصبحوا مشهورين باستعمال الأسلحة بكل أسف.

هذا، وقبل وجود الأسلحة الكثيرة بأيدي الناس كانت نسبة القتل مرتفعة. وسبق أن برهنت بالأرقام. إن حوادث القتل في سنة ١٩٥٦، ٩٥ قتيلاً، وفي سنة ١٩٥٧، ٧٨ قتيلاً».

يضيف: «إن الأوامر المعطاة للدرك وقوى الأمن الداخلي هي أن ينفذوا جميع مذكرات التوقيف الصادرة عن القضاء ولا فرق عندي بين قرية وأخرى أو منطقة ومنطقة ثانية، إذ إنني بحكم منصبي اضطر لتطبيق القانون على أي شخص كان كبيراً أو صغيراً، مع صرف النظر عن كل اعتبار سياسي أو طائفي، فكما اضطررت إلى محاصرة كرسي صديقي المطران نجيم، كذلك أحد مساجد العاصمة عندما كان أحد الأحزاب يستغل هذا المكان الديني لأعمال الشغب.

وطبعاً، فإن الشعب اللبناني لم يتعوَّد بعد أن يرى تطبيق القانون على الذين كانوا في السابق فوق القانون. وإن مخلفات الثورة جعلتني أتشدد أكثر فأكثر بالأوامر، ليطمئن الجميع ويسود الأمن في البلاد».

ويقرر مجلس الوزراء إحالة كل قضية قتل إلى المجلس العدلي، خصوصاً اغتيال نعيم مغبغب، التي اعتبرها العميد قضية العهد بكامله، كما يشكل «الفرقة ١٦» في قوى الأمن الداخلي التي تعطى صلاحية التدخل السريع..

التغلغل الصهيوني

ولمواجهة التغلغل الصهيوني في إفريقيا، يقترح رفع التمثيل اللبناني في دول

هذه القارة. ولمنع الإساءة إلى الحكام العرب، يبلغ الصحفيين أن الحكومة ستطبق المادة ٢٩٢ في قانون العقوبات، التي تنص على سجن الصحفي مدة ستة أشهر إذا تعرَّض لرئيس دولة أجنبية.

ويعارض التشكيلات الإدارية، لأنها مخالفة للمبادئ والأسس التي تتفق مع المخطط الإصلاحي العام.

ويستقيل من الوزارة في أواخر العام ١٩٥٩، والحكومة عاجزة عن صرف أي موظف من الأسماء المدرجة على لائحة التطهير. وكان أحد أسبابها الاعتداء على الكتلوي فيليب خير من قبل المكتب الثاني.

في بداية العام ١٩٦٠، ينتخب النائب الشيخ نديم الجسر لمنصب مفتي طرابلس، ويصرح العميد أنه لا يجوز الجمع بين عضوية مجلس النواب والقيام بوظيفة عامة أو دينية يتناول أصحابها رواتب من خزينة الدولة.

ويطرح المجلس على المناقشة قانون إلغاء قانون الإعدام، لكن الاقتراح يسقط.

حرية الرأي

ويوجّه سؤالاً إلى الحكومة حول حرية الرأي في التلفزيون جاء فيه:

«مساء الأربعاء في ١٦ الجاري قدمت محطة التلفزيون اللبنانية حديثاً «سياسياً» انتخابياً بالإفرنسية للأستاذ إميل بجاني مع ترجمة هذا الحديث بواسطة شخص مجهول الهوية.

وقد وزَّع الحديث على الصحف بواسطة وزارة الأنباء ودافع كل من البجاني والمترجم عن وجهة الحكومة. فأنا أسأل الحكومة:

أولاً: هل يجوز لمحطة التلفزيون أن تذيع برامج سياسية انتخابية كالحديث الآنف الذكر؟

ثانياً: إذا جاز ذلك للحكومة أفلا يحق للمعارضة أن تقوم بشرح وجهة نظرها من محطة التلفزيون أسوة بها ـ أي الحكومة ـ وفقاً للمبادئ الديموقراطية المرعية في الدول الراقية؟

ثالثاً: ألا يجب أن نطبق المبادئ الديموقراطية على الإذاعة اللبنانية بحيث تصبح قادرة على إذاعة وجهات نظر الحكومة والمعارضة سواء بسواء؟».

ثم يوجّه سؤالاً آخر، يسأل فيه عن سبب اعتماد إحصاء العام ١٩٥٣ في انتخابات العام ١٩٦٠، وعدم اعتماد آخر إحصاء أعدَّته مديرية الإحصاء لسكان لبنان.

ويكلَّف الرئيس صائب سلام تشكيل حكومة بعد الانتخابات النيابية، ويصر العميد على تسلّم مهام وزارة الداخلية بدلاً من العدلية. ويُستبعَد.

وتبدأ الإشاعات حول إلغاء بعض القوانين التي اقترحها، ومنها قانون سرية المصارف ويصرح: «أنا الذي وضع قانون سرية المصارف، ولا يمكنني أن ألغيه لأنه ضروري ويتمشى مع مصلحة الاقتصاد اللبناني».

سلام: وحدة واتحاد

في العام ١٩٦١، وبعد تصريح للرئيس سلام عن الوحدة والاتحاد، يطالب العميد بإعادة وضع الميثاق الوطني «لأن ميثاق ١٩٤٣ لم يمنع ثورة العام ١٩٥٨»، معتبراً أن المطالبة بالوحدة العربية ليست خيانة في لبنان، لأن ميثاق الجامعة العربية يحثُّ على السعي لتحقيق الوحدة. ويرفض الرئيس سلام طرح الثقة بالحكومة على أساس لا وحدة ولا اتحاد.

ويطرح مجموعة من الأسئلة على الحكومة حول بعض المشاريع في جبيل، وعملية شراء الذهب لتغطية النقد اللبناني، وتجيب وزارة المال، على سؤاله الأخير، بأنها اشترت الذهب بسعر مرتفع ليكون بالاستطاعة بيعه بالسعر الحر.

ويقف إلى جانب تخفيض الإيجارات لكنه يعارض تخفيض إيجارات البنايات «اللوكس». ويطلب سحب مشروع الحساب المشترك الذي يفتحه المصرف باسم شخصين، ويقدم اقتراح قانون معجل مكرر لتعديل قانون سرية المصارف. ويؤيّد تعديل قانون الانتخاب لجهة إنقاص عدد النواب، وهو أمر دعا إليه «في السابق لكن البعض اعتبر أنني أريد إبعاد بعض النواب».

الانقلاب القومي

ويعود إلى المطالبة بكتابة الميثاق الوطني غير المكتوب.

وبعد انقلاب الحزب السوري القومي الاجتماعي بداية العام ١٩٦٢، يعترض على «التوقيفات الظالمة»، مطالباً باحترام حقوق الإنسان. ومع هذا الانقلاب يطلب إصدار قرار في المجلس وفيه:

«أثارت محاولة الانقلاب الفاشل التي استنكرتها البلاد موجة من القلق على سيادة هذا الوطن وأنظمته القائمة.

ولمَّا كان من الواجب إزالة هذا القلق من نفوس المواطنين.

«لذلك

إن المجلس النيابي،

إذ يعلن تمسّكه بسيادة لبنان واستقلاله وأنظمته، يؤكّد إرادة الشعب اللبناني الذي يمثل.

بعدم قبوله بأي وحدة أو اتحاد من أي نوع كان».

ويصر العميد على اقتراحه هذا رافضاً إدخال أي تعديل عليه.

ثم يقدم بعض الاقتراحات إلى وزير العدل حول تنظيم السجون لجعلها «مدارس تخلق من المنحرفين جيلاً شريفاً». وبعد اختفاء ملف السجن الحديث في رومية، أثار الموضوع متسائلاً عن المستفيدين من هذا الإخفاء.

ويؤكّد مرّة جديدة، على معارضته للتعطيل الإداري للصحف، إلّا في حالتي التعرّض لرئيس الجمهورية وتهديد سلامة الدولة.

ويستغرب كيف أن الحكومة تريد زيادة الضرائب، في الوقت الذي لا تطبق القانون في جبايتها. متسائلاً عمَّا إذال كانت الرغبة في زيادتها «لتأمين مبالغ إضافية للمصاريف السرية»؟

ويقدم مع النائبين أحمد أسبر وإدوار حنين خمسة تعديلات على قيود النشر. منها ما يتعلق بتحقيقات الطلاق والهجر، وقائع دعاوى القدح والذم، الكتب والرسائل المنافية للأخلاق، رسائل الإدارات التي لها الطابع السري، وتحقيقات التفتيش العدلي. وترد عليهم «النهار»، فيوضّح العميد إن هذه التعديلات لا تتعدَّى على الحرية، بل تصونها.

«غارو» و«التكميل»

ويتحدى وزير الداخلية كمال جنبلاط، إذا كان بإمكانه إلقاء القبض على «غارو»، كما فعل مع «التكميل»، والذي تسبب في مقتل عشرين شخصاً آخرهم الشرطي جوزف عون.

ويطالب الحكومة بفتح تحقيق حول اختلاس أموال التعمير، التي تراوحت بين ٤٥ و٦٠ مليون ليرة (آنذاك).

ويوجّه سؤالاً لها يطلب فيه مساواة جميع اللبنانيين بإطلاق النار في المناسبات، بعد أن عجزت عن منعه في العاصمة والمدن، ومنعته في بعض القرى والبلدات، لتأمين المساواة بين المواطنين!!!

ثم يوجّه إليها سؤالاً آخر حول خرق حرمة المنازل من قبل رجال بعض أجهزة الأمن.

وينتقد وزير الأشغال الشيخ بيار الجميل، على فشله في تنفيذ روزنامة تنفيذ أشغال الطرق.

ويقترح تمديد تعليق العمل بالضريبة على الأملاك الزراعية خمس سنوات أخرى، وهو المرسوم الاشتراعي الذي أقرَّ في العام ١٩٥٩، وكان العميد قد وضع اقتراح قانونه في السابق.

التدخل في الانتخابات

ويسأل الرئيس الحكومة الحاج حسين العويني، وقبل الانتخابات النيابية، عن القيمة المسموح بدفعها لتقديم الطعام للناخبين من دون أن يُعَدَّ ذلك رشوة. (قانون تحديد المصاريف الانتخابية في التسعينات).

ولمَّا كان العميد حذراً من التدخّل في الانتخابات النيابية، بقابل الرئيس العويني لوضعه في هذه الأجواء بعد المقابلة يصرح:

«نحن الذين عرفنا الرئيس العويني في عام ١٩٥١ وعرفنا رغبته في إجراء انتخابات حرة، لا يسعنا إلَّا أن نمنحه ثقتنا. ولكن الظروف التي تحيط به اليوم تختلف عن الظروف التي أحاطت به عام ١٩٥١. وأعتقد أن إدراكه لهذا الاختلاف في الظروف هو الذي حمله على أن يقول في بيانه بأن الحكومة ستبذل أقصى الجهد لتوفير كل الأسباب التي تؤمن حرية الناخب ونزاهة الانتخاب. . .» وأن يقول أيضاً: «إنني لن أدخر وسعاً في سبيل تحقيق هذه الغاية فأطبق القانون دون تردد بحق مَنْ يعترض طريق الانتخاب النزيه الحر بأي نوع من أنواع الإكراه المادي أو المعنوي أو الرشوة أو التلاعب أو التدخّل غير المشروع أيًا كان مصدره.

وإني أقدم للرئيس العويني مثلاً ثانياً عن اختلاف الظروف بين ١٩٥١ و١٩٦٤ وهذا المثل واضح في رخص حمل السلاح الحربي التي توزعها اليوم مراجع هي غير المراجع التي كانت توزعها منذ ثلاثة عشر عاماً في وزارة الداخلية. وطريقة التوزيع اليوم هي طريقة كيفية تتوخى تحقيق غايات سياسية على حساب القانون وحساب الخزينة. إذ إن هناك مواطنين يحصلون على الرخص

بدون دفع الرسم ومواطنين يحصلون عليها بعد تسديد هذه الرسوم. وإنني أسأل رئيس الحكومة هل باستطاعته أن يعيد للقانون حرمته فعلاً لا قولا وهو الذي يعرف أثر هذا الوضع الشاذ على حرية الانتخابات؟

ليسمح لي الرئيس العويني أن أذكِّره بمادتين وردتا في المرسوم الاشتراعي المتعلّق بتنظيم وزارة الدفاع. فالمادة الثانية من هذا المرسوم تقول: «يوضع الجيش والقوى الجوية والبحرية تحت تصرّف رئيس الجمهورية. أمَّا المادة ١٥٢ فتقول: «يحظر على كل عسكري معاطاة السياسة..»

وتسعى الحكومة لنشر قانون الموازنة بمرسوم، ويعقد العميد مؤتمراً صحافياً يشرح فيه ملابسات وأسباب ذلك. ويرفض كل حديث عن تقريب موعد الانتخابات، وبالتالي حل المجلس النيابي.

وتأتي الانتخابات النيابية، ويمنع العميد من دخول البترون ويبرق إلى الرئيس العويني بهذا الخصوص طالباً فتح تحقيق في الحادث. ثم يُعتدى عليه وعلى أنصاره في جبيل، ويصرح: «الرئيس العويني لا يملك إلَّا صلاحية الحكي».

ويخرج العميد من المجلس. بعد سنة يعود، ويتابع عمله التشريعي وحربه ضد الفساد وتدخّل المكتب الثاني والعسكر.

في العام ١٩٦٥ يقترح أن تقوم الدول، التي يقع معها لبنان في عجز تجاري، مشاريع ـ هدية لإنشاء مشاريع في المناطق اللبنانية.

ويرشح نفسه للانتخابات الفرعية في جبيل. ويتعرَّض لأكثر من حادث اعتداء، ويطالب وزير الداخلية بهيج تقي الدين، بالتحقيق خصوصاً بعد تلقيه عدداً من التهديدات باغتياله. لكنه يتجاهل الأمر ويستمر متجولاً في القرى والبلدات الجبيلية.

ويعود العميد إلى المجلس، ويقدم مع كمال جنبلاط وصائب سلام

وغيرهما اقتراحاً بتنفيذ قانون «من أين لك هذا؟». ثم يتقدَّم باقتراح قانون بالعفو عن جرائم المطبوعات على أنواعها.

ويأسف في العام ١٩٦٦ لإقرار قانون نقل قضاة مجلس شورى الدولة وديوان المحاسبة، لأنه معيب، ومن دون مناقشة النواب.

ويتقدَّم العهد والحكومة بمشروع للإصلاح الشامل، يؤيده ويصرح:

الإصلاح ومحاكمة الرؤساء

«أحب أن أذكر بأنني اقترحت عند درس المشروع في المجلس إلغاء المادة التي تمنع الموظف من استعمال حق مراجعة مجلس الشورى، ولكن الذين يتباكون اليوم عارضوا يومها هذا الاقتراح...

نحن جميعاً ننادي بالإصلاح ونسعى إليه، ولكن اختيار الذين سيصرفون أمر متروك لضمير أعضاء الهيئة الموحدة، الموضوع بتصرّفهم جميع البيانات والأدلة والوثائق، ولضمائر الوزراء المتمتعين بثقة أكثرية مجلس النواب، الذين لهم حق الموافقة أو الرفض على ما تقترحه الهيئة الموحدة. وأعضاء الهيئة هم موظفون كذلك ويمكن أن يحاسبوا في المستقبل إذا أخطأوا أو حادوا عن الطريق الصحيح».

ويرحب باقتراح القانون الذي قدَّمه النائب ناظم القادري لمحاكمة الرؤساء والوزراء، ويقول:

«إن هذا المشروع يكمل نصاً دستورياً قائماً ويجعل الناس على مختلف مراتبهم سواسية أمام القانون...

إن السر ليس في وضع القوانين بل في تنفيذها، فقانون «من أين لك هذا؟» مضى على إقراره وقت طويل ولم يوضع موضع التنفيذ، وقد وضع مشروع محاكمة رئيس الجمهورية والوزراء في عهد الحكومة الرباعية في مطلع عهد الرئيس السابق اللواء شهاب ولكنه ظل في الأدراج».

ثم يقترح قانون تشديد العقوبة بحق من يسحب شيكاً من دون مؤونة.

وبعد زيارته للولايات المتحدة، يتمسَّك بالاقتصاد الحر وحرية الرأي. ويعارض تعديل قانون سرية المصارف. ثم يتقدَّم باقتراح قانون يقضي بتحديد الحالات التي يمكن فيها الاستعانة بالجيش لحفظ الأمن.

ويوجه سؤالاً للحكومة حول الضائقة المعيشية. ويسأل وزير العدل: «هل يشمل قانون الإثراء وقانون العقوبات نائباً يسعى لإنالة الآخرين مشاريع أو أرباحاً؟».

ويعلن إنه مع بقاء حكومة رشيد كرامي، ليتسنَّى للرأي العام الإطلاع على مساوئ مراسيمها الاشتراعية على الصعيدين الاقتصادي والإداري. ويقدم اقتراح قانون معجل مكرر يقوم بإعفاء المصارف الخاضعة للسرية المصرفية، من موجب التصريح بالأسماء والأموال في حالة الوفاة.

الحريات العامة

كما يقدم اقتراح قانون يتعلَّق بالحريات العامة:

«نصَّت المادة ١٣ من الدستور على أن حرية إبداء الرأي قولاً وكتابة وحرية الاجتماع وحرية تأليف الجمعيات كلها مكفولة ضمن دائرة القانون.

يتَّضح من صراحة هذه المادة إن الدستور اللبناني قد ضمن للجميع من بين ما ضمَّن حرية إبداء الرأي قولاً وكتابة وطباعة وذلك ضمن دائرة القانون. لكن الحكومة أصدرت مرسوماً اشتراعياً الرقم ٥٥ تاريخ ٥ آب ١٩٦٧ خالفت به المادة ١٣ من الدستور لأنها حظرت إصدار وطبع أي منشور قبل الحصول على الموافقة المسبقة من مديرية الأمن العام.

وحيث إن الحكومة بإصدارها هذا المرسوم الاشتراعي قد أصدرت قانوناً لا يجوز حتى للمجلس النيابي إصداره لتعارضه مع الدستور الذي أوجب شروطاً خاصة من أجل تعديل أحكامه.

وحيث إنه يقتضي، حفاظاً على سلامة الدستور والحريات العامة، إلغاء المرسوم تلافياً لاستمرار هذه الفضيحة التشريعية.

لذلك أتقدم باقتراح القانون المعجّل المكرّر المرفق ربطاً وأنا على يقين من أن المجلس النيابي الكريم لن يتردَّد لحظة في الموافقة عليه.

وفي ما يلي نص المشروع:

مادة وحيدة: يلغى المرسوم الاشتراعي الرقم ٥٥ الصادر بتاريخ ٥ آب ١٩٦٧».

ثم اقترح قانوناً بالسماح للمحامي بحضور الاستجواب أمام المحقق العسكري. وكان قدَّمه في العام ١٩٦٠، ووافقت عليه لجنة الدفاع الوطني في العام ١٩٦١.

ومع وصول الرئيس فرنجية إلى الحكم، وتعاونه معه في المرحلة الأولى من عهده، يعمل العميد على تحقيق بعض المشاريع والإصلاحات، منها اقتراح تحلية مياه البحر، عدم بيع الأراضي من الأجانب كي لا يصبح اللبناني المواطن التائه، واستثمار رؤوس الأموال في أبنية ذات بدل معتدل... لكن تصرفات سيد العهد... والأحداث التي بدأت تعصف بلبنان، خففت كثيراً من زخم العمل النيابي - التشريعي - الإصلاحي.

رفض الإصلاح تحت الاحتلال

ومع انتقاله إلى باريس العام ١٩٧٧، أصبح العميد بعيداً عن مجلس النواب، ليس بالملاحقة اليومية عن طريق الاتصالات والرسائل والصحف... بل بحضوره الذي كان يعطي المجلس «نكهة» خاصة من الديموقراطية والمتابعة الجدية لكل القضايا المطروحة داخلياً وخارجياً.

لكن العميد، ومن منفاه الباريسي يتابع ويبقى رافضاً لكل المشاريع

الإصلاحية التي طرحت في المؤتمرات والحوارات الوطنية التي عقدت في الداخل والخارج، وحجَّته أنها توضع تحت الضغط، ولا إرادة لبنانية فيها.

يرفض بعض توصيات ومقررات القمم العربية، المتعلقة بلبنان.

يرفض المشاركة في مؤتمري جنيف ولوزان.

يرفض اتفاق ١٧ أيار ١٩٨٣ لأنه لا يخدم المصلحة اللبنانية.

يرفض الاتفاق الثلاثي لأنه يضع لبنان تحت «الانتداب السوري».

يرفض اتفاق الطائف، لأن النواب وقعوا على شيء لم يقرروه.

ومع كل ذلك يستمر العميد في متابعته للأوضاع في لبنان.

اللبناني المستاجر في وطنه

يلفت نظر الرئيس رفيق الحريري إلى النسبة العالية في بيع العقارات للأجانب، خصوصاً الزراعية منها، ويحذر من يوم يصبح فيه اللبناني مستأجراً في وطنه.

وعند إنشاء المجلس الدستوري يطالب بتعديل بعض مواده كحق المراجعة لنقابتي المحامين في بيروت وطرابلس، ولكل لبناني متضرّر من قانون دستوري.

ويطالب بتعديل قانون المطبوعات لجهة صلاحية المدعي العام الاستئنافي في بيروت في توقيف صحيفة عن الصدور.

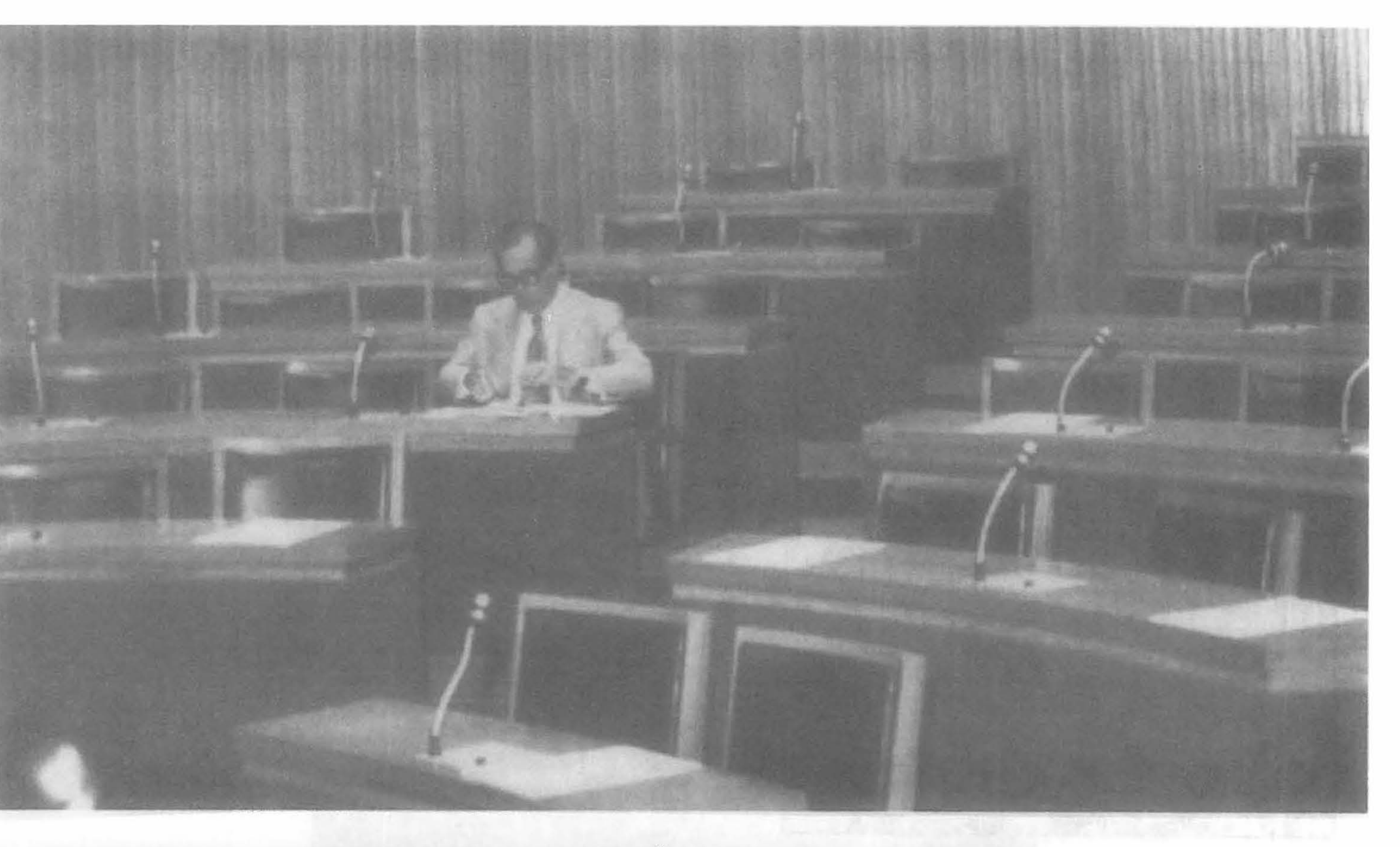
وبعد إعادة العمل بقانون إعدام القاتل، يهنئ الرئيس الهراوي ويطالب بتنفيذ الإعدام في مكان الجريمة أو الساحات، معتبراً أن أهم إنجاز حققه الرئيس الهراوي هو قانون إعدام القاتل.

ويدعو إلى تطبيق قانون الإثراء غير المشروع الذي وضعه العام ١٩٥٣. لكنه يرفض تقديم تصاريح في ملفات مغلقة لأن ذلك يخيف الأجنبي ويجعله يذهب إلى بلد آخر.

ويهنئ الرئيس الهراوي أيضاً على طلبه تعديل قانون الأحوال الشخصية لجهة اعتماد الزواج المدني الاختياري.

ولا يوافق على طلب وزير الداخلية طلب معلومات من المختارين حول البلدة وميولها السياسة، من لجنة مشاع، ومختار وأعضاء اختيارية وأحزاب والمنافسين لهؤلاء ويؤكد أن ذلك مخالف «للحرية الشخصية المصونة بالقانون».

عمل العميد في السياسة، ليس من أجل السياسة، بل من أجل وطنه. كان نائباً ووزيراً، ولكنه لم يستغلَّ يوماً مركزه لتحقيق هدفٍ شخصي، بل دفاعاً عن لبنان، وتأميناً لمصالح اللبنانيين.



في المجلس : وحيدٌ... مع لبنان.



في جولة له خلال تولّيه منصب وزارة الأشغال العامة.



مع جورج نقاش يوصل المياه إلى ٢٧ قرية في جبيل.



خطاب للعميد اده في مجلس النواب عام ١٩٦٥.



مغادراً البرلمان عام ١٩٧٢.

يدلي بصوته في مجلس النواب في عام ١٩٧٢.

... وفي عام ١٩٧٤.

الفصل السادس

الشبـاب

منذ أن أصبح عميداً لحزب الكتلة الوطنية، وريمون إدّه يسعى لإشراك جيل الشباب في تحمّل المسؤولية، انطلاقاً من مسلمة، أن هذا الجيل يملك طاقة تفكير وعمل، تساعد على نمو الوطن في شتى المجالات، وعلى قدرته التنافسية مع باقي الدول.

وإذا كان البعض قد روَّج في الماضي أن حزب الكتلة، هو حزب «النخبة»، فإن في هذا الترويج شيئاً من الحقيقة من جهة، وشيئاً من العداء أو التجني من جهة أخرى.

فيه شيء من الحقيقة، لأن العميد لم يرغب، كما فعل معظم الأحزاب، في قيام حزب عقائدي، تبدأ دورات واجتماعات «التأهيل» الفكري لمؤيديه ومحازبيه في المخيمات الكشفية، وأهدافها، إمَّا وطن أكبر، وإمَّا وطن لفريق. «العقيدة» الأساسية التي التزمها العميد ومحازبو الكتلة، كانت دائماً، منذ الاستقلال، وفي خلال الحرب. . . وحتى اليوم، لبنان أولاً. . . ولبنان أخيراً، في حدوده المعترف بها دولياً، سيداً على أرضه، مستقلاً في قراره، لجميع أبنائه يحكم بينهم الدستور والقانون على أساس العدل والمساواة. فقد أراد العميد حزباً لبنانيًّا «مئة في المئة».

وفيه شيء من العداء أو التجني، لأن العميد وحزب الكتلة، ما كانا يوماً بعيدين عن الشباب. ونتائج الانتخابات النيابية منذ العام ١٩٥٢، (ترشيح بيار إدّه) وحتى العام ١٩٧٢، تدل على ذلك. طبعاً باستثناء انتخابات العام ١٩٥٢

و١٩٦٤. كما أن الانتخابات النقابية، خصوصاً في نقابة المحامين، تدل على ذلك أيضاً.

التيار «الادوي»

فهل كان بإمكان مرشحي الحزب، والعميد من بينهم، أن ينجحوا في هذه الدورات الانتخابية، بأصوات «الختيارية» فقط؟ فالتيار «الأدوي»، إذا صحَّ التعبير، عمَّ جميع لبنان، من أقصاه إلى أقصاه، من جنوبه إلى شماله، من ساحله حتى السلسلة الشرقية. والسبب في هذا الانتشار يعود، إلى مواقف العميد الوطنية، التي لا تميز بين فريق وفريق، وطائفة وطائفة، إلّا إذا عملوا ضد لبنان. كما يرفض الشرقية والغربية، والوحدة والاتحاد والفيدرالية والكونفدرالية.

وإذا كان الشباب قد نسوا، أو ابتعدوا عن العميد وحزبه مع بدايات الحرب، فإن ذلك يعود لسببين على الأقل:

الأول: «إرغام» العميد على مغادرة لبنان إلى باريس، بعد أكثر من محاولة اغتيال.

الثاني: انكفاء الحزب عن العمل السياسي. فمراكز الحزب دمّرت: في جبيل، كسروان، المتن، بعبدا... هذا من جهة، ومن جهة ثانية، لأن العميد والحزب قررا عدم المشاركة في القتال وسفك الدماء بين الإخوة. وعندما وقف الكتلويون للدفاع عن مركزهم في جبيل في ٢٣ أيار ١٩٧٦، هوجموا بالأسلحة وسقط من بينهم قتلى. والهدف تلقينهم درساً أن «ساحة القتال»، ولو دفاعاً عن النفس، ليست لهم.

وحتى وثائق البيت المركزي في الصيفي تعرضت للسرقة والنهب. والكتلويون لم يكونوا فريقاً في القتال ومع ذلك بقي هذا «البيت» رمزاً للاعتدال والقرار الحر والصوت الصارخ لبقاء لبنان وشعبه.

مشاكل الشباب

يعترف العميد، وفي كل المراحل السياسية، أن مشاكل الشباب كثيرة: التعليم الأساسي والجامعي، فرص العمل، المسكن، العائلة، الصحة الجيدة، الحياة الكريمة... ولذلك اقترح عدداً من القوانين التي تؤمن لهم هذه المتطلبات ومنها: التعليم الإلزامي، الإثراء غير المشروع، سرية المصارف، إلغاء الضريبة التصاعدية على الأراضي الزراعية، حماية الاقتصاد الحر، اللامركزية الإدارية، إنماء المناطق...

ويعتبر العميد، أن العهود المتلاحقة، لو أحسنت في صرف الأموال العامة، لتمكَّنت من تحقيق الكثير للشباب. لكن من أين ذلك، ومعظم المسؤولين يساهمون في هدر هذه الأموال؟

ويتابع العميد شؤون ومشاكل الشباب من خلال مفوضية الشباب في الحزب، التي تضم ثلاث مصالح: مصلحة الطلاب، مصلحة الرياضة ومصلحة المراقبة والانضباط. هذه المفوضية التي كان لها دور كبير أيام قام التحرك الطلابي، في أواخر الستينات ومطلع السبعينات حيث تمكَّن عدد كبير من الكتلويين من الفوز بعضوية اللجان والهيئات الطلابية في الجامعات اللبنانية، الأميركية واليسوعية.

ومع الحرب انكفأ هؤلاء، لأن العميد لا يتحالف مع حزب يحمل محازبوه «البارودة».

في ١٠ آب ١٩٩٨، وجَّه العميد إلى الشباب في الحزب الرسالة الآتية:

«أصدقائي الشباب الأعزاء،

لم أكن ميالاً إلى إعداد كلمة ولو صغيرة هذه الأمسية، إذ سبق لي أخيراً إن وجَّهت نداء إلى الشابات والشباب اللبنانيين. غير أن مخاطبتي إيَّاكم جاءت نزولاً عند إلحاح مفوّض الشباب في الحزب المحامي إيلي مشرقاني.

قد يكون من المجدي، في المناسبة، استذكار بعض كتابات لشعراء وأدباء فرنسيين كبار قالوها عن الشباب. «فالشباب يرحل من دون رجعة» بحسب رونسار، فيما كتب توما قبل قرنين: «توقف عن ترحالك أيها الوقت، واحترم شبابي». أمّا ڤيرلين فنظم بيت شعر مأثور تساءل فيه: «أراك غارقاً في البكاء دوماً، فماذا ترى فعلت بشبابك؟» من دون أن يفوتني ترداد المثل الشائع «ليت الشباب عارف وليت الشيب قادر».

أمّا أنا، وبكل بساطة، فأتمنى عليكم أن تعيشوا شبابكم عبر سعيكم إلى إقامة الأندية والملاعب وتنشيطها في كل بلدة وقرية توصلاً إلى ممارسة الهوايات الرياضية الرائجة حالياً في العالم ككرة القدم وسواها، ثم خصوصاً من خلال متابعة الانكباب الجدي في سبيل التحصيل العلمي واتقان ثلاث لغات على الأقل على هدى خبرة أوليائكم، ذلك لأنكم ستواجهون منافسة حتمية من الدولتين جارتينا.

أمّا على الصعيد السياسي، فقد أحسن أهلكم الاختيار عندما وضعوكم في كنف الكتلة الوطنية اللبنانية جاعلين منكم أناساً وطنيين في الصميم كونكم لم تقتلوا ولم تخربوا ولم تنهبوا ولم تخونوا أمتكم، عكس ما جنح إليه آلاف من أفراد الميليشيات الذين ماتوا أو أصبحوا منسيِّين بعدما دمَّروا البلاد وتسببوا بهجرة أكثر من مليون لبناني.

أنتم، أنتم، جميعاً مَنْ أحيِّي هذا المساء، في استطاعتكم أن تفخروا بانتمائكم إلى الحزب، فسيروا مرفوعي الرأس وكونوا قدوة تحتذى. أمد الله بأعماركم».

وكان العميد قد وجه في نيسان ١٩٩٨ رسالة مطولة إلى الشباب حذرهم فيها من «الوقوع في خداع العدو الإسرائيلي» متحدثاً عن العلاقة مع سوريا وبعض شؤون الحكم في لبنان.

آمن العميد بلبنان، وآمن بشبابه أيضاً، يخلصون له، وطناً لكل أبنائه، حراً مستقلاً. لكن العهود المتعاقبة، وسياساتها التي تقوم على «الحرتقات» والفساد وهدر المال العام، والحرب اللبنانية التي زادت «الطين بلة»، كسرت حلم هؤلاء الشباب، فهاجروا بعشرات الألوف إلى بلاد «الله الواسعة».



افتتاح مهرجان نادي أدونيس - جبيل عند مدخل المدينة القديم عام ١٩٧٥، في الوسط العميد ريمون اده.



مع فيروز وفرقتها على أدراج بعلبك.



... ويسلّم الكأس إلى بطلة في التزلج على الماء.

إلى جانبهما هنري فرعون والسيدة ميشال نادر في السان جورج.

الفصل السابع

الموارنـــة

العميد الماروني يهاجم دائماً القيادات المارونية، إلى حدّ اتهامها بخيانة لبنان. فلماذا يصر على ذلك؟

سؤال يجيب عليه هو نفسه:

«أردد أن لبنان منذ عام ١٨٤٠ شهد عدة محن طائفية، وكان وراءها الأجنبي، ولم تكن حاله تهدأ إلا بدخول الأجنبي أرضه. هذا ما حصل عام ١٨٤٠، وهذا ما حصل عام ١٨٦٠، وبعد الحرب العالمية الأولى... التي كان بعدها الانتداب الفرنسي، ثم بعد حوادث ١٩٥٨. وإذا كانت القاعدة نفسها تولِّد النتائج نفسها ـ وفي معظم الحالات التاريخ يعيد نفسه ـ فإن اقتناعي أن لا خلاص للبنان من الداخل. إن كل القيادات التي قاتلت قد فتحت ورشاً على حسابها، وهذه الورش تغل عليها وعلى أنصارها. أين مصلحة هذه الزعامات في إقفال هذه الورش؟ أعرف أنكم تقولون: لماذا تتكلم فقط عن كميل شمعون وبيار الجميل ولا تأتي على ذكر الآخرين؟ أجيب إنني أريد فقط أن أتكلم عن القيادات المارونية، لأن عليها قبل غيرها أن تحافظ على لبنان. إن الدولة اللبنانية أنشئت أساسا لمصلحة الموارنة، ولولا وجود الموارنة لما كان هناك وجود للجمهورية اللبنانية. هذا تفكيري وفيه اِستند إلى تاريخ وطني...».

وإذا كان للرئيس شمعون والشيخ بيار الحصة الكبرى من هذا الهجوم، فالعميد يفتّش دائماً عن كل المبررات لمهاجمة الرؤساء الموارنة. فالرئيس شهاب

سهَّل دخول الفلسطينيين إلى لبنان. والرئيس حلو قَبِلَ باتفاق القاهرة، الذي شكَّل أحد الأسباب الرئيسية لاندلاع الحرب. والرئيس فرنجية رفض دخول السوريين، ثم عاد وقَبِلَ بذلك. والرئيس سركيس أقسم اليمين الدستورية من دون أن يطالب بانسحاب الجيش السوري. هذا في بداية عهده. أمَّا في نهايته فقد أوصَلَ الشيخ بشير الجميل إلى الرئاسة الأولى. والرئيس الجميل بدأ في الحكم «إسرائيليا» (اتفاق ١٧ أيار ١٩٨٣)، وانتهى «سورياً»، بعد زيارة لدمشق قبل يومين من مغادرته السلطة في أيلول العام ١٩٨٨. أمَّا الرئيس الهراوي فهو الذي وقَّع معاهدة الأخوة والتعاون والتنسيق واتفاق الدفاع والأمن مع سوريا.

الموارنة لم يخطئوا... القيادات

ولا ينسى العميد في هجومه الجبهة اللبنانية والقوات اللبنانية، مع كل قادتها بدءاً ببشير الجميل مروراً بإيلي حبيقة وصولاً إلى سمير جعجع.

يقول: «قلت في تصريحات سابقة إن القيادة المارونية، وبعدما اتفقت مع السوريين، اصطدمت مع الجيش السوري. وفي كلتا الحالتين سقط مئات الضحايا. . . والقيادة المارونية لا تنفك عن ترداد كلام مفاده أن المعارك لم تنته بعدُ، وأنها ستحرر كل لبنان من الجيش السوري أولاً، ومن المقاومة الفلسطينية ثانياً بمساعدة إسرائيل، لأنها الورقة الأخيرة في يدها. . . وفي الوقت نفسه، فإن هذه القيادة تحاول مد الجسور مع سوريا والتلاقي مع القيادة الفلسطينية».

وينبّه العميد، كي لا يساء فهم كلامه إلى «أن الموارنة لم يخطئوا، لكن الخطأ يقع على الرؤساء الموارنة الذين تحصل الأخطاء في آخر ولاية كل منهم».

مكارثي وتنازل الموارنة

ويروي العميد ما جرى في حديث بينه وبين السفير الأميركي جون مكارثي. يقول:

«قلت للسفير مكارثي: إن لبنان الذي أريده أنا ويريده اللبنانيون هو لبنان الكبير بحدوده الحالية المعترف بها دولياً. وهنا قال لي مكارثي: ما تقوله لي جيد، لكن أريد أن أبلغك أن الكثيرين من المسيحيين الذين التقيت بهم في لبنان قالوا لي إن المسيحيين يوافقون على التنازل لسوريا عن البقاع وعكار وطرابلس، ومستعدون للتنازل لإسرائيل عن جنوب لبنان أو أجزاء منه، لأن هذه المناطق فيها أكثرية مسلمة. وهذا يعني أنهم مستعدون لقبول لبنان الصغير. وقد قال لي عدد كبير من المسيحيين الذين التقيتهم أنه إذا كان ثمن الصلح والسلام هو التنازل عن هذه المناطق لسوريا وإسرائيل فنحن موافقون على ذلك».

بعدما سمعت هذا الكلام من السفير الأميركي قلت له: «إن المسيحيين الذين تتحدث عنهم لا يمثلون شيئاً، بل هم خونة وهم يعاقَبون على ذلك دستورياً وقانونياً. . .

إن هؤلاء الذين يتحدثون عن استعدادهم للتنازل عن هذه المناطق لسوريا أو لإسرائيل، لا بد أن يكونوا منتمين إلى تيار كميل شمعون أو بيار الجميل أو شربل قسيس الذي كان رئيساً لرهبنة مارونية. فهؤلاء الثلاثة كانوا يعملون لإقامة لبنان الصغير، وكانوا مستعدين للتنازل عن بعض المناطق التي يتكاثر فيها المسلمون، والبعض منهم كان يقول ما الخطر أن يصبح لبنان «موناكو الشرق؟»، وهؤلاء ـ وكذلك بشير الجميل ـ لهم علاقات بإسرائيل».

حلو وشمعون والجميل

وفي تصريح آخر يحمِّل الرئيس حلو والرئيس شمعون والشيخ بيار مسؤولية خراب البلد. يقول:

«بكل أسف، هناك ثلاثة مسؤولين موارنة عن الحرب المدنية، وهم مَنْ خربوا البلد: المسؤول الأول هو شارل حلو الذي وافق على اتفاقية القاهرة الموقعة في ٣ تشرين الثاني ١٩٦٩ في مصر من قِبل رئيس الوفد اللبناني العماد

إميل بستاني ورئيس الوفد الفلسطيني ياسر عرفات. . . بيار الجميل هو المسؤول الثاني الذي صعد إلى الشام في تاريخ ٦ كانون الأول١٩٧٥. وكميل شمعون، الذي ذهب في سنة ١٩٨٢ أو أواخر عام ١٩٨١، مع ابنه داني إلى القدس وقابلا رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن، طالبين منه أن يدخل جيشه إلى لبنان لإخراج الفلسطينيين من بيروت وضواحيها».

القوات اللبنانية

ويتّهم العميد القوات اللبنانية بخراب البلد:

«إن حزب الكتائب خصوصاً، بمن فيهم «القوات اللبنانية» أي جماعة سمير جعجع، دخلوا بعد وفاة بشير الجميل إلى الشوف فدمَّروا ونهبوا البيوت وقتلوا الدروز. طبعاً كانت ردود فعل الدروز معروفة.

يجب أن يعرف تاريخياً أن الدروز لم يستولوا على جبيل وكسروان والمتن، ولكن الكتائب و«القوات اللبنانية» هم الذين دمَّروا زحلة لتحريرها من الجيش السوري، ودخلوا إلى المتن الأعلى في قرى قرنايل وقبيع، وبعدها إلى عاليه والشوف، وأخيراً إلى دير القمر. وبعد ذلك بناء على طلب من إسرائيل دخل سمير جعجع وقواته إلى كفرفالوس في شرق صيدا، ودمَّروا مستشفى وجامعتين بناهما رفيق الحريري قبل أن يصبح رئيساً للوزراء، وقتلوا أهالي بعض القرى المجاورة. هذا هو التاريخ وأتمنى أن أكون مخطئاً». . . .

إني وضعت مسؤولية الحرب المدنية في لبنان والتي استمرت ١٥ سنة وقتل فيها أكثر من ٢٠٠ ألف شخص بين إسلام ومسيحيين وخصوصاً مسيحيين، على المسيحيين أنفسهم».

الجميل وعون

ويضيف إلى لائحة الذين «خربوا البلد» من الموارنة الرئيس الجميل والعماد عون.

عن الرئيس الجميل واتفاق ١٧ أيار يقول:

«إنني لست وحدي القائل إن اتفاق ١٧ أيار هو في الواقع معاهدة صلح. وأردد للمرة العاشرة أنه ليس من مصلحة الشعب اللبناني أن توقع الحكومة اللبنانية معاهدة صلح مع اسرائيل قبل أن توقعها سوريا والأردن قبل لبنان، فعلى الحكومة عندما ستفشل في إقناع الولايات المتحدة بالتخلي عن اتفاق ١٧ أيار طالما أنها فريق في المعاهدة، أن تلجأ إلى مجلس الأمن وتطلب انسحاب الجيش الاسرائيلي تنفيذاً لاتفاق الهدنة ولقرارات مجلس الأمن».

وعن العماد عون يقول:

«أمّا العماد ميشال عون فأيدته طيلة سنتين خوفاً من الفراغ. وكانت مهمة الرئيس ميشال عون، بصفته رئيساً للوزراء أن ينفّذ الدستور اللبناني، وينظم انتخابات رئاسية، لكنه عمل العكس تماماً، وخرّب البلد وتسبّب بسقوط أكثر من ألفي قتيل وأربعة آلاف جريح، وهجَّر أكثر من ٦٠ ألف لبناني. وكان هدفه أن يصبح هو رئيساً للجمهورية».

ولا يستثني العميد من اتهامه النوابَ الموارنة الذين ذهبوا إلى السعودية ليضعوا اتفاق الطائف:

«ويجب أن أقول للتاريخ إن مَنْ ساهم أيضاً في الحرب هم النواب الموارنة الذين ذهبوا إلى الطائف وكانت النتيجة تخفيض صلاحيات رئيس الجمهورية. وفي ما يخص الجيش السوري فقد صوتوا على العبارة: «إعادة تمركز القوات السورية المشكورة في لبنان». وهذا مضحك ومبك في الوقت نفسه».

ويرحل العميد وهو على اقتناع، أن معظم الرؤساء والزعماء الموارنة كانوا السبب في مأساة لبنان عامة، ومأساة الموارنة خاصة.

الفصل الثامن

الشهابيـة

في ١٤ تشرين الأول ١٩٥٨، وبعد انتهاء الثورة، ووصول قائد الجيش اللواء فؤاد شهاب إلى سدّة الرئاسة الأولى، تم تشكيل حكومة العهد الأولى التي ضمت ١٢ وزيراً. لكن هذه الحكومة لم تعش طويلاً، فكان أن شُكّلت في ١٢ تشرين الثاني ١٩٥٨ حكومة ثانية إنقاذية ضمت رئيسها الرئيس رشيد كرامي وثلاثة وزراء: الحاج حسين العويني، الشيخ بيار الجميل، والعميد ريمون إدّه الذي تولى وزارات: الداخلية، العمل والشؤون الاجتماعية والبريد والبرق والهاتف. ومنذ تسلمه مهامه الوزارية بدأ العميد مشواره مع ما سماه الشهابية.

وفي أواخر تموز ١٩٥٨ ألقى العميد إدّه في المجلس النيابي، ولمناسبة انتخاب اللواء شهاب رئيساً للجمهورية الكلمة الآتية:

«أيها السادة الزملاء،

أما وقد رفعت ارادتكم حضرة اللواء فؤاد شهاب إلى مقام الرئاسة الأولى بهذا الظرف العصيب المؤلم الذي تجتازه البلاد، فأراني وزملائي نواب الكتلة الوطنية سعداء لنجاحه لأن اللواء شهاب صديقي الشخصي وصديق نواب كتلتي. ثم لأن المعارضين عادوا فوافقوا على انتخابه.

وتذكرون أنني كنت منذ البدء قد اقترحت مجيئه إلى الحكم، غير أن هذا المسعى قد أخفق بسبب موقف السلطات العليا منه.

وبعد، فإذا كنت قد استمررت في ترشيحي حتى آخر ساعة فلأنني أريد أن

أحافظ على المبادئ الديمقراطية وعلى النظام البرلماني في هذا البلد، فلا يقال إن هذا الانسحاب جاء تحت ضغط معيّن.

فباسمي وباسم نواب الكتلة الوطنية أهنئ حضرة اللواء شهاب بالمنصب الرفيع الخطير الذي رفعته إليه إرادة مجلسكم الموقر، متمنياً لحضرته التوفيق في إعادة الوحدة الوطنية بين اللبنانيين وإعادة المحبة والطمأنينة إلى جميع النفوس مع المحافظة على سيادة لبنان وحرياته واستقلاله.

وإنني أشكر في الختام جميع الذين تلطفوا فأيدوا ترشيحي من الحاضرين والغائبين راجياً الله أن أكون عند حسن ظنهم أبداً في خدمة لبنان».

الحكم المدني والحكم العسكري

ويقول العميد: «تعاونت معه بكل إخلاص. وكنت أشعر أنني حائز ثقته. لكن بعض الذين كانوا يحيطون به من غير السياسيين لم يكن من مصلحتهم أن يستمر هذا التعاون وهذا الجو من الصداقة والتفاهم بيني وبين الرئيس السابق.

وقد بدأ الخلاف بيننا إثر حادث الاعتداء الذي كان ضحيته السيد فيليب خير. وكان الحادث مفتعلاً وموجهاً ضدي شخصياً، إذ إن السيد خير عضو بارز في حزب الكتلة الوطنية. يومها شعرت أنهم يفتعلون الحوادث للإيقاع بيني وبين الرئيس شهاب، وأدركت من ذلك أنني عوض عن أن أكون وزيراً للداخلية أمارس صلاحياتي كاملة، أصبحت «باش كاتب» وطبيعتي لا تتفق مع طبيعة «الباش كاتب»، عندما أكون وزيراً. ولمست ذلك بوضوح أكثر في انتخابات الشوف في أيلول ١٩٥٩، واعتبرت أنه لا يمكنني الاستمرار في الحكم في هذا الجو، لذلك قدمت استقالتي للرئيس شهاب.

يضيف: حاولت مراراً. إلا أنه كان يجيبني كل مرة أنه ليس رئيس حزب وليست له علاقات مع السياسيين. إن علاقاته محصورة بالعسكريين الذين عاش

معهم ويعرفهم وهم مخلصون له. لذلك يفضل أن يتعاون معهم عوض أن يتعاون مع مدنيين.

وقد لفت الرئيس السابق إلى الأخطار التي ستنتج عن وجود العسكريين في الإدارات المدنية، خاصة أن وجودهم يمكن أن يسبب الغيرة وأن يثير النقمة والحسد. كما أن من شأن ذلك أن يجعل لهم تدريجياً مطامع في الحكم، خصوصاً أن العسكريين في بعض البلدان العربية استولوا على الحكم، وكان ممكناً أن تنتقل العدوى إلى لبنان. لكن شهاب لم يكن يلتفت إلى أي رأي في هذا المجال.

وأساس خلافي مع الرئيس السابق كان على هذه النقطة بالذات. كنت أقول له دائماً إنه لا يجوز للجيش أن يهتم إلا بالأمور العسكرية، وكان تصرفه يظهر العكس ويوحي أنه مع العسكر من دون تحفظ.

عندما دخلت المعترك السياسي، لم أدخله على أساس طموح شخصي وأطماع، إنما على أساس القيام بواجب وطني. وأنا عندما قلت إني سأطلب من حزبي أن يرشحني إذا رشح الرئيس فؤاد شهاب نفسه، اعتبرت أن الشعب اللبناني يستطيع أن يختار بين أسلوبين أو نظامين مختلفين تماماً.

فأنا أقول بالحكم المدني وشهاب يقول بالحكم العسكري المتستر بالمدنيين. أنا أقول باحترام حقوق الإنسان، وفي عهد شهاب ديست هذه الحقوق. أنا أقول بالمحافظة على النظام البرلماني وإعادة الاحترام والاعتبار إلى النائب والوزير، وشهاب اتهم جميع رجال السياسة «بأكل الجبنة»، علماً بأننا إذا درسنا موضوع «أكل الجبنة» في هذا البلد نكتشف أن السياسيين ليسوا كلهم من «أكلة الجبنة» وأنه يوجد غير سياسيين «أكلوا الجبنة، كل الجبنة»، ولم يتركوا شيئاً في عهد شهاب والذي بعده...

الاشتراكية الشهابية

وأنا مع الاقتصاد الحر المنظم، وشهاب يدعو إلى الاشتراكية، وهذه الاشتراكية التي يؤمن بها واسمها «الاشتراكية الشهابية»، سيكون من نتائجها، إذا عاد شهاب إلى الحكم، هرب الرساميل اللبنانية والعربية والأجنبية من لبنان، وسيكون من نتائجها أيضاً إفقار اللبنانيين والقضاء على ما بقي من الاقتصاد اللبناني.

والاختصاصيون والمطلعون يعرفون تماما ما هو عدد الشركات التي عدلت عن العمل في لبنان بسبب «الاشتراكية الشهابية»، واتجهت نحو أثينا وغيرها. والمطلعون يعرفون أيضاً أن عدداً كبيراً من الشركات انتقلت من بيروت وأقفلت أبوابها ورحلت إلى بلاد أخرى.

وأنا أقول بالاشتراكية اللبنانية التي تتناسب مع إمكانات الشعب اللبناني وطبيعته، والتي يمكن تنفيذها من قبل الإدارة من غير أن تؤدي إلى الفوضى والخراب.

فنحن في لبنان ليست عندنا إقطاعية ملكية بالمعنى الحقيقي لهذه التسمية، فالأراضي في لبنان موزعة على كل الناس تقريباً. والإقطاع كي يكون إقطاعا يجب أن تكون هناك مساحات وأراض شاسعة. ثم ليست عندنا صناعات كبيرة أو ثقيلة تملكها فئة واحدة أو عائلة إقطاعية. ونحن بفضل طانيوس شاهين الذي أدت حركته إلى إلغاء الإقطاع الذي كان قائماً، أمَّنَّا توزيع الأراضي من دون اشتراكية مستعارة ومن دون «الاشتراكية الشهابية» إذ ليست عندنا مشكلة أساسية على هذا الصعيد.

إن الاشتراكية تقضي بوضع جميع وسائل الإنتاج بيد الدولة، أي الإدارة العامة. والإدارة اللبنانية لم تتمكن حتى الآن من «لم الزبالة من الشوارع»، وتصليح الأرصفة كي يمشي الناس دون أن يقعوا في الحفر، وتأمين وصول رسالة

من حي إلى حي في بيروت ضمن مدة معقولة. فكيف يمكن أن نحكي بالاشتراكية بوجود إدارة من هذا النوع؟

نعم هناك اشتراكية ناجحة في أسوج، لكن يلزمنا الكثير كي نصل إلى ما وصلت إليه أسوج.

الأسلوب الشهابي

«أنا مع استثمار الموارد الطبيعية من قِبل الدولة، وليس عن طريق الشركات الاستثمارية، برغم أن الناس يشكون، مثلاً، من الهاتف وانقطاع التيار الكهربائي، وانقطاع المياه، ولو أن هذه المصالح بيد شركة خاصة لما كانت هناك شكوى، إذ إن الشركات الخاصة تخاف من الدعاوى والأخطار وتحافظ على المستهلك بالمحافظة على سمعتها، بينما هذا الأمر غير وارد بالنسبة إلى الإدارة العامة. ثم إن اللبناني فردي بطبيعته، لأنه شديد الطموح وحر.

وأنا مع التعليم المجاني ومع نوع معين من الضمان الاجتماعي والصحي، وهو غير الضمان الذي ينادون به الآن، والذي سيؤدي بالنتيجة إلى إفلاس الدولة وإفلاس الشعب معاً.

أما القوانين التي وضعتها، من قانون الأبنية الفخمة وقانون سرية المصارف، إلى قانون الحساب المشترك، فقد فسحت في المجال لتدفق الرساميل على المصارف اللبنانية. أما قانون الأبنية الفخمة، فقد أوجد حركة بناء واسعة فسحت في المجال لتشغيل ألوف العمال والتجار والصناعيين. بينما عمد شهاب إلى تسليط البعض على المصارف حتى وصلت إلى الإفلاس، وكانت قضية انترا والأهلي بداية سلسلة إفلاسات نتج عنها تهريب الرساميل التي كانت وصلت إلى لبنان بفضل قانون سرية المصارف.

أما اتفاق شهاب مع الفدائيين على خطة أوصلت لبنان إلى «الأردنة»، ولا

نزال في أول الطريق، فقد كانت النتيجة تهريب الأمن والاستقرار من البلاد وتهريب السياح والمصطافين وتنفير الناس من لبنان.

هذا كله يسمى بتواضع «الأسلوب الشهابي»، فعلى اللبنانيين أن يختاروا بين هذا الاسلوب والأسلوب الذي أنادي به».

المكتب الثاني وأحداث ١٩٥٨

أولاً أنا أعتقد بأن المكتب الثاني لعب دوراً في إثارة أحداث ١٩٥٨ وفي إطالة أمدها، وأنه كان يحصل على أسلحة من عبد الحميد السراج. وكان الهدف إيصال فؤاد شهاب إلى رئاسة الجمهورية. وأيدته مصر وفرنسا، وهو كان متزوجاً من سيدة فرنسية. ثم إن الأسطول الساس الأميركي كان منتشراً على شواطئ لبنان. الأميركيون يحبون الديمقراطية في بلادهم، أما في الخارج، وعلى الأقل في تلك الأيام،، فقد كانوا يحبون العسكر. ترشحت في انتخابات الرئاسة ضد شهاب، ولم يستطع الحصول على أكثرية الثلثين الضرورية للفوز في الدورة الأولى، وحصلت دورة ثانية وانتخب. بعد فوزه ألقيت كلمة قلت فيها إنني ترشحت حفاظاً على النظام اللبناني الديمقراطي، ولئلا يقال إن مدفعية الأسطول السادس هي التي عيَّنت رئيس الجمهورية اللبنانية».

الحكومة الرباعية

ويتابع: «ألف فؤاد شهاب بعد فوزه الحكومة الأولى برئاسة رشيد كرامي وضمت ١٢ وزيراً. ولم تعش سوى بضعة أيام. كان وزير الداخلية فيها يوسف السودا وهو محام لامع خصوصاً في الجنايات. حظ يوسف السودا سيئ فهو ماروني من بلدة بكفيا، ولم يقبل آل الجميل بتوزير ماروني من بلدتهم. قبلوا لاحقاً بتوزير روجيه شيخاني لأنه كاثوليكي. في اليوم الثاني على تعيينه وزيراً استيقظ السودا على أصوات ندب فخرج إلى الشرفة وإذا به يرى نحو ٥٠ ولداً من حزب الكتائب يحملون نعشاً كتب عليه يوسف السودا.

هذا ما رواه لي فؤاد شهاب الذي قال إن السودا توجه فوراً إلى منزله وقال له: «جئت لأستقيل». قال له شهاب: «أريد أن أذكرك بأنك وزير الداخلية وسيضحك الناس لو عرفوا القصة. تستطيع أن تطلب قوة من الدرك، وإذا لم تستطع القيام بالمهمة ضد هؤلاء الأولاد نرسل لك قوة من الجيش». هدأت أعصاب السودا واستقل سيارته ذات اللوحة الحكومية الزرقاء وصعد إلى منزله في بكفيا وتغدى ونام. عندما استيقظ طلب من زوجته مناداة السائق لإعداد السيارة للقيام بنزهة. وكان رد السائق أن «الأرذال الكتائب رموا السيارة في الوادي وراحت ألف شقفة». انفعل السودا واتصل بشهاب وقال له: «في هذا الصباح كنا بالتابوت والآن توفيت سيارتي، ولا أعرف إذا كانت الدولة ستعوض عليَّ. على كل حال أنا استقلت، استقلت، استقلت».

بعدها اتصل بي فيليب تقلا (وزير الخارجية) وقال إن الرئيس شهاب كلفه الاتصال وأنه يريد أن يراني. بعد ساعة ذهبت إلى مقره في صربا. دخلت فرأيت كل الوزراء، وكان الأمير مجيد ارسلان متجهماً. لم أكن أعرف شهاب جيداً وأعتقد بأنها المرة الرابعة التي كنت ألتقيه فيها. قلت له: أنت تريد رشيد كرامي رئيساً للوزارة، فلماذا لا تختار صائب سلام؟ فأجاب: «بيزعجني، يجيء مع القرنفلة ويضع رجلاً على رجل ويدخن سيجاره الطويل وينفخ الدخان في وجهي. أنا متفق مع رشيد كرامي. أسلمه طرابلس ويفعل ما يراه مناسباً، وخارجاً يتشاور مع مجلس الوزراء». بدا واضحاً أنه متمسك بكرامي، وأن القصة ليست قصة دخان فهو كان مدخناً.

«بطرس الأكبر»

بقيت في القصر حتى الثالثة صباحاً. طلب مراراً أن يراني وسألني: «هل وجدت حلاً؟» فأجبته: أنت بمن تتمسك؟ فقال: برشيد كرامي وفيليب تقلا، بعد نصف ساعة نادوني وقال: «طلع معك شي؟» فأجبت: «سأقول لك لماذا سقطت الحكومة الأولى، لقد جئت بالمتراس الإسلامي (رشيد كرامي) ولم تمثل المتراس

المسيحي (في ثورة ١٩٥٨) وإذا رغبت في تمثيله فليس هناك إلا بيار الجميل». نظر شهاب إلي باستغراب وقال: «أنت تطلب إذا إشراك بطرس الأكبر» (بيار الجميل). أجبت: «أنا أفعل ذلك لأقول إنني لا أقدم مصلحتي الشخصية على مصلحة البلاد، ثم إنني أرى أن مصلحة عهدك في بداياته تقتضي ذلك، وأقترح أيضاً الحاج حسين العويني».

شعرت بأن الاقتراح وجد صدى لدى شهاب فسألته: ما هي أصعب وزارة في رأيك؟ فأجاب: الداخلية. وقال: «هل تقبل بأن تكون وزيراً؟» فأجبت: نعم شرط أن تكون حقيبتي الداخلية. اقترحت أن تكون الحكومة رباعية لإحداث صدمة نفسية، وأشرت إلى أن فيليب تقلا سيخرج من تلقاء نفسه لمجرد معرفته بأنني سأشارك في الحكومة. سأل شهاب عن موقف صبري حماده فتعهدت أن أتولى إقناعه. في الثانية والنصف فجراً أيقظت الرئيس حماده فسأل: «ما القصة؟» فقلت له: «هناك سؤال، ماذا تفضل أن تكون وزيراً أم رئيساً لمجلس النواب؟» وأوضحت له أن الحكومة المقترحة رباعية وستضم اثنين من السنة واثنين من الموارنة، وكررت له السؤال. بعد نصف ساعة قال إنه يفضل أن يكون رئيساً للمجلس، وهو منصب للشيعة، لكنه أضاف: «أنت تقترع ضدي». فقلت له: «سننتخبك وتحدث إلى شهاب».

بيار الجميل كان في بيت الكتائب. اتصلت به وقلت له: «هناك مشروع لحكومة رباعية تضم كرامي والعويني وأنا وأنت». قال: «اعطني خمس دقائق». بعد ثلاث دقائق فقط اتصل وأعلن موافقته، وبعد نصف ساعة وصل مع جوزف شادر. قبل ذلك قلت لشهاب إنني أريد وزارة الدفاع أيضاً لأنني قد أحتاج إلى الجيش، فالبلد خارج من ثورة وقد لا تكفي قوة الدرك للإمساك بالشارع، فقال مازحاً: «إذا أعطيناك الجيش فمن يضمن أنك لن تقوم بانقلاب عليَّ؟» ووزارة الدفاع سنعطيها للحاج حسين العويني، وهكذا ولدت الحكومة الرباعية.

المراسيم الاشتراعية

بعد تشكيل الحكومة الرباعية سألني شهاب كيف سنبدأ العمل؟ فقلت له: «يجب أن نصدر مراسيم اشتراعية». لم يعرف ما هو المقصود لأنه عسكري. شرحت له الموضوع وحصلنا على صلاحيات استثنائية وبدأنا بتنظيم الدولة.

طرحت مشروع قانون إعدام القاتل. وشرحت المشروع في مجلس النواب وقلت: «أنا أفكر في الضحية قبل المجرم». وأوردت الحجج وكان قانون العفو قد مر بالأكثرية. ألغيت في المشروع الأسباب التخفيفية، لكنني أبقيت الأعذار الملحة مثل الدفاع عن النفس وجريمة الشرف. وبفضل قانون الإعدام الذي طلبت فور صدوره بلصق نصه في مراكز البلديات والمختارين لإحداث صدمة نفسية، هدأت الأمور.

خيمة اللقاء

بعد جلسة مجلس الوزراء كان شهاب يستبقيني ونتحدث عن المسائل المطروحة. ذات يوم، بعد الوحدة المصرية ـ السورية، قال لي: «طالبين مني أن أزور عبد الناصر، شو رأيك أن أزوره في الشام؟». قلت له: «دعني أفكر». زرته في اليوم التالي وقلت له: «حين انتخبت رئيساً هنأك ببرقية، وتستطيع أنت اليوم أن ترسل برقية. عسكرياً أنت جنرال وهو بكباشي». استمع شهاب ولم يقل لي مَنْ طلب منه أن يزور عبدالناصر. شعرت بأنه يريد لقاء عبد الناصر، فاقترحت عليه أن يعقد اللقاء في الشريط المحايد عند الحدود اللبنانية ـ السورية، وأن يطلب من الجيش نصب خيمة هناك، وأن تراعى كل الأصول التي تحترم لدى لقاء بين رئيسي دولتين مستقلتين. أبقينا الأمر سراً وجرت اتصالات بين انطون سعد رئيس المكتب الثاني والسرَّاج. بعدها بنحو ٥ أيام أبلغ مجلس الوزراء وقال إن الوفد المرافق له سيضم رشيد كرامي وحسين العويني. بعد الجلسة قلت له: كيف لا تأخذني معك؟ فقال: لا أستطيع بسبب عدم وجود وزير للداخلية في الجهة المقابلة. فأجبته: إن السراج نائب لرئيس الوزراء ووزير للداخلية. فراح يقدم أعذاراً.

شهاب: «أنت عنيد»

في أثناء ذلك بدأت تدخلات المكتب الثاني وحاول انطون سعد أن يتصرف كأنه وزير الداخلية. ذات يوم أرسل وراء فيليب خير وقال له: «يا (. . .) انت تلقي قصيدة ضد فؤاد شهاب عند كميل شمعون». ضربه فيليب خير، لكن العسكر أوسعوه ضرباً ورموه قرب فرن الشباك، ولحسن حظه عثر عليه أحد المارة. كنت في مجلس الوزراء وجاء شقيق فيليب خير باكياً، وأخبرني أنهم نقلوا شقيقه إلى منزلي، وأنه في وضع صعب. همست في أذن شهاب وتركت الجلسة وذهبت إلى منزلي. عدت ليلاً وقلت لفؤاد شهاب: أنا آت لتقديم استقالتي. انطون سعد يريد زرع الخلاف بيننا، وهذا سينزع سمعة عهدك. فقال إنه يمكن اتخاذ إجراء مسلكي ضد انطون سعد لمدة ستين يوماً. بعدها أصر شهاب عليَّ للذهاب إلى حفلة يقيمها السفير البريطاني. صافحت السفير وإذا بي أرى انطون سعد بلباسه العسكري، سألته: ماذا تفعل هنا؟ فأجاب: أنا مكلف بمهمة. عدت إلى البيت وقلت لشهاب: هل أنت على علم بذلك؟ فقال: إنه حتى ولو كان هناك إجراء مسلكي يمكن تكليف الضابط بمهمة. فقلت له: أفهم أن يرسل في مهمة إلى جرود الهرمل، ولكن ليس إلى حفلة السفارة. فاتصل بقائد الجيش آنذاك عادل شهاب وتحدث معه بخصوص انطون سعد. قال لي شهاب: «انت عنيد، فقلت له: نعم».

بعد مقتل نعيم مغبغب كان لا بد من إجراء انتخابات لملء المقعد الذي خلا بغيابه في منطقة الشوف (١٩٥٩). شددت أمام فؤاد شهاب على إجراء انتخابات نزيهة واتخذنا الإجراءات اللازمة: ممارسات القائمقام دفعتني إلى كف يده. لكن الجيش منع دخول الصحف التي نشرت الخبر إلى المنطقة، وحدثت تدخلات. وهكذا استقلت من الحكومة الرباعية. لولا انطون سعد لكانت أحسن حكومة».

رشح العميد نفسه لانتخابات رئاسة الجمهورية العام ١٩٥٨ ضد اللواء فؤاد شهاب. . . وكان يعرف النتيجة سلفاً. لكنه أراد ذلك حفاظاً على الديموقراطية،

ولأنه ضد اشتغال العسكر في السياسة. وشارك في وزارة العهد الشهابي الثانية ليساعد في محو آثار ثورة ١٩٥٨. فهو يؤمن بلبنان الواحد. لكن، وبعد اشهر من عمر الوزارة استقال غير آسف على الكرسي، وذلك بسبب تدخل المكتب الثاني في السياسة.

سقوط ثم نجاح

ومنذ ذلك الحين استمر العميد إدّه في حربه الضروس ضد الشهابية، التي اعتبرها أحد الأخطار الثلاثة التي تهدد لبنان، إضافة إلى إسرائيل والشيوعية.

نجح في انتخابات العام ١٩٦٠ نائباً عن بلاد جبيل مع جبرايل جرمانوس وأحمد إسبر، وبقي معارضاً شرساً في المجلس النيابي وخارجه، فكان أن كمنت له الشهابية عند أول محطة انتخابية، فاسقط مع كامل لائحته العام ١٩٦٤.

هذا الابعاد القسري عن ساحة النجمة لم يدم طويلاً، إذا إن العميد عاد إلى مقعده في المجلس النيابي بعد نجاحه في الانتخابات الفرعية التي أجريت في دائرة جبيل العام ١٩٦٥، وبعد وفاة النائب انطون سعيد. في هذه الانتخابات أكد الرئيس شارل حلو، وأكثر من مرّة ومناسبة، أنه عمل المستحيل لتكون السلطة على الحياد ومنع المكتب الثاني من التدخل.

الحلف الثلاثي

ولأنه خطط، وبأي طريقة لإبعاد المكتب الثاني، وبالتالي إسقاط الشهابية، التقى، وإن على مضض، في حلف ثلاثي مع الرئيس كميل شمعون، رئيس حزب الوطنيين الاحرار، والشيخ بيار الجميل، رئيس حزب الكتائب اللبنانية. وكان التحضير لمعركة الانتخابات النيابية في العام ١٩٦٨. أرادها فرسان الموارنة الثلاثة، وكل من زاويته، وانطلاقاً من أهدافه، معركة الضربة القاضية على الشهابية، على الأقل من ناحية العميد، وكانت اللقاءات والمهرجانات والخطابات، والرئيس شمعون سيدها وفارسها.. . لا بل يعرف من أين تؤكل الكتف.

وفي أحد اللقاءات الجماهيرية في القطين ـ غزير، وقبل انتخابات العام ١٩٦٨، وبعد خطاب للعميد ذكّر فيه بالأخطار الثلاثة، وقف الرئيس شمعون قائلاً: «نحن مَنْ يفرض رئيس الجمهورية المقبل، وأنت يا عزيزي ريمون خير مَنْ يتولى رئاسة الجمهورية في لبنان، ولك من الصفات ما يؤهلك لذلك».

ولكن، هل كان الرئيس شمعون يريد ذلك فعلاً، أم أنه كان «يخاطب الجارة لتسمع الكنة» لإثارة غضبها؟

في اليوم التالي رد الشيخ بيار، أحد أركان الحلف، وبلهجة قاسية: «الحلف ليس للنكايات والأخذ بالثأر»؟

وتابع «الحلف» جولاته الانتخابية، باتفاق الضرورة، وليس باتفاق الالتزام، وحالف النجاح معظم مرشحيه في الجبل، وكان لسيدة لبنان في حريصا دور في ذلك. أما في بلاد جبيل فنجح العميد ومعه من اللائحة النائب الشيعي أحمد إسبر، وسقط اميل روحانا صقر.

وفي ٢٠ تشرين الأول ١٩٦٨، بعد عودة الرئيس حلو عن استقالته، شكلت حكومة رباعية برئاسة عبد اللّه الباقي، وضمّت الوزراء انفسهم في حكومة الرئيس رشيد كرامي الرباعية العويني واده والجميل. ولم يتسلم العميد هذه المرة وزارة الداخلية، بل وزارات الاشغال والنقل والموارد المائية والكهربائية والزراعة والتصميم العام.

لم يكتب لهذه الحكومة العمر الطويل، فهي استقالت بعد الاعتداء الإسرائيلي على مطار بيروت في ٢٨ كانون الأول ١٩٦٨. وبعد أن قدم العميد استقالته احتجاجاً على عدم إعطاء قائد الجيش أوامره بالتصدي للهجوم الإسرائيلي وهو المكلف به من قبل مجلس الوزراء، وبناء على طلب العميد نفسه.

شهاب وعدم الغش

لم يأت فؤاد شهاب إلى الحكم عن طريق حزب أو برنامج عمل، حتى ولا من قبل فريق سياسي، فهو انتقل من مكتبه في وزارة الدفاع قائداً للجيش، إلى قصر الرئاسة في الذوق رئيساً للجمهورية.

ومع وصوله إلى الرئاسة لم يؤسس «مدرسة» الشهابية، أو ما عرف بالنهج، لذلك كان «الشهابيون» مجموعة من السياسيين والعسكريين الذين عرفوا الرئيس شهاب عن قرب فراقبوه في عمله رئيساً آتياً من العسكر لحكم لبنان.

والعميد إدّه الذي عارض شهاب رغم أنه تعاون معه في المرحلة الأولى من العهد، لم يعارض فؤاد شهاب بالذات، إنما أسلوبه في الحكم وتصرفات المقربين منه؛ لذلك قال عنه يوم مماته: «إنني أنحني أمام جثمانه، فالموت يضع حداً للخصومات. لقد كانت خصومتنا سياسية. فقد كنت وزيراً في عهده وأذكر له لحظات كانت مواقفه فيها بليغة. وكانت فيه معالم رئيس الدولة الحقيقي ومزايا القيادة العسكرية والمدنية».

وتأكيداً لكلام العميد يروى أنه وقبل إذاعة الرئيس شهاب لبيانه في ٥ آب ١٩٧٠، أحس ثلاثة من السياسيين المقربين إليه أن معركة إلياس سركيس الرئاسية خاسرة. ولما فشلوا في إقناعه بخوضها شخصياً، اقترح عليه أحدهم أن يخوض المعركة، ثم يستقيل بعد سنة أو سنتين، بعد حله للمجلس النيابي، ومجيء مجلس جديد يؤمن وصول سركيس إلى الرئاسة.

عند هذا الكلام انفعل الرئيس شهاب وقال: «هذه المرة الأولى التي أسمع فيها منك اقتراحاً يدعوني إلى غش الناس». وأضاف لصاحب الاقتراح: «المفروض بك أن تعرفني جيداً وأن تعرف بأنني لم أتوسل الغش في حياتي. المنصب الذي سأنتمي له هو منصب رئيس الدولة، هل تقبل أن يكون رئيس الدولة غشاشاً؟».

وبعد سنوات على هذا الكلام انتخب إلياس سركيس رئيساً للجمهورية.

وجاء العام ١٩٦٩، وفي ٣ تشرين الثاني منه وقَّع لبنان ممثلاً بقائد الجيش العماد إميل البستاني اتفاقية القاهرة مع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات.

«وأحمرت» عين العميد من الشيخ بيار وحزب الكتائب الذي وافق على هذه الاتفاقية في المجلس النيابي. وما زاد في «احمرارها» أيضاً أن الشيخ بيار أيد أيضاً الرئيس صبري حماده في معركة رئاسة المجلس، ضد كامل الأسعد... وفرط الحلف الثلاثي وأصبح على حد قول العميد: «بسيكلات بدولابين بدلاً من تريسيكل».

ويروي العميد: «لقد قام الحلف الثلاثي نتيجة إرادة قسم كبير من اللبنانيين، أرادوا أن تتعاون الأحزاب اللبنانية الثلاثة التي لها سياسة واضحة وأن توحّد جهودها من أجل لبنان والديموقراطية والحرية. فكان الحلف وكان انتصار الحلف خصوصاً في جبل لبنان، وخصوصاً أكثر في منطقة كسروان.

على أثر هذه الانتصارات أخذت الشهابية تسعى وتعمل للقضاء على الحلف، ولم تترك طريقاً أو سبيلاً إلى غايتها هذه إلَّا وسلكته متسلحة بجميع المغريات.

... إلى أن جاءت انتخابات رئاسة مجلس النواب.

نحن نعرف أن صبري حمادة يمثّل الرِّجْل الأولى في السيبة التي يعيدون تركيبها من أجل معركة رئاسة الجمهورية.

وكانت الأزمة الوزارية قبل ذلك واستمرت سبعة شهور وحافظت الشهابية على رشيد كرامي الذي يمثّل الرِّجْل الثانية للسيبة. أمَّا الرِّجْل الثالثة فستكون فؤاد شهاب وعندئذ توقف السيبة على أرجلها الثلاث. فكان لا بد من فرط الحلف لتأمين تأليف هذه السيبة فتركتنا الكتائب لمناسبة معركة صبري حمادة قائلة: كيف

نمشي مع كامل الأسعد وهو موافق على العمل الفدائي وتنسيق العمل الفدائي في لبنان. سنمشي مع صبري حمادة لأنه قال بأنه لا يوافق على العمل الفدائي على أرض لبنان. إلّا إن هذا الكلام قاله صبري بك منذ سنة، لكنه لم يكرره ثانية ولن يجرؤ على أن يعيده.

وهكذا مشت الكتائب مع صبري بك فمشينا نحن والأحرار مع كامل بك، إذ اعتبرنا المسؤولية في وجود الفدائيين على أرض لبنان، تقع على عاتق فؤاد شهاب الذي اتفق مع ياسر عرفات في بداية سنة ١٩٦٩، وإن صبري حمادة يمثّل فؤاد شهاب ولا يمكن أن نصوّت له. والغريب أن الكتائب سارت في ما بعد مع كرامي بعدما وافق على اتفاق القاهرة الذي ربما يقول بالعمل الفدائي وبتمرين الفدائيين وتدريبهم على العمليات الحربية وعلى استعمال السلاح ضمن المخيمات وخارج المخيمات وفي كل المناطق اللبنانية. ورغم ذلك لم تتردَّد الكتائب عن الاشتراك في حكومة أسَّست وجودها على اتفاقية القاهرة واستمرارها. وإذا استعملنا المنطق فلا يمكن أن نفهم موقف الكتائب مع صبري حمادة، ثم رشيد كرامي اللذين وافقا على اتفاق القاهرة وعلى العمل الفدائي على أرض لبنان. فهل يجب أن نستعمل المنطق عندما ندرس موقف القيادة الكتائبية؟».

«القضاء» على الشهابية

وتابع العميد معركته مع الأحرار ضد الشهابية، إلى أن كانت معركة رئاسة الجمهورية العام ١٩٧٠. وقرَّرت «الماكينة» الشهابية ترشيح الياس سركيس. فردَّ الحلف (الثنائي) والفريق المؤيّد (كامل الأسعد. . .) بترشيح سليمان فرنجية. وجاءت نتيجة الانتخاب ٥٠ صوتاً من النوَّاب لصالح فرنجية و٤٩ صوتاً لصالح سركيس، وهي أدَّت إلى «معركة» شهيرة، بين الرئيس المنتخب فرنجية، ورئيس المجلس صبري حمادة، عندما هدد فرنجية باستعمال القوة لحسم نتيجة الاقتراع، واستنفر الزغرتاويون أمام مدخل المجلس.

باختصار كانت معركة الصوت الواحد. وربما، ولولا استدراك وتدخّل العقلاء، كانت معركة «الرصاصة الواحدة».

وحتى اليوم يعترف أهل السياسة، ممن عاصروا تلك الحقبة أن هذه المعركة الرئاسية كانت لبنانية، وجاءت نتيجتها من دون تدخّل خارجي.

ومع وصول الرئيس فرنجية إلى سدة الحكم، عمل العميد سنوات في الموالاة، لكنَّه تابع حملته ضد الشهابية، لأن الفرصة سانحة للقضاء عليها تماماً.

وتستمر علاقة العميد جيدة مع الرئيس فرنجية، وكانت الانتخابات النيابية العام ١٩٧٢، ونجحت لائحة العميد بأكملها عن دائرة جبيل، وضمت إضافة إليه أحمد إسبر وإميل روحانا صقر الذي تذوق طعم النيابة للمرة الأولى، ولكنها لم تنته بعد أربع سنوات، بل استمرت مدة عشرين سنة وحتى العام ١٩٩٢، نتيجة التمديدات المتواصلة للمجلس بسبب الحرب اللبنانية.

الحلف والحرب

ويرفض العميد القول إن الحلف كان سبباً للحرب اللبنانية ويقول:

ـ لا صحة أبداً لهذه التحليلات. كان الهم الأول إيصال أكبر عدد ممكن من النواب لمنع المكتب الثاني من الاستمرار في التدخل في السياسة وإدارة البلاد. ولإيصال هذا العدد من النواب، كان لا بد من تحالف انتخابي وتحديداً في الجبل. والقوى الأساسية التي كانت موجودة هي كميل شمعون وبيار الجميل ونحن. أول مَنْ طرح الفكرة ادوار حنين، الذي بلورها ونفذها هو كاظم الخليل نائب رئيس حزب الوطنيين الأحرار الذي يتزعمه كميل شمعون.

طرح كاظم الموضوع عليَّ ولم أمانع. كنت أريد أن أحارب «المكتب الثاني»، فقد كان العقيد غابي لحود حاكماً والرئيس شارل حلو ساكتاً. كنت أريد إيصال ستة نواب من حزب الكتلة الوطنية إلى المجلس ولم أكن قادراً على ذلك إلا بالاتفاق مع شمعون والجميل. وكان على لوائح هذا التحالف أحمد إسبر

ومحمود عمار (شيعيان)، بشير الأعور (درزي) وغيرهم. طبعاً قيام تحالف بين زعماء الموارنة أزعج بعضهم، وبينهم كمال جنبلاط، لكن علاقتي معه استمرت.

القول بأن «الحلف الثلاثي» كان بداية الحرب ليس صحيحاً. وأنا خرجت من الحلف بعد سنة. اختلفنا على رئاسة المجلس بين كامل الأسعد وصبري حماده. حسابات كميل شمعون كانت رئاسية وبيار الجميل أيضا. أنا لا يمكن أن أتهم بالتستر على الكتائب. وفي السبعينات هاجمت الكتائب بسبب علاقتهم بالسوريين ثم بالإسرائيليين، لكن القول بأن الحلف هو بداية الحرب هو مجرد اتهام».

في العام ١٩٧٦، وقبل مغادرته لبنان نتيجة محاولات الاغتيال التي تعرَّض لها، رشَّح العميد إده نفسه للانتخابات الرئاسية ضد المرشح الياس سركيس لإبعاد هذا الشهابي عن الكرسي، لكنه عاد وسحب ترشيحه. وفاز سركيس بالرئاسة الأولى.

في هذه المرحلة كان هَمُّ اللبنانيين «الحرب»، وقيام ما اتُّفق على تسميته الشرقية والغربية، فانصرف العميد عن القضية الشهابية، التي شغلته، وشغلت اللبنانيين طوال عقدين من الزمن، إلى قضايا أخرى أكثر إلحاحاً وأهمية وفي طليعتها منع تقسيم لبنان، واسترداد سيادته واستقلاله وحريته.



العميد في الحكومة الرباعية مع حسين العويني وبيار الجميل برئاسة رشيد كرامي، وهي أول حكومة في عهد الرئيس فؤاد شهاب الذي تمّ انتخابه على أثر أحداث ١٩٥٨.



من اليسار : فؤاد شهاب، رشيد كرامي، ريمون اده وبيار الجميل في قداس احتفالي في كاتدرائية مار يوسف سنة ١٩٥٨.

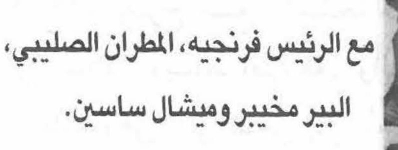


١٩٦٨ : مع شمعون والجميل في إعلان «الحلف الثلاثي».



الحلف الثلاثي المؤلف من : ريمون اده (حزب الكتلة الوطنية)، بيار الجميل (حزب الكتائب) وكميل شمعون (حزب الاحرار).





مع الرئيس فرنجيه، المطران الصليبي، البير مخيبر وميشال ساسين.

الفصل التاسع

الميليشيات والسلاح

«وإني لأرغب إلى الكتلويين الوطنيين، طالباً إليهم بإلحاح قبول تضحية جديدة، وهي الامتناع عن إطلاق النار، في التعبير عن عواطف البهجة والارتياح، وعن كل ما فيه تشف وانتقام، والاكتفاء بكل ما لا يتعارض وأحكام القانون.

عشتم وعاش لبنان!»

هذا ما يطلبه العميد من أنصاره في العام ١٩٥٢، بعد «الانقلاب الأبيض» على الرئيس بشارة الخوري.

السلاح

ويوماً بعد يوم يحاول، وفي كل المواقع التي احتلها، أن يبعد السلاح عن أيدي اللبنانيين. لكن رغبته لم تتحقق في أي وقت.

وأمام هذه الظاهرة، ظاهرة إثبات الرجولة بالسلاح، وبعد ثورة العام ١٩٥٨، يقترح جمع الأسلحة من كل اللبنانيين لوضع حد لما يعكر صفو الأمن في البلاد. ويسقط اقتراحه. والسبب أن الزعامات السياسية والعشائرية، لم ترضَ بذلك، وهي التي تسعى إلى تأمين رخصة سلاح، عن طريق المكتب الثاني، لهذا «المتزلم» أو لذاك المناصر.

ويتذكَّر الجميع قصص العميد مع المسلحين عندما كان وزيراً للداخلية،

خصوصاً عندما لاحق شخصياً المجرم إبراهيم النابلسي الملقَّب «بالتكميل» في العام ١٩٥٩، الذي ارتكب أكثر من جريمة قتل ليعتقله. وكان أن صدر حكم المجلس العدلي بحقه ويقضي بالإعدام شنقاً. وينفذ الحكم في ١٦ نيسان من العام نفسه.

وتمر السنوات، والعميد يطالب في كل عهد بوضع حد لانتشار السلاح بين أيدي المواطنين منعاً للحوادث وحفاظاً على الأمن. لكن الحكومات ووزراء الداخلية والدفاع لا يلبون.

ومرّة، ولذر الرماد في العيون، يطلب من الحكومة عدم اعتقال مَنْ يطلق الرصاص في بعض القرى والبلدات، طالما أنها لا تعتقل مَنْ يطلقه في بيروت وبعض المدن. وطبعاً في زغرتا والهرمل.

السلاح مع الجميع

وتوقَّع اتفاقية القاهرة، ويتدفَّق السلاح على المخيمات الفلسطينية، في «البيروتين»، وفي باقي المناطق اللبنانية، ويوزّع هذا السلاح لينتشر في داخل المخيمات وعلى الطرقات خارجها، وحتى في الأحياء السكنية المجاورة. (تل الزعتر، صبرا وشاتيلا، جسر الباشا، بئر حسن، مار الياس، الضبية، عين الحلوة، البارد، البداوي...).

ومع هذه التجاوزات الفلسطينية المسلَّحة في الداخل، ليس فقط في الأمكنة التي حددها اتفاق القاهرة، والتي تكاثرت بعد «أيلول الأسود» في الأردن، ولجوء عناصر الكفاح المسلَّح الفلسطيني إلى لبنان، تسرَّب الخوف إلى المناطق المسيحية، مترافقاً مع إشاعات بأن الفلسطينيين سيساعدون المسلمين في حال قرروا إجراء إصلاحات تقضي على الهيمنة المارونية على الحكم.

وتأتي الاصطدامات بين الجيش اللبناني والمقاومة في العام ١٩٧٣، ثم أزمه الحكم بسبب الخلاف على نشر الجيش، لتزيد في خوف المسيحيين الذين لجأوا إلى التسلّح والتدريب لمواجهة الخطر الفلسطيني، الذي يريد شراً بلبنان،

وبالتالي لمواجهة المسلحين واليسار اللبناني، إذا ما قرَّروا الاستعانة بالفلسطينيين لتحقيق مطامحهم في السلطة.

ويخاف العميد من هذا التسلح لا بل يرفضه. فهو من دعاة الوحدة الوطنية والعيش المشترك. ولا يرضى عن ذلك بديلاً. ولبنان الذي أحب، هو لجميع أبنائه، وعليهم عدم الاحتكام إلى السلاح، لأنه يدمّر الوطن. وثورة العام ١٩٥٨ هي الشاهد.

جبهات وحركات

وتتسارع هذه التطورات والأحداث والاشتباكات، وينقسم اللبنانيون إلى جبهات وحركات. جبهة لبنانية من أركانها: الرئيس شمعون والشيخ بيار والآباتي شربل قسيس. وحركة وطنية من أركانها: كمال جنبلاط، محسن إبراهيم وزعماء الأحزاب اليسارية، متحالفة مع كل الفصائل من الفلسطينيين وعلى رأسهم ياسر عرفات، زهير محسن، جورج حبش، أحمد جبريل ونايف حواتمه.

ويجتهد العميد لمنع حصول الانقسام.... ويتفاهم مع الرئيسين كرامي وسلام في محاولة لمنع الكأس المرّة. لكن السلاح كان أقوى من الجميع، وحتى أقوى من الذين حملوه.

وتقوم الميليشيات: في الشرقية، ميليشيا الكتائب وميليشيا الأحرار (توحدت في القوات اللبنانية). وفي الغربية ميليشيات: الاشتراكي، القومي، الشيوعي، المرابطون، البعث بجناحيه، وكل الفصائل الفلسطينية.

وتقع حادثة عين الرمانة في ١٣ نيسان ١٩٧٥. ومعها يبدأ «التحاور» بين الميليشيات في الشرقية والغربية بواسطة البندقية والمدفع والصاروخ. ويحترق لبنان.

ويبقى العميد على اتصال مع الجميع في الشرقية وفي الغربية. في الشرقية مع الرئيس شمعون والشيخ بيار والبطريرك خريش ومعظم الفاعليات المسيحية.

وفي الغربية مع رؤساء الحكومة السابقين وجنبلاط، والمفتي حسن خالد والإمام موسى الصدر، وغيرهم من النواب والشخصيات، بالإضافة إلى «أبو عمار» ورفاقه قادة المقاومة.

ومع هذه الاتصالات يرفض أن ينقل سكنه من بيروت الغربية إلى بيروت الشرقية، بصفته زعيماً مسيحياً، محاولاً من هناك قيام جبهة الاتحاد الوطني مع الرئيسين كرامي وسلام وغيرهم من الشخصيات علّها تساعد في إسكات لغة السلاح بين «البيروتين» ومَنْ فيهما.

«تساووا بالوحشية...»

وتفشل كل المحاولات. ومن أين لها أن تنجح، طالما أن المؤامرة تستعمل الجميع وقوداً لها. مؤامرة إقليمية ـ دولية تقاطعت على خطوط الطول والعرض للساحة اللبنانية. وما زالت تتقاطع حتى اليوم.

ويدخل الجيش السوري إلى لبنان العام ١٩٧٥ وتحاول قوات الردع العربية فعل شيء ما. لكن من دون نتيجة.

وتأخذ اللعبة، لعبة المؤامرة مجراها. ويرتاح الميليشياويون، كل في موقعه، مع تأكيد كل فريق منهم أنه يستعمل السلاح للدفاع عن النفس وعن لبنان. طبعاً باستثناء الفلسطينيين.

ويزداد الدمار والتقتيل، ويرى العميد في تصريح له «أن الجميع تساووا في الوحشية». . . «وإن الكثيرين تاجروا بأرواح الناس». ويقول:

«أنا بفهم معركة إنو بيهجموا ع بعض. ما حدا هجم ع التاني. لا المسيحيين هاجموا أحياء الإسلام ولا العكس. لا الفلسطينيين هاجموا الأشرفية ولا الفريق الثاني هاجم صبرا. هيدا شيء مؤسف. كل اللي صار هيدا خطفناه وهيدا قتلناه وهيدا ما بعرف شو قصينالو. لشو التعذيب؟ شفت إنو اللبنانيين والفلسطينيين تساووا بالوحشنة. في كتار بدن ينتقدوني لما بيقروا هالحكي، ينتقدوا».

«الشيء اللي شفناه شريعة الغاب بكل معنى الكلمة. شو اللي فينا بيخلينا نشوف حالنا إنو ممثل للإنسان؟ ماشي. بالزمان كانوا يتبارزوا كرمال ست حلوة. هلق ما في مبارزة. في حرب، وحرب ما صار في. ما كان في جرأة. لو فريق هاجم صبرا منقول براڤو والله ومنروح نتفرج، أو إذا صبرا هجمت ع الجميزة. ما صار في هجوم حتى ع متراس».

«الناس اللي باعوا سلاح اغتنوا من اللي صار. وفي ناس ربحوا انتخابياً وسياسياً. بس كان ربح ع الجثث وحياة الغير. بستغرب كيف بيقدروا يناموا».

«ما منقدر نبرّي حداً. المسؤولية رح تظهر. والقصاص ما بعرف مين بيقرروا».

وثيقة عنايا

ولأن العميد يتحلى ببعد النظر ويريد أن تبقى بلاد جبيل وأهلها مثالاً للعيش المشترك، بعيداً عن الاقتتال الطائفي، يدعو إلى اجتماع لرؤساء البلديات والمخاتير والفاعليات الجبيلية، عقد في دير مار مارون عنايا في ٢١ أيلول ١٩٧٥. ويصدر عن المجتمعين الوثيقة التاريخية الآتية:

«نحن الموقعين أدناه رؤساء بلديات بلاد جبيل ومخاتيرها المجتمعين في مؤتمر وطني في فندق عنايا قضاء جبيل نهار الأحد الواقع فيه الحادي والعشرون من شهر أيلول سنة ١٩٧٥ الساعة الرابعة بعد الظهر، نعاهد الله ونقسم بشرفنا على أن نبذل كل الجهود المخلصة والخيرة للمحافظة على وحدة جميع أبناء لبنان وبلاد جبيل وعلى تضامنهم التاريخي بعيداً عن كل تفرقة طائفية بغيضة وعن كل انقسام حزبي ذميم مهما كانت الأسباب والدواعي وأن نعمل متكاتفين من أجل استقرار لبنان وأمنه وازدهاره».

ويقول العميد: «إن أهالي بلاد جبيل كانوا أوفياء لعهدهم ذلك أنه لم يقع أي حادث بين أبناء هذه المنطقة العزيزة على قلبي. ولكن عندما أتى الغرباء إلى

المنطقة وكانوا من المسيحيين المسلحين اعتدوا على بعض الأبرياء من أبناء المنطقة وكانوا عزلاً لسبب واحد هو أنهم لا ينتمون إليهم، وبسبب فعلهم أصبحوا مجرمين».

وإذا كان العميد يحمِّل فريق الغربية في اندلاع حرب الميليشيات الكثير من المسؤولية، فإنه يحمِّل ميلشيات الشرقية، خصوصاً الكتائب، ومن ثم القوات اللبنانية كل المسؤولية، مؤكداً أن «الذين سببوا الحرب سنة ١٩٧٥ هم عملاء إسرائيل وهم الذين يريدون مجدداً أن يتسبَّبوا في حرب تقضي على لبنان التعايش».

ويتعرَّض العميد لمحاول اغتيال على يد مسلحي حزب الكتائب، ويشن عليهم حرباً كلامية، متهماً إياهم بأنهم يريدون تقسيم لبنان.

ثم ينتقل إلى باريس في بداية العام ١٩٧٧. ومن هناك يتابع حربه ضد الميليشيات المسيحية، خصوصاً بعد أن أصحبت كل الإمرة العسكرية في المنطقة الشرقية بيد القوات اللبنانية، بعد تصفية نمور الأحرار في الصفرا وعمشيت.

الاستفراد بالبارودة المسيحية

وهكذا استفرد الشيخ بشير والقوات اللبنانية «بالبارودة» المسيحية، فقام مسلحوها بكثير من التجاوزات من قتل عدد من القاطنين في الشرقية مسلمين ومسيحيين، وتهجير عدد آخر منهم بسبب مواقفهم السياسية، واستباحة حرمات المنازل ومصادرتها وفرض الخوات والتجنيد الإلزامي على الشباب.

كل هذه التجاوزات دفعت بالعميد إلى اتخاذ المواقف الأكثر تشدداً من الميليشيا المسيحية، مقارنة مع مواقفه من ميليشيات الغربية.

وتحصل الحروب الصغيرة (نتائجها كبيرة) بين أجنحة القوات: بشير الجميل، فؤاد بو ناضر، إيلي حبيقة، سمير جعجع، ومن ثم مع الرئيس أمين الجميل. ويصعِّد العميد حملته على «القوات» التي تريد «تقسيم لبنان» وطرح

موضوع الفيدرالية وتهجير المسيحيين. وتتَّخذ «القوات» قراراً بإعدام مسيحيين في الضبية، وتقوم «قيامة» العميد فيصف «القواتيين» بالمجرمين.

لقد آمن العميد بلغة الحوار سبيلاً لخروج اللبنانيين من محنتهم. لكن الميليشيات لم تتمكَّن من فَهْم هذه اللغة، لأن الرصاصة كانت في «بيت النار»، والإصبع على «الزنبرك»، بانتظار الأوامر لكبسه.

ويكرّر العميد هجوماته على الميليشيات، خصوصاً المسيحية، هجوماً بعد هجوم ويوماً بعد يوم.

وكيف لا يفعل ذلك، وهو الذي لا يحب السلاح؟

وثيقه تاريخية

نحن الموقعين ادناه رؤساء بلديات ومخاتير بلاد جبيل المجتمعين في مؤتمر وطني في اوتيل عنايا - قضاء جبيل نهار الأحد الواقع في الحادي والعشرين من شهر أيلول سنة ١٩٧٥ الساعة الرابعة بعد الظهر نعاهد الله ونقسم بشرفنا ان نبذل كل الجهود المخلصة والمتواصلة للمحافظة على وحدة جميع أبناء منطقة بلاد جبيل وعلى تضامنهم التاريخي بعيداً عن كل تفرقة طائفية بغيضة وعن كل انقسام حزبي أو زعيم مهما كانت الأسباب والدواعي، وان نعمل متكاتفين من أجل استقرار لبنان وأمنه وازدهاره.

عنايا-جبيل في ٢١ ايلول ١٩٧٥

بتوجيه من العميد ريمون اده، قام المحامي الاستاذ جان الحواط باسم لجنة التآخي الوطني في بلاد جبيل، بدعوة القيادات المدنية والدينية في المنطقة إلى مؤتمر وطني في عنايا في ٢١ أيلول ١٩٧٥ حيث وقّع رؤساء بلديات ومخاتير جبيل ميثاق الشرف هذا. وكان من نتيجة هذا الميثاق أن انتصرت الصيغة الوطنية في بلاد جبيل.

الفصل العاشر

التحرير والمقاومة

الفلسطينيون

تحتل قضية تحرير الوطن ومقاومة المحتل، مكانة أساسية في عمل العميد السياسي اليومي، منذ بداية المقاومة الفلسطينية، والاعتداءات الإسرائيلية، مروراً بدخول الجيش السوري إلى لبنان ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦، والاحتلال الإسرائيلي ١٩٧٨.

انهما تحرير الوطن لجهة السيادة والقرار والأرض، ومقاومة الجيوش الغريبة، أكان وجوداً لشقيق، أم احتلالاً لعدو، مع أنه كان يميز دائماً بين الوجود والاحتلال.

جاء في البيان الذي أصدره حزب الكتلة لمناسبة الانتخابات النيابية العام ١٩٦٨ الآتي: «إنه بما للمواطن من حق في العيش ضمن بلاده في جو من الأمن سليم، كذلك على المواطن واجب الدفاع عن هذه البلاد بروح قومية سليمة».

ولأن العميد حريص على سيادة لبنان وسلامة أرضه، بدأ منذ العام ١٩٦٤، بالمطالبة بنشر البوليس الدولي على الحدود اللبنانية مع إسرائيل، ليس لأنه ضد العمل الفدائي، بل لمنع إسرائيل من اجتياح لبنان.

يقول: «اعتقد أننا إذا سألنا أهالي الجنوب عن رأيهم وهل يفضلون الاستمرار في وضعهم الحالي مع وجود الفدائيين، أم بقبول قوات دولية هدفها الوحيد الدفاع عن حدود لبنان وعن أرواح اللبنانيين المقيمين على الحدود، أظن في هذه الحال أننا لن نجد واحداً من هؤلاء لا يجيب بأنه يفضل أن تأتي القوات

الدولية طالما أننا والفدائيين لا نتمكن من حماية الحدود والأهالي المقيمين قرب هذه الحدود».

يضيف: «يقول الفدائيون إنهم دخلوا الأراضي اللبنانية بموافقة السلطات دون أن يواجههم بعد حرب ٥ حزيران أي اعتراض. ثم شعرت السلطات بعد ذلك أن الفدائيين باتوا يشكلون خطراً على البلاد بسبب إعطاء وجودهم على أرض لبنان مبرراً لإسرائيل لكي تضربنا.

البوليس الدولي

وباتت مشكلة الفدائيين تهدد مصلحة لبنان واللبنانيين.

نحن لا يمكننا أن نحمي لبنان من اعتداءات إسرائيل بسبب وجود الفدائيين. والدليل الهجوم الإسرائيلي الذي وقع على منطقة العرقوب، وكذلك الاعتداء الذي وقع على قرية عيترون حيث دخلها الكومندوس الإسرائيلي ونسف بعض البيوت لارغام الأهالي على تسليمه بعض الأشخاص المطلوبين. إن لبنان لا يمكن أن يحمي الفدائيين في العرقوب. ولا هو بإمكانه أيضاً أن يحمي اللبنانيين. ولذلك، وعلى أساس هذا الوضع اقترحت بعد الغارة الإسرائيلية على المطار أن نطلب قوات دولية لحماية حدودنا من الاعتداءات الإسرائيلية.

إن مشكلة الفدائيين يجب أن تحل ليس على أساس العاطفة، لأن عاطفة جميع اللبنانيين مع الفدائيين، ولكن على أساس المنطق وعلى أساس الحرص على مصلحة اللبناني التي ترتفع وتفوق كل مصلحة.

وإذا كنا نريد حل مشكلة الفدائيين على أساس المنطق، فإن المنطق يرفض وجود الفدائيين على أرض لبنان. والمنطق يقول: أن تطلب الحكومة اللبنانية من هيئة الأمم المتحدة إرسال قوات دولية بانتظار أن يأتي اليوم المناسب، الذي يتمكن فيه لبنان مع بقية الجيوش العربية من الهجوم على إسرائيل لاسترجاع الوطن السليب، هذا ما يقوله المنطق. أما العاطفة فقد أرجعت الجيوش والشعب

العربي إلى ما كان عليه منذ الفي سنة وسمح لمليوني إسرائيلي أن ينتصروا على مئة مليون عربي».

ويستمر الكفاح المسلح الفلسطيني، والعميد على رأيه في استقدام البوليس الدولي. إلى أن توقع اتفاقية القاهرة في العام ١٩٦٩. عند ذاك يرى أن لبنان، تخلى عن سيادته للفلسطينيين، واعطى الذريعة لإسرائيل بنقض اتفاقية الهدنة الموقعة منها ومن لبنان العام ١٩٤٩ . ويدعو اللبنانيين والسياسيين إلى مقاومة هذه الاتفاقية وإسقاطها، لكن الحكم في لبنان لم يتمكن من إلغائها، فوقف الشعب اللبناني مغلوباً على أمره.

ومع هذا العمل الفدائي لاسترجاع أرض فلسطين في لبنان، يتابع العميد حملته لاستقدام البوليس الدولي ونشره في الجنوب، ويرى أن عمل المقاومة سيؤدي إلى تكرار الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان.

وفي تصريح له في تشرين الأول ١٩٧٧، حول التطورات في الجنوب يقول: «في نظري إن هناك وسيلة واحدة هي أن تطلب الحكومة اللبنانية من مجلس الأمن إرسال قوات دولية لتتمركز على طول الحدود اللبنانية ـ الإسرائيلية ضمن الأراضي اللبنانية ما دامت إسرائيل لا تقبل، وهي اليوم كما في الأمس لها الكلمة الأولى في واشنطن ـ إن تتمركز هذه القوات في الأراضي الإسرائيلية، أو بالأحرى التي احتلتها بقوة السلاح وبموافقة أميركا والاتحاد السوفياتي. عندئذٍ ستتمكن الحكومة اللبنانية من أن ترسل إلى الجنوب الجيش اللبناني إذ يكون ظهره محمياً من تعديات إسرائيل على الجنوب، أي على الجيش. هذه هي في نظري الطريقة الجدية الوحيدة للمحافظة على الجنوب ولتشجيع الذين رحلوا من أبنائه على الرجوع إلى قراهم وبيوتهم».

إسرائيل

وتجتاح إسرائيل جنوب لبنان في العام ١٩٧٨، ويصدر مجلس الأمن

القرارين ٤٢٥ و٤٢٦، اللذين يدعوانها للانسحاب من الأراضي اللبنانية، لكن إسرائيل ترفض الانصياع لمنطوق هذين القرارين، وتبقى في الجنوب، مكررة اعتداءاتها شمالي الليطاني، والمقاومة تعطيها الذريعة لمثل هذه الاعتداءات. إضافة إلى بعض عمليات «المقاومة اللبنانية»، التي كانت قد بدأت طلائعها بعد هذا الاجتياح.

ويؤكد العميد حق اللبنانيين في مقاومة إسرائيل لتحرير أرضهم. لكنه في المقابل يرى، أن لبنان وحده ليس بامكانه تحقيق هذا التحرير، إلا إذا طبقت إسرائيل القرار ٤٢٥.

رفض ظاهرة سعد حداد

في المقابل يرفض العميد ظاهرة سعد حداد في الجنوب، لأنها من صنع «السيد بيغن»، «ولا يمكن أن أقبل بتصرف سعد حداد، بعدما دخلت القوات الدولية إلى الجنوب، لأنه كان يفترض أن يساعد هذه القوات ويسهّل مهمتها لإخارج إسرائيل من الأراضي اللبنانية تنفيذاً للقرارين ٤٢٥ و٤٢٦.»

في العام ١٩٨٢، تجتاح إسرائيل لبنان حتى بيروت، وتُنَفَّذ ضد جيش الاحتلال، خصوصاً في العاصمة عمليات مقاومة لإرغام هذا الجيش على الانسحاب. وينسحب بعد الضربات الموجعة التي تلقاها من مقاومة اللبنانيين حتى إن أرييل شارون، وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك، والذي ساح في بيروت وصافح عدداً من السياسيين، وصف الساحة اللبنانية بـ«وكر الدبابير».

ويبقى الجيش الإسرائيلي في الشريط الحدودي، متعاملاً مع قوات انطوان لحد، رافضاً الانسحاب الكامل من الأراضي اللبنانية.

المقاومة في الجنوب

وتنطلق المقاومة بكل زخمها في الجنوب موجهة ضربات قاتلة لهذا الجيش العدو في الداخل اللبناني، والداخل الإسرائيلي، وإسرائيل تصعد من اعتداءاتها

البرية والجوية والبحرية، والمقاومة لا تلين، لا تهدأ، وقرارها تحرير لبنان مهما كان الثمن. وتدفع ثمناً غالياً، فداء لبنان، أكثر من ألف مقاوم، إضافة إلى المدنيين اللبنانيين، في المقابل يتكبد الجيش الإسرائيلي خسائر بشرية فادحة، بالرغم من عديده وعتاده بلغت مئات الجنود.

ويؤيد العميد هذه المقاومة بقوله:

«حين احتلت إسرائيل الأرض اللبنانية ورفضت تنفيذ القرار ٤٢٥ وجود القوات الدولية على حدودها مع لبنان، لم تكن هنالك مقاومة ولا «حزب اللّه» ولا «أمل». ولقد نشأت المقاومة من الاحتلال الإسرائيلي للأرض اللبنانية وليس من أي سبب آخر. والذين يقاتلون هناك على الحدود إنما يقاتلون إسرائيل على أرضهم اللبنانية لتحريرها. إنهم وطنيون يضربون إسرائيل في احتلالها. لم يذهبوا إليها قبل هذا الاحتلال ليقتلوا مواطنيها في أراضيها. إذاً كل ذرائع إسرائيل وشروطها مرفوضة».

ولو أطال الله بعمر العميد أياماً، لكان هنأ المقاومة على انتصارها على إسرائيل، وهو الذي أحب الجنوب ودافع عنه، منذ أن رأى أن للدولة العبرية مطامع في أرض لبنان ومياهه.

سوريا

يدعو العميد دائماً إلى إقامة أفضل العلاقات مع الشقيقة سوريا، على قاعدة احترام سيادة البلدين ومواثيق جامعة الدول العربية والدفاع العربي المشترك والأمم المتحدة.

يقول: «إنني أمنع نفسي من أن اتدخل في شؤون الغير. كل ما اتمنى أن يتم في سوريا الاستقرار، لأن الازدهار من وراء الاستقرار. وكلما استقر الوضع في سوريا، نفرح في لبنان ونتمنى للشعب السوري أن تُحترم إرادته».

وتبدأ الحرب اللبنانية العام ١٩٧٥، وتدخل «قوات العاصفة» إلى أرضه، ويرفض العميد هذا الدخول، معتبراً إياه تدخلاً في الشؤون اللبنانية.

ثم تدخل القوات السورية بكثافة لوضع حد للاقتتال، والدافع مساعدة المسيحيين في حربهم ضد الفلسطينيين والحركة الوطنية التي تساندهم.

شكر سوريا

يقول العميد في حديث له في مطلع العام ١٩٧٦: «أنا كنت أتمنى لو تمت الوساطة السورية مباشرة عندما عين الرئيس رشيد كرامي رئيساً للحكومة. وأنا أشكر سوريا لأنها تدخلت لوقف القتال، لأن جميع الفرقاء كانوا ينتظرون أن تأتي دولة صديقة لوضع حد للاقتتال، ولكن المهم أن هذه الدولة الصديقة لا تتدخل في شؤوننا الداخلية».

نداء إلى اللبنانيين

وتأخذ الحرب في لبنان مجرى آخر. وتتصاعد الاشتباكات مخلفة آلاف القتلى، ومليارات الليرات من الخسائر، ويوجه العميد إلى اللبنانيين واللبنانيات في الأول من حزيران ١٩٧٦ النداء الآتي:

«أيها اللبنانيون واللبنانيات،

إن الأول من حزيران يجب أن يكون اليوم الأول من كفاح الشعب اللبناني ضد النظام السوري الذي أمر بغزو لبنان.

إن الوطن في خطر، اليوم أكثر منه أمس.

ولكن، بادئ بدء، ما هو الوطن؟

الوطن هو البلد الذي ينتمي إليه المواطن. ولوطننا حدود، هي حدود استقلاله وسيادته. وحدود لبنان هي تلك التي نصت عليها المادة الأولى من الدستور وهي:

«شمالاً ـ من مصب نهر الكبير على خط يرافق مجرى النهر إلى نقطة اجتماعه بوادي خالد الصاب فيه على علو جسر القمر.

شرقاً ـ خط القمة الفاصل بين وادي خالد ووادي نهر العاصي (أورنت) مارا بقرى معيصرة ـ حربعاته ـ هيت ـ ابش ـ فيسان على علو قريتي برينا ومطريا، وهذا الخط تابع حدود قضاء بعلبك الشمالية من الجهة الشمالية الشرقية والجهة الجنوبية الشرقية، ثم حدود أقضية بعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا الشرقية.

جنوباً ـ حدود قضائي صور ومرجعيون الجنوبية الحالية.

غرباً ـ البحر المتوسط».

والمادة الثانية من الدستور، وتنص على أنه «لا يجوز التخلي عن أحد أقسام الأراضي اللبنانية أو التنازل عنه».

أيها اللبنانيون واللبنانيات،

إن الواجب الأول لكل وطني هو المحافظة على وحدة وطنه.

أما أن تكون لكل نظرته الخاصة إلى الوطن وإلى ما يفرضه الواجب الوطني، فتلك نهاية الوطن. من أجل هذا نص قانون العقوبات اللبناني في المادة ٢٧٤:

«كل لبناني دس الدسائس لدى دولة أجنبية أو اتصل بها ليدفعها إلى مباشرة العدوان على لبنان، أو يوفر لها الوسائل إلى ذلك، عوقب بالاشغال الشاقة المؤبدة.

وإذا افضى فعله إلى نتيجة عوقب بالإعدام».

والمادة ٢٧٧:

«يعاقب بالاعتقال الموقت خمس سنوات على الأقل، كل لبناني حاول بأعمال أو خطب أو كتابات أو بغير ذلك، أن يقتطع جزءاً من الأرض اللبنانية

ليضمه إلى دولة أجنبية أو أن يملكها حقاً أو امتيازاً خاصاً بالدولة اللبنانية (. . .)».

والمادة ٣٠٢:

«من حاول أن يسلخ عن سيادة الدولة جزءاً من الأرض اللبنانية عوقب بالاعتقال الموقت أو بالابعاد (. . .)».

وإذا كانت أي سلطة قضائية ليست اليوم، بسبب الظروف، في وضع يمكنها من تطبيق هذه النصوص القانونية، فسيجيء يوم، وقد استرد لبنان عدالته، يحكم فيه القضاة اللبنانيون على أولئك الذين، بتصرفاتهم المختلفة، سلبوا مواطنيهم وخربوا بلدهم ودمروا المؤسسات الوطنية واعتدوا على سلامة الأرض وانتهكوا السيادة الوطنية.

وسيجيء يوم يدرك فيه اللبنانيون من جديد، وقد خرجوا من سباتهم، أن التعايش بين الطوائف وحده يضمن سعادتهم، وأنه الشرط الوحيد ليعود لبنان كما كان أرضاً للصداقة والحرية والازدهار.

لقد آن لأولئك الذين، وقد ضللوا، اشتركوا في قتال غير عادل، إن يلقوا السلاح ويمدوا أيديهم إلى الذين هدفهم خلق لبنان جديد يكون فيه العقل والقلب كفيلين بأن يسوده النظام والأخوة.

أيها اللبنانيون واللبنانيات،

في الليلة البارحة امضت بيروت وضاحيتها أفظع الليالي.

إنها ليلة المؤامرة التي لم أكفَّ عن فضحها.

ليلة الرعب السورية التي زرعت من غير تمييز الموت والنار والدم.

ذلك هو السلام السوري الذي وعد به البعض وتمناه البعض الآخر.

أيها اللبنانيون واللبنانيات،

لا تدعوا لليأس سبيلاً إلى نفوسكم.

إن الأول من حزيران يجب أن يكون، وهو سيكون، اليوم الأول للمقاومة اللبنانية.

وإنكم باتحادكم، مسيحيين ومسلمين، ستدحرون الغزاة، وبتناسيكم أسباب الفرقة بينكم ستنقذون لبنان. ولبنان يصرخ بكم وينتظر أن تلبوا نداءه.

عاش لبنان».

ومنذ ذلك الوقت، وحتى وفاته، يبقى العميد على مطالبته، بانسحاب الجيشين الإسرائيلي والسوري، وإن كان يميز بين احتلال ووجود، أو يرضى بتأخير انسحاب الجيش السوري إلى ما بعد انسحاب الجيش الإسرائيلي.

ومع هذه المطالبة يستمر العميد على قناعته، وهي إقامة أفضل العلاقات بين لبنان وسوريا، على قاعدة السيادة والاستقلال، وعدم تدخل أي من الدولتين في شؤون الأخرى.

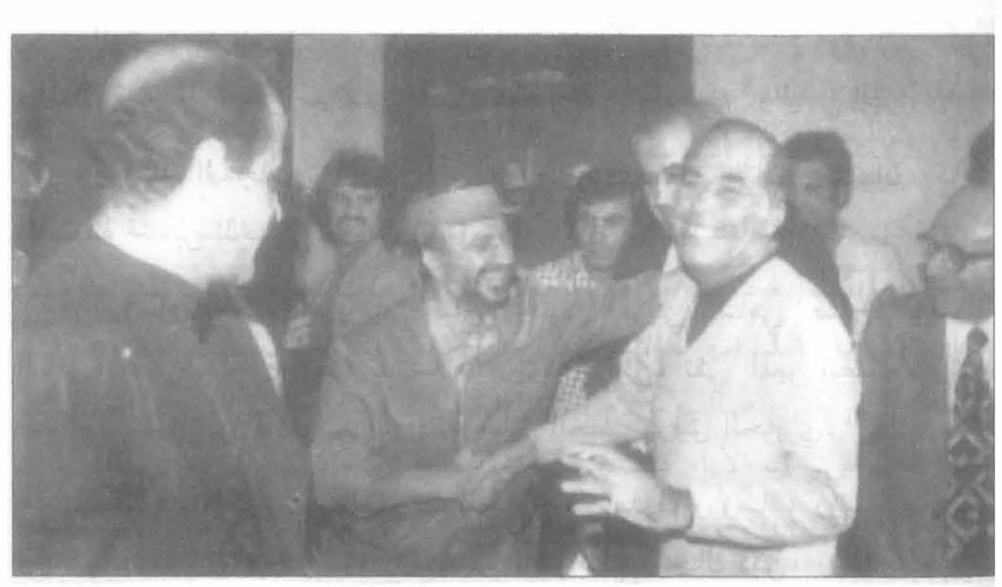


عند الرئيس حافظ الاسد
مع وفد من «الكتلة»
عام ١٩٧٠.



يتفقد الدمار
في وسط بيروت.





العميد مع عرفات.

الفصل الحادي عشر

وئـام وخـلاف

تدرَّج العميد في العمل السياسي مع والده، الزعيم الوطني، الرئيس إميل إدّه، قبل الرئاسة وبعدها، وفي هذا الجو السياسي الوطني، ارتبط بعلاقة صداقة مع كل السياسيين في لبنان، المؤيدين لخط الكتلة الوطنية، والمعارضين له. لا يبتعد عنهم، إلَّا بقدر ما يبتعدون عن خدمة لبنان. ولا يتخاصم مع أحد منهم، إلَّا بسبب السياسة التي أرادها أن تكون دائماً حرة القرار، بعيدة عن كل تلون ومسايرة.

هكذا عاش العميد، علاقة صداقة شخصية مع الجميع. وهكذا فهم السياسة، تؤدي به في أحيان كثيرة إلى مخاصمة بعضهم.

الرؤساء: بشارة الخوري، كميل شمعون، فؤاد شهاب، شارل حلو، سليمان فرنجية، الياس سركيس، أمين الجميل، رينيه معوض والياس الهراوي.

ورؤساء المجلس: أحمد الأسعد، صبري حمادة، عادل عسيران، كامل الأسعد، حسين الحسيني.

ورؤساء الحكومة: رياض الصلح، حسين العويني، سامي الصلح، عبد اللّه اليافي، عمر الداعوق، صائب سلام، رشيد كرامي، تقي الدين الصلح، رشيد الصلح، شفيق الوزان، أمين الحافظ، سليم الحص ورفيق الحريري.

وغيرهم الكثير في الداخل والخارج من ملوك ورؤساء، رؤساء مجالس وحكومات، وزراء ونواب، رؤساء... طوائف ورجال دين، رؤساء أحزاب ومنظمات إقليمية ودولية، سفراء وموفدين عرب وأجانب.

ويبقى مع هؤلاء على اتصال دائم، وكلما سمحت الظروف أو اللقاءات والدعوات الرسمية والخاصة، ليس من أجل الوصول إلى هدف معين شخصي. بل كان لبنان دائماً الطرف الثالث، خصوصاً بعد الحرب، الذي يستقطب الحديث والاهتمام.

ماذا يروي العميد عن علاقته مع عدد من هذه الشخصيات في لبنان؟

صائب سلام

«علاقتي مع صائب بك قديمة وقوية وتقوم على الاحترام المتبادل. اتفقنا في محطات واختلفت مواقفنا في أخرى. يحدث أن نتعاتب ونتجادل على الهاتف لكن العلاقة تبقى. صائب زعيم وصاحب كلمة، ممتاز كرئيس للحكومة، وجريء. في عهد سليمان فرنجية دخل شخصياً دائرة الهاتف وضرب بقدمه باب غرفة التنصت على المكالمات ووجدها مليئة بالعسكر. هذا عمل لا يقدم عليه إلا رجل من قماشة صائب سلام. إنه ذكي وجريء. بدأ صائب سلام حياته دستورياً وكان صديقاً لكميل شمعون واختلفا لاحقاً، لأن كميل شمعون مارس ضغوطاً لإسقاط صائب سلام وأحمد الأسعد وكمال جنبلاط لشعوره بأنهم لم يمشوا في مسألة تعديل الدستور وتمديد ولايته. بشارة الخوري زوَّر الانتخابات في ٢٥ أيار ١٩٤٧. شمعون فضل أسلوب الضغط.

تكررت اللقاءات بيني وبين صائب سلام. العلاقات الشخصية لا تعني تطابق المواقف. اختلفت مواقفنا؛ فأنا مثلاً عارضت اتفاق القاهرة، وعارضت اتفاق ١٧ أيار اللبناني ـ الإسرائيلي في ١٩٨٣، وكان لصائب سلام موقف مختلف. لم يقترع صائب سلام لبشير الجميل، لكنه صوت لأمين. أقول ذلك وأكرر أنك في تلك الأيام كنت تتفق مع زعماء، وتتخاصم مع زعماء وكان هناك رجال أصحاب مواقف. القصة اليوم مختلفة تماماً. إنهم يقفون في الصف كتلامذة المدارس ولا أحد يرفع أصبعه حتى لطرح سؤال. كانت هناك حكومات ومعارضات وأحزاب ومجلس نيابي».

رشيد كرامي

«كانت منيحة. آدمي كثير ونزيه. كانت علاقته ممتازة مع فؤاد شهاب. مرن، رجل دولة. كان يحتفظ بحقيبة المال ويحافظ على أموال الدولة كما يحافظ على ماله الخاص. رجل أمين.

اختلفت أنا ورشيد كرامي على الزواج المدني. أنا ضد إلغاء الطائفية السياسية، أنا طوال عمري أطالب بدولة علمانية والدستور اللبناني دستور علماني لا ينص على دين الدولة أو دين رئيس الدولة.

كان صائب سلام يريد وقف الثورة (١٩٥٨) وقال: «بدك تقنع رشيد كرامي». فقلت له: أنت تقنعه، فقال: «لا انت تذهب إلى طرابلس وتأتي به». اتصلت بأحمد الداعوق وأحمد الأحدب وقلت لهما: أنتما تحت حمايتي حتى أنفه. وبعدها أنتما تتوليان المسألة. ذهبنا في سيارتي ووصلنا إلى أبو سمرا حيث كانت قيادة رشيد كرامي. قال لي أحمد الداعوق: جئت بي إلى هنا أنا بالأمس كنت في الشانزيليزيه. فجأة قفز عسكري من الجيش وقال: قف. خاف أحمد الداعوق. فسألنا إلى أين نذهب، فقلت: إلى رشيد أفندي. قال: «على مسؤوليتكم»، فقلت له: لم نطلب منكم أن تحمونا.

كان رشيد كرامي في صورة الثائر وذقنه طويلة. اختليت به وقلت له: أرسلني صائب بك لم يعد يريد المعركة، وأنت أيضاً وفؤاد شهاب سينتخب رئيساً. حلق ذقنه وخلع القمباز ولبس الثياب الافرنجية وجاء بسيارته. وعندما وصلنا إلى أنفه صعد إلى سيارتي. ولدى وصولنا إلى جونيه قال لي رشيد: «يجب أن أمر على فؤاد شهاب» (الذي لم يكن بعد انتخب رئيساً). مر عليه وانتظرنا نحو نصف ساعة. بعدها خرج رشيد كرامي وقال لي: «يبدو أنو مش ماشي. بيظهر ما استوت».

وصلنا إلى بيت صائب سلام فصرخ المحتشدون هناك: يعيش الافندي،

يعيش العميد، وحملونا. دخل رشيد كرامي على صائب. بحثا عشر دقائق. ثم دخلت على صائب فقال لي: «مش ماشي»، فحكيت له. إذ كان شهاب متمسكاً برشيد لأنه مدين له. ربما يومها لم يكن عبدالناصر قد وافق. طبعاً كان عبدالحميد السراج يرسل أسلحة إلى انطوان سعد لتستمر الثورة وكان الجيش يطلق النار في الهواء. ومن التاسعة صباحاً حتى الظهر كانت الكتائب تطلق النار على البسطة، ومن الظهر حتى الثالثة كان الجيش يطلق النار على الجميزة والبسطة، ومن الثالثة إلى السادسة تطلق البسطة النار على الجميزة. ولولا حياد الجيش بهذه الطريقة لما أصبح فؤاد شهاب رئيسا».

عبد الله اليافي

«رجل مستقيم وكان لوالدي ولدان روحيان هما عبدالله اليافي وحبيب أبو شهلا، لأنه كان يريد أن يخلص من طقم العائلات القديمة، وهما رجعا من فرنسا بدكتوراه في الحقوق. أعرفه منذ الصغر. في أيام شارل حلو شكل اليافي حكومة رباعية. حاول حلو تقليد شهاب في اليافي رئيساً ومعه حسين العويني وزيراً للخارجية وبيار الجميل وأنا.

اختلفت مع عبدالله اليافي بعد ضرب المطار.

وبدأت التحقيق والاهتمام بتسهيل إنزال الطائرات. طلبت من الرئيس صبري حماده أن يجمع مجلس النواب في اليوم التالي صباحاً، وكان يوم أحد، وعقد الاجتماع في قصر الأونيسكو، وحكيت القصة وهنأني كميل شمعون واحتج كمال جنبلاط على موقف الجيش وهنأني. خلال جلسة مجلس النواب دخل غابي لحود ومعه ورقة لعبدالله اليافي وهي تتحدث عن معلومات عن حشود إسرائيلية على الحدود. فقلت لعبدالله اليافي إن هذا الخبر من اختراع المكتب الثاني لوقف الجلسة ولأن النواب يوجهون انتقادات إلى قيادة الجيش.

بعد الجلسة ذهبنا إلى شارل حلو في قصر الرئاسة في سن الفيل، وكنا

عبدالله اليافي وبيار الجميل وأنا، وجاء حسين العويني. قلت للرئيس شارل حلو اطلبوا إميل بستاني هاتفيا للحضور. لم يأتِ البستاني واعتذر. قال إن لديه مراسم دفن. فتناول السماعة عبدالله اليافي وقال له: «يا مون جنرال». فضربت على الطاولة وقلت له: «قلو جنرال وليس مون جنرال». عندئذ أرجأ الرئيس حلو اجتماع مجلس الوزراء إلى الخامسة مساء.

اجتمع مجلس الوزراء فقال بستاني: «هناك أشياء لا أستطيع أن أقولها أمام أي كان». فقال له شارل حلو: «الاستاذ اده وزير ونحن نريد أن نعرف». فكرر البستاني أنه لا يستطيع أن يتحدث أمام أي كان. طالبت بأن يحال على المحكمة العسكرية، فانسحب إميل البستاني. فطلبت تقديم شكوى إلى مجلس الأمن، وفي ٣١ كانون الأول ١٩٦٨ صدر قرار عن مجلس الأمن رقمه ٢٦٢ ونص على حقنا في التعويض. أنا اقترحت أن نطلب قوات دولية ولم يوافق اليافي فقدمت استقالتي».

رفيق الحريري

«تعرفت عليه في العام ١٩٧٧ أو ١٩٧٨. كنا في عشاء مع آخرين. لم يكن في الحجم الحالي. لم أره بعد ذلك باستثناء دعوة اجتماعية لبَّيتها في منزله في ضاحية باريس. ومرت سنوات دون أن نلتقي. في أيلول ١٩٨٩ اتصل بي وقال أنا رفيق الحريري. قلت له: ما غيره صرلك زمان ما حاكي معي. فأجاب: «أريد الاطمئنان إلى صحتك فهل هذا ممنوع؟» قلت: لا ليس ممنوعاً وصحتي جيدة وأريد أن أطمئن مش رايح على الطائف، مش رايح، مش رايح. وانتهت المكالمة. أنا رفضت الذهاب لأنني لا أستطيع تصور انتقال المجلس النيابي إلى خارج البلاد للبحث في مصير لبنان. طبعاً قالوا إنه لم يكن باستطاعة المجلس الاجتماع في لبنان وأنا أقول لو رغبت أميركا لحدث ذلك».

كامل الأسعد

«كانت العلاقة معه عادية تقريباً. ربما بسبب اختلاف الأمزجة. علاقاتي مع

صبري حماده كانت أفضل على رغم كونه دستورياً. كامل الأسعد ذكي لكن مشكلته هي في اعتقاده بأن الذكاء غير موجود لدى الآخرين جميعاً. وكنت أفضل أن لا يترشح في انتخابات ١٩٩٢ لئلا يفشل».

كمال جنبلاط

«كمال جنبلاط فيلسوف كبير،وصاحب ثقافة واسعة، كان يعتبر نفسه أهم من كل الزعماء العرب وأهم من عبدالناصر. كان يقول لي: «شو دارس عبد الناصر؟» قلت له: الدستور لا يمنعك من ترشيح نفسك لرئاسة الجمهورية، وأنا سأصوت لك إذا ترشحت.

تعرفت إلى كمال جنبلاط حين كلفني والدي بمهمة لدى والدته الست نظيرة التي كانت أهم. وبعد وصولي انفجرت «قنبلة» في دار المختارة. نادت الست نظيرة يوسف الطاهي فأجابها بسيطة. وإذا بهم جاؤوا بسجادة يحملون فيها كمال جنبلاط وكان عمره ١٣ أو ١٤ عاماً. كان تعلم دروس الكيمياء ويحاول صناعة الصابون فانفجرت الماكينة. هكذا تعرفت إليه. ثم ترشح في لائحة إميل إده في ١٩٤٣، ونجح، ثم مشى مع بشارة الخوري على رغم تأييد والدته لإميل إده. وحين ولد وليد جنبلاط ذهبنا إلى المختارة. كنت أعاتب كمال لأنه يريد من وليد أن يعيش متقشفاً مثله وأن يقرأ الكتب نفسها.

سياسياً لم نكن على اتفاق. له موقف ولي موقف. كان كمال جنبلاط صعباً، لكنه كان زعيماً وجريئاً حين يقرر اتخاذ موقف».

ولو أراد العميد أن يروي قصة علاقاته، مع كل الذين ارتبط معهم بعلاقة صداقة شخصية، أو بعلاقة اتفاق أو خصام سياسي، لاحتاج لروايتها إلى صفحات كثيرة، وأيام عديدة.

وكيف إذا صمَّم أن يقصها مع أدق التفاصيل والتواريخ، وهذا ما اعتاد عليه؟

قال فيهم ...





زعيم وصاحب كلمة، ممتاز كرئيس للحكومة وجريء.



آدمي وكتير نزيه. مرن ورجل دولة.



رجل مستقيم وكان بمثابة ولد روحي لوالدي.



رجل الإنماء والإعمار. يحس مع الفقراء والبلد بحاجة إلى برنامجه.



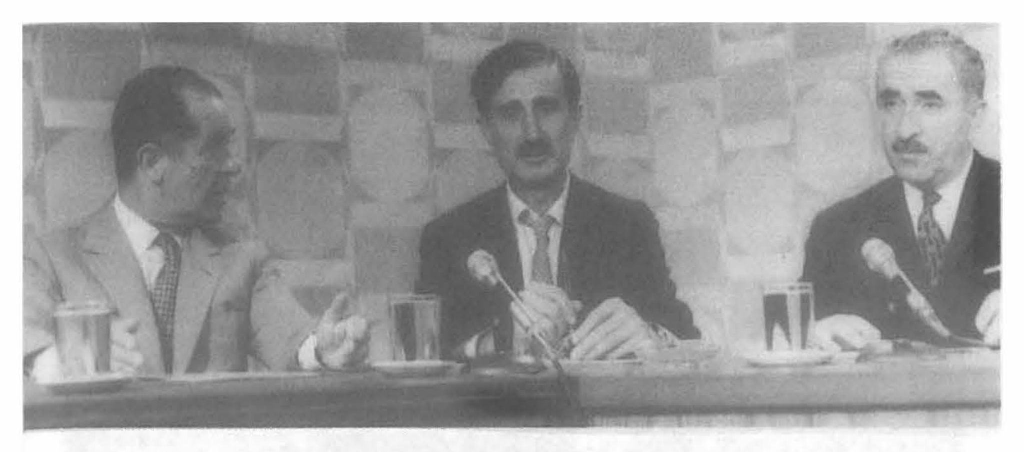
العلاقة معه عادية تقريباً ربما بسبب اختلاف الأمزجة.



فيلسوف كبير وصاحب ثقافة واسعة، كان يعتبر نفسه أهم من عبد الناصر ومن كل الزعماء العرب.



اده وسلام وكرامي.



اده وجنبلاط وكرامي في حوار سياسي في تلفزيون الشرق
في ٦ أيلول ١٩٧١.



مع الرئيس كامل الاسعد.



مع الرئيس عبدالله اليافي.

الفصل الثاني عشر

محاولات الاغتيال

ولأن العميد العنيد لا يتزحزح عن مواقفه، بل كان دائماً «حامل السلّم بالعرض» والمعارض الأول، والفاضح بامتياز لكل المخططات التي تهدف إلى ضرب المصالح اللبنانية، بدءاً من تسلمه عمادة الحزب في العام ١٩٤٩، وحتى مغادرته لبنان في كانون الأول ١٩٧٦ إلى القاهرة، ومن ثم إلى باريس، تعرض لأكثر من محاولة اغتيال، من قبل فرقاء في الداخل، وآخرين من الخارج.

المحاولة الأولى

المحاولة الأولى كانت من الداخل، والداخلين على السياسة اللبنانية لتحقيق أهداف داخلية.

فيوم الأحد ٢٣ أيار ١٩٧٦، تعرض بيت الكتلة الوطنية في جبيل لهجوم من قبل مسلحي حزب الكتائب، سقط بنتيجته عدد من الضحايا. وبعد أيام قرر العميد زيارة أهالي المغدورين لمواساتهم وتقديم التعازي، ومنازل هؤلاء تتوزع على عدد من بلدات وقرى قضاء جبيل. وفي طريق عودته إلى بيروت كمِن له «القبضايات».

صبري الهاشم، أحد مرافقي العميد يروي ما حصل: «انطلقنا من منزله الكائن في محلة الصنائع في بيروت، وقد غافلنا العميد، ودسينا داخل السيارة ٣ كلاشينكوفات ومسدساً، ولم نكن نعلم أن العميد بدوره كان يحمل مسدساً من نوع «كولت ٣٨». وكنا في السيارة: العميد إده، سعود الهاشم، عجاج ياغي،

كرم حردان، أنا والسائق، من الصنائع توجهنا إلى الصرح البطريركي حيث التقينا غبطة البطريرك الكاردينال خريش، وكان في الصرح رئيس أقليم جبيل الكتائبي آنذاك غيث خوري، وتلاسن الاثنان بحضور غبطته، ومن هناك انتقلنا إلى منزل الدكتور انطوان الشامي، حيث التقينا عدداً من الكتلويين، ومن ثم توجهنا إلى منزل ذوي الضحايا في مدينة جبيل والقرى المحيطة بها، ترافقنا سيارة مواكبة، وطوال الزيارات التي قمنا بها كانت سيارات المسلحين تراقب تحركاتنا وترصدها.

وفي طريق العودة إلى بيروت ولدى وصولنا إلى محلة نهر إبراهيم حيث كان المسلحون يقيمون حاجزاً، تعرض الموكب لإطلاق نار غزير وكانت النتيجة إصابة سيارتنا، وأفلتنا من الحاجز بعد أن تبادلت السيارة المرافقة لنا النار مع المسلحين، وبوصولنا إلى أطراف بلدة العقيبة، كان ينتظرنا كمين مسلح عمد عناصره المزودون ببنادق من نوع «أم ١٦» إلى إطلاق النار على السيارة، فأصيب العميد إده في رجله اليسرى وتبادلنا معهم إطلاق النار، وفوجئنا به يشهر مسدسه ويشاركنا برباطة جأش وشجاعة ويحرضنا للدفاع عن أنفسنا، وفور علمه بإصابته التفت إلي قائلاً: «يا صبري، دير بالك عالشباب، أنا أصبت وأنزف بغزارة».

على الاثر انتزعت قميصي وربطت ساق العميد المصابة محاولاً إيقاف النزف، كما أصيب حينها عجاج ياغي في ساقه.

ومن العقيبة طاردنا المسلحون بسيارة من نوع بيجو فضللناها، ودخلنا جونية من الطريق القديمة بعكس السير، ولما طلب منا العميد اللجوء إلى مستشفى سيدة لبنان لتضميد جروحه رفضنا، وأكملنا طريقنا في اتجاه منزل الدكتور إميل سلهب حيث تعرضنا في الضبية لإطلاق النار مجدداً من حاجز للمسلحين، أعقب ذلك مطاردتنا من قبل سيارة عسكرية، وأثر تبادل إطلاق النار معها أصيبت وانحرفت عن الطريق.

الثانية والثالثة

في منتصف شهر تشرين الثاني ١٩٧٦، كانت المحاولة الثانية من قبل داخلين إلى لبنان ولأهداف إقليمية، ولإسكات الصوت الذي يفضح المؤامرة. يومذاك أطلق مسلحون النار من رشاشات حربية على سيارته فيما كان العميد يترجل منها أمام منزله في شارع إميل إدّه. عندها تمكن العميد من النجاة بالانبطاح أرضاً، وأصيب مرافقه محمد جرادي برصاصة في عينه.

ولم يمض شهر واحد على هذه المحاولة، أي حوالى منتصف كانون الأول ١٩٧٦، كانت محاولة ثالثة، حين أطلقت النار عليه مجدداً من البناية المطلة على منزله، وهو عائد عند منتصف الليل من عشاء تلبية لدعوة أصدقاء، ولكن العميد نجا. وبعد يومين أطلقت عليه النار مجدداً. وفهم العميد معاني هذه الرسائل «المتفجرة». ومع ذلك عاند في البقاء.

دعوة السادات

في أواخر كانون الأول ١٩٧٦ تلقى العميد إدّه دعوة لزيارة القاهرة من الرئيس أنور السادات، الذي كان على علم، ليس بما يجري على الساحة اللبنانية، بل بما سيجري في الأيام والأشهر والسنوات اللاحقة.

استغرب العميد الدعوة، وروايته لمحاولات الاغتيال تحمل الآتي:

«أنا اليوم في باريس التي وصلتها في ٧ كانون الثاني «يناير» ١٩٧٧، أي منذ إحدى وعشرين سنة وبضعة أشهر، على إثر محاولتين لاغتيالي تولاهما زهير محسن أمين عام منظمة «الصاعقة» في ذلك الوقت. وإذا كنت لا أزال حياً فإن الفضل في ذلك يعود إلى الرئيس المصري السابق أنور السادات الذي دعاني في أواخر كانون الأول ١٩٧٦ لزيارة القاهرة، وكلَّف السفير المصري في بيروت إبلاغي هذه الدعوة. في البداية استغربت الأمر، واتصلت بالصديق المرحوم كمال جنبلاط الذي كان زعيماً حقيقياً على المستوى الوطني. قبل شهرين من

تسلمي دعوة السادات كان جنبلاط قد زارني ليلاً في منزلي ليقول لي: هناك أناس برسم القتل «!» وأطلعني في الوقت نفسه على لائحة أسماء كان اسمي في رأسها وتحمل اسمه أيضاً. قلت مازحاً: أنا عندي اللائحة نفسها مع فارق بسيط هو أن اسمك يتصدَّرها لا اسمي. وعلى كل حال، ما دام اسمي واسمك كلاهما في رأس اللائحة، وما دمت «معزوماً» إلى القاهرة، شرّف معي إلى مصر.. وردَّ جنبلاط: ما بقدرش يا عميد!

في القاهرة وضع الرئيس السادات في تصرفي طائرة هليكوبتر كان الرئيس نيكسون قدَّمها هدية لعبد الناصر، وقد تجوَّلت ومرافقي في منطقة النيل وزرنا أبو سمبل. وعندما عدت لأشكر الرئيس المصري على حفاوته فاجأني بالقول: «عاوز تشوف إيه؟» كان يريد إطالة إقامتي ما استطاع. قلت: يهمني أن أزور «خط بارليف» إذا أمكن برفقة ضباط قاتلوا في المعركة. فوافق بالطبع. وأذكر أنني أعجبت كثيراً بالعبور المصري للقناة، وما زلت أعتبره إنجازاً تاريخياً للقوات المصرية المسلحة. وعندما عدت مرة أخرى بقصد أن أنقل هذا الإعجاب وأودع السادات، سألني من جديد: «إنت رايح فين؟» فأجبته بلكنة لا أزال أحفظها: أنا عاوز روح بلدي.. فاعترض بسرعة وقال: «مش ممكن!» قلت: هل أنا سجين عندك؟ قال: «لا ليس الأمر بهذه البساطة». ثم نادى أحد مساعديه: «يا محمد إدِّيني الشنطة». وفتحها وأخرج لائحة الأسماء التي هي برسم القتل، وقال: «إنهم يريدون اغتيالك!» وعندما اطلعت على اللائحة فهمت أنها نسخة طبق الأصل عن لائحة جنبلاط.. وقبل أن أقول شيئاً سألني الرئيس السادات: «لماذا لا تبقى هنا وأنا أؤمن لك منزلاً وحرساً وخدماً؟»

في تلك اللحظة فكّرت من جديد بجنبلاط، واستأذنت الرئيس السادات أن أتصل من مكتبه. وأذكر أنني قلت على الهاتف: إذا أنت أتيت شكلنا هنا حكومة منفى. جنبلاط لم يقبل الفكرة، وعندما أقفلت سماعة الهاتف قلت للرئيس المصري: لا أستطيع أن أشكّل حكومة يكون فيها التوازن مفقوداً.. بعد ذلك

كلّفني السادات بمهمة لدى الحكومة الفرنسية كي يطمئن إلى أنني لن أعود إلى بيروت، وقد نجحت وشكرني».

وذكر من أسماء اللائحة: ريمون إدّه، كمال جنبلاط، بيار الجميل، صائب سلام، كميل شمعون، عبد الله اليافي... كما ذكر أن هذه اللائحة تضم اثني عشر اسماً من القياديين، من دون أن يتذكر إذا كان اسم مفتي الجمهورية الشيخ حسن خالد من بينها.

وإذا كان حسن الظن من الفطن، وبعد اغتيال كمال جنبلاط، والمفتي حسن خالد، وتعرض الرئيس كميل شمعون والشيخ بيار الجميل لأكثر من محاولة اغتيال، ومغادرة الرئيس سلام لبنان، فإن ما رواه العميد كان صحيحاً، واسمه كان بالتأكيد من بين الأسماء المسجلة على «الليستة».

دعوة الحص للعودة

يروي العميد إده ما دار بينه وبين رئيس الحكومة أثناء وجود الحص في باريس مع رئيس الجمهورية، فيقول إن الرئيس سليم الحص سأله عن أسباب عدم عودته إلى لبنان، وقد قال له العميد: إنني مستعد لأن أعود إذا ما تأمن وضع عناصر من القوى اللبنانية النظامية في منطقة الصنائع مكان الردع، وقد وعده الرئيس الحص بأن يحقق له ذلك.

وبعد أسبوع من عودة الرئيس الحص إلى بيروت، بعث الرئيس الحص بموفد إلى العميد إده يقول له إنه لم يتمكن من تنفيذ الوعد.

وقال العميد تعليقاً على ذلك: «كيف يمكنني والحال هذه أن أعود إلى منزلي في الصنائع؟».



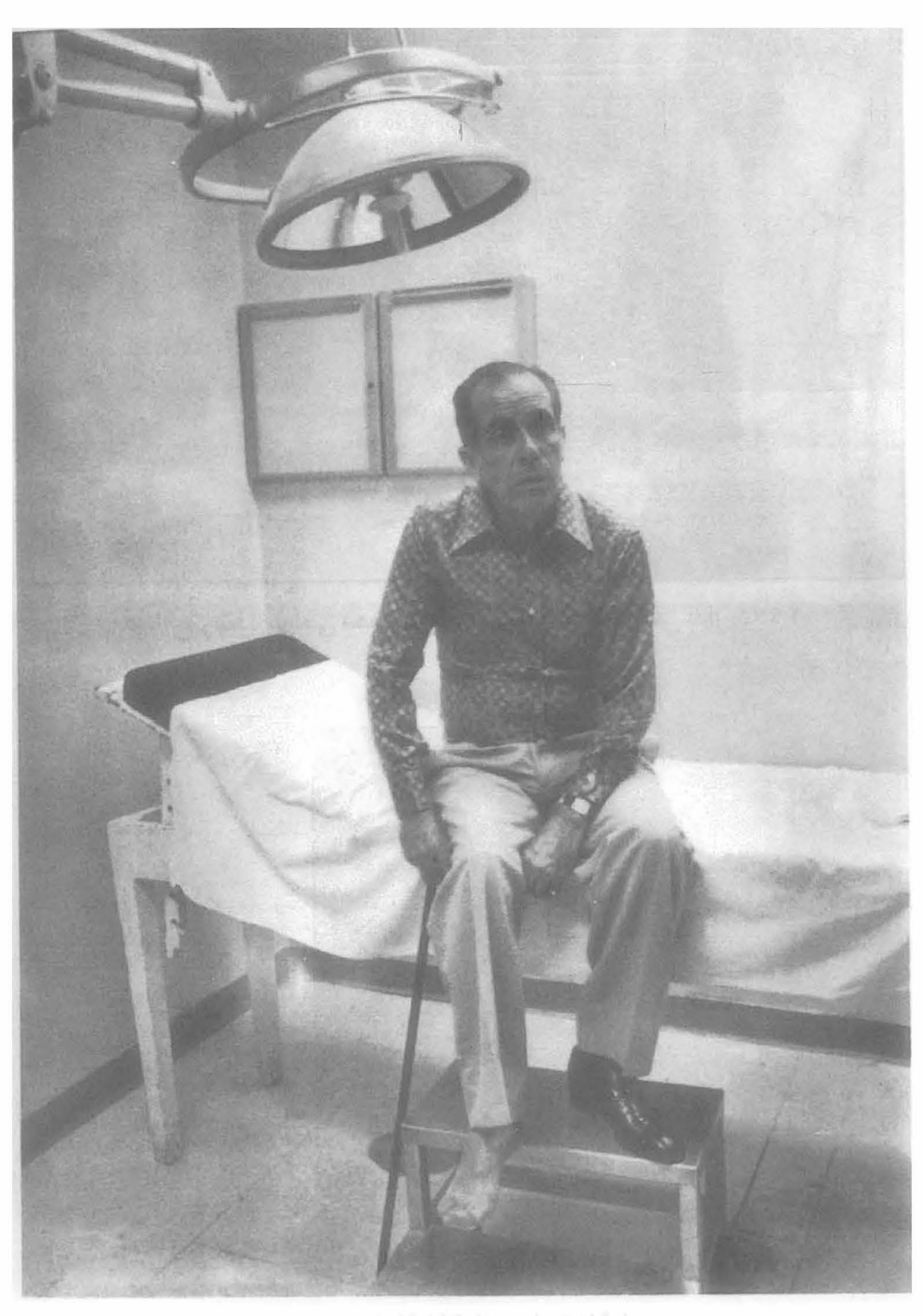
أثناء نقله إلى مستشفى الجامعة الأميركية بعد إصابته.

عرفات وسلام يزورانه في المستشفى.

يصافح رشيد كرامي بعد تعرضه لمحاولة اغتيال في أيار ١٩٧٦.



بعد محاولة اغتياله عام ١٩٧٦.



في المستشفى إثر إصابته برصاصةٍ في رجله عند محاولة لاغتياله.

الفصل الثالث عشر

في الحكومة

حكومة الرئيس رشيد كرامي

١٤/ ١٠/ ١٩٥٨ ـ ١٤/ ٥/ ١٩٦٠

الحكومة الأولى

مرسوم رقم ٣٠

إن رئيس الجمهورية اللبنانية

بناء على الدستور اللبناني

بناء على المرسوم رقم ٢٩ تاريخ ١٤ تشرين الاول سنة ١٩٥٨ القاضي بقبول استقالة الوزارة التي يرأسها حضرة السيد رشيد كرامي.

يرسم ما يأتي :

ـ المادة الاولى: عين حضرة السيد رشيد كرامي رئيساً لمجلس الوزراء.

ـ المادة الثانية: ينشر ويبلغ هذا المرسوم حيث تدعو الحاجة.

بيروت في ١٤ تشرين الأول سنة ١٩٥٨

الامضاء: فؤاد شهاب

مرسوم رقم ٣١

إن رئيس الجمهورية اللبنانية

بناء على الدستور اللبناني

بناء على المرسوم رقم ٣٠ تاريخ ١٤ تشرين الاول سنة ١٩٥٨

بناء على اقتراح رئيس مجلس الوزراء

يرسم ما يأتي :

ـ المادة الاولى: عيّن حضرات السادة.

رشيد كرامي	رئيس مجلس الوزراء وزيراً للمالية والاقتصاد الوطني والانباء.
حسين العويني	وزيراً للخارجية والمغتربين والعدلية والتصميم العام.
ريمون اده	وزيراً للداخلية والعمل والشؤون الاجتماعية والبريد والبرق والهاتف.
بيار الجميل	وزيرا للاشغال العامة والمواصلات والتربية الوطنية والصحة العامة والزراعة.

ـ المادة الثانية: ينشر ويبلغ هذا المرسوم حيث تدعو الحاجة.

بيروت في ١٤ تشرين الاول سنة ١٩٥٨

الامضاء : فؤاد شهاب

صدر عن رئيس الجمهورية

رئيس مجلس الوزراء

الامضاء : رشيد كرامي

المرسوم رقم ٢٢٧٠ بقبول استقالة السيد ريمون اده من ثلاث وزارات ٧/ ١٠/ ١٩٥٩

إن رئيس الجمهورية اللبنانية

بناء على الدستور اللبناني

بناء على استقالة حضرة الوزير السيد ريمون اده

بناء على اقتراح رئيس مجلس الوزراء

يرسم ما يأتي :

ـ المادة الاولى: قبلت استقالة حضرة السيد ريمون اده من وزارات الداخلية والعمل والشؤون الاجتماعية والبريد والبرق والهاتف.

ـ المادة الثانية: ينشر ويبلغ هذا المرسوم حيث تدعو الحاجة.

بيروت في ٧ تشرين الأول سنة ١٩٥٩

الامضاء : فؤاد شهاب

صدر عن رئيس الجمهورية

رئيس مجلس الوزراء

الامضاء : رشيد كرامي

الحكومة الثانية

حكومة الدكتور عبدالله اليافي

(٢٠/ ١٠/ ١٩٦٨ - ١٥/ ١/ ١٩٦٩)

المرسوم رقم ١١٢٢٧

إن رئيس الجمهورية اللبنانية

بناء على الدستور اللبناني

بناء على المرسوم رقم ١١٢٢٦ تاريخ ٢٠/١٠/١٩٦٨ المتضمن تعيين الدكتور عبدالله اليافي رئيساً لمجلس الوزراء.

بناء على اقتراح رئيس مجلس الوزراء.

يرسم ما يأتي :

ـ المادة الاولى: عين السادة :

الدكتور عبدالله اليافي	رئيس مجلس الوزراء، وزيراً للمالية والتربية الوطنية والفنون الجميلة وللعمل والشؤون الاجتماعية وللانباء.
حسين العويني	وزيراً للخارجية والمغتربين وللعدل والدفاع الوطني وللاقتصاد الوطني.
بيار الجميل	وزيراً للداخلية وللصحة العامة وللسياحة وللبريد والبرق والهاتف.
ريمون اده	وزيراً للاشغال العامة والنقل وللموارد المائية والكهربائية وللزراعة وللتصميم العام.

ـ المادة الثانية: ينشر هذا المرسوم ويبلغ حيث تدعو الحاجة.

سن الفيل في ٢٠ تشرين الاول ١٩٦٨

الامضاء : شارل حلو

صدر عن رئيس الجمهورية
رئيس مجلس الوزراء
الامضاء : عبدالله اليافي.

المرسوم رقم ١١٨٥٨ بقبول استقالة حكومة الدكتور عبدالله اليافي ١٥/١/ ١٩٦٩

إن رئيس الجمهورية اللبنانية

بناء على الدستور اللبناني

بناء على كتاب الاستقالة المقدم من الرئيس الدكتور عبدالله اليافي.

يرسم ما يأتي :

ـ المادة الاولى: قبلت استقالة الوزارة التي يرأسها الدكتور عبدالله اليافي.

ـ المادة الثانية: ينشر هذا المرسوم ويبلغ حيث تدعو الحاجة.

سن الفيل في ١٥ كانون الثاني ١٩٦٩

الامضاء : شارل حلو

الحكومة الثالثة

تشكيل حكومة السيد رشيد كرامي

المرسوم رقم ١١٨٥٩

إن رئيس الجمهورية اللبنانية

بناء على الدستور اللبناني

بناء على المرسوم رقم ١١٨٥٨ تاريخ ١٥/١/١٩٦٩ المتضمن قبول استقالة الوزارة التي يرأسها الدكتور عبدالله اليافي.

يرسم ما يأتي :

ـ المادة الاولى: عين السيد رشيد كرامي رئيساً لمجلس الوزراء.

ـ المادة الثانية: ينشر هذا المرسوم ويبلغ حيث تدعو الحاجة.

سن الفيل في ١٥ كانون الثاني ١٩٦٩

الامضاء : شارل حلو

تشكيل الوزارة

إن رئيس الجمهورية اللبنانية

بناء على الدستور اللبناني

بناء على المرسوم رقم ١١٨٥٩ تاريخ ١٩٦٩/١/١٥ المتضمن تعيين السيد رشيد كرامي رئيساً لمجلس الوزراء.

بناء على اقتراح رئيس مجلس الوزراء.

يرسم ما يأتي :

ـ المادة الاولى: عين السادة :

رشيد كرامي	رئيس مجلس الوزراء، وزيراً للخارجية والمغتربين.
نسيم مجدلاني	نائباً لرئيس مجلس الوزراء. وزيراً للاقتصاد الوطني.
عادل عسيران	وزيراً للداخلية.
الأمير مجيد ارسلان	وزيراً للدفاع الوطني.
بهيج تقي الدين	وزيراً للانباء.
نصري المعلوف	وزيراً للسياحة.
ريمون اده	وزيراً للاشغال العامة والنقل.
بيار الجميل	وزيراً للمالية.
عثمان الدنا	وزيراً للموارد المائية والكهربائية.
خاتشيك بابكيان	وزيراً للصحة العامة.
حسين منصور	وزيراً للتصميم العام.
رينيه معوض	وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية.
عبد اللطيف الزين	وزيراً للزراعة.

جوزف أبو خاطر وزيراً للتربية الوطنية والفنون الجميلة.

شفيق الوزان وزيراً للعدل.

ميشال المر وزيراً للبريد والبرق والهاتف.

ـ المادة الثانية: ينشر هذا المرسوم ويبلغ حيث تدعو الحاجة .

سن الفيل في ١٥ كانون الثاني ١٩٦٩.

الامضاء : شارل حلو

صدر عن رئيس الجمهورية ـ رئيس مجلس الوزراء ـ الامضاء : رشيد كرامي.

المرسوم رقم ١١٨٦١ بقبول استقالة وتعيين وزراء

إن رئيس الجمهورية اللبنانية

بناء على الدستور اللبناني

بناء على استقالة السادة : الرئيس رشيد كرامي من وزارة الخارجية والمغتربين.

نصري المعلوف : من وزارة السياحة.

ريمون اده من وزارة الاشغال العامة والنقل.

بيار الجميل من وزارة المالية.

حسين منصور من وزارة التصميم العام.

رينية معوض من وزارة العمل والشؤون الاجتماعية.

وبناء على اقتراح رئيس مجلس الوزراء :

يرسم ما يأتي :

ـ المادة الاولى: قبلت استقالة السادة :

الرئيس رشيد كرامي	من وزارة الخارجية والمغتربين.
نصري المعلوف	من وزارة السياحة.
ريمون اده	من وزارة الاشغال العامة والنقل.
بيار الجميل	من وزارة المالية.
حسين منصور	من وزارة التصميم العام.
رينيه معوض	من وزارة العمل والشؤون الاجتماعية.

ـ المادة الثانية: عين دولة الرئيس كرامي، رئيس مجلس الوزراء، وزيراً للمالية.

ـ المادة الثالثة: عين السيد يوسف سالم وزيراً للخارجية والمغتربين.

ـ المادة الرابعة: عين السيد محمد صفي الدين وزيراً للتصميم العام.

ـ المادة الخامسة: عين السيد رينيه معوض وزيراً للاشغال العامة والنقل.

ـ المادة السادسة: عين السيد حبيب كيروز وزيراً للسياحة.

ـ المادة السابعة: عين الشيخ خليل الخوري وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية.

ـ المادة الثامنة: ينشر ويبلغ هذا المرسوم حيث تدعو الحاجة .

سن الفيل في ٢٢ كانون الثاني ١٩٦٩

الامضاء : شارل حلو

صدر عن رئيس الجمهورية

رئيس مجلس الوزراء

الامضاء : رشيد كرامي

المرسوم رقم ١٣٤١٣ بقبول استقالة حكومة السيد رشيد كرامي ٢٥/١١/ ١٩٦٩

إن رئيس الجمهورية اللبنانية

بناء على الدستور اللبناني

بناء على كتاب الاستقالة المقدم من الرئيس رشيد كرامي

يرسم ما يأتي :

- المادة الاولى: قبلت استقالة الوزارة التي يرأسها السيد رشيد كرامي.

- المادة الثانية: ينشر هذا المرسوم ويبلغ حيث تدعو الحاجة.

بعبدا في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٩٦٩

الامضاء : شارل حلو

الفصل الرابع عشر

المعارِض والمعترض

«حنفية العميد»

لم يعارض العميد للمعارضة. ولم يمارس المعارضة أيضاً كهواية. بل كرجل دولة من الطراز الأول: الواضح، الجريء، النزيه، العنيد... والمدافع، بكل بما يملك من أسلحة عن لبنان وشعب لبنان. لبنان الواحد الموحَّد، الديموقراطي، السيد المستقل، الذي يحترم مصالح كل الدول، انطلاقاً من احترامهم لمصلحته.

عارض رؤساء الجمهورية، لأنهم أخلُّوا بقسمهم الدستوري، ولم يحافظوا على سيادة لبنان واستقلاله.

عارض رؤساء المجالس النيابية والنواب، لأنهم لم يكونوا على مستوى المسؤولية... والثقة التي منحهم إياها الشعب.

عارض رؤساء الحكومات والوزراء، لأنهم استهتروا بأموال الشعب ولقمة عيشه.

عارض رجال الدين، لأنهم رفضوا علمنة الدولة، لقيام وطن يربي أبناءه على الوطنية، وليس على الطائفية والمذهبية.

عارض رؤساء الأحزاب، لأنهم ارتبطوا بعلاقات، لم تكن لمصلحة لبنان الواحد الموحَّد.

عارض الميليشيات والميليشياويين، لأنهم عاثوا بالوطن دماراً وتقتيلاً، يقسمونه قطعاً يضعونها في حسابات مَنْ يحركهم.

عارض «أكلة الجبنة» من المواطنين، لأنهم يبدلون «البارودة» من كتف إلى كتف كل يوم، متناسين مستقبل عيالهم وأولادهم.

عارض «الزعران»، لأنهم يخربون الدولة: فساداً ورشوة ومؤامرات ودسائس وحرتقات.

هذا في الداخل. أمَّا في الخارج، فقد اعترض العميد على:

اعترض على التغلغل الفلسطيني المسلَّح في لبنان، لأنه أسَّس دولة في داخل الدولة، وعلى حسابها.

اعترض على الوجود السوري في لبنان، لأنه «انتداب»، يتدخَّل في كل صغيرة وكبيرة من شؤون الحكم والوطن.

اعترض على الاحتلال الإسرائيلي، لأنه ضرب لبنان ودمَّره، من أجل مصلحة إسرائيل الكبرى.

اعترض على غياب العرب وجامعتهم العربية، لأنهم لم يفهموا أن موت لبنان، يعني اختفاء هذا الوجه المشرق في هذا الشرق.

اعترض على عجز الأمم المتحدة، لأنها عجزت بالفعل، عن الذي نادت به بالقول.

اعترض على تكبّر الولايات المتحدة، لأنها «استصغرت» لبنان، وحرقته بخوراً على مذابح كل الدول الإقليمية.

اعترض على تقصير فرنسا، لأنها لم تكن «قد الحملة»، في وجه الحملات التي شنت على الوطن الفرنكوفوني.

ومَنْ لم يعارض العميد، ولم يعترض عليه؟

فقط «الأوادم» في لبنان والخارج، الذين آمنوا بلبنان «الوطن الرسالة». النموذج في تعدّد الديانات. المميّز في نظامه الديموقراطي البرلماني في هذا الشرق. المقر لكل عاشق حرية وناطق برأي حر.

لبنان الواحد الموحَّد. لبنان الحياة المشتركة.

لقد فتح العميد «حنفيته» على كل الذين لم يخلصوا للبنان ولم يضحُّوا من أجله في الداخل، وعلى كل الذين كانوا أعداءه من الخارج.

وبقيت هذه «الحنفية» مفتوحة طوال نصف قرن.

الباب الثاني

العميد مع الخارج

الفصل الأول

الفلسطينيون والعمل الفدائي

اتفاق القاهرة

الحادي والعشرون من أيار ١٩٨٧، كان يوم النصر بالنسبة للعميد، فقد صوّت مجلس النواب اللبناني، والممدد له منذ العام ١٩٧٦، على إلغاء اتفاقية القاهرة، ويعتبر العميد أن ذلك تمّ بفضل صديقه الرئيس حسين الحسيني.

فما هي قصة هذا الاتفاق، ولماذا وُقع، ومن أين ومتى بدأت تراكماته، خصوصاً السياسية منها، على الساحة اللبنانية.

تعود جذور هذا الاتفاق ـ القضية إلى تقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ وبناء على توصية الجمعية العمومية للأمم المتحدة، وفي ١٤ أيار ١٩٤٨ أعلنت الدولة اليهودية. ومع هذا التقسيم والإعلان لجأ إلى لبنان عشرات الألوف من الفلسطينيين، حيث استضافهم اللبنانيون بكل ترحاب ومودة، فهم شعب شقيق.

ومع بدايات الثورة الفسلطينية في أوائل الستينات، بدأ التحرك الفلسطيني المسلح في لبنان يثير هواجس العميد. وكان أن اتهم الرئيس شهاب بتسهيل العمل المسلح للفلسطينيين.

وليل ١٣ كانون الأول ١٩٦٤ تسلل عدد من الفدائيين إلى إسرائيل ونفذوا العمليات المطلوبة. وصدر البلاغ الأول عن القيادة العامة لقوات العاصفة. ومعه انطلقت شرارة العمل الفدائي.

ويعتبر العميد إدّه هذه الأعمال المسلحة والمنطلقة من لبنان، خروجاً على اتفاقية الهدنة بين لبنان واسرائيل الصادرة عن مجلس الأمن بتاريخ ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٨ .

يقول العميد: «أنا لست ضد الفدائيين». ولكن موافقة العميد كانت مشروطة بـ«إذا كان الفدائيون والجيش اللبناني والجيوش العربية يستطيعون منع اسرائيل من اجتياح الأراضي اللبنانية والاستيلاء على قسم منها».

في حزيران ١٩٦٥ ، وبناء على قرارات القمة العربية التي انعقدت بالإسكندرية العام ١٩٦٤ ، بدأ لبنان بتحويل مجرى الحاصباني. ونبّه العميد الرئيس شارل حلو على وجوب استدعاء البوليس الدولي لحماية هذه الأشغال. لكن ذلك لم يحصل، وقامت الطائرات الإسرائيلية بإيقاف العمل بعد أن ألقت طائراتها القنابل على الآليات الموجودة في مكان العمل.

وتقع حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ بين العرب وإسرائيل، وتحتل الأخيرة شبه جزيرة سيناء المصرية، والجولان السوري، والضفة الغربية والقدس القديمة في الأردن. ونجا لبنان لأن إسرائيل لم تحتل قسماً من أرضه.

لكن نتائج هذه الحرب انعكست سلباً عليه، حيث بدأ الكفاح المسلح الفلسطيني بالتوسع وبالتصاعد منطلقاً من الجنوب اللبناني بعمليات ضد إسرائيل، التي وجدت الحجة لتوسيع تدخلها في لبنان حتى المخيمات الفلسطينية، إلى أن ضربت ضربتها القاسية في ٢٨ كانون الأول ١٩٦٨ ، فدمرت ١٣ طائرة من طائرات شركة طيران الشرق الأوسط كانت رابضة في مطار بيروت.

تقدم لبنان بشكوى ضد إسرائيل، وأصدر مجلس الأمن القرار ٢٦٢ الذي يعتبر أن من حق لبنان المطالبة بتعويض عن الأضرار التي سببها الاعتداء.

ويوماً بعد يوم تصاعدت العمليات الفلسطينية ضد إسرائيل، فما كان من

السلطة اللبنانية، وتحت ضغط بعض الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية بقيادة «أبو عمار»، إلا الرضوخ وتوقيع اتفاقية القاهرة التي تسمح «للفلسطينيين المقيمين في لبنان بالمشاركة في الثورة الفلسطينية».

في ٣ تشرين الثاني ١٩٦٩ وُقِّعت هذه الاتفاقية في القاهرة، وقام بتوقيعها رئيس الوفد اللبناني قائد الجيش العماد إميل بستاني، ورئيس الوفد الفلسطيني ياسر عرفات.

وفي ما يلي النص الكامل لهذه الاتفاقية:

في يوم الاثنين ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ اجتمع في القاهرة الوفد اللبناني برئاسة عماد الجيش إميل البستاني ووفد منظمة التحرير الفلسطينيَّة برئاسة السيد ياسر عرفات، رئيس المنظمة، وحضر من الجمهورية العربية المتحدة السيد محمود رياض وزير الخارجية والسيد الفريق أول محمد فوزي وزير الحربية. ووقعت الاتفاقية التي عرفت فيما بعد باتفاقية القاهرة وهي التالي نصها:

انطلاقاً من روابط الأخوة والمصير المشترك فإن علاقات لبنان والثورة الفلسطينية لا بد وأن تتسم دوماً بالثقة والصراحة والتعاون الإيجابي لما فيه مصلحة لبنان والثورة الفلسطينية وذلك ضمن سيادة لبنان وسلامته. واتفق الوفدان على المبادئ والإجراءات التالية.

الوجود الفلسطيني:

تم الاتفاق على إعادة تنظيم الوجود الفلسطيني في لبنان على أساس:

١ ـ حق العمل والإقامة والتنقّل للفلسطينيين المقيمين حالياً في لبنان.

٢ ـ إنشاء لجان محلية من فلسطينيين في المخيمات لرعاية مصالح الفلسطينيين المقيمين فيها، وذلك بالتعاون مع السلطات المحليَّة وضمن نطاق السيادة اللبنانية.

٣ ـ وجود نقاط للكفاح الفلسطيني المسلَّح داخل المخيمات تتعاون مع

اللجان المحلية لتأمين حسن العلاقات مع السلطة. وتتولى هذه النقاط موضوع تنظيم وجود الأسلحة وتحديدها في المخيمات، وذلك ضمن نطاق الأمن اللبناني ومصلحة الثورة الفلسطينية.

٤ ـ السماح للفلسطينيين المقيمين في لبنان بالمشاركة في الثورة الفلسطينية من خلال الكفاح المسلَّح ضمن مبادئ سيادة لبنان وسلامته.

العمل الفدائي:

تم الاتفاق على تسهيل العمل الفدائي وذلك عن طريق:

١ ـ تسهيل المرور للفدائيين وتحديد نقاط مرور واستطلاع في مناطق الحدود.

٢ ـ تأمين الطريق إلى منطقة العرقوب.

٣ ـ تقوم قيادة الكفاح المسلَّح بضبط تصرفات كافة أفراد منظماتها وعدم تدخلهم في الشؤون اللبنانية.

٤ ـ إيجاد انضباط مشترك بين الكفاح المسلَّح والجيش اللبناني.

٥ ـ إيقاف الحملات الإعلامية من الجانبين.

٦ ـ القيام بإحصاء عدد عناصر الكفاح المسلَّح الموجودة في لبنان بواسطة قيادتها.

٧ ـ تعيين ممثلين عن الكفاح المسلَّح في الأركان اللبنانية يشتركون بحل جميع الأمور الطارئة.

٨ ـ دراسة توزيع أماكن التَّمركز المناسبة في مناطق الحدود والتي يتم الاتفاق عليها مع الأركان اللبنانية.

٩ ـ تنظيم الدخول والخروج والتجوّل لعناصر الكفاح المسلَّح.

١٠ ـ إلغاء قاعدة جيرون.

١١ ـ يسهّل الجيش اللبناني أعمال مراكز الطبابة والإخلاء والتموين للعمل الفدائي.

١٢ ـ الإفراج عن المعتقلين والأسلحة المصادرة.

١٣ ـ ومن المسلم به أن السلطات اللبنانية من مدنية وعسكرية تستمر في ممارسة صلاحياتها ومسؤولياتها كاملة في جميع المناطق اللبنانية وفي جميع الظروف.

١٤ ـ يؤكد الوفدان أن الكفاح المسلَّح الفلسطيني عمل يعود لمصلحة لبنان كما هو للمصلحة الفلسطينية والعرب جميعهم.

١٥ ـ يبقى هذا الاتفاق سرياً للغاية ولا يجوز الاطلاع عليه إلّا من قِبل القيادات فقط.

أسف «أبو عمار»

قبل أيام من توقيع هذه الاتفاقية، أي في ٢٩ تشرين الأول ١٩٦٩ صرح ياسر عرفات: «إننا نبحث منذ زمن طويل عن مفاوض مطلق الصلاحية يستطيع أن يحفظ كلمة شرف إذا أعطاها. ويؤسفني أنني وصلت إلى اتفاق مكتوب من ١٥ نقطة مع السلطات اللبنانية في نيسان الماضي. وكان هذا الاتفاق يتضمن في مجمله حرية العمل الفدائي. والمؤسف أن مرجعاً كبيراً أوقف بالهاتف الاتفاق الذي تم التوصل إليه مع العماد إميل بستاني».

وحتى الساعة يسأل معظم اللبنانيين: كيف يمكن أن تحفظ كلمة الشرف. وإذا كان «أبو عمار» قد تأسف في ذلك الوقت، فإن أسفه لم يدم إلا أياماً (التصريح في ٢٩ تشرين الأول ١٩٦٩ وتوقيع اتفاقية القاهرة تم في ٣ تشرين الثاني ١٩٦٩)، أما أسف اللبنانيين ومأساتهم فلا تزال مستمرة حتى اليوم، وربما لعقود أخرى أيضاً.

بدء الحملة

وبدءاً من هذا التاريخ، بدأ العميد حملته ضد هذه الاتفاقية، من دون هوادة، أو تراجع أو خوف، في مجلس النواب وخارجه، في لبنان، وفي منفاه الباريسي، عاملاً بكل الوسائل، مخاطباً مَنْ بإمكانه الحل والربط لإسقاطها. لكن مفاعيل هذه الاتفاقية استمرت أقل من عقدين، حتى تم إلغاؤها في مجلس النواب في ١٢ أيار ١٩٨٧ .

ويرى العميد، ولأن نظرته السياسية تُبنى على منطق تسلسل الأحداث وتقويم نتائجها، «أن كل شيء أصبح وارداً بعد توقيع الاتفاقية:

١ ـ ثورة داخلية تسندها فئة من الفدائيين الذين يقولون بتحرير لبنان من الاستعمار الأميركي «والنظام الرجعي العميل».

٢ ـ هجوم اسرائيلي على جنوب لبنان بحجة استعمال الفدائيين، بالاتفاق مع السلطات اللبنانية، أراضي الجنوب لضرب اسرائيل.

٣ ـ أحداث داخلية من نوع آخر.

كل ذلك سيخلق أوضاعا جديدة لا يمكن لأحد أن يحدد معالمها اليوم. فربما جاء وقت نسمع من الإذاعة اللبنانية «البلاغ الرقم واحد» يعلن قيام الجمهورية اللبنانية الاشتراكية، و«البلاغ الرقم ٢» يمنع التجول في جميع أنحاء لبنان إلى إشعار آخر.

بالطبع هذا في أسوأ الاحتمالات. في كل حال لا بد من مفاجآت».

ويقول العميد في أكثر من تصريح أو موقف حول العمل الفدائي والقضية الفلسطينية:

«أنا لست ضد الفدائيين إذا كان الفدائيون والجيش اللبناني والجيوش العربية يستطيعون منع اسرائيل من اجتياح الأراضي اللبنانية والاستيلاء على قسم منها. حتى الان لا أعتقد أنهم يستطيعون.

وعندما تقرر القيادة العربية الموحدة استئناف الحرب ضد اسرائيل، فعندئذ يكون من الطبيعي والبديهي أن يشترك لبنان في المعركة إلى جانب الدول العربية.

إلا أنه بانتظار ذلك، وإلى أن تقرر القيادة العربية الموحدة هذه الخطوة، لا يستطيع رجل دولة حريص على تحمل مسؤولياته أن يقبل بتعريض بلاده لخطر الاجتياح، قبل أن يكون بلده قد أعد نفسه واتخذ أقصى ما يمكن من الاستعدادات لرد كل خطر ولدرء كل اعتداء.

وكما قلت مرارا، أعود فأقول الآن إنه إذا خسر لبنان الجنوب فعندئذ يصبح كل لبنان عرضة للاجتياح، ويصبح الخطر، الذي هو الآن على الجنوب، خطراً على كل لبنان. ذلك أن لبنان آهل في كل أرضه ومناطقه ابتداء من الحدود المتاخمة للعدو. وليس في لبنان جولان أو سيناء.

أنا مع العمل الفدائي من أجل تحرير فلسطين، لكني ضد انطلاقه من الأراضي اللبنانية. لأنه، خصوصا بعد اتفاق القاهرة، يعطي اسرائيل حجة كي تنفذ مشروعها القديم، أي الاستيلاء على جنوب لبنان والسيطرة على مياه الحاصباني كخطوة أولى تليها الخطوة الثانية في الاستيلاء على الليطاني...

يقول الفدائيون إنهم دخلوا الاراضي اللبنانية بموافقة السلطات دون ان يواجههم بعد حرب ٥ حزيران أي اعتراض. ثم شعرت السلطات بعد ذلك أن الفدائيين باتوا يشكلون خطراً على البلاد بسبب إعطاء وجودهم على أرض لبنان مبررا لاسرائيل لكي تضربنا.

وباتت مشكلة الفدائيين تهدد مصلحة لبنان واللبنانيين.

نحن لا يمكننا أن نحمي لبنان من اعتداءات اسرائيل بسبب وجود الفدائيين. والدليل الهجوم الاسرائيلي الذي وقع على منطقة العرقوب، وكذلك الاعتداء الذي وقع على قرية عيترون حيث دخلها الكومندوس الاسرائيلي ونسف بعض البيوت لإرغام الأهالي على تسميه بعض الاشخاص المطلوبين. إن لبنان لا

يمكن أن يحمي الفدائيين في العرقوب. ولا هو بإمكانه أيضاً أن يحمي اللبنانيين. ولذلك، وعلى أساس هذا الوضع اقترحت بعد الغارة الاسرائيلية على المطار أن نطلب قوات دولية لحماية حدودنا من الاعتداءات الاسرائيلية.

إن مشكلة الفدائيين يجب أن تحل ليس على أساس العاطفة، لأن عاطفة جميع اللبنانيين مع الفدائيين، ولكن على أساس المنطق، وعلى أساس الحرص على مصلحة اللبناني التي ترتفع وتفوق كل مصلحة.

وإذا كنا نريد حل مشكلة الفدائيين على أساس المنطق، فإن المنطق يرفض وجود الفدائيين على أرض لبنان. والمنطق يقول: أن تطلب الحكومة اللبنانية من هيئة الأمم المتحدة إرسال قوات دولية بانتظار أن يأتي اليوم المناسب، الذي يتمكن فيه لبنان مع بقية الجيوش العربية من الهجوم على اسرائيل لاسترجاع الوطن السليب. هذا ما يقوله المنطق. أما العاطفة فقد أرجعت الجيوش والشعب العربي إلى ما كان عليه منذ ألفي سنة وسمح لمليوني اسرائيلي أن ينتصروا على مئة مليون عربي.

«أنا لم أكن مع الفلسطينيين طالما أنني لم أوافق على اتفاقية القاهرة، ولكني لم أكن ضد الفلسطينيين، وهذا يعني أني لم أقاتل الفلسطينيين لأنه لا يمكنني أن أقتل الفلسطيني طالما أن المجلس النيابي أعطاه «صك إيجار» لاستعمال الأرض اللبنانية. حصل مخالفات. الفلسطيني استعمل كل المناطق اللبنانية، ولم يحصر نشاطه في الجنوب. يومها قلت إن الحكام المسلمين من رؤساء حكومات وغيرهم موافقون على كل ما يقوم به الفلسطينيون. فلا الرئيس حلو ولا الرئيس فرنجية، وافقوا على تصرفات بعض رؤساء الحكومة. ولكن للتاريخ يجب الاعتراف أن كمال جنبلاط عندما أتى على رأس وزارة الداخلية وضع لهم حداً. لماذا؟ لأنهم يثقون به ويعرفون أنه لن يصفِّيهم. من هذا المنطلق تمكن من وضع حد لهم. كذلك كانوا يجتمعون بي ويعرفون أنني ضد الوجود الفدائي في لبنان. لكن لا أحد يلومني لأنني لبناني أريد أن أحافظ على أراضي

لبنان. ولكن لم أقاتل الفلسطينيين لأنهم حصلوا على صك إيجار. وأنا ضدهم بعدما قال كيسنجر إن الحل الوحيد هو في إسكان ٤٠٠ ألف فلسطيني في الأراضي اللبنانية... وكي يثير مشاكل طائفية اعتبر أن الحلّ الممكن والأسهل، هو الحل الذي «عمله» في قبرص، وهو أن يقسم لبنان شطرين الفاصل بينهما يكون طريق الشام على أساس القائمقاميتين بعد حوادث ١٨٤١، وهذا ما سميته مؤامرة ومشروع «قبرصة» لبنان. لم ينجح، لكنه سبب كل هذه المشاكل. ولذلك كانت إسرائيل تسمح بوصول السلاح إلى الفلسطينيين وغير الفلسطينيين عن طريق الأردن وغير الأردن، وعن طريق مرفأ صور، في حين لم تكن إسرائيل تسمح لباخرة الأرزّ أن تصل إلى مرفأ صيدا».

أزمة حكم

ويأتي العام ١٩٧٣، وتندلع شرارة الاشتباكات بين الفلسطينيين المدججين بالأسلحة والجيش اللبناني، نتيجة للتجاوزات الكثيرة التي قام بها الكفاح المسلح خارقاً بنود اتفاقية القاهرة. وانتشرت مقولة: «طريق فلسطين تمر في جونيه».

وفي ليل ٩ ـ ١٠ نيسان ١٩٧٣، قامت إسرائيل عن طريق رجال كوماندوس باغتيال ثلاثة من قادة المقاومة هم: كمال عدوان، كمال ناصر، ومحمد النجار (أبو يوسف).

ويعيش الحكم في لبنان أزمة، لم يعرف لها مثيل منذ الاستقلال. فريق مع الفلسطينيين، وآخر ضدهم. ولكن معظم أعضاء الفريقين غاص في مصالحه السياسية على حساب مصلحة لبنان: الدولة والشعب، مسلّماً زمام أموره إلى هذه الدولة الإقليمية أو تلك، مصغياً باهتمام إلى ما يقوله هذا السفير العربي، أو ذاك السفير أو الموفد الأجنبي.

وحده العميد كان وطنياً حتى العظم، رافضاً كل التوجهات والتوجيهات الآتية من الشرق أو الغرب، إلا تلك التي تتوافق مع مصلحة لبنان وشعبه. استشف وحده، وهو الذي يحلل ويمحص ويفتش ويغوص في كل شاردة وواردة

لها علاقة بوطنه، أن «الحرب الكبيرة» آتية، وأن لبنان وشعبه سيكونان الضحية الأساسية، لا بل الوحيدة لمشكلة الشرق الأوسط، وعليهم سيقع تسديد الثمن الأكبر لهذه المشكلة.

وراح العميد يحذر في مجلس النواب وخارجه، في لبنان، وفي الخارج، مجتمعاً مع هذا السفير، مراسلاً ذاك المسؤول، والجميع غائب عن سمع العميد، متوخياً مصلحته الشخصية، أو مصلحة جماعته، متخوفاً عليهما.

دولتان وأرض واحدة

وسط هذه المعمعة، ووجود دولتين على أرض واحدة، انفجرت الحرب اللبنانية في ١٣ نيسان ١٩٧٥، وركب الجميع، باستثناء العميد وقلّة ناصرته، «بوسطة» هذه الحرب. ولكن كل مجموعة تريد السير في اتجاه معاكس للأخرى: أحزاب وقوى مسيحية، أحزاب وقوى «وطنية» ويسارية، فصائل فلسطينية متعددة الارتباطات، مصلحة سورية، مصلحة إسرائيلية، ومصالح إقليمية عربية، ومصالح دولية. ولبنان هذه البقعة الصغيرة من الأرض، وهذا الشعب القليل العدد، محسود، من الأشقاء والأصدقاء والأعداء.

ويتابع العميد «مقاومته» وحيداً أعزل، إلا من ضمير وكلمة حق، ضد الفلسطينيين، وضد اتفاقية القاهرة، وضد الذين سمحوا وسهّلوا، عن قصد أو غير قصد، لهؤلاء باعتماد لبنان دولة بديلة عن دولة فلسطين، وتطبيق شعار «طريق فلسطين تمر في جونيه».

ويتعرض العميد لمحاولات اغتيال، من داخليين، لا يفقهون العمل السياسي الصحيح، وخارجيين دخلاء على الشأن اللبناني. ويغادر في كانون الأول ١٩٧٦ إلى القاهرة، أولاً، وفي كانون الثاني ١٩٧٧ إلى باريس، والحرب في بداياتها.

ومن منفاه يتابع العميد «القضية». ولكن اليد الواحدة لا تصفق، وإن

صفقت بقدرة قادر، فهي لا تربح شيئاً، طالما أن كل أيدي الإخوة والأعداء تصفع.

ومع كل محطة من الحرب، كانت قمم عربية ومؤتمرات، ولقاءات لأجنحة الحرب في لبنان برعاية إقليمية أو دولية. كلها كانت من دون جدوى. العاصفة هوجاء، وعقل الذين في مهبها، لا يحسن التخطيط أو قراءة المستقبل انطلاقاً من ماض عبر. مصالح تجمعت لضرب مصلحة واحدة: مصلحة لبنان.

وتقوم اسرائيل باجتياحها الأول في ١٥ آذار ١٩٧٨، حتى حدود الليطاني، ونتيجة لتصاعد عمليات المقاومة الفلسطينية، فاحتلت قسماً من الأراضي اللبنانية لإبعاد الفلسطينيين عن حدودها، عرف بالشريط الحدودي. وصدر عن مجلس الأمن القراران ٤٢٥ و٤٢٦ وفيهما دعوة لإسرائيل للانسحاب من الأراضي اللبنانية، مع تحديد لآلية هذا الانسحاب.

متابعة الدعوة لإبطال الاتفاق

ويتابع العميد حملته لإسقاط اتفاقية القاهرة:

«إن ياسر عرفات موجود عسكريا في الجنوب بموجب اتفاقية القاهرة. وأنا، بعد صدور القرارين ٤٢٥ و٤٢٦ في آذار ١٩٧٨، قلت إن على الحكومة اللبنانية أن تبطل اتفاقية القاهرة، لأن استمرار العمل بها يتعارض وهذين القرارين كما يتعارض مع المادة ١٠٣ من ميثاق الأمم المتحدة. ومعروف أيضاً أن اتفاقية القاهرة تتعارض كذلك ونص اتفاقية الهدنة وأحكامها. ولهذه الاسباب جميعها كان لي، ولنواب حزبي، موقف سلبي جداً من هذه الاتفاقية في مجلس النواب، وقد شرحت في حينه خطورتها على سلامة الجنوب وسلامة لبنان، واعترضت على الطريقة التي طرحت بها على التصويت (الطريقة السرية). وإذا كنت حريصاً على التذكير بهذه الحقائق فلكي يعرف الجيل الطالع من اللبنانيين ملابسات هذه الفضيحة التاريخية.

إن «أبو عمار»، إذاً، يعتبر أن هناك اتفاقية أقرَّتها الحكومة والمجلس النيابي، ولا يمكن إلغاؤها إلا عن طريق الحكومة والمجلس النيابي، فهنيئاً للذين سلموا مستقبل لبنان ولا يزالون للقيادات التي أقرت اتفاق القاهرة... وسيستمر الفلسطينيون في عملياتهم في الجنوب اللبناني مثلما يفعلون داخل الأراضي المحتلة اليوم. ويمكن أن نتصور ردود الفعل الاسرائيلية، هذه المرة شمال الليطاني.. والمصيبة يمكن أن تحصل إذا ما قصفت اسرائيل عن غير قصد بكفيا أو فقرا؟».

قيام دولة فلسطينية

ويؤكد العميد إده أنه على لبنان أن يطالب بإنشاء دولة فلسطينية لسببين على الأقل:

«١ ـ من حيث المبدأ لا يجوز أن لا يكون للشعب الفلسطيني ـ واسمه فلسطيني ـ وطن في فلسطين، فيما يهود أوروبا وروسيا، وهم غير أولاد يعقوب الـ١٢ من غير قبائل يهودا، جعلوا من فلسطين وطناً لهم.

٢ ـ من مصلحة لبنان والشعب اللبناني أن تقوم مثل هذه الدولة، لأن القسم الذي يبقى من الفلسطينيين في لبنان، بعد قيامها سيعامل على أساس قانون الأجانب، وتكون له حقوق وموجبات الأجانب في لبنان، ولا يعود الفلسطينيون المقيمون في لبنان لاجئين أو فدائيين.

وبعد قمة تونس في ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٩، التي شارك فيها لبنان، يعود العميد للمطالبة بإلغاء اتفاقية القاهرة.

«سبق وسئلت لو كنت في قمة تونس ماذا كنت فعلت؟ وقد أجبت أنني كنت انسحبت بعدما كنت طالبت بإبطال اتفاق القاهرة، لأنه بموجب المادة ١٠٣ من ميثاق هيئة الامم، تعطى الأولوية لقرارات مجلس الامن على سواها من الاتفاقات الثنائية. فبعد صدور قرارَيْ مجلس الامن رقم ٤٢٥ ورقم ٤٢٦ طالبت

بإلغاء اتفاقية القاهرة، وقد جاء القرار رقم ٤٥٠ يحيي اتفاقية الهدنة التي تمنع وجود جماعة مسلحة جنوب الليطاني ولا تسمح للجيش اللبناني والجيش الاسرائيلي بالتواجد في المنطقة الحدودية، كل ضمن حدوده إلا لعناصر دفاعية لا تتجاوز ١٥٠٠ ضابط وجندي لكل دولة... كان من واجب الحكومة أن تضع حدا لاتفاقية القاهرة، خصوصاً وأنه استنادا إلى الناحية القانونية، لا يوجد مدة تحدد مفعول هذه الاتفاقية، وهذا من عجائب الأمور...

إنني أكرر للمرة الألف أنه يجب إعلان إبطال اتفاقية القاهرة، لأن ذلك هو الخطوة الأولى في حل الأزمة. وهذا يضع حداً للقادة الفلسطينيين الذين لا ينفكون يتحدثون عن تمسكهم باتفاق القاهرة مبررين وجودهم في الجنوب بأنه شرعي استنادا إلى هذه الاتفاقية...

الدخول الإيراني

هناك خبر إرسال ألف مقاتل إيراني إلى الجنوب للدفاع عنه، وقد قرأت أن الحكومة اللبنانية لا تسمح بدخولهم، وعلى كل حال هي لا تدعي إمكانات المنع، لأنه بموجب اتفاقية القاهرة، هناك طريق خاص للمقاومة الفلسطينية أنشأها الجيش اللبناني تنفيذاً لاتفاقية القاهرة، تمتد من دير العشائر حتى العرقوب، وهذه الطريق يمكن أن يستخدمها الايرانيون إذا ما قرروا المجيء إلى لبنان، لأن هنالك تفاهما بين سوريا وإيران، وطالما أن سوريا موافقة على السياسة الايرانية، فلا أعتقد أنها سترفض وصول القوات الايرانية الى لبنان عبر حدودها. غير أنه يبقى سؤالان:

١ ـ هل ستقبل القوات الدولية تجديد ولايتها في حال وصول المسلحين الايرانيين؟ وماذا ستفعل اسرائيل أو سعد حداد بطلب من اسرائيل؟

٢ ـ وإذا انسحبت القوات الدولية ودخلت اسرائيل الجنوب ـ وهذه المرة دون أي تردد ـ ووصلت إلى الليطاني بعد تهجير مئات الالوف من الشيعة، كما حدث بعد الهجوم في آذار ١٩٧٨، فماذا سيحصل؟

هنا أقول: ما قيمة تحفُّظ الحكومة اللبنانية بخصوص البند الخامس من مقررات قمة تونس؟ لذلك سَبَقَ وقلتُ إنني لو كنت في تونس لكنت انسحبت، ولكن بوجود التحفظ اللبناني، وبعد بقاء الفلسطينيين في لبنان، يمكن الاستنتاج أن الحكومة بعدما تحفظت وافقت، إلا إذا صدر شيء جديد عن لجنة المتابعة العربية المنبثقة عن القمة، والتي باشرت أعمالها، فإنها ستحاول توضيح الوضع، وتطلب من المقاومة الفلسطينية المسلحة أن تنسحب من جنوب الليطاني، وعلينا أن ننتظر نتائج اتصالاتها وأعمالها. . .

إن الحل الوحيد من الناحية القانونية هو إبطال اتفاقية القاهرة. ولكن الحكومة لا تجرؤ على ذلك، ولجنة المتابعة وجدت لتنفذ مقررات تونس، وعلى البند الخامس منها، تحفَّظ لبنان وسيبقى متحفظا.

إن من حق المقاومة الفلسطينية أن تمارس نضالها من جميع الجبهات العربية»، هكذا ورد في مقررات تونس. واليوم هناك جبهتان متاخمتان لإسرائيل هما الجولان والأردن، وإنني أستغرب عدم موافقة سوريا والأردن على السماح للثورة الفلسطينية بأن تمارس نضالها من هاتين الجبهتين. والأفضل، تسهيلاً لذلك، أن تتبنى سوريا والأردن اتفاقية القاهرة، طالما لم تعلن الحكومة اللبنانية إبطالها، وأن تعامل سوريا والأردن الثورة الفسلطينية على أراضيها وفقاً لنصوص هذه الاتفاقية.

منذ دخولي المجلس النيابي وأنا أدق ناقوس الخطر لافتاً إلى الخطر الذي سيأتي من الجنوب ومن اسرائيل، فعام ١٩٦٤ عندما تقرر تحويل روافد نهر الأردن، طلبت من الرئيس حلو أن يطلب قوات دولية، فلم يفعل. وبعد حادثة المطار عام ١٩٦٨، طلبت من الرئيس حلو أن يطلب قوات دولية، فلم يفعل. وفي ١٥ آذار ١٩٧٨، مع هجوم الجيش الاسرائيلي الكثيف على الجنوب، طلبت من الحكومة أن تقدم شكوى إلى مجلس الأمن وتطلب قوات دولية، فلم تفعل خوفاً. . . والخدمة الوحيدة التي قدمها كارتر للبنان، أنه طلب إرسال قوات دولية

الى لبنان. هذا بإيجاز الفرق بيني وبين غيري من القيادات التي تريد أن تحتكر الوطنية. وهم مسؤولون عن ضياع جنوب لبنان، وطبعاً عن الوضع الذي أوصلوا لبنان والشعب اللبناني إليه. وقد حان الوقت لأن يضع المسؤولون والشعب اللبناني أنفسهم محل الشعب الجنوبي الذي يتلقى الضربات، الواحدة تلو الأخرى .

خروج المقاومة

في ٦ حزيران ١٩٨٢ ، كان الاجتياح الثاني والكبير للبنان، حيث دخل الجيش الإسرائيلي إلى بيروت. النتيجة اتفاق إقليمي دولي، على رأسه أميركا وإسرائيل وسوريا نص على خروج هذا الجيش من العاصمة اللبنانية والمناطق الأخرى، باستثناء الشريط الحدودي، مقابل خروج المقاومة من لبنان.

وترك «أبو عمار» «سلطنته» بيروت منتقلاً بين الدول العربية، ومبتغاه دولة فلسطينية على قسم من أرض فلسطين.

لكن العميد لم يكتف بهذا الخروج، بل تابع حملته لإسقاط اتفاقية القاهرة.

وفي ٢١ أيار ١٩٨٧ ، ألغى مجلس النواب اللبناني اتفاقية القاهرة، التي كان يعتبرها اتفاقية لها قوة القانون، طالما أنها أقرَّت في مجلس الوزراء وأقرّها مجلس النواب. أمَّا الرئيس شارل حلو فلم يعطها هذه الصفة لأنها وقعت من قِبل موظف لبناني.

ويبقى أسف العميد الذي حمله ما يقارب العقدين من الزمن (١٩٦٩ ـ ١٩٨٧) أن الوزراء والنواب الذين وقعوا الاتفاقية لم يتمكّنوا من الاطلاع على مضمونها وبنودها، في الوقت الذي كان يعرف فيه سائق عرفات كل تفاصيلها. ولولا حشرية بعض الصحف لما اطلع اللبنانيون على التنازلات التي قدمها لبنان للكفاح المسلَّح الفلسطيني على أرضه ومن أرضه.

وأسف العميد الآخر أن هذه الاتفاقية جعلت من «أبو عمار» زعيماً يوزّع المغانم والمناصب والكراسي على هذا المسؤول أو ذاك السياسي، فكان أن تهافت عليه معظم السياسيين اللبنانيين، وحتى غير السياسيين لنيل رضاه و«بركاته». . .

لقد ارتاح العميد من اتفاقية القاهرة. . . ولكن مشكلة اللاجئين، والسلاح الفلسطيني في المخيمات، وتداعيات الاتفاقات الفلسطينية ـ الإسرائيلية السرية والعلنية بقيت تشغله، لأنها تفرض بحكم الواقع مناخها السلبي على الدولة والحكم في لبنان.

مهاجمة الرئيس حلو

يعتبر العميد أن الرئيس شارل حلو هو المسؤول الأول والأساسي عن توقيع اتفاقية القاهرة العام ١٩٦٩ بصفته مؤتمناً على الدستور، ولأنه أقسم اليمين كي يحافظ على سيادة الأراضي اللبنانية. ولهذا كان يهاجمه مرّة بعد مرّة. والرئيس حلو كان يعترف «أن بعض فقرات اتفاق القاهرة زيد عليه بدون علمي»، وإن الاتفاقية لا قوة دستورية لها، لأنها موقّعة من قِبل موظف لبناني يمثل السلطات العسكرية اللبنانية.

جاء في الرد للعميد على الرئيس حلو العالم ١٩٩٦ الآتي:

أولاً: ما هي الفقرات التي أدخلت على اتفاق القاهرة بدون علمه؟

ثانياً: لماذا، برغم ذلك، وافق الرئيس شارل حلو على الاتفاق؟

ثالثاً: لماذا لم يبلغ مجلس الوزراء بهذا الأمر الخطير؟ فربما كان مجلس الوزراء عندئذ رفض أن يوافق على الاتفاق. ولكن الرئيس حلو رفض أن يطلع مجلس الوزراء على مضمونه، وهذا ما أعتبره جريمة.

رابعاً: لماذا طلب من المجلس النيابي، عن طريق رئيسه ألا يتلو نص الاتفاق على النواب؟

وقوله اليوم «إن اتفاق القاهرة ليس سوى اتفاق عقد بين السلطات العسكرية اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية لوقف ومنع الاشتباكات المسلحة بين الجيش اللبناني والفدائيين الفلسطينيين، فأنا لم أوقع أبداً هذا الاتفاق لأنني لم أعتبره يوماً معاهدة، وقد أرسل لي الأستاذ الدكتور ادمون رباط برقية هنأني فيها». قوله هذا يستوجب الرد على الأسئلة التالية:

أولاً: لماذا لا ينشر برقية الدكتور ادمون رباط؟

ثانياً: طالما أن اتفاق القاهرة ليس سوى اتفاق عقد بين السلطات العسكرية اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية، لماذا طلب موافقة مجلس الوزراء عليه؟ كان بإمكانه أن يتركه سرياً حسب المادة (١٥) منه التي تنص على ما يلي: «يبقى هذا الاتفاق سرياً للغاية ولا يجوز الاطلاع عليه إلا من قبل القيادات فقط» أي القيادات الفلسطينية خاصة، فهل هذه المادة هي من المواد التي زيدت على الاتفاق بدون علم الرئيس شارل حلو؟ وأنا أعتبر هذه المادة إهانة للشعب اللبناني.

وقد استمررت في المطالبة بإلغاء اتفاق القاهرة وإلغاء اتفاق ١٧ أيار. وكان الفضل للرئيس حسين الحسيني في إلغاء الاثنين معاً، وكان من الأفضل للرئيس شارل حلو قبل نهاية ولايته أن يلغي اتفاق القاهرة، طالما، خلافاً لما قال، وبعد مدة وجيزة، عاد الاقتتال بين الجيش اللبناني والفدائيين. وقد ذهبت إلى راشيا مرة، وحضرت بنفسي دفاع الجيش اللبناني، بكل بسالة، ضد الفدائيين الذين كانوا يطلقون النار على ثكنة الجيش هناك.

إذن اتفاق القاهرة الذي، حسب قول الرئيس شارل حلو، عقد لوقف ومنع الاشتباكات المسلحة بين الجيش اللبناني والفدائيين الفلسطينيين لم يوقف شيئاً، وكانت نتيجته أننا اعطينا حجة لإسرائيل، كما سبق وقلت، لكي تعتبر اتفاقية الهدنة في العام ١٩٤٩ ملغاة».

ويأتي الرئيس كميل شعون ليؤكد ما اعتبره العميد إده إهانة للشعب

اللبناني: يقول الرئيس شمعون بعد توقيع الاتفاقية: «الاتفاق يبدو سليماً، إنما العقدة في التنفيذ وليس النصوص. . . لم أطلع على الاتفاق بحرفيته لأنهم محتفظون بسريته ولا أريد أن أطلب شيئاً ضد المصلحة».

أما الشيخ بيار الجميل فيقول: «الاتفاق نظم كل شيء ووضع حداً للفوضى».

لقد ألغيت اتفاقية القاهرة، وخرج ياسر عرفات لتأسيس دولته على قسم من أرض فلسطين. لكن لبنان لا يزال يعاني من القضية الفلسطينية ووجود أكثر من ثلاثماية ألف فلسطيني على أرضه، على الأقل لسببين:

الأول: تعدد وتنوع ارتباطات هؤلاء الفلسطينيين.

الثاني: كثافة السلاح الموجود في المخيمات، وهذا يشكل «قنبلة موقوتة»، جاهزة للانفجار عند الطلب وعندما تحين الساعة.

فهل تعطل الأمم المتحدة، وبدعم من الولايات المتحدة، صاعق هذه القنبلة، أم أن أمريكا تضبط عقارب هذه الساعة وفق مصالحها ومصالح «سلطانها» إسرائيل؟



١٩٦٩ : زيارة العماد اميل بستاني للقاهرة قبل توقيع «الاتفاقية» بشهور.



١٩٧٣ : واحدة من التظاهرات التي قامت لشجب مقتل القادة الفلسطينيين الثلاثة.



العميد متفقداً أماكن الاشتباكات في خطوط التماس في نيسان ١٩٧٦.



١٩٨٧ : مجلس النواب يلغي كلاً من «اتفاقية القاهرة» والتفويض إلى الحكومة بشأن «اتفاقية ١٧ أيار».



اده مع أبو أياد، كمال جنبلاط، فاروق القدومي، محسن ابراهيم، البير منصور وجورج حاوي.



ومع ابراهيم قليلات.

الفصل الثاني

سوريا

في ٣٠ أيلول ١٩٤٩ انتخب العميد ريمون إدّه، عميداً لحزب الكتلة الوطنية بعد وفاة الرئيس إميل إدَّه في ٢٧ أيلول ١٩٤٩.

وفي ١٧ آذار ١٩٥٠، أي بعد أكثر من خمسة أشهر لتسلُّمه العمادة، أصدر الحزب بعد اجتماع برئاسته، بياناً رأى فيه «أن حالة الانفصال» الجمركي التي انتهى إليها لبنان مع سوريا «هي الحالة الطبيعية التي كان ينبغي أن تسود علاقته مع سوريا منذ أن أصبح سيد مصيره».

وتابع البيان: «إن حزب الكتلة الوطنية لا يجد في الانفصال ما يوجب القطيعة بيننا وبين دولة تربطنا بها كل روابط الجوار والمودة والصداقة، بل يرى في زوال الوحدة زوالاً لسبب الخلاف الوحيد الذي طالما هدد جوهر العلاقات الودية والسياسية بين البلدين.

وإنه لفي وسعنا ووسع سوريا أن نشيد علاقاتنا الاقتصادية على أسس متينة من المعاهدات الاقتصادية التي تحفظ المصلحة وتصون الكرامة، ولا تعرض باستقلال أحد البلدين ولا بسيادته».

وقبل أقل من ثلاث سنوات على وفاته، أي في ٤ حزيران ١٩٩٧، وجَّه العميد من منفاه الباريسي كتاباً إلى رئيس مجلس الوزراء رفيق الحريري حول الوحدة الجمركية مع سوريا جاء فيه:

الوحدة الجمركية

«دولة رئيس الوزراء السيد رفيق الحريري

لقد قرأت في جريدة «الأوريان ـ لوجور» تاريخ ٢ حزيران، أن السيد عمر مسقاوي، وزير النقل في حكومتكم قد اقترح «وحدة جمركية مع سوريا كما كان حاصلاً في أول عهد الانتداب الفرنسي».

أسارع إلى إبلاغكم، بصفتي عميداً لحزب الكتلة الوطنية اللبنانية، معارضتي هذه التوصية الخطيرة. لأن من الثابت منذ زمن طويل أن كل «وحدة جمركية» مع دولة أو دول عدة، تؤدي إلى «وحدة سياسية».

اكتفي بذكر سابقة واحدة تعد من الأشهر هي «ZOLLVEREIN» التي انشأت عام ١٨٣٤ الوحدة الجمركية الألمانية، بطلب من بروسيا، والتي انتهت بضم جميع الدول الألمانية إليها، مما أدى إلى قيام الوحدة الألمانية.

أنا أكيد أنكم لن توافقوا إطلاقاً على مس وحدة لبنان واستقلاله وسيادته. هذا هو السبب الذي حداني على مخاطبتكم.

تفضلوا دولة الرئيس، بقبول فائق احترامي.

ريمون إده»

وفي ١٤ شباط ١٩٩٨ وجّه العميد كتاباً مفتوحاً آخر إلى رئيس الجمهورية الياس الهراوي حول الموضوع نفسه، جاء فيه:

«حضرة السيد رئيس الجمهورية اللبنانية الياس الهراوي.

لقد قرأت في جريدة «النهار» الصادرة في تاريخ ٩ شباط ١٩٩٨، أن اتفاقاً قد عقد مع سوريا وسيرفع إلى المجلس الأعلى اللبناني السوري لإقراره، تزول بموجبه تدريجياً العوائق الجمركية بين لبنان وسوريا.

لن أدخل في تفاصيل الاتفاق المذكور الذي أجهل مضمونه، إنما أودّ أن

ألفتكم إلى أن لبنان قد استورد، عام ١٩٩٦، بضائع سورية بـ٣٠٨ ملايين دولار بينما لم يصدّر لبنان إلى سوريا سوى بـ٧٠ مليون دولار، عدا المضاربة الدائمة وغير المشروعة التي تقوم بها سوريا، وخصوصاً بالنسبة إلى الإنتاج الزراعي، رغم ما يسمَّى «الروزنامة».

أمَّا المسألة الأساسية التي أرغب في إثارتها فتتعلق بالاتفاق الجمركي الجديد الذي سيؤدي عاجلاً أم آجلاً إلى الوحدة السورية.

أنا، مع حزبي، الكتلة الوطنية اللبنانية، اليوم كما أمس، ضد الوحدة السورية، ومع لبنان، موحد، حر وسيد.

حضرة رئيس الجمهورية

اسمحوا لي أن أطلب إليكم، أن تبادروا بدون تأخير، إلى جمع لجنة مؤلفة من أساتذة في القانون الدستوري والاقتصاد السياسي للنظر في صوابية المسألة التي أثيرها.

بصفتكم رئيساً للدولة، عليكم واجب السهر على ضمان استقلال الأراضي اللبنانية وسلامتها.

تفضَّلوا، حضرة رئيس الجمهورية، بقبول فائق احترامي.

ريمون إده»

نصف قرن من العمل السياسي، والعميد لا يبدل رأيه القائم على الالتزام بالمبادئ الوطنية. هو مع حسن الجوار والعلاقات القائمة على الاحترام المتبادل مع سوريا، ولكنه في المقابل عارض أي هيمنة سورية على الحياة السياسية في لبنان.

التمثيل الدبلوماسي

في نداء إلى الأمة بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٥٢، نشر في ٢٦ نيسان ١٩٥٢ طلب حزب الكتلة الوطنية: «إبلاغ سوريا أنه إذا كانت لا تعود عن القيود التي

قيدت بها التجّار والعمّال اللبنانيين المقيمين على أرضها، فإن لبنان يجد نفسه مضطراً إلى اتخاذ تدابير مماثلة بحق السوريين المقيمين في لبنان.

وإبلاغ سوريا أن العراقيل اللامبرر لها التي تقيمها في وجه الترانزيت اللبناني سيكون لها أثر مؤسف في مستقبل العلاقات بين البلدين التي كنا نريدها أخوية صادقة.

وبالنتيجة إذا لم يعدل المرسوم الاشتراعي السوري رقم ١٥١ لمصلحة اللبنانيين، وإذا لم يسمح بحرية تنقل الأشخاص بين البلدين وفقاً لروح اتفاق ٤ شباط ١٩٥٢ يترتَّب على الجانب اللبناني أن يتخذ التدابير الآتية:

أولاً: نقض اتفاق ٤ شباط ١٩٥٢.

ثانياً: التوقّف عن تعريض المحصول الزراعي اللبناني للمزاحمة السورية.

ثالثاً: إنشاء التمثيل الخارجي بين لبنان وسوريا على نحو التمثيل الخارجي القائم بين سوريا وسائر الدول العربية لصيانة مصالح الرعايا اللبنانيين».

وفي ٢٦ كانون الثاني ١٩٥٥ عقدت بعض لجان الكتلة اجتماعاً برئاسة العميد ودرست مشروع الوحدة الاقتصادية بين سوريا ولبنان وقرّرت بالإجماع:

«**أولاً**: ردَّ كل مشروع يرمي إلى وحدة اقتصادية مع سوريا.

ثانياً: عقد اتفاقات اقتصادية تؤمن مصالح البلدين.

ثالثاً: استثناء اللبنانيين من مفعول المرسوم الاشتراعي السوري رقم ١٥١».

وبقي العميد معارضاً للوحدة الاقتصادية مع سوريا. فبعد اجتماع عقدته لجنة الشؤون الخارجية النيابية بتاريخ ٢٥ أيار ١٩٥٥ برئاسة حميد فرنجية، أدلى العميد بتصريح أكَّد فيه «إنه في طليعة الراغبين لتوثيق العلاقات الاقتصادية مع سوريا، ولكن الوسائل التي اتبعت في تنفيذ الاتفاق لا تنسجم مع روح الاتفاق».

أضاف: «هناك المرسوم الاشتراعي رقم ١٥١ والحكومة السورية، لم تتخذ

أي تدبير بإلغائه، وليس من شك أن بقاء هذا المرسوم يتعارض مع النيات الطيبة التي يجب أن تتوافر لدى السوريين من أجل التفاهم على المسائل الاقتصادية».

الجمهورية العربية المتحدة

في ٢٢ شباط ١٩٥٨ تأسَّست الجمهورية العربية المتحدة. وحدة نشأت بين مصر وسوريا، واستمرت حتى العام ١٩٦١. ولأن الناصرية كانت في عزها، خصوصاً بعد فشل الحرب الثلاثية التي قامت بها إسرائيل وفرنسا وإنكلترا، وتأميم قناة السويس، استغلت هذه الحركة لضم لبنان إلى هذه الجمهورية الحديثة العهد. وتمثّل التدخّل في الشؤون اللبنانية بتسلل الأشخاص إلى الداخل اللبناني مع تهريب الأسلحة وتوزيعها. فما كان من لبنان إزاء هذا التدخّل إلّا أن تقدّم بشكوى إلى الأمم المتحدة، نتج عنها صدور القرار ١٢٨ في ١١ حزيران ١٩٥٨، قضى بإرسال فريق مراقبة لضمان عدم تسلل هؤلاء الأشخاص. كما أنه تمَّ إعداد ستة عشر مشروع قرار ضد الجمهورية العربية المتحدة. لكن هذه المشاريع لم تطرح على التصويت بسبب الفيتو من قبل بعض أعضاء مجلس الأمن.

وتندلع ثورة العام ١٩٥٨ . ويتسلَّم العميد مهام عدة وزارات، من بينها وزارة الداخلية التي كان عليها إخماد الفتنة في البلاد عن طريق قوى الأمن الداخلي، وبعد أن امتنع اللواء فؤاد شهاب كقائد للجيش، وقبل أن ينتخب رئيساً للجمهورية، من إنزال قوى الجيش لقمع هذه الثورة.

وبالرغم من حجم المسؤولية التي كانت ملقاة على أكتاف العميد، وهو لا يرضى إلَّا بتحملها كاملة، فإنه لم ينقطع عن متابعة شؤون لبنان الخارجية. ففي ٢٥ شباط ١٩٥٩ رحَّب العميد بما جاء في خطاب الرئيس جمال عبد الناصر لمناسبة العيد القومي، حول لبنان، طالباً منه «أن يتدخَّل لدى سلطات الإقليم السوري لحل مشكلة «الترانزيت» بين لبنان وسوريا، «حلاً عادلاً وصحيحاً».

ويبدو أن الرئيس عبد الناصر ارتاح «لطلب» العميد، فقلده في حزيران من العام نفسه وشاح النيل.

وفي خطاب له، بعد انتخاب مجلس الحزب في ١٦ كانون الأول ١٩٥٩، يعود العميد ليؤكد «إن علاقاتنا مع الدول العربية ما تزال بالنسبة إلينا ترتكز على التعاون إلى أقصى حدود التعاون. ونحن نسير على هذا الأساس ونقول بالتعاون الصادق المخلص، إذ لم ولن نقبل يوماً، أن يكون لبنان منطقة انطلاق لأي عمل عدواني، من أي نوع كان، بحدوده الحاضرة، بمقدار ما هو ضرورة لبنانية فهو بالمقدار ضرورة للبلاد العربية.

هناك مشاكل كثيرة تنشأ بين الأشقاء، ولكنها كلها يمكن أن تحل بشرط واحد، وهو أن نحسن النية. خذوا مشكلة الترانزيت مثلاً، فقد قربت من الحل الذي كنا نرغب فيه، منذ زمن بعيد، وهو أن تتفق الدول العربية على توزيع منافع الترانزيت المشترك».

الوحدة والاتحاد

ويؤكد في تصريح في العام ١٩٦١ «إن الأكثرية الساحقة من الشعب اللبناني لا تريد الوحدة والاتحاد». ويرد عليه الشيخ بيار الجميل: «ما رأيكم بمطالبة النائب السيد ريمون إدّه رئيس الحكومة بالإعلان لا وحدة ولا اتحاد».

ويعود العميد ليطلب من الرئيس صائب سلام «أن يحدد لنا موقفه الرسمي من هذا الموضوع في المجلس النيابي، وإذا صحَّ أنه على استعداد لتأكيد حرص لبنان على سيادته، والبقاء ضد كل وحدة واتحاد مع أي من الدول العربية». ويرد الرئيس سلام رافضاً طرح الثقة بحكومته على أساس موضوع «لا وحدة ولا اتحاد».

ورداً على خطاب لعبد الناصر، رئيس الجمهورية العربية المتحدة، يؤكِّد العميد أن المادة الثامنة من ميثاق الجامعة العربية تقول باحترام «كل دولة من

الدول المشتركة في الجامعة نظام الحكم القائم في دول الجامعة الأخرى». ولذلك وجّه نواب حزب الكتلة سؤالاً إلى الحكومة لتوضيح هذا الموضوع.

وبعد الانفصال بين مصر وسوريا، وزوال الجمهورية العربية المتحدة طالبت اللجنة التنفيذية في حزب الكتلة بالاعتراف بسوريا «على أساس المساواة وتبادل المنافع والمصالح مع احترام استقلال وسيادة كل من البلدين... وبما أنه من سياسة الحزب أيضاً أن لا يكون لبنان قاعدة انطلاق لأي عمل عدواني، من أي نوع كان ضد جارته سوريا، وكلّفت نواب الحزب العمل لحمل الحكومة على الاعتراف بالوضع الجديد في سوريا... وإعادة العلاقات السياسية والاقتصادية بين البلدين إلى الحالة الطبيعية الودية».

ومرّة جديدة يؤيّد العميد إدّه، وبعد الانقلاب في القطر السوري، قيام تمثيل دبلوماسي بين لبنان وسوريا، ويرى «إن إنشاء تبادل دبلوماسي بين دولتين دليل على أن هاتين الدولتين تريدان توثيق علاقاتهما». كما يطالب بلقاء الرئيسين فؤاد شهاب وناظم القدسي لتحسين العلاقات بين الجارتين.

الاحترام المتبادل

وتستمر مرحلة الانقلابات في سوريا، حتى مجيء الرئيس حافظ الأسد إلى السلطة في العام ١٩٧٠. وطوال هذه المرحلة يبقى العميد على موقفه. فهو ضد أي وحدة مع سوريا، أو هيمنة لها على الدولة اللبنانية، أو تدخّل في شؤونها الداخلية. وفي الوقت نفسه، هو مع إقامة أفضل العلاقات مع الشقيقة الأقرب، انطلاقاً من المحافظة على مصالح البلدين القائمة على الاحترام المتبادل، واعترافاً بالمواثيق الدولية والجامعة العربية، ومقررات القمم العربية.

لكن سوريا، ومع بدايات العمل الفلسطيني المسلّح في لبنان، خصوصاً بعد حرب ٥ حزيران ١٩٦٧، وتصاعد العمليات الفلسطينية بعد الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة عليه، ومنها الاعتداء على مطار بيروت العام ١٩٦٩، كانت تتدخّل

بشكل مباشر وغير مباشر في السياسة اللبنانية، إمَّا عن طريق السياسيين، بعد انقسامهم إلى فريق مؤيّد للمقاومة، وفريق معارض لها، وإمَّا عن طريق دعم الكفاح المسلَّح.

في الحالتين يقف العميد ضد هذا التدخّل، لأنه لا يخدم «الوحدة الوطنية ولا السيادة اللبنانية».

التدخل

ويأتي العام ١٩٦٩، حاملاً معه اتفاقية القاهرة، وهي اتفاقيةٌ وقِّعت بين لبنان والمقاومة بضغط من الدول العربية، وسوريا تخطط لحرب تعيد ما احتلته إسرائيل في حرب حزيران العام ١٩٦٧. ويحمل العميد على كل مَنْ وقّعها ومَنْ ساعد على توقيعها، معتبراً أنها ضد المصلحة اللبنانية وتنشئ «دولة داخل دولة». مؤكداً أن هذه الاتفاقية ستجر «الويلات على لبنان وشعبه، ولن تعيد الحقوق العربية كما يظن الذين يقفون وراءها».

في العام ١٩٧٠، وبعد «أيلول الأسود» في الأردن يتدفَّق المسلَّحون الفلسطينيون إلى لبنان، لأنه المكان الوحيد وبموجب اتفاقية القاهرة، لانطلاق العمل المقاوم ضد الدولة العبرية.

ويعيش لبنان حالة من الفوضى تجلت في أزمة وزارية، وانقسام حاد في الرأي العام اللبناني الرسمي والشعبي، تجاه دعم أو عدم دعم المقاومة.

وتتوالى الزيارات الرسمية وغير الرسمية، العلنية والسرية إلى سوريا لطلب العون والمشورة في ما يجب فعله لإعادة الوضع في لبنان إلى هدوئه.

ومع هذه الزيارات، أصبح التدخّل السوري في الشؤون الداخلية اللبنانية أكثر تأثيراً، إلى أن وقعت الاصطدامات بين الجيش والمقاومة في العام ١٩٧٣، فأقفلت سوريا حدودها مع لبنان انتصاراً للفلسطينيين.

ويطلب لبنان من القاهرة التدخّل لحلِّ ازدواجية السيادة على الأرض اللبنانية. لكن مصر كانت تتهيَّأ لحرب تحرير سيناء التي احتلت في العام ١٩٦٧، ولم يكن لديها الوقت الكافي، وربما لا تريد، للمساعدة في حل ما يعاني منه لبنان.

شعار: «وطني دائماً على حق»

ومع ذلك يزور الرئيس أنور السادات دمشق، ربما لهذه الغاية، وربما للاتفاق على توقيت بدء الحرب، ويصرّح السوريون «إن اهتمامهم بسلامة المقاومة في لبنان وحرصهم على قيام حكم وطني فيه، هو جزء من اهتمامهم بتأمين الجبهة السورية في المعركة القادمة... إذ إن إسرائيل قد تلجأ إلى تطويق الجبهة السورية بالزحف من الأراضي اللبنانية».

في هذا الوقت وردًا على سؤال حول العلاقات اللبنانية ـ السورية أجاب وزير الخارجية السوري عبد الحليم خدام: «إنها ممتازة، فلبنان حبيبنا، ورئيس لبنان عزيزنا وصديقنا».

وسئل أيضاً: «وصائب بك».

أجاب: «نحن نتكلم عن رئيس لبنان».

ومع سقوط الرئيس سلام سقط الشعار الذي رفعه الرئيس فرنجية عندما تسلَّم الحكم: «وطني دائماً على حق».

زيارة سوريا

ويقوم العميد إدّه بزيارة إلى سوريا العام ١٩٧٣، موضحاً أنها شخصية، وليس بصفته عميداً لحزب الكتلة الوطنية. ويلتقي الرئيس الأسد. بعد الزيارة أوضح «إنه كان صريحاً مع السوريين، وإن الرئيس الأسد وعده خيراً بالنسبة إلى فتح الحدود المغلقة، كما وعده بأن سوريا لن تقفل أجواءها في وجه لبنان».

لكن الهيئة الدائمة التي وعد بتأسيسها الرئيس الأسد لإزالة جميع القضايا العالقة في سماء البلدين، لم تقم بالشكل الفعلي، بالرغم من أن لبنان فتح له مكتباً في دمشق. فالسوريون ماطلوا في فتح مكتب لهم في بيروت، خوفاً من أن تتحوَّل الهيئة إلى نوع من التمثيل الدبلوماسي بين البلدين، وهو أمر لا تريده سوريا.

في هذا الوقت تخوَّف العميد من التدخّل السوري المباشر في سياسة لبنان، خصوصاً بعد أن قبلت لجوء ضباط المكتب الثاني إليها قبل محاكمتهم، وتسهيلها انتقال قوات «لواء اليرموك» إلى لبنان لتشارك في المعارك الفلسطينية ضد الجيش اللبناني، وكان خدام قد وصف وضعه بـ«الهركلة».

وهكذا بقيت العلاقات اللبنانية ـ السورية بين مد وجزر، وفي معظم الأحيان متوترة، والحكم في لبنان منقسم بين مؤيّد ومعارض للكفاح الفلسطيني المسلَّح. والعميد يحذر من التدخلين السوري والفلسطيني.

ومع هذين التدخلين تبدأ الحرب في لبنان في ١٣ نيسان ١٩٧٥، وتنعقد في ٢٤ أيار من العام نفسه قمة إسلامية في عرمون برئاسة المفتي الشيخ حسن خالد بحضور ياسر عرفات، طالبت باستقالة الحكومة العسكرية برئاسة العميد المتقاعد نور الدين الرفاعي، ورشحت رشيد كرامي لرئاستها.

مبادرات

ويقوم الرئيس الأسد بمبادرات منها، المساعدة في تشكيل حكومة الرئيس كرامي في ١ تموز ١٩٧٥، وتشكيل لجنة الحوار الوطني. وفي ١٤ شباط ١٩٧٦ أعلن الرئيس فرنجية عن وثيقة الوفاق الوطني باتفاق الأطراف اللبنانيين.

جاء في وثيقة الوفاق الوطني: «لم تكن دمشق بحاجة للتعرّف إلى لبنان، فلبنان معروف الهوية لديها، ولكننا رأينا أن نعرف العالم، مرة أخرى، إلى هوية لبنان من دمشق ليعرف:

إن لبنان بلد عربي سيد ومستقل».

ويقف العميد إدّه ضد هذه الوثيقة لأنها لا تراعي مصالح اللبنانيين، ولأنه رأى فيها تفرداً للسوريين بالشأن اللبناني.

وبالرغم من هذه المبادرات السورية، فإن المشكلة اللبنانية بقيت من دون حل، لا بل زادت تعقيداً.

وإذا كانت سوريا قد سهلت العمل الفدائي في لبنان، منذ منتصف الستينات، مروراً بأيلول الأسود العام ١٩٧٠، وصولاً إلى الاصطدامات مع الجيش اللبناني العام ١٩٧٣، فإنها وقفت ضدهم في بداية الحرب اللبنانية بعد أن تعاونوا مع اليسار اللبناني والحركة الوطنية.

جبهة الاتحاد الوطني

في ١١ آذار ١٩٧٦، ولدت جبهة الاتحاد الوطني من منزل العميد وضمَّت عدداً من الشخصيات.

جاء في ورقة عمل الجبهة: «العمل من أجل انسحاب الجيش السوري من كل الأراضي اللبنانية، والمطالبة بتنفيذ قرارات الجامعة العربية».

كما اعتمدت خطة عمل فيها: «انسحاب الجيش السوري من كل الأراضي اللبنانية، على أن تحل محله قوات أمن عربية بإمرة الجامعة العربية تكفل تثبيت وقف القتال على كل الأراضي اللبنانية».

في ٢٠ تموز ١٩٧٦، ألقى الرئيس الأسد خطابه الشهير الذي أيَّد فيه الفريق المسيحي، معارضاً تحالف الفلسطينيين واليسار والحركة الوطنية.

«تذكروا أيها الإخوة، ما كان يتردَّد عام السبعين في الأردن. رفعوا هناك شعاراً أن السلطة كل السلطة للمقاومة، السلطة كل السلطة للثورة. فلسطين نحررها من عمان.

الأمر من حيث الجوهر يتكرَّر الآن في لبنان. من الذي يقف الآن في لبنان ويقول: لا لسوريا في لبنان؟ أمر عجيب غريب، يقف المتحدثون باسم فلسطين ويقولون: لا تدخلوا لبنان، ونسوا وتناسوا أو أرادونا وأرادوا العالم أن ينسى أو يتناسى، أن لبنان ليس فلسطين، وأن بيروت هي عاصمة لبنان وليست عاصمة فلسطين. . .

يذهب الفدائي الفلسطيني من سوريا إلى لبنان ليقول للجندي السوري: أخرج من لبنان».

وتدخل في ٣١ أيار والأول من حزيران قوات كثيفة سورية إلى الشمال، وتوجه إنذارات للفلسطينيين بوقف القتال. ويتوالى دخول هذه القوات وصولاً إلى صيدا.

قوات الردع العربية

وتنعقد قمة القاهرة في ٢٥ تشرين الأول ١٩٧٦، التي عرفت «بقمة لبنان» أكَّد خلالها الرئيس الأسد أن الجيش السوري دخل إلى لبنان بطلب من السلطة الشرعية اللبنانية. وتم في خلالها الاتفاق على تشكيل قوات الردع العربية لإنهاء الحرب. فكان أن انتشرت هذه القوات في ١٠ تشرين الثاني، ودخل الجيش السوري إلى بيروت.

ويبقى العميد إدّه على موقفه، وهو المطالبة بالبوليس الدولي، لحل المشكلة، منبهاً أن قوات الردع العربية لن تستمر طويلاً، وأن قوات باقي الدول التي دخلت لبنان وبأعداد رمزية ستنسحب في وقت ما، وستبقى القوات السورية وحدها في لبنان، وهذا ما حصل بالفعل.

وبالرغم من وجود قوات الردع، تدهورت الأوضاع الأمنية، وأدرك أعضاء جبهة الاتحاد الوطني، خصوصاً العميد والرئيسين سلام وكرامي أن حل المشكلة اللبنانية ليس بيد الأطراف المحليين، بل القضية إقليمية ـ دولية، ولهذا صدر عنهم

بيان عنيف شارك في صياغته إدّه وكرامي وسلام فيه احتجاج «على الاحتلال السوري لمزيد من الأراضي اللبنانية»، مطالباً بخروج الجيش السوري من لبنان محملاً الدول العربية «مسؤولية سكوتها عن الاعتداء السوري المتمادي، وتخطي السوريين للمساعي التي تجري بإشراف الجامعة العربية والسلطات اللبنانية وأمنعوا في انتهاك سيادة لبنان واستقلاله وسلامة شعبه».

وتدور المعركة... ولبنان الضحية... ويفرط عقد «جبهة الاتحاد الوطني» بخروج كرامي منها. وبعد وقت سلام. ولم يبق في ساحة هذه «الجبهة» إلّا العميد، الذي ما تزحزح أبداً عن رأيه من دخول القوات السورية إلى لبنان.

يقول العميد «... لماذا لا يزور الرئيس السوري قصر بعبدا؟».

وحين أمنت «الجبهة اللبنانية» العام ١٩٧٦ الغطاء «الرسمي» للدخول السوري إلى لبنان، رأى العميد «أن هناك تقسيماً واقعياً للبنان، فمن جهة احتلال فعلي سوري ـ فلسطيني لجانب من طريق الشام، بينما تقتصر سلطة الدولة على الجانب الآخر».

ولم يتوان العميد عن انتقاد حليفه في «جبهة الاتحاد الوطني» كرامي لأنه رفض إنزال الجيش لحفظ الأمن، كما انتقد بعض الزعماء المسيحيين لأنهم قبلوا «بالانتداب السوري»، محذراً سوريا «من التدخّل من إصلاح مؤسساتنا الوطنية فتكون أوجدت سابقة يمكن أن تنقلب عليها»، مطالباً إيَّاها الإعلان صراحة «أن لا طموح إقليمياً لها في لبنان وأنها لا تنوي احتلال جزء من أرضه».

ويغادر العميد إلى باريس في مطلع العام ١٩٧٧، ويستمر من هناك في «هجماته» على السوريين، منتقداً لا مبالاة العالم وموافقته على «فناء لبنان لتحيا إسرائيل»، «وتعهد حافظ الأسد عدم محاربة إسرائيل، إضافة إلى أن وجود جيشه في لبنان هو لتقسيمه».

قمة الرئيسين

ومن منفاه في باريس يتابع العميد اتصالاته، خصوصاً مع فرنسا والفاتيكان والولايات المتحدة، داعياً مسؤولي هذه الدول إلى التدخّل لمنع تقسيم لبنان بين إسرائيل وسوريا، ومطالباً بإرسال القوات الدولية لوضع حد للحرب اللبنانية.

في ١٦ آذار ١٩٧٧ اغتيل الزعيم اللبناني، كمال جنبلاط... والرسالة واضحة، لمن يريد من السياسيين أن يفهم...

ويأتي العام ١٩٧٨، عام يمكن أن يوصف بالكارثة بالنسبة للرئيس الياس سركيس، الذي أمضى أياماً في قصر بعبدا من دون كهرباء وماء نتيجة القصف الذي تعرَّض له.

في ٧ شباط ١٩٧٨ وقع حادث بين الجيش اللبناني والقوات السورية في الفياضية. ويكلف الرئيس سركيس الرئيس فرنجية حلّ هذه المشكلة مع الرئيس الأسد الذي كان يطالب بإعدام الضباط والجنود اللبنانيين.

في ٩ شباط يتجدَّد القصف على كل المناطق اللبنانية.

في آذار ١٩٧٨ احتلت إسرائيل الجنوب.

في ٣١ أيار قمة بين الرئيسين سركيس والأسد في دمشق ومحاولة لوقف إطلاق النار.

في ٦ تموز استقالة الرئيس سركيس.

في ١٠ تموز قصف عنيف على الأشرفية.

في ٣٠ آب اختفاء الإمام الصدر.

في أيلول اتفاقات كمب دايفيد.

في تشرين الأول نداء من الرئيس سركيس إلى الأمة، طالب فيه بإعادة انتشار قوات الردع العربية.

في تشرين الأول أيضاً قمة بين الرئيسين سركيس والأسد في دمشق.

قمتا بغداد وتونس

في ٢ تشرين الثاني انعقاد القمة العربية في بغداد بغياب مصر، تمكن في خلالها الرئيس الأسد من «اللعب» بكل الأوراق.

وعلى وقع هذه الأحداث ـ المفاجآت المتسارع، يستمر لبنان وشعبه في دوامة القتل والدمار. فالعالم الغربي مشغول باتفاقات كمب دايفيد، ومصر في قلبها تأميناً لمصالحها... ولبنان متروك إلا من المتواجدين على أرضه: إسرائيل سوريا، الفلسطينيون، ومعهم كل تناقضات العرب والميليشيات اللبنانية.

ومع هذه الأحداث انتهى «شهر العسل» تماماً بين سوريا والجبهة اللبنانية.

في العام ١٩٧٩ وبين ١٣ و١٤ أيار عقدت قمة أخرى بين الرئيسين سركيس والأسد وفي دمشق أيضاً، خصصت لبحث الأوضاع العامة في الشرق الأوسط، والأوضاع اللبنانية والحل المحتمل للمشكلة.

وفي ٢٤ أيلول ١٩٧٩ عقد لقاء بين سركيس وياسر عرفات لم يسفر عن نتيجة.

ثم تنعقد قمة تونس بين ٢٠ و٢٢ تشرين الثاني من العام نفسه، دعا فيها الرئيس سركيس الرؤساء والملوك العرب إلى فتح حدودهم ودولهم لمنظمة التحرير الفلسطينية. ولم تنقذ هذه القمة لبنان من «مصيبته».

في العام ١٩٨١، وصبيحة يوم ٢ نيسان، شنت سوريا هجوماً عنيفاً على زحلة، أكبر مدينة مسيحية لطرد القوات اللبنانية فيها.

وفي ٦ حزيران ١٩٨٢، اجتاحت إسرائيل لبنان، وصولاً إلى بيروت حيث أقام فيها وزير الدفاع الإسرائيلي عدَّة أيام. وتدخل قوات دولية إلى لبنان أميركية فرنسية إيطالية...

وفي ٢٣ آب ١٩٨٢ انتخب بشير الجميل رئيساً للجمهورية، لكنه لم يستلم الحكم، فهو اغتيل في ١٤ أيلول ولم يمضِ شهر على انتخابه، وفي ٢١ أيلول انتخب شقيقه أمين رئيساً للجمهورية.

ويعلن العميد استعداده للتعاون مع الرئيس الجديد «إذا تمكن من إخراج القوات الإسرائيلية والسورية من لبنان»، علماً أن العميد كان قد أعلن أنه يرفض ترشيح نفسيه للانتخابات الرئاسية إلّا إذا انسحب الجيشان كي يتمكَّن من ممارسة صلاحياته، موضِّحاً أنه «يهاجم حافظ الأسد دفاعاً عن سيادة بلادي، وليس لأنه عارض انتخابي رئيساً».

الجميّل: ١٢ زيارة

ويزور الرئيس الجميل دمشق خلال ولايته، اثنتي عشرة زيارة، الزيارة الأخيرة، جاءت قبل يومين من انتهاء ولايته. ومع كل هذه الزيارات لم يتمكَّن من سحب الجيش السوري من لبنان، كما يطالب العميد، بل حاولت سوريا تمرير الاتفاق الثلاثي الذي نظم في ٨ كانون الأول ١٩٨٥ بين القوات اللبنانية والحزب الاشتراكي وحركة «أمل».

وكان ذلك ردًّا على رفض الرئيس الجميل توقيع اتفاق ١٧ أيار مع إسرائيل العام ١٩٨٣.

سقوط الاتفاقين

ويقف العميد ضد الاتفاقين. الأول لأنه يضع لبنان تحت «الانتداب السوري»، خصوصاً وأن الفصل الرابع من الاتفاق تحدث عن العلاقات «المميزة» مع سوريا في مجال السياسة الخارجية والعلاقات العسكرية والأمنية (أمن لبنان من أمن سوريا وأمن سوريا من أمن لبنان) والاقتصادية والتربوية والمجال الإعلامي. كما أبقى الاتفاق دوراً لسوريا لوقف الحرب وتعزيز الأمن وتمركز قواتها في نقاط معينة.

ويقف العميد أيضاً ضد اتفاق ١٧ أيار لأنه يؤدي إلى توقيع الصلح مع إسرائيل. والعميد كان يشدّد دائماً على أن يكون لبنان آخر الموقعين من الدول العربية على اتفاق الصلح مع إسرائيل.

محطات في عهد الجميل

ويترافق حكم الرئيس الجميل مع المحطات الآتية:

في أيلول ١٩٨٢ عقدت قمة فاس في المغرب. وسوريا لا تنسحب من لبنان إلَّا بعد الانسحاب الإسرائيلي.

في ١٧ تشرين الأول ١٩٨٢ غادر الرئيس الجميل إلى واشنطن لمقابلة الرئيس ريغن.

في ١٧ أيار ١٩٨٣ توقيع اتفاق ٧ أيار بين لبنان وإسرائيل.

في ١٩ تموز ١٩٨٣ يهدد الرئيس الجميل دمشق من واشنطن.

في الأول من أيلول ١٩٨٣ وجَّه الرئيس الجميل رسالة إلى الأسد يطلب منه فيها سحب قواته من لبنان، كما طلب من ياسر عرفات سحب قواته أيضاً.

في ٤ أيلول تجدَّد القتال وطاول قصر بعبدا (معركة الجبل) ومن ثم تم وقف لإطلاق النار.

في ٢٩ أيلول ١٩٨٣ وحتى ٣ تشرين الأول عقد مؤتمر الحوار الوطني في جنيف.

في أيلول استقالة الرئيس شفيق الوزان من رئاسة الحكومة (طلب إليه تصريف الأعمال).

في ٢٣ تشرين الأول ١٩٨٣، حصلت عمليتان انتحاريتان على مقر المارينز في بيروت أدَّت إلى مقتل ٢٤١ أميركياً، و٤٨ فرنسياً (القوات المتعددة الجنسيات).

في ٢٧ تشرين الثاني يغادر الرئيس الجميل إلى واشنطن لمقابلة الرئيس ريغن.

في ١٥ كانون الثاني ١٩٨٤ عقدت قمة الدار البيضاء.

في ١٠ منه أعلنت واشنطن عن انسحاب قوات المارينز.

في ٤ شباط تجدَّد القتال وانقسام بيروت إلى شرقية وغربية.

في ١١ آذار ١٩٨٤ وحتى ٢١ منه عقد مؤتمر لوزان، والقتال دائر في بيروت الغربية.

في ٣٠ نيسان ١٩٨٤ شكِّلت وزارة الرئيس رشيد كرامي.

في ٢٠ أيلول ١٩٨٤ انفجار سيارة في السفارة الأميركية في عوكر ومقتل ٢٥ شخصاً.

في ٨ تشرين الثاني ١٩٨٤ عقدت محادثات مع إسرائيل بموجب اتفاقية الهدنة، انتهت إلى الفشل.

في ١٢ آذار ١٩٨٥ انتفاضة لسمير جعجع ضد الرئيس الجميل.

في ٢٨ كانون الأول ١٩٨٥ توقيع الاتفاق الثلاثي من قِبل القوات اللبنانية إيلي حبيقة، حركة «أمل» والحزب التقدمي الاشتراكي.

في ١٥ كانون الأول ١٩٨٦ انتفاضة لسمير جعجع، بمساعدة الرئيس الجميل ضد إيلي حبيقة.

في ١٩ نيسان ١٩٨٦ انتخب المطران شكر اللّه صفير، النائب البطريركي العام، بطريركاً على الطائفة المارونية.

في ٢٠ نيسان ١٩٨٧ عادت القوات السورية إلى بيروت.

في ١ حزيران ١٩٨٧ اغتيل الرئيس رشيد كرامي. وتكليف الوزير سليم الحص رئاسة الحكومة بالوكالة.

في ٧ آب ١٩٨٧ توفي الرئيس كميل شمعون.

في ٧ تشرين الثاني ١٩٨٧ انعقدت قمة عمان حضر الرئيس الجميل وامتنع الرئيس الحص.

في ١٨ آب ١٩٨٨ حدِّد موعد انتخاب رئيس الجمهورية لكن الجلسة لم تنعقد بسبب خطف عدد من النواب.

في ٣١ آب صدر بيان عن النواب الموازنة المجتمعين في بكركي.

في ٢٠ أيلول قام الرئيس الجميل بزيارته الأخيرة إلى دمشق، ولكن من دون نتيجة.

ويترك الرئيس الجميل الحكم، بعد أن هدَّد من نيويورك، عندما كان في زيارة لها، بضرب «الشام» من دون رئيس، (ربما كان هذا ثمن التهديد)، وسلَّم الحكم إلى حكومة عسكرية برئاسة قائد الجيش العماد ميشال عون في ٢٢ أيلول ١٩٨٨، ومن المهام الأساسية لهذه الحكومة إجراء عملية انتخاب رئيس للجمهورية.

رفض حرب التحرير

لكن هذه العملية لم تحصل، ولأسباب كثيرة وكبيرة، داخلية وخارجية، وغاياتها استمرار الحرب في لبنان، بانتظار السلم في الشرق الأوسط.

ويستمر العميد إدّه على موقفه الرافض للتدخّل السوري في لبنان، لكنه في المقابل رفض أيضاً، إعلان العماد عون حرب التحرير ضد سوريا في العام ١٩٨٩.

ويذهب نواب الأمة إلى السعودية في العام نفسه، ويوقعون هناك وثيقة اتفاق الطائف، في ٣٠ أيلول ١٩٨٩ ويعودون من هناك إلى مطار القليعات لانتخاب النائب رينه معوّض رئيساً للجمهورية في ٥ تشرين الثاني ١٩٨٩.

وبعد سبعة عشر يوماً بالتحديد، أي بعد ظهر عيد الاستقلال في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٨٩ اغتيل الرئيس المنتخب في بيروت، وزرعت الدولة لوحة تحمل اسمه في مكان استشهاده، ولكنها حتى الساعة تجهل، أو تريد أن تجهل مَنْ نفذ الاغتيال... ولماذا رينه معوض... إذا كانت تهمة الرئيس بشير الجميل أنه جاء مع «الدبابات الإسرائيلية»؟

وفي ٢٣ من الشهر نفسه، أي اليوم الثاني بعد اغتيال الرئيس معوض، انتخب مجلس النواب النائب الياس الهراوي رئيساً للجمهورية، في جلسة عقدها في فندق «بارك أوتيل» شتورا.

اتفاق الطائف

يقول العميد حول وثيقة الوفاق الوطني:

«عندما تقول وثيقة الوفاق إن سورية لا تسمح بأي عمل يهدد أمن لبنان وسيادته، فإننا نعجب كيف أن سورية لم تفعل شيئاً عندما غزت إسرائيل لبنان مرتين في ١٩٧٨ و١٩٨٢.

على كل حال أنا لا أوافق على هذه الوثيقة في ما خص صلاحيات سوريا واشتراك سوريا بسياستنا الداخلية...

أريد أن أذكر اللبنانيين بأني قلت قبل اجتماع الطائف إنه إذا تمت المصادقة على وثيقة الوفاق الوطني سيصبح لبنان مستعمرة سورية. وقد رأينا كيف أن رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة لا يمكنهما أن يذهبا إلى الخارج حتى لزيارة الدول العربية إلا بعد الحصول على موافقة النظام السوري. وربما بعد مدة سنضطر أن نعدل قوانيننا كي تصبح مطابقة للقوانين السورية استنادا إلى الباب الرابع من الوثيقة الذي ينص على «أن تقوم بين لبنان وسوريا علاقات مميزة قوتها من جذور القربى والتاريخ والمصالح الأخوية المشتركة، وهو مفهوم يرتكز عليه التنسيق والتعاون بين البلدين وسوف تجسده اتفاقات بينهما في شتى المجالات». إذن على هذا الاساس ربما طلب النظام السوري مثلاً إلغاء قانون سرية المصارف

وقانون الملكية الزراعية وقوانين أخرى في حقول الاقتصاد والتربية والجيش».

ويحدد العميد لرفضه الذهاب إلى الطائف سببين يقول: «أمَّا السبب الثاني لعدم ذهاب إلى الطائف لأنني وجدت في مشروع الطائف أي مشروع وثيقة الوفاق الوطني اللبناني وتحديداً الفصل الثاني عبارة «انسحاب الجيش السوري»، وأن هذه العبارة استبدلت بعبارة أخرى «إعادة تمركز القوات السورية في منطقة البقاع ومدخل البقاع الغربي في ضهر البيدر حتى خط حمانا ـ المديرج ـ عينداره، وإذا دعت الضرورة في نقاط أخرى يتم تحديدها بواسطة لجنة عسكرية لبنانية سورية مشتركة»...

عندما علمت أنه لا يمكن للنواب تعديل هذا الفصل الذي، بعد اجتماع الرئيس السوري حافظ الأسد مع وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل في دمشق حيث عرض هذا الأخير مشروع الوثيقة على الرئيس الأسد، فاستوضحه الأسد قائلاً له ـ كما روي لي ـ: إن سوريا لا تغزو لبنان، فإنها دخلت بناء على طلب الشعب اللبناني».

معاهدة الأخوَّة واتفاق الدفاع

في ٢٢ أيار ١٩٩١ وقَّع الرئيس الياس الهراوي والرئيس حافظ الأسد معاهدة الأخوة والتعاون والتنسيق بين الجمهورية اللبنانية والجمهورية العربية السورية. وصدقها مجلس النواب اللبناني بتاريخ ٢٧ منه.

جاء في المادة الرابعة من هذه المعاهدة: «تقرر الحكومتان السورية واللبنانية إعادة تمركز القوات السورية في منطقة البقاع ومدخل البقاع الغربي في ضهر البيدر، حتى خط حمانا ـ المديرج عين داره، وإذا دعت الضرورة في نقاط أخرى... كما يتم اتفاق بين الحكومتين يجري بموجبه تحديد حجم ومدة تواجد القوات السورية في المناطق المذكورة أعلاه وتحديد علاقة هذه القوات مع سلطات الدولة اللبنانية في أماكن تواجدها».

ولتنفيذ أحكام هذه المعاهدة أنشئت أمانة عامة يترأسها أمين عام يسميه المجلس الأعلى المكوَّن من رئيسي البلدين ورئيسي مجلسي النواب فيهما، ورئيسي الحكومة ونائبيهما.

وبعد هذه المعاهدة وقَّع لبنان وسوريا اتفاق الدفاع والأمن.

نــداء

في ٢٩ كانون الثاني ١٩٩٦ وجَّه العميد إلى اللبنانيات واللبنانيين النداء الآتي:

«أيها اللبنانيات واللبنانيون

ينبغي عليَّ اليوم أن أتوجه إليكم لأن استقلال لبنان وسيادته في خطر.

يفترض بكم أن تعرفوا أن حلم سوريا كان دائماً تحقيق الوحدة السورية على حساب لبنان، أولا، ثم تحقيق «سوريا الكبرى».

بعد «اتفاق الطائف» الذي حصل بإيحاء من سوريا، وبعد اجتماع المجلس الأعلى اللبناني ـ السوريّ المنعقد خلال اليومين الأخيرين في دمشق، حيث تمثل لبنان برؤسائه الثلاثة، فإن اتفاقات مختلفة ستعقد تتعلق خصوصا بإنشاء سوق مشتركة محصورة بلبنان، وبإنشاء مراكز حدودية مشتركة بغية التوصل إلى تعاون أوثق...

والأسوأ من ذلك أن لبنان دعا سوريا إلى تسوية الأزمة المتعلقة بالإعلام المرئي والمسموع، وإلى التدخل في إعداد قانون الانتخاب في ضوء الانتخابات التشريعية سنة ١٩٩٦.

ومن المحتمل أن تكون قضايا داخلية أخرى عرضت للتداول.

وبهذا العمل، يكون رئيس الجمهورية الياس الهراوي خرق نص قَسَمِهِ الدستوري الذي يلزمه الحفاظ على استقلال لبنان.

بعض الاتفاقات يمس أيضاً بسيادة الدولة اللبنانية ويضعف موقع لبنان في المفاوضات المقبلة مع إسرائيل، إذا حصلت هذه المفاوضات يوما.

أيها اللبنانيات واللبنانيون،

إذا كنتم تريدون إنقاذ استقلال لبنان وسيادته، فما عليكم سوى أن تواجهوا منذ الآن، بكل الطرق الديمقراطية، التحضير لهذه الجريمة. راجياً أن تفكروا في مستقبل أولادكم».

ويتساءل العميد عن «فائدة الاتفاق الدفاعي بين لبنان وسورية ووجود ٤٠ ألف جندي سوري على الأراضي اللبنانية، في حين أن سوريا لم تحرك أحداً منهم دفاعا عن لبنان، كما أنها لم ترسل أي طائرة عسكرية من قواتها الجوية دفاعاً عن بلدنا، ولم تحاول إسقاط المروحيات التي قصفت الضاحية الجنوبية لبيروت، خصوصاً أنه من السهل لأية طائرة حربية أن تسقط مروحية عسكرية».

ويقول: «لسورية حسبما قرأت أكثر من ٥٠٠ طائرة عسكرية ولم تستعملها مرة واحدة دفاعاً عن لبنان، فما هو السبب؟ وما هو أيضاً سبب عدم تدخل الطيران السوري كلما شنت إسرائيل في الماضي والأمس هجوماً جوياً أو برياً على لبنان؟ فهل تريد أن تجد مبرراً لمصالحة اسرائيل؟»

ويضيف: «لقد أيدت من اللحظة الأولى الرئيس حافظ الأسد عندما قال: انسحاب كامل من الجولان في مقابل سلام كامل».

ويرحل العميد، وتبقى سوريا في لبنان. يرحل ولم يتمكَّن من معرفة إذا كان انتهاء الاحتلال الإسرائيلي للجنوب والبقاع الغربي سيؤدي إلى مغادرة القوات السورية الأرض اللبنانية، أم أن وجودها سيبقى، طالما أن الجولان محتل، وطالما أن إسرائيل تراوغ في إعادة الحق العربي لأصحابه استناداً إلى سلام شامل وعادل في الشرق الأوسط.

وبقدر ما كان العميد واضحاً وصريحاً في اعتبار إسرائيل العدو الأول

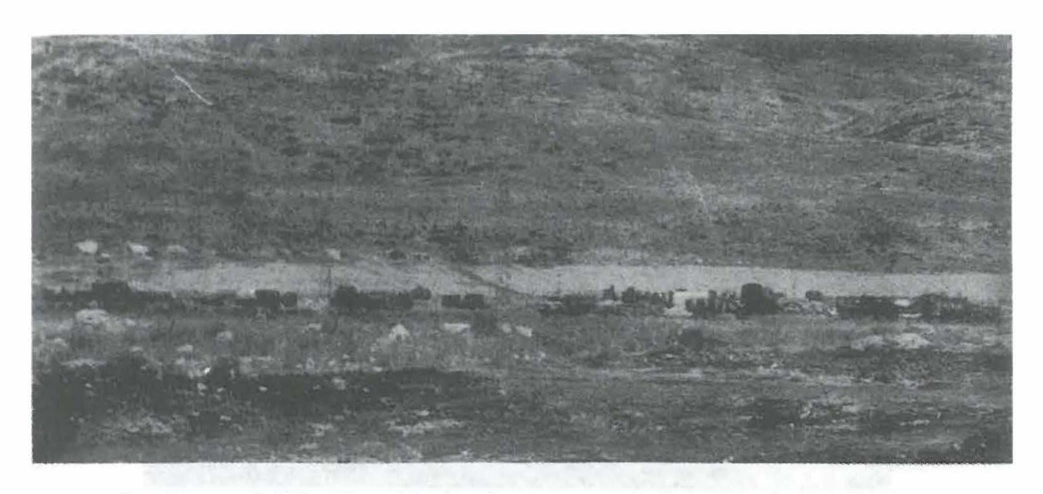
للبنان، فإنه كان واضحاً وصريحاً في التحذير من الدور السوري في لبنان، منذ نصف قرن، لجهة أبعاده وغاياته وأهدافه من خلال تدخّله في الشؤون اللبنانية الداخلية، ومن ثم تواجد القوات السورية على الأرض اللبنانية بدءاً من العام ١٩٧٥. ومع هذا التحذير، كان العميد جريئاً في الدعوة، ورغم المأساة اللبنانية، إلى إقامة أفضل العلاقات وأمتنها بين البلدين، على قاعدة الاحترام المتبادل، وتطبيق ما جاء في ميثاق جامعة الدول العربية، وفي ميثاق الأمم المتحدة والمعاهدات الدولية.

فهل تتحقَّق أمنية العميد في يوم من الأيام..؟ والتي حملها في قلبه وضميره وعقله طوال نصف قرن؟



مع الإمام موسى الصدر عام ١٩٧٤.

أثناء اعتصام العاملية مع موسى الصدر في حزيران ١٩٧٥.



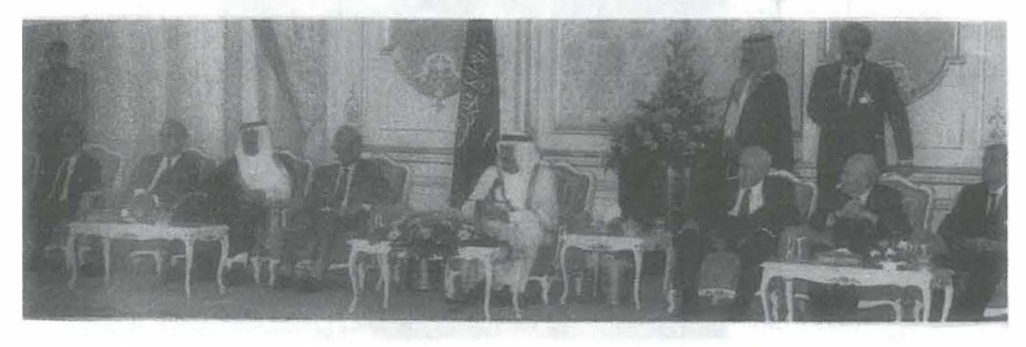
١٩٧٦ : قوات الجيش السوري تدخل الاراضي اللبنانية عبر المصنع.



١٩٨٣ : توقيع اتفاقية «١٧ أيار» بين لبنان وسوريا برعاية اميركية.



١٩٨٥ : نائب رئيس الجمهورية العربية السورية السابق عبد الحليم خدام يتوسط أركان «الاتفاق الثلاثي»، وليد جنبلاط، نبيه بري وإيلي حبيقة.



١٩٨٩ : في الطائف مع الملك فهد بن عبد العزيز وولي العهد الامير عبدالله.



١٩٩١ : توقيع معاهدة الأخوة والتعاون والتنسيق بين لبنان وسوريا في دمشق.

الفصل الثالث

العــرب

التزم العميد، واستناداً إلى الأطر السياسية للحزب «حياد لبنان التام إزاء ما يفرق العرب، مع سعيه لإقرار السلام بينهم والوئام، لأن سياسته إزاءهم يجب أن تقوم على المحبة والخدمة للجميع».

وإذا كان العميد قد حاول أن يكون لبنان على الحياد بين الدول العربية، فإن الحكم في بعض هذه الدول، لم يكن حيادياً في تدخله في شؤون لبنان السياسية الداخلية.

لبنان ضحية العرب

فمن حلف بغداد، إلى الناصرية، والفلسطينيين والسوريين والعراقيين والليبيين... كان لبنان دائماً ضحية تدخّلهم في شؤونه السياسية، دعماً لهذا الفريق، أو معارضة لذاك. ومع كل دعم ومعارضة، تحقق انقسام داخلي، ودفع اللبنانيون ثمناً غالياً.

فثورة ١٩٥٨ ارتبطت بحلف بغداد. وانقلاب الحزب السوري القومي الاجتماعي العام ١٩٦٢ على الرئيس فؤاد شهاب تكوَّن نتيجة تمدد الناصرية ودعوتها للوحدة العربية بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا. والأحداث التي انفجرت بعد منتصف الستينات، وولدت الحرب اللبنانية، تفاقمت بعد قيام «الدولة» الفلسطينية في داخل الدولة اللبنانية.

ثم هبت عاصفة الحرب اللبنانية، وكان تدخّل سوري وعراقي وليبي...

ومع ذلك أيَّد العميد معاهدة الدفاع المشترك التي وقِّعت بين الدول العربية الخمس في العام ١٩٥٠، ومن بينها لبنان. كما أيَّد تطبيق ميثاق الجامعة العربية الذي يؤكّد على احترام الدول العربية لبعضها البعض، وعدم تدخّل إحداها في شؤون الأخرى.

يقول العميد: «نحن حريصون، ونبرهن عن حرصنا دائماً وفي كل مناسبة، على توثيق التعاون العربي، معتبرين أن مؤتمرات الملوك والرؤساء العرب ومقرراتهم وسيلة خيرة لتدعيم التعاون العربي وصيانته لمجابهة الخطر الإسرائيلي المشترك. كما أننا حريصون على احترام المواثيق الدولية والإقليمية التي دخل فيها لبنان بملء إرادته واختياره وهي:

١ ـ ميثاق منظمة الأمم المتحدة.

٢ ـ ميثاق جامعة الدول العربية.

٣ ـ ميثاق الدفاع العربي المشترك.

٤ ـ مقررات مؤتمرات القمم العربية».

وتقع حرب القناة في العام ١٩٥٦، ويؤيّد العميد إدّه القرار المصري في تأميم قناة السويس، لأنها أرض مصرية، ويعارض بشدة الحرب الثلاثية الفرنسية، الإنكليزية، الإسرائيلية على «هذه الدولة العربية».

لكن مصر عبد الناصر، لم تبادل لبنان التحية بمثلها، بل عملت على التدخّل لصالح فريق لبناني ضد فريق لبناني آخر في ثورة العام ١٩٥٨، والجميع يتذكَّر دور السفير المصري عبد الحميد غالب.

وعندما قامت الوحدة، بين مصر وسوريا، وزار الرئيس عبد الناصر دمشق، عاصمة القطر السوري، بصفته رئيساً للجمهورية العربية المتحدة، نصح العميد الرئيس فؤاد شهاب بعدم الذهاب إلى العاصمة السورية للقاء الرئيس عبد الناصر، مقترحاً عليه عقد اللقاء في خيمة على الحدود الفاصلة بين لبنان وسوريا. وهكذا كان.

وتنطلق الثورة الفلسطينية في لبنان، والاعتداءات الإسرائيلية، في الستينات، ويتعاظم اندفاعها بعد حربي العام ١٩٦٧ والعالم ١٩٧٣. ويدفع لبنان الثمن ويقف العرب إلى جانب الثورة، بدلاً من الوقوف إلى جانب سيادة لبنان واستقلاله.

قمم عربية وتقصير

ومع هذه الأحداث والاعتداءات والحروب المتكررة، وبعد اندلاع الحرب اللبنانية، تعقد عشرات القمم العربية واللقاءات على مستوى الوزراء والمندوبين، وتطرح فيها عشرات المبادرات، ويرسل المبعوثون لدراسة الوضع اللبناني «ميدانياً»، واقتراح الحلول لإخراج لبنان من محنته. لكن المعالجة تبقى قاصرة، عن إرادة في بعض الأحيان، وعن تقصير في أحيان أخرى، أمام تشعب المؤامرة ودقَّة حياكتها. ويعود العرب إلى «منازلهم» تاركين لبنان غارقاً في ظلمة حربه.

يتَّخذون القرارات في القمم العربية ولا ينفذونها.

تجتهد الجامعة العربية في إيجاد الحلول، لكنها تبقى في أدراجها في القاهرة، ومن ثم في تونس، ثم القاهرة.

يتعهَّد الأغنياء من بين الأشقاء في مساعدة لبنان، ولا يدفعون إلَّا النزر اليسير.

ترسل قوات الردع العربية لإيقاف الحرب من بدايتها. لكنها تعود إلى ثكناتها، لأن مسؤولي هذه الدول لا يريدون الغرق في وحول الحرب اللبنانية.

يختلفون في كل مكان، ويتقاتلون في لبنان.

يقول العميد:

«من المؤسف أن انتماء لبنان إلى الدول العربية لم يمكنه من الحصول على مساندتها لمقاومة العدو المشترك والمحافظة على سيادة أرضه، إن على صعيد بعض الدول العربية أو على صعيد إسرائيل.

فلم يستفد لبنان من معاهدة الدفاع العربي المشترك، على رغم أن المادة الثانية منها تنص على ما يلي:

«تعتبر الدول المتعاقدة كل اعتداء مسلح يقع على أي دولة أو أكثر منها أو على قواتها اعتداء عليها جميعاً، لذلك تلتزم بأن تبادر إلى معونة الدولة المعتدى عليها، وتستخدم كل ما لديها من وسائل بما في ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولإعادة الأمن والسلام إلى نصابهما».

ويذكر: «لقد اعتدى العرب وإسرائيل على لبنان، وكانت النتيجة لدى العرب اللامبالاة، بقطع النظر عن إرسال الأموال والأسلحة إلى بعض الفئات، اعتقاداً منهم بأنهم بهذه الطريقة قد أراحوا ضميرهم. واللامبالاة العربية تجسدت اليوم في إدارة الظهر إلى أكبر قضية لديهم منذ أكثر من ٣٠ سنة وهي قضية الشعب الفلسطيني الذي طُرد من بلاده، وله حق العودة إليها. هذه القضية انتهت كما هو حالها اليوم في البارد والبداوي وطرابلس، بالدم، دم عربي، من دون أن تجتمع الجامعة العربية أو مجلس الدفاع العربي المشترك لوضع حد للاقتتال بين العرب، تماماً كما أداروا ظهرهم إلى القضية اللبنانية».

وفي هذا الصدد أرسل العميد إلى محمود رياض، أمين عام الجامعة العربية برقية في ٢٧ آذار ١٩٧٨، هذا نصّها:

«في الوقت الذي تسلمت فيه الجامعة طلباً من لبنان لتجديد مهمة قوات الردع العربية، اسمح لنفسي بأن ألفت انتباهكم إلى ضرورة تعديل في تكوين أفرادها، بحيث تتألف من عناصر تابعة لعدة دول عربية، لتستطيع اتمام مهمتها بنجاح، دون أن تتهم بأنها جيش احتلال».

بكل احترام

ريمون إدّه

٢٧ آذار ١٩٧٨

رابحان وخاسر

وبعد مؤتمر قمة عمان في العام ١٩٨٧، الذي حضره الرئيس أمين الجميل، ورفض رئيس الحكومة الدكتور سليم الحص المشاركة فيه، علّق العميد:

«هناك رابحان: الملك حسين والرئيس حسني مبارك. والخاسر هو لبنان. وكان على الجميل قبل ذهابه إلى عمان أن يتفق مع الملك حسين وغيره من الرؤساء العرب على القرار الذي سيتخذ في شأن لبنان. لكن القرار الذي اتخذ هو تمنٍّ. كذلك كان على الجميل أن يطالب بتنفيذ معاهدة الدفاع المشترك في ما خص لبنان الجنوبي. وأنا في المناسبة أقترح إلغاء هذه المعاهدة. وأنا أتساءل ما هي قيمة مشاركة الرئيس الجميل في قمة عمان ما دام الرئيس الحص والوزير جنبلاط والوزير بري أرسلوا مذكرات إلى القمة؟!.

ماذا فعلت الجامعة

ويتساءل عميد حزب الكتلة الوطنية النائب ريمون إده: «ماذا فعلت جامعة الدول العربية، وماذا تنوي أن تفعل ليتحرر لبنان من الاحتلال الإسرائيلي؟» ويطالب «الجبارين بالضغط على إسرائيل لسحب جيشها من لبنان وعلى سوريا لتحذو حذوها واتخاذ التدابير العسكرية اللازمة للحلول محل القوات السورية في انتظار توحيد الجيش اللبناني».

ويلاحظ أن «هذا الاجتياح (العام ١٩٨٢) الأخير تم على رغم وجود القوات الدولية في الجنوب وكان عددها آنذاك سبعة آلاف جندي، وتسبب في مقتل أكثر من عشرين ألفاً. والسؤال الذي يبقى مطروحاً في استمرار هو: ماذا فعل وماذا سيفعل النظام السوري بعد اجتماع الطائف؟ وهو نظام يحتلنا بحجة المحافظة على وحدة الوطن وسيادته واستقلاله، إنما في عمق تفكيره يريد ضم لبنان كما سبق لوزير الخارجية السوري السيد عبد الحليم خدام أن صرح للصحف في ٧ كانون الثاني ١٩٧٦ إذ قال: «في حال تقسيم لبنان ستضم سوريا، من دون أي تردد، لبنان الذي هو قطعة منها.

ماذا فعلت وماذا تنوي أن تفعل جامعة الدول العربية التي وقعت معاهدة الدفاع المشترك كي يتحرر جنوب لبنان من الاحتلال الإسرائيلي؟

ماذا ستفعل «الترويكا» العربية من الآن وصاعداً وهي التي وضعت وثيقة الوفاق الوطني الشهيرة التي تقول إن سوريا لا تسمح بأي عمل يهدد أمن لبنان؟ فـ«الترويكا» العربية لا يمكنها أن تفعل شيئاً ضد إسرائيل ما دامت الولايات المتحدة حليفتها».

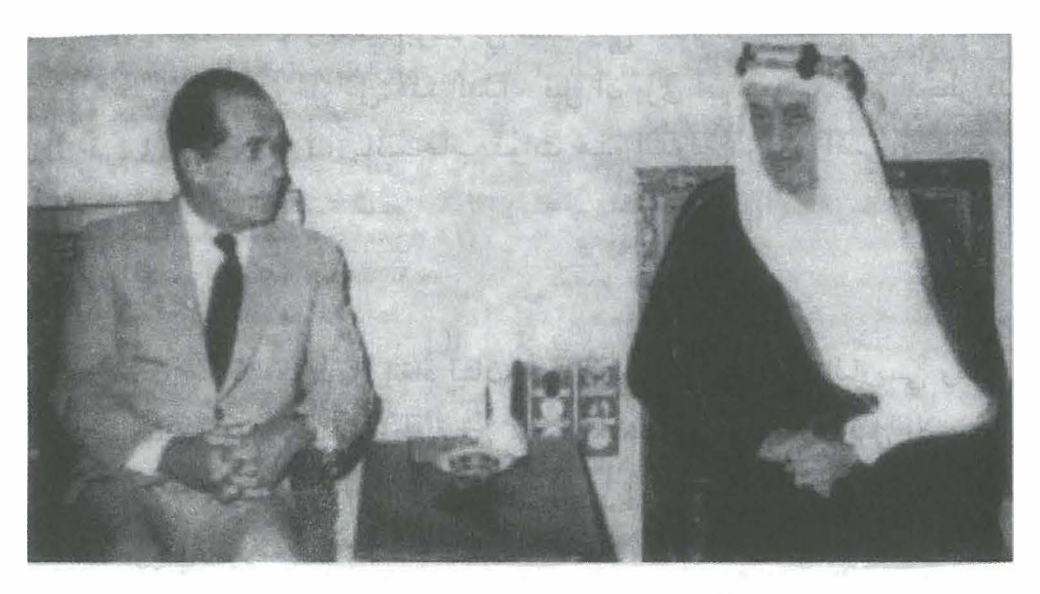
وبالرغم من كل الويلات والمصائب التي تسبب بها العرب للبنان، والتي زادت خسائرها بسبب تقاعسهم عن نجدته، يؤكّد العميد: «إن لبنان دولة عربية منذ العام ١٩٤٥، عندما شارك في تأسيس جامعة الدول العربية وهو طبعاً عضو فيها».

ويذكر «أن الشعب اللبناني استفاد كثيراً من انتمائه إلى المجموعة العربية. فيكفي أن مئات الألوف من اللبنانيين لجأوا إلى الدول العربية وقاموا بأعمال فاستفادوا من هذه الدول وأفادوها أيضاً».

لقد أراد العميد من العرب، أن يتركوا لبنان وشأنه، دولة مستقلة ذات سيادة، انطلاقاً من ميثاق جامعة الدول العربية. لكن بعض الأشقاء حسدوا هذا الشقيق الصغير لغناه ودينامية شعبه ونظامه. فكان أن دمّروه. ومع ذلك لم يدع العميد مرّة لبنان للخروج من محيطه العربي، لا بل كان يؤكد أن لبنان هو آخر «من يوقّع الصلح مع إسرائيل من الدول العربية».

في الأطر الأساسية لحزب الكتلة دعوة للبنان كي تقوم سياسته إزاء العرب على المحبة...

فهل أحب العرب لبنان؟



اده مجتمعاً بالملك فيصل أثناء زيارته للبنان عام ١٩٧١.

الفصل الرابع

إسـرائيـل

منذ الخمسينات والعميد يؤكد في لبنان وفي منفاه أن إسرائيل تشكّل الخطر الأول على لبنان. ورحل عن هذه الدنيا، قبل أن يرى أن شيئاً من هذا الخطر قد زال في ٢٤ أيار ٢٠٠٠، بانسحاب قوات هذه الدولة من الأراضي اللبنانية المحتلَّة.

وثيقة التدويل

تحت عنوان «من أجل إنقاذ لبنان» أعدَّ العميد إدّه في منفاه الباريسي وثيقة، قام وفد من حزب الكتلة الوطنية في ٢٤ كانون الثاني ١٩٨١، وقبل الاجتياح الإسرائيلي الكبير للبنان العام ١٩٨٢، بتسليمها إلى رؤساء البعثات الديبلوماسية المعتمدين في بيروت.

ماذا في هذه الوثيقة، التي عرفت «بوثيقة التدويل»، والتي وضعت «بالخط العريض»، معظم نقاط حروف، وربما كلها، المشكلة اللبنانية أمام أنظار العالم كلّه؟

«إن لبنان كان وما زال ضحية سياسة رسمتها إسرائيل.

وقد أكَّد موشي دايان في تصريح شهير أدلى به في ١١ أيلول ١٩٧٧ يوم كان وزيراً لخارجية إسرائيل «أن الحل الوحيد لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين، هو بأن تمنحهم البلدان العربية المضيفة حق المواطنية».

ولتحقيق هذا الحل في لبنان حيث تتعايش الطوائف المسيحية والإسلامية

سلمياً، كان لا بد من إشعال حرب أهلية وإحداث صدامات مسلّحة بين اللبنانيين والفلسطينيين. وهذا ما حصل في العام ١٩٧٥.

وكان هدف هذه الصدامات يومها جعل لبنان ينقسم شطرين:

- لبنان المسيحي إلى الشمال من طريق الشام.

- لبنان المسلم إلى جنوب هذه الطريق حيث يقيم الـ٥٠٠ ألف فلسطيني الموجودون في لبنان.

ولكن، قبل هذه الحرب، كانت إسرائيل توخَّت منذ العام ١٩٥٤ تفكيك لبنان لإنهاء المشكلة الفلسطينية:

- بحض الموارنة ومساعدتهم على إقامة «دويلة مسيحية» تحكمها الطائفة المارونية.

- بسلخ سهول البقاع وعكّار ومدينة طرابلس عن لبنان.

- بضم الأراضي الواقعة جنوب نهر الليطاني إلى إسرائيل. (راجع الرسائل المتبادلة بين بن غوريون وموشي شاريت في العام ١٩٥٤).

وصرف النظر في ذلك الحين عن هذا المشروع إذ قررت إسرائيل اجتياح مصر. وكانت حرب العام ١٩٥٦.

إلّا أن كل ما هناك يجعل في الإمكان القول إن هذا المشروع حرَّك مجدداً بعد تعديله، ونُفِّذ في العام ١٩٧٥، واستهدف الآتي:

- دفع المسيحيين إلى النزوح، ثم تقسيم لبنان لتسهيل توطين الفلسطينيين.

- ضم البقاع وعكّار وطرابلس إلى سوريا في مقابل الجولان لحمل سوريا على توقيع معاهدة صلح أو عدم اعتداء.

- ضم جنوب لبنان إلى إسرائيل ابتداء من نهر الليطاني.

ويمكن أن نلاحظ اليوم أن تقسيماً واقعياً قد حدث، وأن حزب الكتائب الذي سلَّحته إسرائيل ودرَّبته، يحاول إقامة دويلة مارونية تضم مناطق جبيل وكسروان والمتن الشمالي وبيروت الشرقية.

ومنذ العام ١٩٧٥ ما انفكت الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي والدول الأوروبية التسع، تعلن حرصها على «وحدة لبنان وسلامة أراضيه واستقلاله وسيادته ضمن حدوده المعترف بها دولياً».

إلَّا إن هذا الموقف لم يمنع، ويا للأسف، تهديم لبنان (مئات الألوف من القتلى والجرحى والمهجَّرين) ونزوح مئات الألوف من أهله ولا سيما منهم المسيحيين، والاحتلال الإسرائيلي لجنوبه والجيش السوري لسائر أراضيه، باستثناء البقعة من جبل لبنان التي تهيمن عليها الكتائب.

وقد صفقت الدولتان العظميان ودول أوروبا الغربية لدخول الجيش السوري لبنان (١ حزيران ١٩٧٦) اعتقاداً منها أنه سيضع حداً للصدامات المسلَّحة بين اللبنانيين والفلسطينيين، وأنه سيبادر إلى الانسحاب فوراً عندما يطلب ذلك رئيس الجمهورية اللبنانية وفقاً لما نصت عليه مقررات الجامعة العربية التي وضعت القوات العربية في إمرة الرئيس الياس سركيس.

وفيما تنقضي سنتان تقريباً على تحوّل «قوات الردع العربية» قوات سورية كلياً، لا يتردَّد الرئيس حافظ الأسد في الإعلان أنه «عندما تقتضي مصلحة الدولة سحب القوات السورية من لبنان، سنبادر إلى سحبها من دون الرجوع إلى الرئيس اللبناني الياس سركيس».

أمَّا إسرائيل، فقد اجتاحت في ١٥ آذار ١٩٧٨ جنوب لبنان حتى نهر الليطاني الذي تريد أن تجعل منه الخط الفاصل لحدودها الشمالية. وكانت إسرائيل عازمة على البقاء عند الليطاني والاستيلاء على كل الأراضي الواقعة إلى جنوبه، لو لم تتدخَّل واشنطن لدى مجلس الأمن الدولي.

وفي قراره الرقم ٤٢٥ (١٩٧٨) أوجب مجلس الأمن في حينه «انسحاب القوات الإسرائيلية من كل الأراضي اللبنانية، وإرسال قوة موقّتة للأمم المتحدة إلى جنوب لبنان لتأمين انسحاب القوات الإسرائيلية وإعادة السلام والأمن الدوليين ومساعدة الحكومة اللبنانية على إعادة بسط سلطتها الفعلية على المنطقة».

إلّا أن إسرائيل ما زالت ترفض حتى اليوم سحب قواتها من لبنان.

وقد أعلن مندوب إسرائيل في خطابه أمام مجلس الأمن في ١٧ أيلول ١٩٨٠ «أن إسرائيل لا مطامع لها في أرض لبنان». لكن هذا التصريح يناقضه الواقع. فإسرائيل ليس لها دستور مكتوب، وحدود أرضها لا يحدّدها أي قانون. ولا ننسَ إن حكام الدولة اليهودية هم مؤيدون لإسرائيل الكبرى. والوثيقة الوحيدة التي تعيّن حدود دولة إسرائيل مع لبنان، هي اتفاق الهدنة اللبناني ـ الإسرائيلي الموقّع في ٢٣ آذار ١٩٤٩ والذي ينص في البند الخامس منه على «أن خط الهدنة يتبع الحدود الدولية بين لبنان وفلسطين».

وإسرائيل التي أربكتها هذه الوثيقة، تدعي اليوم أن اتفاق الهدنة أصبح لاغياً، وهو ادعاء باطل، ذلك أن مجلس الأمن الدولي كرس مرتين صحة اتفاق الهدنة:

ـ بقراره الرقم ٤٥٩ (١٩٧٩) الذي «أكّد مجدداً صحة اتفاق الهدنة العام بين لبنان وإسرائيل».

ـ بقراره الرقم ٤٦٧ (١٩٨٠) الذي «طلب فيه من الأمين العام للأمم المتحدة دعوة لجنة الهدنة المشتركة إلى الاجتماع».

من ناحية أخرى، ذكر تقرير الأمين العام في ١٢ كانون الأول ١٩٨٠ (المقطع ٢٨) بأن «الأمم المتحدة تعتبر أن اتفاق الهدنة العام يبقى صالحاً وأن لجنة الهدنة ما زالت قائمة».

فعلى إسرائيل، والحال هذه، أن تحترم اتفاق الهدنة اللبناني ـ الإسرائيلي

وإن تنفذ القرارين ٤٢٥ و٤٢٦ (١٩ آذار ١٩٧٨) اللذين يوجبان عليها الانسحاب من الأراضي اللبنانية.

وأخيراً، لمناسبة تمديد ولاية قوات الأمم المتحدة، قرَّر مجلس الأمن، مرة أخرى، بموجب قراره الرقم ٤٨٣ (١٩٨٠)، «البحث في الوسائل والطرق العملية التي من شأنها أن تضمن التنفيذ الكامل لقراره الرقم ٤٢٥، في حال استمرار تعرض القوات الدولية لما يعوق اضطلاعها بمهماتها».

وهذه الوسائل العملية يتضمَّنها القراران ٤١ و٤٢ من ميثاق الأمم المتحدة اللذان نصا على «وقف كلي أو جزئي للعلاقات الاقتصادية ولوسائط الاتصالات. وقطع العلاقات الديبلوماسية واللجوء إلى عمليات عسكرية».

ويمكن التأكيد، منذ الآن، ويا للأسف، أن مجلس الأمن، شأنه في السابق، لن يقرر اللجوء إلى مثل هذه الإجراءات لإرغام إسرائيل على «وقف عملياتها العسكرية في لبنان».

إنقاذ لبنان وإعادة الاستقرار

والآن كيف السبيل إلى إنقاذ لبنان وإعادة الاستقرار إليه؟

إن ذلك يكون بطريقتين:

الأولى: إحلال قوَّات دولية من الأمم المتحدة محل القوات الإسرائيلية والقوات السورية في كل الأراضي اللبنانية.

وعلى رغم أن القوات الدولية لم تتمكَّن من الاضطلاع اضطلاعاً كاملاً بالمهمات التي كلَّفها مجلس الأمن القيام بها، لا بد من الاعتراف بأنها قدَّمت وفي إمكانها أن تقدّم خدمات جلّى!

ويمكن التفكير أيضاً في إنشاء قوة أوروبية أو عربية ـ أوروبية، شرط ألَّا يكون الجنود العرب فيها من دول ذات مطامع في لبنان.

على أنه من واجب لبنان أن يسهّل مهمة قوات الطوارئ الدولية بإعلانه أن اتفاق القاهرة الموقّع في ٣ تشرين الثاني ١٩٦٩ أصبح لاغياً لأنه يتعارض مع اتفاق الهدنة، ويتنافى وقراري مجلس الأمن ٤٢٥ و٤٢٦ (١٩٧٨) وسواهما، ومع مقرّرات قمة تونس في ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٩.

وإن اتفاق القاهرة، من جهة أخرى، لم يعد له ما يبرره منذ أن قررت منظمة التحرير الفلسطينية أمام قمَّة تونس «الامتناع عن القيام بعمليات عسكرية من جنوب لبنان».

الثانية: إقامة دولة فلسطينية في فلسطين.

ولا بد من الاعتراف، بعد اليوم، بأن الحجة التي كانت تتذرَّع بها إسرائيل ودول «العالم الحر» للحؤول دون إقامة دولة فلسطينية لأنها ـ ستكون خاضعة للاتحاد السوفياتي ـ هذه الحجة لم يعد لها قيمة منذ أن وقعت سوريا اتفاق الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفياتي.

ومنذ الآن، إن ١٠,٠٠٠ خبير سوفياتي، هم في الوقت نفسه مدربون عسكريون وطيَّارون، موجودون في سوريا.

فالجيش السوفياتي، والحال هذه، هو اليوم في الجولان، وحتى في لبنان ضمن الجيش السوري، أي في شمال إسرائيل وشرقها.

أمَّا إذا ما أقيمت دولة فلسطينية، فإن الوضع يتبدَّل كلياً. ويمكن التأكيد أنها لن تكون بالضرورة خاضعة للنفوذ السوفياتي.

وإن لبنان سيتحرَّر عندئذ من المقاومة الفلسطينية التي لا يبقى ثمَّة مبرر لعملها في لبنان، ويكون في استطاعة لبنان إذ ذاك إعادة بسط سلطته على كل أراضيه.

وإن سوريا التي تتحجَّج بخوفها من اجتياح إسرائيل للبقاء في لبنان، لن يبقى لها أي مبرّر للبقاء، ويصبح في إمكانها، من جهة أخرى، الاستغناء عن خدمات الخبراء السوفيات.

إلّا أنه يبقى على الدولتين العظميين وأوروبا الغربية، وبالطبع الأمم المتحدة، أن تفرض على الدولة الإسرائيلية ـ التي أنشأتها ـ حدوداً لأرضها.

وأخيراً، إن أميركا، كما هو معروف، كانت تعتمد على إسرائيل لمراقبة الشرق الأوسط، وجعلها بوليساً لها والحؤول دون انتشار الشيوعية السوفياتية في هذه المنطقة.

أمّا اليوم، فقد أصبح من الثابت أن إسرائيل، بسياستها التوسعيَّة ورفضها تنفيذ قرارات مجلس الأمن ومعارضتها المستمرة المطالب المحقَّة للشعب الفلسطيني، ولا سيما منها إقامة دولة فلسطينية، هي التي فرضت على سوريا التي عزلت منذ قيام الحرب العراقية ـ الإيرانية أن تربط نفسها بالاتحاد السوفياتي بموجب اتفاق.

وهكذا، إن على الرئيس رونالد ريغن، أن يعيد النظر في السياسة الأميركية:

ـ بوضع حد لسياسة إسرائيل التوسعيّة التي تدعمها الولايات المتحدة عسكرياً ومالياً.

ـ بمساعدة الشعب الفلسطيني على إقامة دولة له في فلسطين.

ـ بالمحافظة فعلياً على وحدة لبنان وسلامته وسيادته ضمن حدوده المعترف بها دولياً.

وبهذا يمكن أميركا والدول الأوروبية العشر إنقاذ لبنان، البلد الصديق، وإتاحة المجال لعودة السلام والاستقرار إلى الشرق الأوسط».

استثمار المياه

وثيقة باقية للبنانيين وللتاريخ. منها نعود إلى بدايات الخطر الأول، أي إسرائيل، على لبنان. فمنذ أن بدأ العميد إدَّه حياته السياسية، وهو يحذر من هذا

الخطر، ويدق ناقوسه، مشيراً إلى أطماعها في المياه اللبنانية، ونواياها المبيتة تجاه وطن الأرز.

في العام ١٩٦٥ اتخذت الجامعة العربية قراراً بتحويل مياه نهر الحاصباني. وعندما بدأت الأعمال اللبنانية ـ السورية المشتركة في هذا التحويل، عمدت إسرائيل إلى منع ذلك، باعتدائها على الموقع معطّلة الآليات التي تعمل في المشروع. عندها تيقّن العميد أن إسرائيل تريد الاستيلاء على المياه، آجلاً أم عاجلاً، مما دفعه إلى مطالبة الحكومات اللبنانية المتعاقبة على استثمار هذه المياه، كي لا تعطي الذريعة لإسرائيل، بأن لبنان ليس بحاجة إلى مياهه.

وبقي العميد مصرًّا على إقامة السد اللازم لتحويل مياه الوزاني والحاصباني واستثمارها... ولكن لا حياة لمن تنادي.

السد مقابل إتفاقية القاهرة

وعند توقيع اتفاق القاهرة، ارتبطت في أحاديثه معادلتان لا تنفصلان: «لا حاصباني مع وجود اتفاق القاهرة» و«إسرائيل لا تنتظر سداً على الحاصباني لتعتدي على لبنان». وكانت النتيجة العملية لهاتين المعادلتين دعوة مزدوجة أطلقها العميد: إقامة السد وإلغاء اتفاق القاهرة.

في العام ١٩٧٢، وفيما الناس منشغلون بنمو الحركة الثورية الفلسطينية وامتدادها، كان العميد يؤكّد متابعته مسألة سد الحاصباني حتى النهاية لأنها «القضية الأولى في قائمة اهتماماتي». وذكّر بما لهذا السد من فوائد جمَّة، «إذ تزول أزمة العطش وتتحول الأرض البور المهجورة إلى أرض زراعية، ويعود الذين تركوا قراهم وأرضهم إليها فينتعش الجنوب ويزدهر اقتصادياً واجتماعياً وعمرانياً». ولأن أحداً لم يعر هذا الكلام إذناً مصغية يتحول العميد إلى شعار مختلف وأكثر صراحة: «أُلغوا اتفاق القاهرة واستثمروا الحاصباني، وإلّا... فابنوا حائط مبكى». فإذا اعترض معترض استعان بالسوابق: «لا مانع من أن نلجأ

إلى دولة أجنبية لتساعدنا في تنفيذ السد، كما فعل عبد الناصر في بناء سد أسوان».

وفي ١٩٧٦، ولأن هاجس المياه أخذ يقضُّ مضجعه، يروى إده مدى «السيطرة الصهيونية على أجهزة الإعلام في الولايات المتحدة الأميركية من صحافة وتلفزيون». ويقول: «إنه اجتمع خلال زيارته نيويورك بأعضاء في مكتب العلاقات الخارجية الذي يهيئ ملفات القضايا المهمَّة للرئيس فورد ولوزير الخارجية الأميركي، ومن بينهم إحدى السيدات التي أثارت قضية مياه الحاصباني والليطاني، وقالت إن كمية المياه في الليطاني ٨٠٠ مليون متر مكعب لا يستفيد منها لبنان إلَّا بـ٣٠٠ مليون متر مكعب، وإنه لا يجوز أن تذهب المياه المتبقِّية إلى البحر، وأن إسرائيل في حاجة إلى هذه المياه التي لا يستخدمها لبنان».

وكان جوابه للسيدة الأميركية: «إن هذه المياه هي لبنانية تنبع من لبنان وتصب في بحر لبنان، وإذا كان لبنان لا يستفيد منها حالياً فلأن إسرائيل تمنعه من ذلك. وإنه قامت محاولة في العام ١٩٦٥ عندما أرادت الدولة اللبنانية إيجاد إنشاءات على الحاصباني، فقصفت الطائرات الإسرائيلية المعدات».

«إن مثل هذا الكلام من مركز مسؤول ومن أشخاص يؤثرون في السياسة الأميركية، يعطي دليلاً واضحاً على أن إسرائيل تريد الاستيلاء على الجنوب حتى الليطاني، وقد يكون الظرف الحالي مؤاتياً لها، وأنا كنت قد حذرت من ذلك وقلت إننا قد نبني حائط مبكى على الليطاني».

ومع كل اجتياح للبنان يصرخ العميد: «ها هي تُحقِّق حلمها»، لا سيما عندما استولت على منابع الوزاني في أواخر ١٩٨٠ إذ وسعت رقعة حزامها الأمني وحوَّلت ٥٠ مليون متر مكعب من مياهه التي تغذي نهر الحاصباني.

المؤامرة

ويريد العميد إدّه لبنان محرراً من الجميع. يقول: أنا لست ورقة في يد

أحد. لست مع الفلسطينيين، ولست مع السوريين، ولست مع إسرائيل. أنا مع تحرير لبنان وتوحيده».

ويتعاظم الدور الفلسطيني في لبنان، بدءاً من مطلع الستينات، ومعه تصاعدت اللهجة الإسرائيلية المهدِّدة. ومع هذا التعاظم والتصاعد، ويوماً بعد يوم، يتأكد للعميد حجم المطامع الإسرائيلية والمؤامرة، التي تدبرها للبنان. يقول:

. . .كي يفهموا الوضع، يجب أن يتأكد اللبنانيون من أن المؤامرة أساسها إسرائيل التي تريد أن تضع يدها على لبنان الجنوبي حتى الليطاني، وهذه النية موجودة لديها منذ العام ١٩١٩، وهي تريد أيضاً تقسيم لبنان قسمين: لبنان المسلم الذي يستوطن فيه الفلسطينيون المقيمون فيه، ولبنان المسيحي الذي يستوعب المسيحيين الذين يريدون البقاء في لبنان في انتظار رحيلهم النهائي منه بعد أن يروا أن العيش فيه غير ممكن لأسباب سياسية واقتصادية، لأنه لا يمكن لشعبٍ مسيحي عموماً، ومارونيٍّ خصوصاً، اعتاد الحرية، أن يعيش في نطاق «غيتو» وفي ظل نظام الحزب الواحد أي حزب الكتائب.

وإسرائيل تريد تهجير المسيحيين من الجمهورية اللبنانية لأنهم هم وحدهم يستطيعون مزاحمة إسرائيل على مشاريعها الاقتصادية في المنطقة. وهي تريد، بعد لبنان، تفجير الأوضاع في سوريا كما قلت ذلك مراراً، والحوادث التي تقع بين حين وآخر في حلب وحماه ودمشق تدل على أن دور سوريا في التقسيم قد قرب. وسيأتي بعد ذلك دور العراق لأن إسرائيل، تريد السيطرة على كل هذه المنطقة الممتدة من الفرات إلى النيل.

إن الأمم المتحدة، وخصوصاً أميركا، في إمكانها وحدها منع إسرائيل من تنفيذ هذه المؤامرة التي هي من صميم سياسة الصهيونية وتخطيطها البعيد المدى، والتي يمكن معرفة بعض فصولها عبر قراءة مذكرات موشيه شاريت الذي شغل مركز رئاسة الوزارة في إسرائيل في تشرين الأول ١٩٥٣.

يروي شاريت أن بن غوريون، الذي سبق وكان رئيساً للوزارة، وموشي دايان، كانا يريدان دفع لبنان إلى إعلان «قيام دولة مسيحية» (١٩٥٤) لأن «قيام مثل هذه الدولة المسيحية المصغرة في موقع القلب من لبنان سيكون أمراً لمصلحة إسرائيل».

وكان سبق لبن غورين أن سجل في مذكراته بتاريخ ٢١ أيار ١٩٤٧، أي بعد تسلمه منصب أول رئيس وزراء في إسرائيل، أفكاره كالآتي: «إن لبنان هو كعب أخيل (يقصد نقطة الضعف) في التحالف العربي، والغلبة الإسلامية في هذا البلد غلبة مصطنعة، ومن اليسير الإطاحة بها، ويتعين في هذا المكان إقامة دولة مسيحية يتاخم حدودها الجنوبية نهر الليطاني، وسوف توقّع إسرائيل معاهدة تحالف مع هذه الدولة، وبعد كسر قوة الفيلق العربي سنتجه لاكتساح شرق الأردن، وبعدئذ ستسقط سوريا، وإذا ظلّت مصر تتجاسر على إعلان الحرب علينا فسوف نقصف بور سعيد والإسكندرية والقاهرة، وبهذا الشكل ننهي الحرب ونكون قد ثأرنا لأسلافنا من مصر والآشوريين والكلدانيين».

ولكن شاريت عارض الفكرة، ويقول في مذكراته: «إنه تلقى كتاباً مطوّلاً من بن غوريون يستحثه فيه على الأخذ بفكرة إقامة دولة مسيحية في لبنان، لأنها إحدى المهمات الأساسية لسياستنا الخارجية، وإنه يتعيَّن علينا العمل بكل وسيلة ممكنة لإحداث هذا التغيير الجذري في لبنان». ويضيف بن غوريون: «يجب أن نعثر على رجال في لبنان يبدون استعداداً للانضمام إلى قواتنا لخلق دولة مارونية».

ولكن شاريت كان يرفض استثارة تجزئة لبنان وتفسيخه بأي من الوسائل العديدة التي استمر بن غوريون ودايان في الحث عليها.

ويقول شاريت: «إن خطة بن غوريون تقوم أيضاً على فصل مقاطعات صور والبقاع وطرابلس الإسلامية عن لبنان». ويضيف أن موشي دايان كان يقول: «إن كل ما يستدعيه الأمر هو العثور على ضابط (لبناني) وإن برتبة رائد، يكفي (للقيام

بالمهمة)، علينا أن نكسب قلبه أو نشتريه بالمال كي يوافق على إعلان نفسه منقذاً للسكان الموارنة، ومن ثم سيدخل الجيش الإسرائيلي لبنان ويحتل الأراضي اللازمة ويوجد نظام حكم مسيحي يكون متحالفاً مع إسرائيل، وستضم الأراضي من الليطاني جنوباً بأكملها إلى إسرائيل». ويوصي رئيس الأركان دايان (وقتها) بتنفيذ ذلك «فوراً وغداً».

ولكن، كما نعلم اليوم، إن إسرائيل اضطرت إلى تأجيل تحقيق هدف دايان ربما بسبب انشغالها العام ١٩٥٥ بمصر وقرب القيام بحملة سيناء.

وإذا رأينا ما الذي حصل في جنوب لبنان حتى اليوم والذي حصل في المنطقة المسيحية التي تسيطر عليها الكتائب، نرى أنه عملياً هناك دولة مسيحية في الجنوب أعلن عن قيامها قائدها الرائد سعد حداد تحت اسم «جمهورية لبنان الحر» وهي لها جيشها وإذاعتها، كما أننا نرى أن هناك دولة كتائبية مارونية قائمة وهي تبدأ بالأشرفية وتنتهي بجسر المدفون وفي قيادة حزب الكتائب. أمَّا سوريا فإنه إذا تمكَّنت فستضم البقاع وعكار وطرابلس ولن ترفض وضع يدها على مرفأ بيروت وعلى بقية لبنان باستثناء الدولة المسيحية في كسروان وجنوب الليطاني.

هذه هي المؤامرة كما بدأت وكما هي مستمرة، وكما سبق لي وحذرت منها في أيلول ١٩٧٤. طبعاً من الممكن أن تطرأ عليها تبديلات وتغييرات، ولكن الهدف موجود ومحدد، وهو أن تمد إسرائيل نفوذها على كل لبنان وسوريا وحتى على العراق، وذلك سيتم مع الوقت خصوصاً أن هذا الوقت ليس له حساب في نظر إسرائيل.

إن إسرائيل لا يمكن أن تعيش إلَّا في حالة خطر الحرب الدائم، والصلح مع مصر ما هو إلَّا لتمكين إسرائيل من تنفيذ الشق الأول من مؤامرتها في الدول المجاورة لها.

ولا أريد في هذا الشرح أن أنسى الأردن، فربما في نظر إسرائيل وبعض الأوساط الأميركية أن مفتاح الحل قد يأتي عن طريق الأردن بجعله الدولة

الفلسطينية الجديدة والبديلة وذلك بعد ذهاب الملك حسين، وعندها قد ينتقل بعض الفلسطينيين المقيمين في لبنان إلى الدولة الجديدة، والذين يبقون في لبنان سيبقون فيه كأجانب لهم الحقوق وعليهم الواجبات التي للأجانب والتي هي عليهم في كل دولة مستقلة ذات سيادة.

لذلك أكرّر أن الكلمة الأخيرة هي لرئيس الجمهورية الذي عليه الذهاب إلى الأمم المتحدة لمعرفة مصير لبنان ككيان مستقل ذي سيادة بحدوده الدولية المعترف بها».

مخطط بيان

وفي كتاب وجهه إلى زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ الأميركي السيناتور جورج ميتشيل يوضح:

«أقول منذ الآن إن القرارين ٢٤٢ (١٩٦٧) و٣٣٨ (١٩٧٣) لا يعنيان لبنان بشيء.

ولكن اسمح لي في هذا السياق، بأن أسألكم ما هو تحديدكم وتحديد حكومتكم للقرار الرقم ٢٤٢؟ فهل على إسرائيل أن تنسحب من كل الأراضي العربية التي احتلتها سنة ١٩٦٧ أم جزء منها فقط؟

اسمحوا لي هنا، أن أعطيكم هذه اللمحة التاريخية: سنة ١٩١٩ وبمناسبة مؤتمر السلام، حاولت الوكالة اليهودية أن تستحصل من فرنسا، وهي السلطة المرشحة يومها للانتداب على لبنان، على تعديل حدود لبنان الجنوبية كما حددت عام ١٨٦٢، وهو ما تؤكده الخارطة الجغرافية التي وضعتها الحملة الفرنسية العام ١٨٦٠.

الوكالة اليهودية كانت تعمل منذ ذلك الحين من أجل أن يكون الليطاني الحد الفاصل بين إسرائيل ولبنان بحيث تصبح الأراضي الواقعة جنوبي هذا النهر تالياً جزءاً لا يتجزأ من فلسطين التي ستنتقل إلى الانتداب البريطاني.

إن فرنسا بناء على طلب الوفود اللبنانية الثلاثة رفضت هذا المشروع الصهيوني. وهكذا بقيت الحدود اللبنانية في رأس الناقورة كما حددتها خارطة ١٨٦٢ .

وفيما بعد سنة ١٩٥٤ عاود الصهاينة العمل على مشروعهم القديم بضم جنوب لبنان بهدف خفي هو استغلال مياه نهر الليطاني.

وفي مذكراته يروي موشي شاريت، وزير الخارجية الأسبق، ما حصل في أثناء اجتماعه في ٢٧ شباط مع بن غوريون ودايان ولافون.

أعلن بن غوريون: «لعلها اللحظة المؤاتية لإنشاء دولة مسيحية في جوارنا»، مما يعني أنه في هذه المرة ينبغي استخدام كل الطاقات والوسائل باتجاه تنفيذ هذا الهدف. وعلينا التحرّك في كل الاتجاهات لإحداث تحول جذرِي في لبنان، وإن هدفنا هذا لن يتحقق إلّا بإعادة رسم الحدود المستقبلية اللبنانية ـ الفلسطينية».

وفي ١٦ أيار ١٩٥٤ يروي شاريت أيضاً أنه برأي موشي دايان «يكفي إيجاد ضابط (لبناني) ولو كان برتبة «مايجور». عندها يمكن أن نستميله أو نشتري خدماته. فيدخل آنئذ الجيش الإسرائيلي وتُضَمُّ الأراضي الواقعة جنوبي الليطاني كلياً إلى إسرائيل وكل شيء يتم على أكمل وجه».

وفي ١٥ آذار ١٩٧٨ اجتاح الجيش الإسرائيلي، إنفاذاً لمخطط دايان، جنوب لبنان حتى الليطاني حيث ما يزال موجوداً هناك خارقاً اتفاق الهدنة اللبنانية ـ الإسرائيلية المعقودة في ٢٩ آذار سنة ١٩٤٩ والقرار ٤٢٥ الصادر عن مجلس الأمن في ١٩ آذار ١٩٧٨. وينص هذا القرار «على أن تكون سيادة لبنان على كامل أراضيه تامة غير منقوصة. وعلى أن تسحب إسرائيل بلا تلكؤ قواتها من الأراضي اللبنانية كافة». مع الأسف فإن اجتياح إسرائيل للبنان تم بموافقة الحكومة الأميركية.

البرهان؟ ها هو: واشنطن ١٥ آذار، سايروس فانس وزير خارجية أميركا

يعلن: «إن الإدارة الأميركية لم تطلب إلى إسرائيل أن تنهي اجتياحها الحاشد.. لماذا؟

لقد مر أكثر من خمسة عشر عاماً ولا تزال إسرائيل تحتل جنوب لبنان بموافقة واشنطن. بل أكثر من ذلك.

في ٦ حزيران ١٩٨٢، ومتذرعة بمحاولة اغتيال شلومو أرغوف سفيرها في لندن، حيث لم يكن بالطبع للبنان أي يد فيه، ومتجاهلة وجود سبعة آلاف جندي تابعين لمنظمة الأمم المتحدة في جنوب لبنان، قامت مرة أخرى، باجتياح لبنان بالغة هذه المرة العاصمة بيروت. مع أن السيد بيغن كان قطع وعداً للرئيس ريغان بأن جيشه لن يتخطى الـ٤٠ كيلومتراً من الحدود اللبنانية الإسرائيلية. وفي ذلك اليوم أبلغ وزير خارجية أميركا ألكسندر هيغ سفير إسرائيل في واشنطن السيد أرينز: «إنكم تقومون في لبنان بعمل مهم للعالم أجمع. إنكم تقومون بعمل جيد. ثابروا وعلى الأخص لا تتراجعوا».

لقد أنجز العمل الجيد على أكمل وجه، فقد حاصر الجيش الإسرائيلي بيروت على مدى ٧٠ يوماً ضارباً حصاراً شاملاً على بيروت الغربية.

وتشير الإحصاءات التي أجرتها اليونيسف بين ٤ حزيران و١٥ آب إلى سقوط ٢٩٥٠٥ بين قتيل وجريح في بيروت وضواحيها، منهم ٦٧٧٥ قتيلاً في بيروت باستثناء الجنوب والبقاع.

وفي تلك المرحلة اتخذ مجلس الأمن القرار ٥٠٩ (١٩٨٢) «طالباً من إسرائيل أن تسحب فوراً، بلا قيد أو شرط، كل قواتها المسلحة حتى حدود لبنان المعترف بها دولياً».

ومرة أخرى، رفضت إسرائيل تنفيذ أوامر مجلس الأمن. لا أدري ما إذا كنتم تعرفون هذا الجزء من تاريخ لبنان، الذي هو بلدي وبلدكم الأصل».

مؤتمر مدريد

ويرفض العميد مشاركة لبنان في مؤتمر السلام في مدريد الذي عقد في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٩١، ورفضه يستند إلى الآتي:

«أود أن أتكلم عن اشتراك لبنان في مؤتمر السلام في مدريد الذي انعقد في تاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩٩١ والذي انتهى إلى الفشل بالنسبة إلى لبنان.

١ ـ في ١٧ تموز ١٩٩١، قبل ثلاثة أشهر من الاجتماع، صرَّحت للصحف أن لبنان ليست له مصلحة في الاشتراك في هذا المؤتمر قبل أن تجبر واشنطن ومجلس الأمن إسرائيل على الانسحاب من لبنان ضمن الشروط المنصوص عليها في القرارات ٤٢٥ و٤٢٦ و٥٠٩ الصادرة عن مجلس الأمن.

٢ ـ في ٢٤ تموز ١٩٩١ صرَّحت أنه لا يجوز ربط مستقبل الجنوب بالمفاوضات على القدس والجولان والمستوطنات في الأراضي المحتلة، وعلى الحكومة أن تذكِّر الوزير جيمس بايكر ـ وزير الخارجية الأميركية يومها ـ بقرار مجلس الأمن ٤٢٥ الذي يطلب من إسرائيل «أن توقف فوراً أعمالها العسكرية ضد سلامة الأراضي اللبنانية وأن تسحب من دون إبطاء قواتها من كل الأراضي اللبنانية».

٣ ـ وفي ١٩ تشرين الأول ١٩٩١ صرَّحت أن أميركا ترفض أن تلزم إسرائيل على تنفيذ القرارات ٤٢٥ و٤٢٦ و٥٠٩. ولذلك فإنني ضد مشاركة الحكومة اللبنانية في مؤتمر السلام خصوصاً أن القرارين ٢٤٢ و٣٣٨ (المبني عليهما هذا المؤتمر) لا يختصان بلبنان.

٤ ـ في ٦ تشرين الثاني ١٩٩٣ طلبت مجدداً من الحكومة اللبنانية ألَّا تشارك بعد اليوم في مؤتمر السلام الخاص بالقرارين ٢٤٢ و٣٣٨ قبل تنفيذ القرار ٤٢٥ وانسحاب القوات الإسرائيلية إلى الحدود اللبنانية المعترف بها دولياً.

٥ ـ في ٧ كانون الأول ١٩٩٣ صرَّح وزير خارجية لبنان أنه «قلق على

مصير القرار ٤٢٥، وأنه يرفض أي مبدأ أو أي قرار يصدر عن الأمم المتحدة ولا يتضمن القرار ٤٢٥. وأنا أجيب: «صح النوم».

لقد احتاج الأمر أكثر من سنتين حتى يكتشف تاليران هذا العهد الذي جهل مساحة لبنان التي هي ١٠٤٠٠كلم[٢] وليس ١٠٤٥٢كلم[٢] كما تقول الكتائب ـ أن واشنطن وهيئة الأمم المتحدة ترفضان أن تأخذا في الاعتبار وجود القرار ٤٢٥، بل أكثر من ذلك وربما ألغتا هذا القرار.

حيال هذا الوضع أكرر للمرة المئة أن لبنان يجب أن يرفض الاشتراك في مؤتمر السلام ما دامت إسرائيل ترفض أن تنفذ القرار ٤٢٥، ولا يكفي أن يقول الوزير تاليران إن لبنان يرفض كل قرار صادر عن الأمم المتحدة لا يأتي على ذكر القرار ٤٢٥. لقد كان عليه ألَّا يشارك في مؤتمر مدريد كما حذرناه سابقاً. وعليه منذ الآن وصاعداً ألَّا يشترك في أية مفاوضات على أساس القرارين ٢٤٢ و٣٣٨ لأنهما لا يختصان بلبنان.

ولكن، ويا للأسف، يبدو أن كل ما صرَّحتُ به وحذرت منه منذ أكثر من ستة عشر عاماً، آخذ في التحقيق».

تنفيذ القرار ٤٢٥

وبعد مجزرة قانا في نيسان ١٩٩٦، رأى العميد أن لبنان هو الخاسر الأكبر من تفاهم نيسان. . . لأنه لن يؤدي إلى تنفيذ القرار ٤٢٥ .

ولكنه في المقابل بقي يشدد على تنفيذ القرار ٤٢٥، والذي هلّل له عند إقراره في ١٩ آذار ١٩٧٨، كمدخل لحل المسألة اللبنانية، ومعالجة المشاكل القائمة بفعل الاحتلال الإسرائيلي، واستمرار وجود قوات غير لبنانية. ويرى أنه يجب تطبيق بنود هذا القرار، بمعزل عن عملية السلام، لأنه صادر عن مجلس الأمن من دون أن يدخل لبنان في حرب مع الدولة العبرية، بل كان نتيجة وجود المقاومة الفلسطينية في الجنوب اللبناني أو ما عرف بـ«فتح لاند».

ويذكر العميد إدّه «أن لبنان لم يدخل في حرب مع إسرائيل انتهت باحتلال جزء من أرضه. فهو لم يشارك في حرب ١٩٦٧ ولا في حرب ١٩٧٣، خلافاً لما حصل مع دول عربية أخرى مثل مصر والأردن وسوريا التي احتلت إسرائيل جزءاً من أراضيها ولا يمكن استعادتها إلّا بالقوة أو بالتفاوض. وقد نجحت مصر في استعادة سيناء التي احتلتها إسرائيل بالتفاوض وبموجب اتفاق كمب ديفيد، ونجح الأردن في تسوية الخلاف على ترسيم الحدود مع إسرائيل وعلى أمور أخرى بالتوصل إلى اتفاق بينهما عرف بـ«اتفاق وادي عربة»، ولم تتوصل سوريا حتى الآن إلى استعادة الجولان المحتلّ لا بالقوة العسكرية لعدم تكافؤ القوى بينها وبين إسرائيل، ولا بالتفاوض الذي لم يسفر حتى الآن عن نتيجة، لأن حكومة نتنياهو تصر على عدم الانسحاب من الجولان، وتصر الحكومة السورية من جهتها على المطالبة بالانسحاب الكامل. وهكذا استمر الوضع في المراوحة سنوات، وقد يستمر سنوات أخرى ما دامت سوريا لا تستطيع أن تسترد الجولان بالحرب، ولا أن تتوصل إلى استرداده بالتفاوض بسبب تمسك كل من الطرفين بموقفه.

أمّا لبنان فله مع إسرائيل وضع مختلف، لأن الجزء المحتل من أرضه لم يتم احتلاله بنتيجة حرب بينه وبين إسرائيل، بل بنتيجة عدوان إسرائيلي عليه أوجدت له تل أبيب أعذاراً ومبررات لا شأن للبنان بها.

لذلك كان القرار ٤٢٥ الصادر عن مجلس الأمن الدولي الذي يدعو إسرائيل إلى الانسحاب الكامل من الأراضي اللبنانية المحتلة بلا قيد ولا شرط، وهو القرار الذي لم تنفذه إسرائيل رغم مرور ما يقارب التسعة عشر عاماً على صدوره كما لم يكتمل تنفيذ القرار ٤٢٦ الذي ينص على الترتيبات الواجب اتخاذها للتنفيذ.

كما يذكر بأن القرار ٤٢٥ ينص على الآتي:

١ ـ يدعو إلى احترام صارم لسلامة الأراضي اللبنانية وسيادة لبنان واستقلاله السياسي ضمن حدوده المعترف بها دولياً.

٢ ـ يدعو إسرائيل إلى أن توقف فوراً عملها العسكري ضد سلامة الأراضي اللبنانية وتسحب على التو قواتها من كل الأراضي اللبنانية.

٣ ـ يقرر في ضوء طلب الحكومة اللبنانية، أن ينشئ فوراً تحت سلطته قوة موقتة تابعة للأمم المتحدة خاصة بجنوب لبنان وغايتها التأكد من انسحاب القوات الإسرائيلية وإعادة السلام والأمن الدوليين، ومساعدة حكومة لبنان على ضمان استعادة سلطتها الفعلية في المنطقة، على أن تتألف القوة من عناصر تابعة للدول الأعضاء في الأمم المتحدة».

ويذكر أيضاً أنه جاء في القرار ٤٢٦ الصادر العام ١٩٧٨ الآتي:

ـ «تتولى القوة التثبت من انسحاب القوات الإسرائيلية، وتعيد إقامة السلام والأمن الدوليين وتساعد حكومة لبنان في تأمين إعادة سلطتها الفعالة إلى المنطقة.

ـ تثبت القوة نفسها وتحافظ على وجودها في منطقة عملياتها.

ـ تقوم القوة بكل ما تستطيع من جهود لمنع تجدد القتال ولضمان عدم استخدام منطقة عملياتها للقيام بأعمال عدائية من أي نوع.

ـ يجب أن تتمكن من أداء وظيفتها كوحدة عسكرية متكاملة وفعالة، ويجب أن تتمتع القوة بحرية الحركة والاتصال وغيرهما من التسهيلات الضرورية من أجل أداء مهماتها، وأن يمنح أفرادها جميع الامتيازات والحصانات المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة.

ـ تزويد القوة أسلحة دفاعية ولا تستعمل القوة إلّا دفاعاً عن النفس، ويشتمل الدفاع عن النفس على مقاومة أي محاولات مسلحة لمنع القوات الدولية من تأدية مهماتها.

ـ يجب ألا تقوم القوة بمهمات هي من اختصاص حكومة البلد الذي تعمل فيه، وهذه المسؤوليات يجب أن تمارس بواسطة السلطات اللبنانية المختصة.

ومن المفهوم أن الحكومة اللبنانية ستتخذ التدابير الضرورية للتعاون مع القوات الدولية في هذا المجال.

- حين يتم تنفيذ مرحلة انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي اللبنانية إلى الحدود الدولية، تقيم القوات الدولية منطقة عمليات وتحافظ عليها، وتتولى مراقبة إيقاف الأعمال العدوانية وضمان الطابع المسالم لمنطقة العمليات وتسيطر على التحركات فيها، وتتخذ التدابير التي تراها ضرورية لتأمين العودة الفعالة للسيادة اللبنانية، وإلى أن تتمكن حكومة لبنان من ممارسة مسؤولياتها كاملة في لبنان الجنوبي.

وفي ضوء ما جاء في هذا القرار، فإن مجلس الأمن يقرر تعزيز قدرة القوة الدولية وإعادة انتشارها على طول الحدود اللبنانية مع إسرائيل وسد الثغر الموجودة حالياً، وتمكين الجيش اللبناني من الانتشار في المنطقة لمساعدة القوات الدولية على أداء مهماتها وإشاعة الأمن والهدوء فيها».

عدم التفاوض

ويدعو العميد لبنان إلى عدم التفاوض من أجل تنفيذ القرار ٤٢٥ يقول:

- «هناك أولاً القرار ٤٢٦ الذي يجعل قوات الأمم المتحدة مسؤولة عن السلام على الحدود، ولا حاجة إلى التفاوض حول هذا الأمر، لأنه قرار مجلس الأمن أيضاً. ثم هناك الوضع الطبيعي لأية دولة حيث تتحرَّر أرضها، فأمنها مسؤولية وطنية، أي لبنانية، وليست مسؤولية إسرائيلية، ولا حاجة إلى التفاوض حول هذا الأمر، لأننا نكون كمن يفاوض إسرائيل على صلاحيات الدولة اللبنانية ومسؤولياتها على أراضيها، فنعطيها ذرائع الاعتراض مستقبلاً والدخول في تفاصيل الترتيبات الأمنية التي هي مسؤولية لبنانية أولاً وثانياً وثالثاً وأخيراً. إن بسط سلطة أي دولة على أراضيها هو جزء من سيادتها لا تفاوض عليه ولا تتهاون فيه.

وهناك اتفاق الهدنة الذي وقّع بين لبنان وإسرائيل في ٢٣ آذار عام ١٩٤٩ في الناقورة، وقد وقعه عن لبنان الكولونيل توفيق سالم، وعن إسرائيل الكولونيل (إسحق) موردخاي وزير الدفاع اليوم».

ولا يسلم العميد بإلغاء اتفاق الهدنة من قبل إسرائيل فيقول: «صحيح أنها ألغته ولكنها لا تملك حق إلغائه، فالاتفاق يحتاج إلى ثلاثة أطراف لإلغائه: لبنان وإسرائيل، والأمم المتحدة. وقد نسي الكثيرون أن الأمم المتحدة كانت ولا تزال فريقاً مسؤولاً في اتفاق الهدنة. وقد سبق أن أثرتُ هذا الموضوع مع السيد فالدهايم الأمين العام السابق للأمم المتحدة في نيويورك، ففوجئ، ولدى مراجعة الاتفاق تأكد منه. ثم هنالك قرار مجلس الأمن رقم ٥١٠ تاريخ ٢٥/ ٧/ ١٩٨٢ الذي أعاد تأكيد اتفاق الهدنة فأعاد إليه الحياة والاعتبار. إذاً إن مطلب إسرائيل التفاوض حول ترتيبات ما بعد الانسحاب يسقط بحلول اتفاق الهدنة المنسي إسرائيلياً، وربما نسيه العرب والعالم.

إذا كانت إسرائيل صادقة النية في الانسحاب، وأشك في ذلك، فما عليها سوى الانسحاب تاركة للبنان أن يتحمل مسؤولياته القانونية والأمنية، على أرضه...

ومن واجبات الجيش اللبناني، حسب اتفاق الهدنة، أن يمنع أي إطلاق نار على إسرائيل من الحدود اللبنانية. ورئيس الجمهورية بموجب المادة ٤٩ من الدستور اللبناني هو القائد الأعلى للقوات المسلحة التي تخضع لسلطة مجلس الوزراء، وبالتالي، فإن تصريح رئيس الجمهورية الياس الهراوي هو الصحيح.

وبعد انسحاب الجيش الإسرائيلي ووصول القوات الدولية والجيش اللبناني إلى الحدود الإسرائيلية، على الجيش اللبناني أن يمنع كل الأعمال العدائية ضد الأراضي الإسرائيلية. وعندما تحين ساعة الصلح مع إسرائيل يجب أن يكون لبنان آخر دولة عربية توقّع الصلح معها.

وهنا أريد أن أذكّر بوجود فارق بين الموقفين اللبناني والسوري بالنسبة إلى إسرائيل. ففي عام ١٩٦٧ لم يشترك لبنان في حرب «الأيام الستة» ضد إسرائيل التي احتلت يومها الجولان السوري. وفي حرب تشرين الأول (اكتوبر ١٩٧٣)، التي سُمِّيت حرب «يوم كيبور» (الغفران)، دخلت سوريا ومصر الحرب ضد إسرائيل. سوريا في الجولان، ومصر في سيناء. ويومها أصدر مجلس الأمن القرار رقم ٣٣٨، الخاص بسوريا ومصر، والذي ينص على تنفيذ القرار ٢٤٢، ولبنان لم يشترك في حرب «يوم كيبور» أيضاً.

إذاً، عندما احتلت إسرائيل جنوب لبنان في ١٥ آذار ١٩٧٨ لسبب تافه، وهو ادعاؤها بأن منظمة التحرير الفلسطينية اعتدت على باص حيفا - تل أبيب، وقصفت بيروت ومدناً أخرى ووصلت جيوشها حتى الليطاني، ولا تزال هناك إلى اليوم، وصدر القرار ٤٢٥ بناء على الشكوى التي قدمها إلى مجلس الأمن السفير اللبناني، يومذاك، الأستاذ غسان تويني الذي لعب دوراً كبيراً في المنظمة الدولية لمصلحة لبنان.

ولذلك أردّد قولي إنه إذا انسحبت إسرائيل حتى الحدود الدولية المعترف بها، يجب أن نوافق ولا ننتظر حتى تنسحب أيضاً من الجولان، كما يقول البعض، لأن سوريا خسرت الحرب مرتين مع إسرائيل عامي ١٩٦٧ و١٩٧٣، أمَّا لبنان فلم يحارب إسرائيل بل هي التي اعتدت عليه كما ذكرنا أعلاه.

وهذا يذكرني بحرب ألمانيا ضد فرنسا عام ١٨٧٩ عندما خسرت فرنسا الحرب واستولت ألمانيا على الألزاس واللورين. فلم تسترجع فرنسا الألزاس واللورين الفرنسيتين سابقاً إلَّا على أثر حرب ١٩١٤ التي ربحتها عام ١٩١٨...

ولأن لبنان بلد الحريات والتعايش الإسلامي المسيحي، فقد أرادت إسرائيل القضاء عليه، وهي تريد أن تصبح صاحبة السيطرة الوحيدة، ليس فقط على لبنان ولكن على المنطقة كلها، هذه المنطقة البترولية. وسياسة إسرائيل قائمة على المبدأ المعروف منذ أيام الرومان «فرق تسد». لذلك أقول إن المؤامرة ستستمر، ولبنان سيستمر أيضاً «ضحية هذه المؤامرة»...

إذن اسرائيل لا تريد أن تنسحب من لبنان إلا تحت الضغط. فهذا الضغط منصوص عليه في البند السابع من ميثاق هيئة الأمم المتحدة الذي يمكن أن يقرره مجلس الأمن اذا وافقت أميركا على ذلك. ولكن إذا كانت الولايات المتحدة الاميركية، لاعتبارات انتخابية أو لاعتبارات استراتيجية، تريد أن يبقى الجيش الاسرائيلي في لبنان، وأن يبقى بطبيعة الحال الجيش السوري في شرقي وشمالي لبنان، فعندئذ تكون الولايات المتحدة هي التي قضت على وحدة وسيادة لبنان. وعندئذ فهناك خياران أمام الشعب اللبناني: إما الرضوخ لإرادة أميركا، وإما اللجوء إلى المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الاسرائيلي كما فعلت وتفعل شعوب عدة في العالم...

ألم يحن الوقت بعد لكي يفهم العالم أن هناك فرقاً شاسعاً بين هجوم يقوم به كومندوس لا علاقة له بالسلطة اللبنانية، وبين غزو، بكل ما للكلمة من معنى، يقوم به جيش نظامي مخترقاً حدوداً معترف بها دولياً وقاتلاً مئات الأبرياء؟»

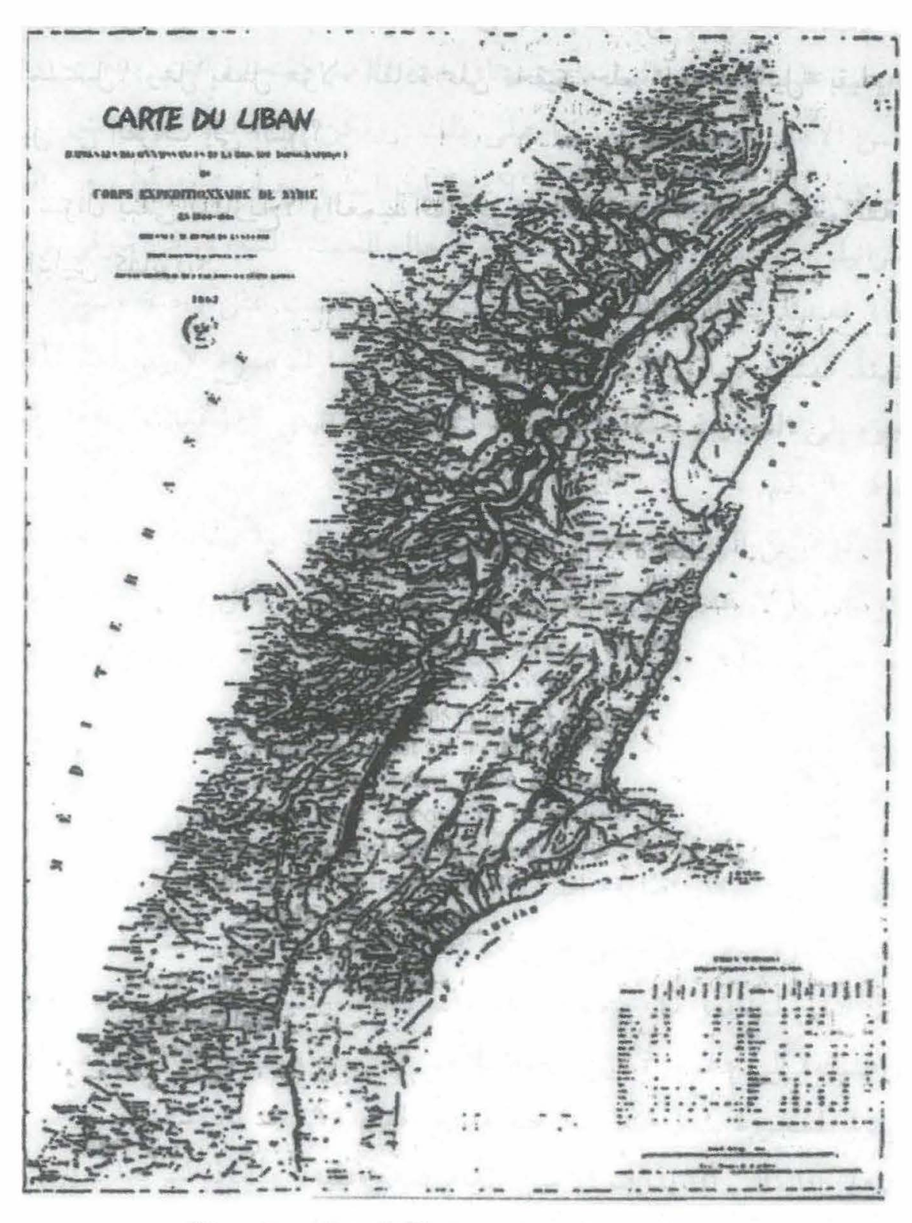
استقالة انان

وهكذا بقي العميد وطوال حياته السياسية، منذ إنشاء دولة إسرائيل محذراً ومنبهاً، ومقابل كل «طلقة» إسرائيلية على لبنان، كانت له كلمة وموقف، وكأنه أراد أن يقاوم بمفرده، وعلى طريقته، ضد العدوان المستمر،للتي أسماها الخطر الأول على لبنان، ما خاف أحداً، ولم يخف حتى على نفسه... ووصلت «مواصيله» إلى دعوة الأمين العام للأمم المتحدة، كوفي أنان، وبعد ارتكاب إسرائيل لمجزرة بلدة جنتا البقاعية مطلع العام ١٩٩٩، للاستقالة متسائلاً: «ألا يستأهل اللبناني أن يذرف الأمين العام دمعة عليه. ولماذا لم يعلن يوم مجزرة جنتا يوماً حزيناً». كما يتساءل أيضاً: «لماذا تقوم القيامة عندما يقتل إسرائيلي؟»

وانسحبت إسرائيل في ٢٤ أيار ٢٠٠٠ من لبنان، بعد أربعة عشر يوماً من رحيل العميد عن هذه الدنيا (في ١٠ ايار ٢٠٠٠) ووضعت الأمم المتحدة يدها على القضية تنفيذاً للقرارين ٤٢٥ و٤٢٦ .

ولكن ورغم الانسحاب، هل إن لدى قادة إسرائيل نيات مبيتة تجاه لبنان في المستقبل؟ وهل يعمل هؤلاء القادة على تحقيق حلم «آباء إسرائيل» بقيام دولة إسرائيل من الفرات إلى النيل؟

سؤال يبقى للتاريخ؟ والعميد كان يؤكد دائماً في تصاريحه ومواقفه «إن الإسرائيليين كذابون».



Carte du Liban de 1862

خريطة لبنان عام ١٨٦٢.

ضرب إسرائيل للمطار عام ١٩٦٨.



العميد متفقداً مطار بيروت بعد القصف الإسرائيلي.



خص الصحافي فيليب حتّي «السفير» بهذه الصورة النادرة للعميد وهو يدلي بحديث لوفد صحافي برازيلي في العام ١٩٧٣ حول أطماع الصهيونية واستيلاء إسرائيل على مياه الوزاني والحاصباني.

في الصورة العميد وأمامه خريطة لبنان وإلى جانبه فيليب وفريد حتّي وفرناندو فندرلي من مؤسسة «دياريوس أسوسيادوس» البرازيلية.



العميد في جولة تفقدّية في الجنوب عام ١٩٧٤.

في أروقة مجلس الأمن بانتظار إقرار القرار ٤٢٥ عام ١٩٧٨.

وصول قوات الامم المتحدة UNIFIL إلى الجنوب عام ١٩٧٨.

الفصل الخامس

الأمم المتحدة والبوليس الدولي

منذ توقيع اتفاقية الهدنة الإسرائيلية ـ اللبنانية ٢٣ آذار ١٩٤٩ من قبل ممثلي الدولتين، اللبنانية والإسرائيلية، وحضور الممثل الشخصي لوسيط الأمم المتحدة الخاص بفلسطين بالوكالة، ورئيس هيئة أركان الرقابة على الهدنة التابعة للأمم المتحدة، والعميد ريمون إدّه يرى في هذه المنظمة خشبة خلاص للبنان، رغم أنها تتصرَّف وفي معظم الأحيان تحت ضغط الدول الخمس العظمى التي تملك حق النقض «الفيتو»، خصوصاً الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة، أيام الحرب الباردة، والولايات المتحدة مفردها أيام أحادية القطب العالمي، أو القوة العظمى المنفردة.

ومع بداية العمل الفدائي في لبنان، في مطلع الستينات، بدأ العميد يتوجس شراً من هذا العمل، وخوفه تأتّى من سقوط اتفاق الهدنة، ووقوع لبنان في دوامة الحرب مع إسرائيل. وتمر الأيام وثبت أن العميد كان على حق، ولو أن اتفاق الهدنة لم يسقط، عندما بدأت إسرائيل باعتداءاتها المتكررة على هذا الوطن المحسود والمستفرد، بدءاً من صدور البلاغ الأول الذي صدر عن القيادة العامة لقوات العاصفة في ٣١ كانون الأول ١٩٦٤، بعد أن تسلَّل عدد من عناصرها وقام بعمليات فدائية داخل الشريط، وصولاً إلى القرار ٢٦٢ تاريخ ٣١ كانون الأول ١٩٦٨ الذي يعطي لبنان الحق بالتعويض عن الأضرار التي نجمت عن الاعتداء الإسرائيلي على مطار بيروت وتدمير ١٣ طائرة.

المطالبة بالبوليس الدولي

ولأن العميد يدرك بحدسه وعقله، ما تحمله الأيام الآتية، بدأ ومنذ العام ١٩٦٥ بمطالبة المنظمة العالمية بوضع قوات دولية، أو ما عرف بالبوليس الدولي، على طول الحدود الفاصلة بين لبنان وإسرائيل، واستناد إلى اتفاق الهدنة.

لكن طلب العميد بنشر البوليس الدولي، على هذه الحدود لم يتحقق إلّا في ١٩ آذار ١٩٧٨ عندما صدر القرار ٤٢٥ عن مجلس الأمن، وبعد الاجتياح الإسرائيلي للجنوب اللبناني، وحتى حدود نهر الليطاني، والذي حصل بتاريخ ١٥ آذار ١٩٧٨. ثم صدر القرار ٤٢٦ الذي يضع آلية لتنفيذ ما جاء في القرار ٤٢٥.

يقول العميد:

«. . . إذا كنت طالبت بالبوليس الدولي، لأني لا أريد أن أترك الإسرائيليين يحتلون الجنوب، ثم أذهب إلى حائط المبكى في نيويورك أبكي وأطالب بإعادتهم إلى فلسطين. . . والجنوب ليس صحراء سيناء، إنه رقعة بسيطة من الأرض، فإذا ـ لا سمح الله ـ «صار ما صار» فأين نضع اللاجئين اللبنانيين والدولة ليس لديها الإمكانات الكافية لإيوائهم وإطعامهم. . .».

ويؤكد: «أفضل أن يحمينا مجلس الأمن اليوم من أن نتوسَّل إليه غداً ليرد إلينا أراضينا. أتمنى ألا ينسى اللبنانيون النعمة المعطاة لهم. . .

. . . يجب أن يتذكَّر اللبنانيون أنهم يعيشون في لبنان كما يليق بانسان أن يعيش متمتعين بالكرامة وحرية الفكر والعمل والانتقاد، وكل ذلك أصبح مفقوداً في دول عربية شقيقة ربما هي تبكي اليوم وتندم على المصير الذي وصلت إليه.

. . . وفي اعتقادي أنه يجب الإسراع في طلب هذه القوات قبل أن تهاجمنا إسرائيل، وقبل أن تتذرَّع بوجود الفدائيين لتهاجم لبنان».

ويروي العميد مطالبته للبوليس الدولي كالآتي:

«سنة ١٩٦٤، على أثر انتخاب الرئيس شارل حلو وذهابه إلى مؤتمر القمة في القاهرة لبحث مشروع تحويل روافد نهر الأردن. حدث ما حدث. في حزيران سنة ١٩٦٥ بدأنا العمل في تحويل الوزاني والحاصباني. جاءت الطائرات الاسرائيلية وضربت الجرَّار الذي كان يعمل في الحفريات. وعلى أثر ذلك توقف العمل نهائيا. وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ قام وزير الخارجية آنذاك السيد فؤاد بطرس بجولة في العواصم الدولية. عندما عاد سألناه عن الضمانات التي عاد بها فقال: «ما في شي». فرأيت أنه يجب علينا أن نجد ضمانات مشروعة تحمي بلدنا وحدودنا وأراضينا. فأثرت موضوع القوات الدولية في اللجنة الخارجية.

وعندما هوجمنا بالأمس القريب وضرب المطار لم نتمكن من الدفاع والرد على الاعتداء خوفاً من رد الفعل الاسرائيلي. فأثرت موضوع القوات الدولية مجدداً في مجلس الوزراء... أنه ليس من المعيب، إذا لم يكن بإمكاننا أن نقاوم الجيش الاسرائيلي الذي له تلك الامكانات العسكرية الضخمة بفضل المساعدات التي يتلقاها من الدول الكبرى، ليس من المعيب أن نطالب بحق الحماية من الامم المتحدة، وهذا واجب علينا وعلى الامم المتحدة. ولهذا السبب وضع نص في ميثاق الأمم المتحدة.

كما أوضحت الطرق والسبل التي يمكن الدول الصغيرة أن تستخدمها للدفاع عن سيادتها وسلامة أراضيها، إذا تعرضت لهجوم عسكري من قبل دولة أخرى لجأت إلى استخدام القوة عوض أن تستعمل الطرق السلمية لفض النزاعات والخلافات القائمة بينها وبين دول أخرى..

وقلتُ أخيرا إني أتنازل عن هذا الاقتراح بشرط أن يعلن رئيس الجمهورية، وهو الذي أقسم يمين المحافظة على سلامة الأراضي اللبنانية، أن ليس هناك خطر اسرائيلي يهدد حدود لبنان أو مرافقه الحيوية. وفي هذه الحال أكون قد قمت بواجباتي كنائب وكرئيس حزب، ما دمت عاجزاً عن الحصول على موافقة الاكثرية بالنسبة الى اقتراحي...

هناك سوابق عدة على هذا الصعيد أقربها سابقة وجود القوات الدولية على أرض الجمهورية العربية المتحدة (مصر) طول عشر سنين. والعجيب أننا لم نسمع خلال وجود هذه القوات صوتاً واحدا يتهم الرئيس جمال عبدالناصر بالخيانة، أو بمس كرامة العرب أو تدويل مصر. على عكس ما يحدث في لبنان حيث إننا كلما لجأنا إلى عمل يعود بالفائدة على الشعب اللبناني نسمع أصواتا في الوطن وخارجه تتهمنا بالخيانة أو بمس كرامة العرب أو بتدويل لبنان.

والاكثر أهمية في نظري هو أن نأخذ رأي أهالي قرى الجنوب الذين باتوا غير آمنين على مصيرهم بعد غارات الطيران الاسرائيلي وضرب القرى والبساتين بقنابل النابالم، وبعد دخول جيوش اسرائيل الاراضي اللبنانية.

وأعتقد أننا إذا سألنا أهالي الجنوب عن رأيهم وهل يفضلون: الاستمرار في وضعهم الحالي مع وجود الفدائيين، أم قبول قوات دولية هدفها الوحيد الدفاع عن حدود لبنان وعن أرواح اللبنانيين المقيمين على هذه الحدود؟ أظن، في هذه الحال، أننا لن نجد واحداً من هؤلاء لا يجيب بأنه يفضل أن تأتي القوات الدولية طالما أننا والفدائيين لا نتمكن من حماية الحدود والأهالي المقيمين قرب هذه الحدود».

الضوء الأخضر الأميركي

ولأن العميد يعرف أن الولايات المتحدة، وبالتنسيق مع إسرائيل، هي التي بإمكانها أن تعطي الضوء الأخضر لمجلس الأمن لإقرار إرسال البوليس الدولي إلى الجنوب اللبناني، طلب من الرئيس كارتر في العام ١٩٧٧، وقبل الاجتياح الإسرائيلي بأشهر، أن يطلب من مجلس الأمن إرسال هذه القوات. يقول:

«منذ سنوات، لم تكف الولايات المتحدة عن إطلاق التصريحات بأنها تدعم سيادة لبنان واستقلاله ووحدة شعبه وسلامة أراضيه. وكما نلاحظ لم يعط هذا الدعم الكلامي أية نتيجة حتى اليوم. فالاستقلال والسيادة غير موجودين منذ

أن تمركزت القوات السورية في القسم الأكبر من أراضيه، ومنذ أن سيطرت إسرائيل بنيران مدافعها على جنوب لبنان حتى نهر الليطاني. فإذا كان الرئيس كارتر مصمماً فعلاً على الحفاظ على لبنان ومقرراً أن يعيد إليه سيادته ووحدته، فالوسيلة الوحيدة الفعَّالة التي يملكها هي أن يتقدَّم من مجلس الأم بطلب إرسال قوة مسلحة تابعة للأمم المتحدة تتمركز على الحدود الإسرائيلية ـ اللبنانية. مما قد يعيد الأمن إلى الجنوب وإلى بقية المناطق اللبنانية».

القراران ٤٢٥ و٤٢٦

وصدر القراران ٤٢٥ و٤٢٦ في ١٩ آذار ١٩٧٨. وارتاح العميد، ليس إلى الحد الأقصى، بل رضي بالواقع، لأنه وكما يقول المثل «ليس بالإمكان أكثر مما كان». فالعميد كان يطلب أيضاً أن تُعطى هذه القوات، التي ستنتشر على طول الحدود اللبنانية ـ الإسرائيلية، الصلاحية في استعمال القوة استناداً إلى مواثيق مجلس الأمن والأمم المتحدة خصوصاً الفصل السابع. لكن أمنيته لم تتحقق. وكأن الذين خطَّطوا لإقرار هذين القرارين أرادوهما من دون فاعلية، ولهذا استمر الكفاح المسلَّح الفلسطيني على الحدود في الجنوب. وبعد رحيله كانت المقاومة الإسلامية والوطنية للاحتلال الإسرائيلي.

وفي كل مرة كان يتصاعد فيها التوتّر في الجنوب، سواء من قبل إسرائيل، أو من قبل الفدائيين، حتى العام ١٩٨٢، ومن ثم من قِبل المقاومة اللبنانية، كان العميد يلجأ إلى مجلس الأمن والدول الصديقة للبنان، أو مَنْ بيدها القرار، بالتصريح والمراسلة والكتب المفتوحة، لتعزيز دور قوات الطوارئ الدولية في الجنوب بإعطائها صلاحية استخدام القوة.

مجزرة قانا

بعد مجزرة قانا التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية في ١٣ نيسان ١٩٩٦، حيث قتلت الجنوبيين، أطفالاً ونساء وشيوخاً، في المركز العام للقوة الفيدجية

المتمركزة في الجنوب، وجه العميد في ٢٠ نيسان ١٩٩٦ كتاباً مفتوحاً إلى الأمين العام للأمم المتحدة الدكتور بطرس بطرس غالي هذا نصه:

«باريس في ٢٠ نيسان ١٩٩٦.

الدكتور بطرس بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة ـ نيويورك

حضرة الأمين العام

كما كان متوقعاً، إن النداءات الى وقف النار الصادرة عن الرئيسين بيل كلينتون وجاك شيراك لم تمنع الجيش الإسرائيلي من متابعة هجماته بوحشية على سكان لبنان، بحرا وبرا وجواً.

إن إسرائيل، المستفيدة من الفيتو الأميركي، ترفض منذ ١٨ عاماً تنفيذ القرار ٤٢٥ الشهير والانسحاب من لبنان.

هكذا تحتل إسرائيل في صورة غير قانونية نحو ألف كيلومتر مربع، وتفرض وجودها المسلح على اللبنانيين الموجودين هناك وتقتلهم.

في تاريخ ١٨ نيسان الجاري، سمحت إسرائيل لنفسها بضرب المركز العام للفرقة الفيجية التابعة للقوات الدولية للأمم المتحدة في لبنان، في بلدة قانا، حيث كان يلتجئ مئتان وخمسون مدنياً لبنانيا وأربعة جنود فيجيين أصيبوا بجروح بالغة.

اسمحوا لي بأن أذكركم، في هذا الصدد، بأن الفقرة (٤ ـ د) من القرار ٤٢٦ تنص على ما يأتي: «تتلقى القوة أسلحة ذات صفة دفاعية. ليس عليها أن تستعمل القوة إلا في حال الدفاع المشروع.

يشمل الدفاع المشروع مقاومة كل محاولة لمنعها بالقوة من تنفيذ مهماتها وفقاً للتفويض الصادر عن مجلس الأمن».

وتنص الفقرة ٦ على ما يأتي: «في مرحلة أولى، تؤكد (القوة) انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي اللبنانية لغاية الحدود الدولية (. . .).

وبمقتضى الفقرة (٤ ـ ف): «يؤمن الأمين العام في صورة عامة موظفي دعم القوة Personnels du soutien de la force من قِبل الموظفين الحاليين لدى منظمة الأمم المتحدة».

حضرة الأمين العام

بما أن القوات الدولية التابعة للأمم المتحدة في لبنان قد وجدت، ولا تزال موجودة، في حال الدفاع المشروع كونها هوجمت في قانا من قِبل الجيش الإسرائيلي ويمكن أن تهاجَم من جديد.

فإنه يتوجب عليكم اتخاذ التدابير الضرورية لإبعاد القوات الإسرائيلية حتى الحدود اللبنانية ـ الإسرائيلية.

يصبح عندئذ في استطاعة الجيش اللبناني التعاون والقوة للحفاظ على السيادة في جنوب لبنان وفي البقاع الغربي.

لا شك في أن الفيتو الأميركي سيحصل، في صورة مخططة، مرة أخرى. ولكن في نظر العالم، تكون منظمة الأمم المتحدة قد قامت أخيراً، بفضلكم، بتنفيذ مهمتها.

تفضلوا حضرة الأمين العام بقبول أسمى تقديري».

في ٢٤ أيار ٢٠٠٠، انسحبت القوات الإسرائيلية من الجنوب والبقاع الغربي، وقرَّر الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان زيادة عديد هذه القوات تنفيذاً لمضمون القرارين ٤٢٥ و٤٢٦... ولم يصدر عن العميد إدّه أي تعليق أو موقف أو تصريح دافعاً عن مصلحة لبنان...

فالعميد كان قد رحل عن هذه الدنيا في ١٠ أيار ٢٠٠٠.

فهل يُعطَى البوليس الدولي صلاحية استخدام القوة ليتحوَّل إلى قوة رادعة دولية، ولمنع تكرار الاعتداءات ومن على طرفي الحدود احتراماً لسيادة واستقلال لبنان... وتحقيقاً لأمنية العميد...؟

أم أن مزارع شبعا ستبقى القنبلة الموقوتة؟

مواقف من البوليس الدولي

دخل البوليس الدولي إلى لبنان، بعد أكثر من عشرين سنة على مطالبة العميد بنشره. وبعد الاعتداء على مطار بيروت في ٢٨ كانون الأول ١٩٦٨، عاد العميد ليطالب بإلحاح بالبوليس الدولي. وكان أن صدرت مواقف عن سياسيين في لبنان ترفض ما طالب به العميد.

الرئيس رشيد كرامي: «لن نقوم بدور البوليس الدولي لحماية إسرائيل من نشاط الفدائيين. . . ولا يمكن أن يطلب من البلدان العربية أن تقوم بدور رجل البوليس لحماية إسرائيل من الفدائيين».

النائب كمال جنبلاط: «الحقيقة إن استقدام البوليس الدولي في هذا الظرف يعني عملياً استغناء لبنان عن القيام بأي واجب وطني. . . واستخدام البوليس الدولي يعني انسحاب لبنان من المعركة العربية. . .».

الشيخ بيار الجميل: «لا خلاف على العمل الفدائي، أنا أعتقد أن الفلسطيني الذي يعيش تحت الخيمة، وأخذت منه أرضه وممتلكاته وبيته يكون جباناً إذا لم يكن فدائياً ويدافع عن وطنه. . . إن قوة لبنان في ضعفه وأكبر برهان على ذلك أن ضربة المطار هزَّت العالم كله. . والفدائي، أي الفلسطيني، الذي فَقَدَ بيته وأرضه يجوز له أن يفعل كل شيء من أجل استعادة ما فَقَدَ. . .».

الرئيس عادل عسيران: «مشاريع التعديل والتحييد والبوليس الدولي تلحق بأصحابها قمة الخيانة الوطنية لمصلحة العدو».

صحيفة الثورة السورية: «أيها العملاء ارفعوا أيديكم عن شعبنا ومقاتلينا الفدائيين في لبنان. . . الجماهير ستزحف قريباً لتدق معاقلهم».

في المقابل صدرت مواقف مؤيدة لطلب العميد.

الرئيس كميل شمعون: «لا يجوز للعمل الفدائي أن ينطلق من دولة خارج

فلسطين أو خارج المناطق المحتلة، إلَّا إذا كانت هذه الدولة قادرة أن تحمي نفسها وتحميه، وإلَّا كانت العاقبة وخيمة على تلك الدولة وعلى العمل الفدائي».

الرئيس شارل حلو: «لا يسعنا أن نقبل بأن يكون بالنتيجة مصير لبنان بكامله رهن عمل تتحمل أعباءه السلطات الدستورية اللبنانية وحدها، في حين الذين يقررونه لا يتحملون ولا يمكن بحكم سيادتنا، أن يتحمَّلوا شيئاً من هذه المسؤولية لا على الصعيد الخارجي ولا في الداخل».

النائب سليمان فرنجية: «أتمنى وجود ضمان للبنان على شكل بوليس دولي أو هيئة دولية أو دولة إفرادية... البوليس الدولي... هو ضرورة كبرى للبنان، كما كان ضرورة كبرى لبلدان عديدة في العالم استنجدت به لحفظ كيانها. ولم تجد هذه الدولة في استخدام البوليس الدولي أي انتقاص لسيادتها وكرامتها».

الجبهة اللبنانية: «إننا نقر آراء العميد إدّه في هذه المرحلة بالذات ابتداء من مطالبته بالبوليس الدولي وانتهاء بضرورة تحويل هذا البوليس إلى قوة رادعة دولية».

ويبقى الحكم للتاريخ.



العميد مع الامين العام للامم المتحدة يوثانت ووزير الخارجية اللبناني جورج حكيم.

الفصل السادس

الولايات المتحدة

«إسرائيل هي التي تحكم الولايات المتحدة، وهي التي تفرض سياستها على أميركا وليس العكس. . . ولبنان منذ سنوات طويلة ضحية أميركا، وأنا لو كنت في لبنان، لما استقبلت السفير الأميركي. . . والمؤسف أن كل اللبنانيين يفتخرون باستقباله. . .»

هذا الكلام، والأصح الموقف تجاه القوة الأعظم في العالم، قاله العميد في أواخر شباط ٢٠٠٠ . موقف يعني الكثير، لمن يريد أن يفهم، أن السياسة ليست خنوعاً ولا تملقاً ولا «تمسيح جوخ»، بل هي وقفة عز وشهامة، يحترم فيها السياسي نفسه، وفي الوقت نفسه عقول الآخرين، ويدافع عن وطنه وشعبه، مهما كان الخصم قوياً، أو كبيراً، فرداً أو جماعة أو دولة.

ولأن العميد هو من هذا النوع من رجال السياسة، وبعد سنة وشهر واحد من حادثة «بوسطة» عين الرمانة في ١٣ نيسان ١٩٧٥، وجه في ١٢ حزيران ١٩٧٦ إلى وزير خارجية الولايات المتحدة هنري كيسنجر، أيام رئاسة الرئيس جيرالد فورد الكتاب الآتي نصه:

رسالة إلى كيسنجر

«إلى السيد كيسينجر.

ليس لي شرف معرفتك، لكنني أعرف ما تقدر عليه، خصوصاً منذ أصبح هذا الجزء من العالم حقل صيد مخفوراً لك تستطيع أن تختار فيه من الطرائد ما

يروقك. كذلك أعرف الصبر الأيوبي الذي يتجسَّد فيك والذي أتاح لك الوصول، خطوة خطوة، إلى تسوية، مؤقتة كما هو مفروض، بين مصر وإسرائيل وبين سوريا وإسرائيل.

إن لبنان الذي تعتبره، على حد أقوالك، بلداً صديقاً ـ تُرى ماذا كان حل به أكثر لو لم يكن كذلك؟ ـ والذي يكاد يكون على صورة بلدك الكبير، بمعنى أن لا إشارة في دستوره إلى دين الدولة أو إلى دين رئيس الدولة.

والذي يحترم كل الحريات الديموقراطية.

والذي كان ينعم باقتصاد ليبرالي جعل من بيروت مركزاً مالياً من مرتبة دولية.

والذي كان ـ ها أنذا استعمل صيغة الماضي! ـ أرض استقبال وصداقة، والذي أعطى العالم مثلاً فريداً في التعايش السلمي بين ديانتين كبيرتين: المسيحية والإسلام، هذا اللبنان الذي يعيش أكثر من نصف مليون من أبنائه في أميركا حيث قاتل كثيرون منهم، وقد أصبحوا مواطنين أميركيين، في صفوف قواتكم مساهمين في ضمان عظمة بلدكم وتفوّقه.

هذا اللبنان الذي أعطاكم علماء وأساتذة وصناعيين كباراً ورجال أعمال بارزين وشيوخاً وأعضاء في الكونغرس وموظفي دولة كباراً، وأخيراً شاعراً كبيراً هو جبران خليل جبران الذي استأثر بإعجاب الشعب الأميركي والذي أصبح لـ«نبيه» مكان إلى جانب كل سرير.

إن لبنان هذا، يا سيد كيسينجر، صائر اليوم إلى الزوال بسببك.

الصراحة والقسوة

لا تلمني إذا كنت على هذا المقدار من الصراحة والقسوة: إنني أدافع عن بلدي.

في حين أن الكل يعرف مدى اهتمامك بالدفاع عن إسرائيل، كما أعرف أن أبناء دينك يأخذون عليك كونك لا تفعل ما فيه الكفاية.

أمَّا اللبنانيون فهم يعرفون أن إسرائيل أوجدت لتبقى، لكنهم لا يستطيعون أن يقبلوا أن يكون الفلسطينيون شعباً تائهاً مسلوباً وطنه، كذلك لا يستطيعون أن يقبلوا أن يفنى لبنان لتعيش إسرائيل.

والواقع أنه كان من نتائج السياسة التي اتبعتها حتى الآن باسم الولايات المتحدة الأميركية:

١ ـ ضمان الوصول إلى حال اللاحرب بين سوريا ومصر من جهة، وإسرائيل من الجهة الأخرى.

٢ ـ جعل لبنان ميدان القتال الوحيد في المنطقة.

٣ ـ تأجيل حل المشكلة الفلسطينية إلى أجل غير مسمى.

٤ ـ إبقاء نحو ٤٠٠ ألف فلسطيني في لبنان، لأن أياً من الدول العربية، إضافة إلى إسرائيل، لا ترغب في استقبالهم وفي إعطائهم حرية التعبير عن مطالبهم المشروعة.

اعطوا لبنان لسوريا

وما هو أسوأ أنه نسب إليك قولك لبعض أصدقائك ـ ولا يدين إلَّا الأغنياء ـ «إذا أردتم السلم فأعطوا لبنان لسوريا».

فإذا صح أنك قلت ذلك، وإذا كانت تلك هي خطتك السرية، يصبح كل ما يجري في لبنان مفهوماً. وإني لأجد نفسي مضطراً في كل حال إلى الملاحظة أن الجيش السوري الذي دخل لبنان، من غير إذن السلطات المختصَّة وفي غير الشكل المقتضى، ما كان ليفعل لولا موافقة الحكومة الأميركية، ولا أستطيع أن أتصوَّر للحظة أن صديقكم الجديد حافظ الأسد سمح لنفسه باحتلالنا من غير أن يحصل من واشنطن على الضوء الأخضر.

وتدَّعي ألسنة السوء أن خطتك لا تقضي بإعطاء كل لبنان لسوريا، بل جزء منه فحسب: البقاع وطرابلس وسهل عكار التي أعادتهما فرنسا إلى لبنان بناء على طلب اللبنانيين في العام ١٩٢٠. ويكون ضم هذه الأراضي إلى سوريا تعويضاً للجولان الذي لن تتنازل عنه إسرائيل رغم كل الجهود التي يمكن أن تبذلها.

كذلك تدَّعي ألسنة السوء ذاتها أنكم قررتم تقسيم بقية لبنان ثلاثة أجزاء:
الأول: شمال طريق بيروت ـ شتورة، يُخصَّص للمسيحيين.

الثاني: ويقع جنوب الطريق المذكورة حتى نهر الليطاني، يُعطَى للبنانيين المسلمين وللفلسطينيين.

والثالث: ويقع بين الليطاني والحدود اللبنانية ـ الإسرائيلية، تحتله إسرائيل من أجل مسألة مياه.

قد لا يكون كل هذا سوى افتراء، لكن الافتراء ما تلبس قط وجه الحقيقة مثله هذه المرة.

على أنه من أجل تحقيق هذا المشروع الظريف، كان لا بد أولاً من إبادة لبنان وتجويع سكانه وتعييشهم في الظلام والرعب، وهذا ما يكاد يتم فعلاً.

ومنذ أكثر من سنة انصرفت شقيقتنا الكبرى، سوريا حافظ الأسد، إلى العمل. وهي قد قررت، كما يفترض أن تعرف، إزالة لبنان سياسياً وإدارياً واقتصادياً وعسكرياً، وقريباً جغرافياً.

وإلّا فكيف تفسّر، يا سيد كيسينجر، القصف الكثيف لبيروت وطرابلس وصيدا وزحلة ولبعض قرانا، واجتياح عاصمتنا والنهب المنظم لمصارفنا وتهديم وسطها التجاري والمجلس النيابي والسرايا الكبيرة مقر الحكومة ومراكز وزاراتنا، ومكاتبنا العقارية ومصانعنا والآبار الارتوازية ومنشآتنا المرفئية... واليوم، مطارنا لعزلنا كلياً عن العالم؟

إنك، بالتأكيد، لم تنس، يا سيد كيسنجر، ووترغيت.

فهلا قلت لنا، إذاً مَن المسؤول عن اغتيال لبنان؟ هل يزعجك هذا؟

فلندع ذلك.

وأمس أيضاً ـ إذ يبدو أن الأمر تغيَّر اليوم ـ كانت واشنطن تبدي ارتياحها إلى تدخّل سوريا التي كانت تراها تسرع إلى نجدة لبنان، وفي يدها غصن زيتون، من أجل إشاعة الأمن وإعادة مؤسساتنا الوطنية وربما، مَنْ يدري؟ ردّ كل ما سرق وإعادة بناء كل ما تهدم.

تمضية ليلة في بيروت

لماذا، يا سيد كيسينجر، لا تأتي لتمضية ليلة أو نهار في بيروت، أنت الذي يهوى الانتقال ولا ينزعج من الطائرة ويعز الإسرائيليين ويحب العرب، فتنزل في السفارة الأميركية التي لها إطلالة بالغة الروعة على البحر، ذلك البحر الأزرق الذي لم تسلبنا سوريا إيَّاه بعد. صحيح أني لا أستطيع أن أضمن لك ليلة هادئة أو أن أضمن سلامتك ما لم تعمد واشنطن في هذه الأثناء وبعد إنعام التفكير إلى تغيير سياستها. ولكن إذا حدث ذلك، فستتحاشى أن تأتي إلى لبنان.

هذا أمر يؤسف له، إذ لو فعلت لاستطعت أن تقدِّر عن كثب منافع التدخّل السوري في كل الميادين، ولكنت ربما أسفت لهول الكارثة التي حمّلتنا إيَّاها.

على أنك قد تستطيع أن تفتدي نفسك حيال بلدك الكبير، بإيجادك وسيلة لإنقاذ لبنان، كما فعلت لدولة أخرى هي في الحقيقة أكثر منه أهمية.

أنت تعرف، يا سيد كيسينجر، أن لبنان ما أساء قط إلى أي بلد، وما هاجم قط جيرانه حتى إسرائيل، مع أنه كان عليه أن يفعل، إنقاذاً للشرف على الأقل، خصوصاً بعد الهجوم على مطار بيروت في كانون الأول ١٩٦٨. لكنَّه لم يتجرأ. واليوم، من الواجب مساعدة لبنان. من الواجب إنقاذ استقلاله وسيادته، لأن وجوده لا يزال ذا نفع للعالم.

أرجو أن تثق، يا سيد كيسينجر، في الصداقة المخلصة التي أكنّها للشعب الأميركي.

ريمون إده

والرد...

ولم يتأخر كيسنجر في الرد على كتاب العميد، فجاء جوابه في ١٤ حزيران ١٩٧٦ كالآتي:

«نيومكسيكو في ١٤/٦/١٩٧٦:

عزيزي مستر إده،

وصلني النص الحرفي لترجمة كتابك المؤرخ ١٢/٦/١٩٧٦، عن طريق سفارة الولايات المتحدة في بيروت.

وخيِّل إليَّ للوهلة الأولى، أن شيئاً خطيراً قد حدث في لبنان لأن السفير الجديد مستر فرنسيس ميلوي نقله إلى واشنطن مع إشارة «عاجل جداً». لذلك تسلمته في مكسيكو خلال رحلتي إلى بلدان أميركا اللاتينية، وأنا الآن أجيب عليه من المقصورة الصغيرة بالطائرة الخاصة المعدَّة لرحلاتي المكوكية. لهذا أعتذر عن «المطبات» التي سأقع فيها، لأن انشغالي بأمور كثيرة يجعلني عرضة لأخطاء غير مقصودة.

أحب قبل كل شيء أن أهنئك لأنك سلمت بطريقة عجائبية، من محاولة اغتيال. وهذا ثمن يدفعه كل سياسي في العالم، حتى في بلادنا. وقد تستغرب ما نتكلفه ـ مادياً وأمنياً ـ على حماية الرؤساء والمرشحين بعد مقتل الأخوين كيندي... وبعد المحاولات المتكررة التي تعرض لها الرئيس الحالي مستر فورد. كما أشكرك هذه المرة بالذات لأنك رفضت أن تجعلني مسؤولاً عن محاولة اغتيالك، بعد سلسلة الاتهامات التي ألصقتها بي، بحيث صوَّرتَني للرأي العام إلهاً صغيراً أُعطي من القدرة والسلطان ما لم يُعْطَهُ في الماضي الفراعنة والقياصرة!

معارض محترف

لقد اكتشفت في العبارة الأولى التي افتتحت بها رسالتك كثيراً من النبل،

عندما قلت «ليس لي شرف معرفتك». وأنا أيضاً ليس لي شرف معرفتك، مع أنك ـ حسب التقارير التي تصلني من ديبلوماسيينا في بيروت ـ من أكثر السياسيين اللبنانيين شهرة وسط الجاليات الأجنبية. فأنت، حسبما أقرأ عنك، تتمتع بشهرة خاصة كعازب ظريف، ومعارض محترف، ودون جوان، وهذه صفات أحبها. وإنما أستغرب ما سجله عنك سفراؤنا السابقون، ابتداء بماكلنتوك وانتهاء بفودلي، فالكل يقول إنك مرشح دائم لرئاسة الجمهورية، ثم يضع ملاحظة مهمة لاجتهاد خاص: «ولكن حظه في الوصول إلى سدة الرئاسة صعب». من هنا كان ترددي المبدئي للاجتماع بك عندما طلبت موعداً من معاوني مستر سيسكو. فنحن، كما تعرف، نحب أن نتعاون مع أصحاب الحظوظ لا مع أصحاب العقول!

ومع أن سيسكو قدم لي مذكرة بخلاصة حديثك الطريف معه، إلا أن صراحتك زادتني فضولاً وتشوقاً لفتح حوار مطول معك حول الأمور التي طرحتها. وفي مقدمتها ما قلته بأنني شخصياً أخطط لتقسيم لبنان، وإعطاء قسم من جنوب بلادكم لإسرائيل، ثم السعي لتقسيم سوريا. وأخبرني سيسكو بأنك سألته: «هل تقبل أن يتآمر اللبنانيون لإقامة دولة زنجية انفصالية داخل الولايات المتحدة؟ هذا ما يفعله كيسنجر في لبنان: يتآمر لإقامة دولة مسيحية ونسف صيغة التعايش»!

قبلة غولدا مائير

قبل أن أجيب على هذه الاتهامات، يجب أن أعتذر لك مرة ثانية لأنني تركت مكتبي عندما كنت أنت مجتمعاً مع سيسكو في الجناح الآخر من وزارة الخارجية، ونزلت إلى المدخل الرئيسي لأستقبل غولدا مائير. إني أعرف رأيك فيها كامرأة. وأعتقد أني سمعت رأياً مشابهاً لرأيك عندما تناولت طعام الغداء في منطقة نائية عن بيروت مع رئيس جمهوريتكم مستر فرنجية. يومها سألني وزير خارجيتكم وأعتقد أن اسمه بحرف الفاء. (لقد سقط اسمه من ذاكرتي) لماذا لا أزور هياكل الأعمدة الضخمة. وأجبته أني على موعد مع غولدا مائير في تل

أبيب، ولا أستطيع أن أتأخر عن لقاء هذه العجوز لئلا أدفع ثمناً لا أريد.. وسألني وزيركم عن الثمن، فقلت له ضاحكاً: «أنها تجبرني على تقبيلها». وأذكر أنه قال لي بحسرة: «أنا لا أريد زيارتك للهياكل أن تكون سبباً في عذابك» وأعجبني جوابه.

وفي المرة الثانية علمت بأنك عدت إلى الولايات المتحدة لتجتمع بي، بناء على وعد قطعته لك الآنسة «م». ولقد أخبرتك في باريس بأنها تعرفني جيداً، وأنها كانت صديقتي. هذا صحيح. أنا لا أنكر ذلك. ولكنها نسيت أن زوجتي تملك جهاز مراقبة لصالحها في مكتبي مع أنني بحكم مركزي، أراقب كل العالم. لذلك أفضل في المرة المقبلة، إذا قررت المجيء إلى أميركا، ألا تطلب موعداً عن طريق النساء!

والآن، مستر إده، لننتقل إلى صلب الموضوع في كتابك المفتوح. فأنت تقول: «بأن لبنان صائر إلى الزوال بسبب.. وإن شعبه لا يقبل بالفناء كي تعيش إسرائيل... وإن خطتي السرية تقوم على منح لبنان لسوريا، ـ كما نسبت إليَّ قوله لبعض الأصدقاء ـ كحل لتوفير السلم في المنطقة».

وطن هارب

قبل أن أدافع عن نفسي أحب أن أذكرك بزيارتي للبنان. يومها طلبت شخصياً من سفارتنا في بيروت أن تتصل بأجهزة الأمن عندكم وتلح عليها بوجوب تغيير مكان الاجتماع برئيس جمهوريتكم لأسباب تتعلق بسلامتي. وذكر المسؤولون عن الأمن في السفارة الأميركية ببيروت، أن معلوماتكم تشير إلى وجود صواريخ أرض ـ جو سوفياتية الصنع، ستوجه إلى طائرتي قبل هبوطها في مطار بيروت. وكنت بهذا العمل أحاول أن أمتحن مقدار السيادة اللبنانية... وقدرة السلطة على فرض إرادتها. وبدلاً من أن ترفض الدولة اللبنانية هذا الإحراج، فقد انتقل رئيس البلاد إلى مكان خفي، سري، ليجتمع بي. عندئذ أدركت حقيقة أنه لا وجود للدولة اللبنانية وأن السيادة معدومة. وصدقني إن اللقاء

القصير كان مضيعة لوقتي الثمين. فقد سئلت أكثر من عشر مرات عن الضمانات الأميركية لاستقلال لبنان وسيادته. ولم أجد لدى المسؤولين أية رغبة وطنية في تأمين هذه الضمانات. ولا أكتمك أنني أجريت امتحانات عديدة من هذا النوع مع حكومات عربية أخرى. ولكن جميع المسؤولين في الأردن أو سوريا أو مصر أو غيرها، رفضوا تغيير بند واحد في برنامج الزيارة، واعتبروا أن الدفاع عن أي زائر رسمي هو مسؤولية داخلية. لذلك اكتشفت خلال الساعات القلائل التي أمضيتها في ثكنة عسكرية عندكم، أنني في وطن هارب يختبئ من واقعه المتردي!

طبعاً، أنا أعرف جوابك على هذه الصورة. فالمسؤولية دائماً وأبداً تقع على الولايات المتحدة. وإنما ثق بأننا حاولنا مراراً وتكراراً أن نتآمر على أنظمة عديدة في العالم العربي ـ ولا نزال ـ وإنما باءت كل محاولاتنا بالفشل. لماذا؟ لأننا اصطدمنا بمقاومة وطنية، وبمناعة داخلية. والزلازل لا تحدث إلا في الأرض المشقوقة. ولا أكتمك أن لبنان هو بلد مثالي لتحقيق المؤامرات. ليس ضده فقط، وإنما ضد العالم العربي ككل. من هنا اكتشفت في تناقضاته عناصر جديدة لنصب فخ كبير للعرب جميعاً.

ولقد أبلغني الرئيس فورد مرة بفرح، أن النجاح الذي حققته خطتي في لبنان قد غطى على الأخطاء التي اقترفتها في التشيلي وقبرص وبنغلادش وانغولا. وأنا شخصياً ما كنت أتوقع هذا القدر من النجاح. صحيح أن وجود اسرائيل وسع حجم العمل، ولكن المتناقضات اللبنانية هي التي كانت تؤمن لنا استمرار الخطة وسلامتها. مرة واحدة حدث خطأ عربي ـ أوروبي كاد يجمد حركة العملية، وسارعت بإرسال دين براون (وهو مهندس سياسي اختصاصي بعمليات الشرق الأوسط). ولقد كشف بسرعة عن موضع الخلل، ثم أعاد ضبط الجهاز الكبير الذي يحرك الأمور حسب الأهداف المطلوبة والخطة المرسومة.

الخطة... وصيغة التعايش

وقد تسأل، مستر إده، عن طبيعة هذه الخطة!

لا أكتمك بأنني بدأت بشيء ثم انتهيت بشيء آخر. كان همي الوحيد أن أبعد الاتحاد السوفياتي عن مجال التدخل والحسم والمشاركة في حل أزمة الشرق الأوسط. كما أسعى إلى تأجيل مؤتمر جنيف والاعتراف بمنظمة التحرير إلى ما بعد انتخابات الرئاسة الاميركية والانتخابات النيابية في إسرائيل، أي مدة سنتنين على الاقل. ثم تشعبت مطامحي بعدما رأيت أن خصوبة الأحداث الدامية في لبنان قد أسقطت صيغة التعايش المطروحة، وبعد أن بدا لي أن ما كان يحلم به «موشي شاريت» عندما كتب رسالته الشهيرة إلى بن غوريون، عام ١٩٥٤، أصبح سهل المنال. فقد تحدث الرجلان الاسرائيليان يومها عن وجوب تقسيم لبنان إلى دولتين طائفيتين. وإنما دعني أستعمل عبارة شاريت حرفياً: «لا جدوى ولا فائدة في محاولة إثارة حركة من الخارج إذا لم يكن لهذه الحركة وجود في الداخل. ومن الممكن تعزيز روح حية إذا كانت تنبض من تلقاء نفسها، وليس من الممكن بعث الروح في جسد لا تبدو عليه دلائل الحياة».

هذا ما قاله حرفياً عن لبنان. لذلك أريدك ألا تجعلني مسؤولاً عن خطة كانت اسرائيل تمهد لها منذ عام ١٩٥٤. صحيح أنني أفكر بخلق دويلات شبيهة بإسرائيل بعدما فشلت في إقناع الدول العربية بفكرة الصلح الانفتاحي، وفي قبول هذه الدولة الجديدة جزءاً من المنطقة. ولكن الصحيح أيضاً أن الأحداث الدامية التي افتعلناها أمنت لنا أرضية مثالية لتقسيم النفوس الموحدة، وتدمير صيغة التعايش، وإحداث خلل أساسي في النظام الديمقراطي الوحيد في المنطقة. وأنا أرى بعكس ما يراه قداسة البابا والرئيس الفرنسي ديستان وأكثر زعماء أوروبا، بأن لبنان أصبح عبئاً على الغرب لكثرة ما أعطت حريته من أفكار كانت تستعمل ضدنا وليس ضد دول المنطقة. لهذا قررت إلغاء هذه الحرية بالرغم من معارضة فرنسا والفاتيكان وبريطانيا ودول أميركا اللاتينية. ثم أجعل من نظامه نظاماً ذاتياً يربط بأية عجلة من عجلات الأنظمة التي تضايقت كثيراً من آرائه الديمقراطية في بلادكم. وأنت تعرف جيداً أن طمس النظام اللبناني ـ ولو لمدة سنتين على الاقل ـ هو أمر ضروري للتسويات المطلوبة. هذا، إلا إذا نجحت في نقل الحروب

العربية إلى ساحته، كما حدث في اسبانيا، مع العلم بأن هذه المغامرة قد تؤدي إلى حرب عالمية.

الإخلاص للزوجة ولإسرائيل

تقول في آخر رسالتك: «إن لبنان ما أساء قط إلى أي بلد. ومن الواجب إنقاذ استقلاله وسيادته، لأن وجوده لا يزال ذا نفع للعالم».

وهذه نظرة عاطفية لا تليق برجل مثلي يتطلع إلى جغرافية العالم من خلال مصالح أميركا.. ومن خلال مصالح إسرائيل في المنطقة. والدليل على ذلك أن الحرب لن تتوقف في بلادكم إلا إذا هددت أمن اسرائيل. لأن كل ما يحدث في المنطقة يجب أن يخضع لهذا المنطق.

وختاماً تطلب مني، يا مستر إده، أن أثق بصداقتك المخلصة التي تكنها للشعب الأميركي. وبالمقابل، أريدك أن تثق بأن إخلاصي لإسرائيل (وأنا يهودي ألماني عرف الاضطهاد النازي) لا يعادله إلا إخلاصي لزوجتي وبلادي تخدم مصالح إسرائيل. لقد ساعدتني المنازعات العربية على توفير كل أسباب النجاح لهذه الخطة. فهل أنا مخطئ؟

أتمنى لك الشفاء العاجل. وأرجو أن أراك بعد حين، لأنني علمت بأنك ما زلت تحلم بأن الظروف قد تأتي بك رئيساً بعد ستة أشهر أو سنة على الأكثر. وهذا أمر يتوقف على إرادة الأحداث.

وأحب في ختام هذه الرسالة، أن أذكرك بعبارة ملهمي مترنيخ: «البعض يصنعون التاريخ.. والبعض يكتبونه».

وأنا شخصياً قررت أن أكون من صانعي التاريخ، وأنت ماذا قررت؟

بانتظار جوابك، دمت للمخلص

هنري كيسنجر

إسرائيل تحكم الولايات المتحدة

جواب فيه الكثير من التحدي، حتى درجة الوقاحة، رغم اختلاف دورَي الرجلين. العميد نائب لبناني «في وطن هارب يختبئ من واقعه المتردي»... و«بلد مثالي لتحقيق المؤامرات». وكيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة، القوة العظمى في العالم التي «تتآمر على أنظمة عديدة في العالم العربي».

هذه الوقاحة تجلّت في قول كيسنجر: «أريدك أن تثق بأن إخلاصي لإسرائيل، وأنا يهودي ألماني عرف الاضطهاد النازي، لا يعادله إلا إخلاصي لزوجتي وبلادي تخدم مصالح إسرائيل».

ألم يكن العميد على حق عندما قال: «إن إسرائيل هي التي تحكم الولايات المتحدة؟»

ومنذ قيام إسرائيل،مروراً بحرب السويس العام ١٩٥٦، وصولاً إلى الحرب الباردة التي قامت بين الجبارين الولايات المتحدة وروسيا بعد منتصف القرن العشرين، والعميد إده «يحارب» الدور الأميركي في لبنان، لأنه كان متطرفاً في مساندة وخدمة الدولة العبرية، الخطر الأول على وطن العميد الصغير.

وتتوالى الأحداث في لبنان والمنطقة، من حرب السويس العام ١٩٥٦، إلى حرب حزيران ١٩٦٧، إلى اتفاق القاهرة العام ١٩٦٩، إلى أيلول الأسود في الأردن العام ١٩٧٠، إلى الاصطدامات بين الجيش اللبناني والكفاح المسلح الفلسطيني في لبنان العام ١٩٧٣، إلى حرب تشرين بين العرب وإسرائيل العام ١٩٧٣، إلى بداية الحرب في لبنان العام ١٩٧٥، إلى الاجتياح الإسرائيلي الأول للبنان في ١٥ آذار ١٩٧٨، ثم الاجتياح الإسرائيلي الثاني والكبير للبنان وصولاً إلى بيروت في ٦ حزيران ١٩٨٢، إضافة إلى الانقلابات والاغتيالات، التي فجرت الأوضاع في دول منطقة الشرق الأوسط... كل هذا كان يحصل بعلم، لا بل بتخطيط من الدوائر الأميركية خدمة لمصالح إسرائيل.

ڤيتو الولايات المتحدة

يروي العميد:

إن الدول الأربع الكبرى في مجلس الأمن ـ أي الاتحاد السوفياتي وفرنسا وبريطانيا والصين ـ تؤيد تنفيذ القرار ٤٢٥ والقرارات الأخرى المتعلقة بالانسحاب الاسرائيلي من لبنان. لكن كلما أرادت هذه الدول أن تفعل ذلك تستخدم الدولة الكبرى الخامسة، أي الولايات المتحدة، حق الفيتو في مجلس الأمن. فلبنان منذ ١٢ سنة ضحية الفيتو الأميركي. وقال لي مكارثي: «إنه لا يمكن تنفيذ القرار ٤٢٥ عن طريق الضغط على اسرائيل إلا عندما يريد الشعب الاميركي ذلك، لأن الولايات المتحدة دولة ديمقراطية والشعب الاميركي لا يريد أن يضغط على اسرائيل الآن». وقلت: أنتم تتخذون أحياناً قرارات ضد اسرائيل فهل تجرون كل مرة استفتاء لمعرفة آراء الشعب الأميركي بمثل هذه القرارات؟ وأجاب مكارثي ضاحكا: «نحن نعرف ما يريد الشعب الأميركي». اجبت: إذاً ليس هناك مجال اليوم لتنفيذ القرار ٤٢٥ طالما أن الشعب الاميركي يرفض ذلك. وعلى هذا الاساس طرحت على زملائي النواب اقتراحاً بمقاطعة اجتماعات مجلس النواب التي ستدرس وتناقش مشاريع القوانين الهادفة إلى تعديل الدستور وأموراً أخرى تنفيذا لاتفاق الطائف بانتظار أن تنسحب اسرائيل من لبنان، إذ لا يجوز تعديل الدستور اللبناني بوجود الاحتلال الاسرائيلي. وقد حدث ذلك في فرنسا خلال الاحتلال الالماني النازي إذ جرى تعديل الدستور الفرنسي تحت الاحتلال، لكن بعد تحرير فرنسا حُكم على الماريشال بيتان ولافال، اللذين حكما فرنسا تحت الاحتلال، بالاعدام. وأتمنى أن يقف زملائي النواب هذا الموقف الوطني التاريخي ويقولوا للولايات المتحدة: لن ننفذ اتفاق الطائف ولن نعدل الدستور اللبناني إلا بعد تنفيذ القرار ٤٢٥ وتأمين الانسحاب الاسرائيلي من لبنان».

رسالة إلى ميتشل

وفي رسالة وجهها العميد إلى زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ الأميركي

السيناتور جورج ميتشيل يقول:

«إذا كان حزبكم يبغي حقاً إنقاذ لبنان ووحدته وديموقراطيته وسلامة أراضيه واستقلاله وسيادته، عليه أن يطلب من الحكومة الأميركية أن تتقدم من مجلس الأمن بمشروع قرار يهدف إلى تطبيق الفصل السابع من شرعة الأمم المتحدة مما يتيح ولا سيما للقبعات الزرق، استخدام القوة لتأمين انسحاب الجيش الإسرائيلي ووضع حد للتعديات المتواصلة ضد الأراضي اللبنانية ومنع اجتياح إسرائيلي محتمل.

على الحكومة الأميركية أيضاً، أن تعلق مساعداتها المالية الملحوظة في موازنتها، طالما إسرائيل ترفض تطبيق القرار ٤٢٥».

عدم زيارة كريستوفر للبنان

وحول الانسحاب من مفاوضات مدريد وعدم زيارة الموفد الأميركي روس إلى لبنان، وكذلك وزير الخارجية الأميركي وارن كريستوفر يحدد العميد إده تفسيرين:

«**الأول**: ربما تكون واشنطن اقتنعت إن لبنان ليس له علاقة بمفاوضات السلام المبنية على القرارين رقم ٢٤٢ و٣٣٨، المتعلقين فقط بإسرائيل وسوريا والأردن والفلسطينيين الذين شاركوا في الحربين ضد إسرائيل (١٩٦٧ ـ ١٩٧٣)، كذلك فإني طلبت منذ بداية مفاوضات السلام في تشرين الأول ١٩٩١، عندما تم الاجتماع الأول في مدريد، أن لا يذهب إلى هذه المفاوضات، وأن لا يجلس الوفد اللبناني على طاولة واحدة مع الوفد الإسرائيلي، خاصة وأن الطيران الإسرائيلي كان يومها يقصف لبنان الجنوبي، وكان من المفروض على الوفد اللبناني أن يتمسَّك باتفاقية الهدنة اللبنانية الإسرائيلية وبالقرار ٤٢٥، ولكنه جلس مع الوفد الإسرائيلي مرات عدة في مدريد وفي واشنطن بدون أية فائدة تذكر.

وحسناً فعل رئيس الوفد اللبناني السفير سهيل شماس عندما أبلغ أخيراً

رئيس الوفد الإسرائيلي يوري لوبراني، بأن موقف لبنان ملتزم فقط بالقرارين ٤٢٥ و٩٠٥ وباتفاقية الهدنة.. وإذا كان لا بد من اجتماع يعقد مع وفد إسرائيلي فيجب أن يتم وفقاً لاتفاقية الهدنة، أي في الناقورة أو في المطلة، كما ورد ذلك في المادة السابعة من هذه الاتفاقية الموقعة في ٢٣ آذار ١٩٤٩.

إذن، أريد أن أشكر وزير الخارجية الأميركي كريستوفر في حال لم يقم بزيارة إلى لبنان، لأنه يكون بذلك قد اقتنع بالموقف اللبناني.

أمّا التفسير الثاني: فهو أن الإدارة الأميركية همُّها الوحيد إرضاء إسرائيل. وهذه سياستها الدائمة منذ أن نشأت الدولة الإسرائيلية، فإنه من المعيب أن واشنطن التي أيّدت القرار ٤٢٥ الداعي إلى انسحاب إسرائيل إلى حدود لبنان المعترف بها دولياً فوراً وبدون قيد أو شرط، تخالف اليوم القرار كما أنها تريد أن تقنع لبنان بأن يوقع معاهدة سلام مع إسرائيل كي تسحب جيشها من لبنان.

إذن، فمن الأفضل أن لا يزورنا وزير الخارجية الأميركي، وأن ينسحب لبنان نهائياً من مفاوضات السلام».

«مثل القديس توما»

وقبل أقل من ثلاثة أشهر من رحيله، أي في ٢٧ شباط ٢٠٠٠ يقول العميد:

«مرَّة جديدة أكرّر رأيي الثابت بأن أميركا تقف وراء إسرائيل، وهي تدفع لها سنوياً ثلاثة مليارات دولار نقداً، ما عدا المساعدات التي تقدمها الولايات المتحدة لإسرائيل على شكل أسلحة وتقديمات عينية أخرى.

قلت وأكرّر بأني لست مقتنعاً بحصول الصلح بين العرب وإسرائيل... وفي أي حال، أنا مثل القدّيس توما أريد أن ألمس بإصبعي قبل أن أصدّق وأغيّر رأيي... وحتى الآن لم ألمس ما يجعلني أتوقّع الصلح مع إسرائيل.

لا اتفاق إلّا إذا قررت الولايات المتحدة دفع مليارات الدولارات كتعويضات للمستوطنين اليهود في الجولان ولانسحاب الجيش الإسرائيلي من الجولان، وإلّا إذا نجحت أميركا في إقناع سوريا بالموافقة على استمرار احتلال إسرائيل لقسم من الجولان قرب طبريا.

لا شيء عندي في هذا المجال.. فإسرائيل هي التي تحكم الولايات المتحدة، وهي التي تفرض سياستها على أميركا وليس العكس، والولايات المتحدة اليوم تدخل فترة انتخابات، والأكيد أن المرشحين يريدون إرضاء اليهود ومصالح إسرائيل ليكسبوا أصوات اليهود الأميركيين في نيويورك وحدها مليون ونصف المليون يهودي، والعنصر اليهودي في الولايات المتحدة هو من أقوى العناصر الممسكة بالسياسة والاقتصاد... لبنان منذ سنوات طويلة ضحية أميركا، وأنا لو كنت في لبنان لما استقبلت السفير الأميركي... والمؤسف أن كل اللبنانيين يفتخرون باستقباله... في دول أخرى يقاطعون السفير إذا تعاطت دولته كما تتعاطى الولايات المتحدة معنا.

المهم أن يكون ضميرنا مرتاحاً... وأنا بسبب مواقفي ضميري مرتاح...»

وهكذا كان ضمير العميد مرتاحاً، حتى في مواقفه من الولايات المتحدة، التي تدير العالم. بكل جرأة ووضوح، ومن دون خوف أو تردد، وبعيداً عن أي مساومة لكسب مودة أو تأييد... خصوصاً للوصول إلى كرسي الرئاسة.

انذار مبكر من الأميركيين

لقد شكل العميد حالة «الإنذار المبكر» للأميركيين لما سيلحق وطنه الصغير من ويلات وكوارث. لكن هؤلاء لا يعرفون العاطفة ولا الصداقة، ولا يهتمون بمصائر الشعوب الضعيفة. فقط مصالح أميركا في العالم، ومصالح إسرائيل في المنطقة هي الأساس، وهي التي تستحق كل جهد، والغاية لتحقيق هذه المصالح تبرر الوسيلة، ولو كانت حروباً ودماراً تحصد الأبرياء والمساكين والمستضعفين.

ولأن العميد يتابع كل قضية محقة تخص وطنه، كان على اتصال دائم بالأميركيين بالطرق الدبلوماسية والرسمية والخاصة، تجسدت ومنذ الخمسينات وحتى رحيله، بأكثر من مناقشة علنية وسرية مع السفراء المعتمدين في بيروت، وكتابة رسائل إلى المسؤولين في واشنطن ونيويورك، وزيارات متكررة إلى هاتين المدينتين بدعوة رسمية أو بمبادرة خاصة، وذلك من أجل وضع «اصبع» هؤلاء المسؤولين على «جرح» «الوطن الرسالة»، كما سماه قداسة البابا يوحنا بولس الثاني.

ويستمر الأميركيون في عدم سماع، وعن قصد بالتأكيد، أنين الوطن الصغير الذي قدمته دول المنطقة «ذبيحة» على مذبح مصالحها المشتركة، وأهدافها المبيتة.

يقول العميد:

«لست مدعواً إلى الولايات المتحدة الاميركية، لأنه سبق أن وجهت إليَّ دعوة لزيارة أميركا عام ١٩٧٦ إلا أنني ذاهب الآن إلى واشنطن لأمرين:

١ ـ أريد أن أفهم موقف الولايات المتحدة الاميركية والسياسة الاميركية في ما خص لبنان.

٢ ـ سأشرح حلِّي للمسؤولين الاميركيين، وهو يرتكز إلى المحافظة على وحدة لبنان وسيادته وديمقراطيته».

ورحل العميد ولم يفهم موقف الولايات المتحدة الأميركية والسياسة الأميركية تجاه لبنان، ولم يتأكد ما إذا كانت هذه الدولة الجبارة ستحافظ على وحدة هذا الوطن الصغير وسيادته وديموقراطيته.



مع جوزف سيسكو مساعد وزير الخارجية الاميركية للشؤون السياسية.

الفصل السابع

فرنســا

في ٢٥ نيسان ١٩٢٠، أعلن مؤتمر سان ريمو في إيطاليا وضع لبنان وسوريا تحت الانتداب الفرنسي.

في ٣ آب من العام نفسه، أعلن الجنرال غورو ضم الأقضية إلى لبنان.

وفي ٣١ منه أعلن في قصر الصنوبر استقلال لبنان وعاصمته بيروت.

وفي حزيران ١٩٢١، رسمت الحدود اللبنانية (نيوكامب ـ بولييه).

وفي ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ كان استقلال لبنان.

يروي العميد: «خلافاً لما يقوله الكثيرون فليست فرنسا هي التي أنشأت أو أقامت لبنان، بل إن لبنان موجود من أيام فخر الدين والمعنيين والشهابيين. لكن حدوده تكبر أو تصغر وفقاً للظروف والأوضاع الإقليمية والدولية. ففي الفترة بين ١٨٦١ و١٩١٤، وبرغم وجود خريطة ١٨٦٢، كان هناك لبنان صغير لا يشمل طرابلس وعكار والبقاع والجنوب وصور وصيدا وبيروت. وكان المنفذ الوحيد له على البحر يمتد من جونيه إلى البترون. وتم ذلك بإرادة الدولة العثمانية.

إذاً لبنان كان موجوداً منذ عدة قرون، وحدوده كانت تكبر أو تصغر وفقاً للظروف الإقليمية والدولية. وفي مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩ طلبت الوفود اللبنانية الثلاثة من السلطات الفرنسية أن يكون لبنان مستقلاً عن سوريا، وأن تكون حدوده هي تلك المرسومة على خريطة ١٨٦٢، لا حدود لبنان الصغير، ووافقت السلطات الفرنسية على ذلك، وأعلن الجنرال غورو قيام لبنان

الكبير في قصر الصنوبر في بيروت في الأول من أيلول ١٩٢٠، وحين طالبت هذه الوفود الثلاثة بلبنان الكبير ـ أي لبنان الحالي ـ كانت تعلم تماماً أن لبنان الصغير ليس قابلاً للحياة والاستمرار، وأن لبنان الكبير هو القادر على الاستمرار والحياة سياسيا واقتصادياً وزراعياً. وكانت هذه الوفود الثلاثة تعلم، أيضاً، تماماً أن عدد المسلمين سيتزايد في لبنان الكبير وخصوصاً في مناطق كالبقاع والجنوب والشمال، ومع ذلك تمسكت بلبنان الكبير».

معارضة العدوان الثلاثي

ويخلف العميد إده والده الرئيس إميل إدّه في عمادة الحزب، حاملاً معه ذكريات طيبة عن الفرنسيين في معظم الأحيان، وسيئة في قليلها، من البيت الذي تربّى فيه، وهو بيت في كل حال، حضن مَنْ كان زعيماً في الوطنية وفي السياسة.

وطوال مدة تمرسه في العمل السياسي، عميداً لحزب الكتلة الوطنية، نائباً ووزيراً، أقام العميد أفضل العلاقات وأثمرها مع فرنسا، من خلال السفراء الذين تعاقبوا على السفارة في بيروت، أو من خلال اتصالاته بالمسؤولين الفرنسيين أو لقاءاته معهم، خدمة للمصالح اللبنانية، وتوثيق عرى الصداقة اللبنانية ـ الفرنسية.

وتقع الحرب الثلاثية على مصر في العام ١٩٥٦، بعد أن أَمَّمَ الرئيس جمال عبد الناصر قناة السويس. ويصرح العميد أنه يقف إلى جانب مصر، ويعارض «العدوان الإنكليزي الفرنسي الإسرائيلي، عليها، لأن لبنان يرتبط مع هذه الدولة بميثاق جامعة الدول العربية».

وتحل أعوام المحنة في لبنان. وتحاول فرنسا أن تلعب دور الاعتدال بين جميع الفرقاء اللبنانيين، محاولة، بما لديها من مكانة دولية، إبعاد الكأس المرّة عن هذا الوطن، متدخلة لدى الدول الإقليمية، والدولية كي لا يكون لبنان الضحية. لكن مصالح الجبارين، أيام الحرب الباردة، ثم مصالح الولايات المتحدة أيام القطب الواحد، ومصالح الدول الإقليمية، كانت أفعل من الدور الفرنسي.

وبالرغم من «محدودية» دورها، خصوصاً بعد العام ١٩٦٩ واتفاقية القاهرة، والعام ١٩٧٣، والاصطدامات بين الجيش والمقاومة الفلسطينية، ومن ثم بداية الحرب في العام ١٩٧٥، بقيت «الأم الحنون» على الأقل بالنسبة للمسيحيين، على استعدادها لتقديم العون إلى اللبنانيين.

وبقي العميد طوال هذه المرحلة على اتصال بالفرنسيين، عبر موفديها أو سفرائها، أو من خلال اتصالاته ومراسلاته وزياراته، علَّ هذه الحركة تفعِّل الدور الفرنسي ليمنع تقسيم لبنان، كما تريد إسرائيل وسياسة كيسنجر، ويحد من التدخل السوري في الشؤون اللبنانية، ويوقف الفلسطينيين عند حدهم، بعد أن أباحت لهم اتفاقية القاهرة الحدود، أما الباقي فاستباحوه هم.

احتضان «الأم الحنون»

وتواصل المؤامرة، أو مَنْ يقف وراءها، قَتْلَ اللبنانيين وتهجيرهم واغتيال زعمائهم. ولأن العميد كان من بين هؤلاء الزعماء، تعرّض لأكثر من محاولة اغتيال. وأمام هذا «الإرهاب» الذي لا يرحم، والذي يريد النيل من وحدة لبنان واستقراره وسيادته واستقلاله، يغادر العميد في ٢٢ كانون الأول العام ١٩٧٦ إلى القاهرة بدعوة من الرئيس أنور السادات. وبعد إتمام الزيارة، يقرر العميد العودة إلى بيروت، لكن الرئيس السادات نصحه بعدم العودة لأن حياته في خطر.

وينتقل العميد إلى باريس في ٧ كانون الثاني ١٩٧٧ فاستقبله الفرنسيون بالترحاب، واضعين بتصرفه كل ما تتطلب الإقامة في «المنفى». لكن العميد يرفض «أن يصرف على العميد إلا العميد»، وتكتفي الحكومة الفرنسية بتخصيص بعض الحراس لحمايته.

وهنا لا بد من السؤال: هل إن الذين لجأوا إلى فرنسا: العميد في العام ١٩٧٧، الرئيس إلياس سركيس في بداية الثمانينات، الرئيس أمين الجميل في نهايتها، العماد ميشال عون في بداية التسعينات. . . اختاروا ذلك عن إرادة؟ أم

أن هذا الاختيار تم بفعل عامل نفسي في لاوعيهم، دفعهم إلى «اللجوء» إلى فرنسا لأنها المكان الآمن لحمايتهم، ولأن الفرنسيين بخلاف غيرهم، لا يساومون على حياتهم؟

ويتابع العميد معركته من مقر إقامته في فندق «برانس دوغال»، ومن ثم في فندق «كوين إليزابيت» لتحرير لبنان من الاحتلال الإسرائيلي، والوجود السوري، اللذين يعملان على تقويض كيانه، محولاً «بيته» الصغير، إلى غرفة عمليات دائمة الاتصال بلبنان لمعرفة المستجدات، وببعض المسؤولين في فرنسا والفاتيكان والولايات المتحدة، ودول أخرى، لمساعدة لبنان على استعادة استقلاله وسيادته وقراره. وكانت «عدة الشغل»: متابعة دقيقة للأحداث، رؤية واضحة لما سيأتي، ورأي حر جريء صريح، لا يساوم ولا يهادن، ولا يبيع أو يشتري.

ثلاثة رؤساء

في الفترة التي أمضاها العميد في فرنسا، عاصر ثلاثة رؤساء جمهورية: فاليري جيسكار ديستان (١٩٧٤ ـ ١٩٨١). فرنسوا ميتران (١٩٨١ ـ ١٩٨٨ ـ ١٩٩٥). جاك شيراك (١٩٩٥ ـ . . .). وكان دائم الاتصال بحكوماتهم وإداراتهم، وفي مرات قليلة كانت له معهم لقاءات شخصية.

في ١٥ آذار ١٩٩٦ استقبل الرئيس شيراك العميد إدّه، وأحاطه بكل مظاهر التكريم والمودّة، وتطرق الحديث إلى الأوضاع الإقليمية في الشرق الأوسط وانعكاساتها على الوضع اللبناني، فأكد الرئيس شيراك على ضرورة استمرار العملية السلمية. واستغل العميد إدّه الفرصة ليذكّر بموقفه الذي يميز بين الاحتلال الإسرائيلي للبنان والوجود السوري، وأن تطبيق القرار ٤٢٥ «يؤدي إلى انسحاب الجيش السوري، بعد انسحاب الجيش الإسرائيلي».

ورد الرئيس الفرنسي موضحاً أنه أثار هذا الموضوع في لقائه مع الرئيس بيل كلينتون. وكان تعليق العميد أن أميركا هي حليفة إسرائيل والمطلوب ضغط أوروبي على أميركا لتستخدم نفوذها لدى إسرائيل كي تنفذ القرارات الدولية.

وبعد أن أكد شيراك أن فرنسا، تتمسك باستقلال لبنان وسيادته، تمنى مشاركة جميع اللبنانيين في المسيرة السياسية.

وردَّ العميد، وبكل صراحة، أن لا ديغول ولا بيتان فكرا في إجراء انتخابات أيام الاحتلال النازي.

وقال: «المجلس النيابي الحالي سوري، والمجلس المقبل سيكون سورياً أيضاً. ونوعية الأشخاص الذين تحدثت عنهم لا مكان لهم لا اليوم ولا غداً، لأن هذه العناصر الوطنية والنظيفة لا يمكن أن تدخل إلى البرلمان اللبناني من دون موافقة دمشق ومباركتها». وأضاف: «ما دمت مؤمناً بالعملية التفاوضية وأن السلام قادم لا محالة وهو قريب، فلماذا لا ننتظر وصوله لتتأمن في ظله الشروط الضرورية لإجراء انتخابات حرة ونزيهة وفي مقدمها انسحاب كل الجيوش غير اللبنانية من الأرض اللبنانية كاملة واستعادة السيادة الكاملة؟».

ثم تطرق الحديث إلى زيارة الرئيس شيراك للبنان، فقابل إده حماسة شيراك بفتور وتحفظ، بل بمعارضة. وتساءل موجهاً كلامه إليه: «أليس من الأفضل تهيئة الأجواء لضمان نجاح الزيارة فتأتي تتويجاً لتحرك فرنسي ـ أوروبي يساعد على تحرير لبنان من الاحتلال واستعادة سيادته؟ يومذاك يمكنكم زيارة لبنان، ليس كسائح، بل كرئيس صديق يحظى بعرفان جميع اللبنانيين لأنه مساهم في إنقاذ وطنهم».

أضاف: «على أصدقاء لبنان، وفي مقدمهم فرنسا والفاتيكان، عدم القيام بأي خطوة أو مبادرة تفسر بأنها تكريس للأمر الواقع الحالي السائد في لبنان وتثبيت الاحتلال الاسرائيلي في الجنوب والوجود العسكري السوري، الذي هو أقرب إلى شبه احتلال لبقية الأراضي اللبنانية».

وهنا أوضح شيراك أن كل ما تقوم به فرنسا منذ وصوله إلى الرئاسة هو للتعبير عن عمق الالتزام الفرنسي حيال لبنان وإظهار مدى اهتمامها بمصيره

وضمان مستقبله بلداً سيداً ومستقلاً وحراً في إطار أي تسوية إقليمية مقبلة لئلا تتم على حسابه.

زيارة شيراك للبنان

ويزور الرئيس شيراك لبنان في نيسان ١٩٩٦ فيوجه له العميد رسالة هنأه فيها على الزيارة وتعاطفه مع لبنان. فما كان من الرئيس شيراك إلا أن وجه للعميد رسالة هذا نصّها:

«رئيس الجمهورية

باريس في ٢٠ أيار ١٩٩٦

السيد الوزير، صديقي العزيز

تلقيت خلال زيارتي الرسمية للبنان، رسالة التهنئة التي ارسلتموها إلي والتي أثرت تأثيراً مباشراً في قلبي.

تركت أثراً كبيراً في نفسي رسالتكم الاخيرة التي تعبرون لي فيها، باسمكم الشخصي وباسم الكتلة الوطنية اللبنانية، عن شكركم الحي للجهود التي بذلتها فرنسا بغية الوصول إلى وقف للنار، غداة القصف الذي حصل بين لبنان وإسرائيل.

كما تعرفون، فإن آلام الشعب اللبناني تؤثر في نفسي تأثيراً عميقاً. وإن تمسكي باستقلال لبنان وسيادته الكاملة يفسر القرار الذي اتخذته لدى بدء القصف وفي اليوم التالي لزيارة رئيس مجلس الوزراء اللبناني لباريس، بإيفاد وزير الخارجية ايرفيه دوشاريت إلى المنطقة. وهو تمكن في ختام مهمة طويلة في خدمة السلام، من التوصل إلى وقف للنار وتفاهم نأمل في استمرارهما.

أنا مثلكم، واع للأضرار والدمار التي فرضت على الشعب اللبناني. إن أرتال النازحين وآلام النساء والأطفال والسكان المدنيين أثارت مشاعر الرأي العام الفرنسي. وهكذا قررت مشاركة فرنسا في إصلاح محطات الكهرباء التي

تعرضت ظلماً لقصف في بيروت. وإن تدمير هذه المحطات أوحى فعلاً بأن الجهد لإعادة الإعمار الذي باشرته الحكومة اللبنانية منذ أربعة أعوام لا يمكن أن يستمر في ظروف فضلى.

أنتم تعرفون كم أنا متمسك بتلقي ملاحظاتكم ونصائحكم. وأنا كنت سعيداً جداً باستقبالكم قبل سفري إلى لبنان، وقلت لكم إن أمنيتي أن يتمكن جميع اللبنانيين من المشاركة في الانتخابات النيابية المقبلة التي هي في نظرنا امتحان مهم للعودة إلى الحياة السياسية الطبيعية. وأنا جهدت في بيروت في شرح هذه الرسالة، وكان خطابي أمام مجلس النواب اللبناني لإظهار كم أن فرنسا ستقف بجانب لبنان في هذه المرحلة المهمة من تاريخه. كذلك أردت أن أؤكد مجدداً تمسكنا باستقلال لبنان وسيادته وسلامة أراضيه والأهمية التي نعقدها على التنفيذ الجيد لقرارات مجلس الأمن في الأمم المتحدة وخصوصاً القرار رقم ٤٢٥.

أنا أعرف أنكم تدركون جيداً معنى سياسة فرنسا. إن المستشار الديبلوماسي برنار ايمييه يطلعني في انتظام على أحاديثكم ومراسلاتكم. وأنا حريص على أن أكرر لكم أن رؤيتكم الأحداث ومستقبل لبنان، حيث أنتم محترمون لرفعة آرائكم، ستظل ثمينة بالنسبة إلي.

وإذ أكرر تأثري برسالتكم وأؤكد إيماني مجددا بمستقبل بلدكم، تفضلوا السيد الوزير بقبول أفضل مشاعري.

بكل صداقة

رسالة إلى جوبيه

وفي ١٧ نيسان ١٩٩٧، وبعد الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان، وتدميرها لعدد من منشآت البنية التحتية، وجه العميد رسالة إلى رئيس الوزراء الفرنسي آلان جوبيه جاء فيها:

«السيد رئيس الوزراء

أرغب في أن أوجه إليكم أحر التهاني لمداخلتكم أمس أمام الجمعية الوطنية حيث أدنتم قصف الطيران الإسرائيلي الأهداف المدنية.

إن إسرائيل دمرت عمداً محطتين كهربائيتين تبعد كل منهما أكثر من مئة كلم عن الحدود اللبنانية ـ الإسرائيلية، وحيث لا وجود البتة لـ«حزب الله» مما ألحق ضررا كبيراً بالشعب اللبناني.

إن الهدف الحقيقي لإسرائيل هو عرقلة استعادة لبنان عافيته وعودة مرفأ بيروت إلى نشاطه، لأنها تريد الحلول مكانه من أجل السيطرة اقتصادياً على الشرق الأوسط بأكمله.

إن إسرائيل شاركت في الاضطرابات العديدة التي جرت في لبنان وخصوصاً منذ ١٩ آذار ١٩٧٨ تاريخ القرار ٤٢٥ الصادر عن مجلس الأمن، والذي ينص على انسحاب القوات الإسرائيلية من كل الأراضي اللبنانية. وقد رفضت إسرائيل دائماً تنفيذ هذا القرار.

وهكذا فإن إسرائيل تمنع منذ ١٨ عاماً القوات الدولية التابعة للأمم المتحدة، والتي تضم أيضاً جنوداً فرنسيين، من الانتشار والتمركز على طول الحدود اللبنانية ـ الإسرائيلية. إن إسرائيل تشكو من دون حق من مهاجمة لبنانيين يدافعون عن أرضهم المحتلة، بطريقة غير مشروعة.

إن اقتراح الرئيس جاك شيراك من أجل مشاركة الجيش الفرنسي في الدفاع عن الحدود اللبنانية ـ الإسرائيلية لقي ترحيباً جيدا من الشعب اللبناني.

وعندها لن يكون لإسرائيل من مبرر لإبقاء قواتها على الأراضي اللبنانية، ووقتها تستطيع السلطة اللبنانية إعطاء الأمر بنزع سلاح ميليشيا «حزب الله».

تفضلوا، السيد رئيس الوزراء، بقبول أخلص الشكر لتدخل فرنسا لمصلحة لبنان الذي لا بد من أن يذكرنا بالموقف المثالي الذي اتخذه الجنرال ديغول عام ١٩٦٩».

رسالة إلى دوشاريت

ولمناسبة زيارته إلى بيروت في آذار ١٩٩٧، وجه العميد رسالة إلى وزير الخارجية الفرنسي إيرفيه دو شاريت الآتي نصها:

«معالي الوزير إيرفيه دو شاريت» ـ بيروت.

في التاسع عشر من آذار ١٩٧٨، اتخذ مجلس الأمن الدولي، بالإجماع القرار ٤٢٥ «طالباً من إسرائيل وقف عملياتها الحربية فوراً ضد سلامة الأرض اللبنانية وسحب جميع قواتها، دون تأخير، من كل الأراضي اللبنانية».

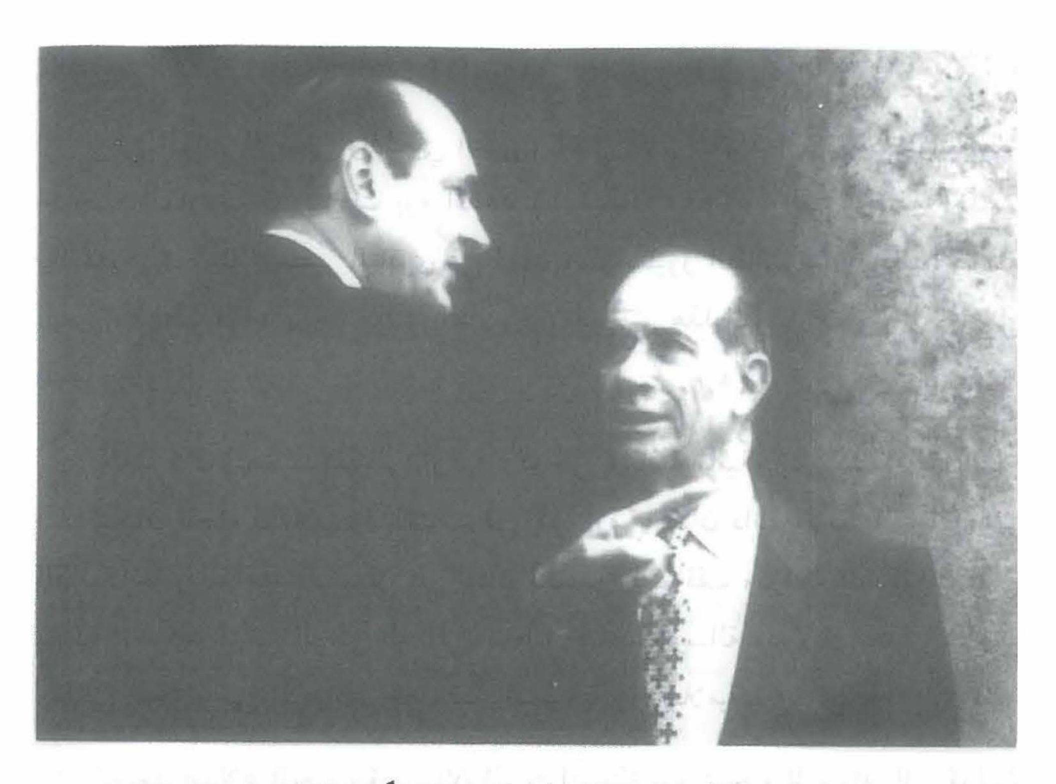
إنه من غير المفهوم ولا المقبول أن يستمر «الخمسة الكبار» في التساهل، منذ ما يقارب التسعة عشر عاماً، تجاه هذا الانتهاك الفاضح للقانون الدولي على حساب لبنان من إسرائيل التي تستعد الآن، بصورة غير قانونية، لاحتلال القدس الشرقية.

إن أكبر خدمة يمكن لفرنسا أن تقدمها إلى الشعب اللبناني هي إلزام الجيش الإسرائيلي الانسحاب من كل الأراضي اللبنانية».

وهكذا خاطب العميد الجميع في فرنسا، من أجل لبنان.

ويصر العميد على البقاء فيها، حتى وفاته في ١٠ أيار ٢٠٠٠، ملتزماً بمبادئه،وفياً لوطنه، لا يتراجع عن حقه في السيادة والاستقلال.

وطوال مدة إقامته في «منفاه الباريسي»، بقي على علاقة صداقة مع الفرنسيين، لا بل علاقة شكر وامتنان، ما منعته يوماً من أن يوجه «اللوم» لهم، إذ رأى في «سلوكهم» السياسي تجاه لبنان، ما يستشف منه تنازلاً أو مساومة على حقوقه. وبادلته الود والاحترام، وعاملته كالرؤساء. ولكن لم يكن في يدها حيلة.



الرئيس الفرنسي جاك شيراك متحدثاً إلى العميد.

الفصل الثامن

الفاتيكان

في المأتم الرسمي والشعبي الكبير، الذي أقيم للعميد إدّه في كاتدرائية مار جرجس المارونية في بيروت يوم الأحد ١٤ نيسان ٢٠٠٠، والذي وصفه أحدهم بـ«الملوكي»، مثّل السفير البابوي في لبنان المونسنيور انطونيو ماريا فاليو قداسة الحبر الأعظم البابا يوحنا بولس الثاني في المأتم، هذا التمثيل يحمل الكثير من المعاني.

لقد كان العميد كلبناني أولاً، وكرجل سياسة ثانياً، يثق كثيراً «بسياسة» الفاتيكان تجاه لبنان. ولذلك، وفي كل أزمة، كان دائم الاتصال بالدوائر الفاتيكانية وبالقاصد الرسولي في لبنان لتنسيق المواقف ودراسة الخطوات التي يجب اتخاذها ليبقى الوطن اللبناني، وطناً صاحب رسالة ودور في هذا الشرق، وملتقى للحوار بين الأديان، خصوصاً المسيحية والإسلامية.

وبعد اندلاع الحرب في لبنان لم يتوانَ مرّة عن توجيه الرسائل إلى قداسة الحبر الأعظم، طالباً من قداسته مساندة لبنان. وفي أكثر من مرّة، كان يردد أنه إذا انتخب رئيساً للجمهورية وهو في المنفى، سيقوم، وقبل المجيء إلى لبنان، بزيارة بعض الدول، ومنها الفاتيكان ليخلص لبنان من الاحتلال الاسرائيلي والوجود السوري.

في ٣ حزيران ١٩٩٤، وعشية وصول الرئيس بيل كلينتون إلى الفاتيكان، وجه العميد برقية إلى قداسة البابا يوحنا بولس الثاني جاء فيها:

«لمناسبة زيارة الرئيس بيل كلينتون، أرجو منكم أن تطلبوا منه الإصرار على تنفيذ القرار ٤٢٥ الذي صوتت عليه الولايات المتحدة الأميركية في ١٩ آذار ١٩٧٨، أي منذ أكثر من ستة عشر عاماً، هذا القرار الذي يلزم إسرائيل بأن تسحب قواتها المسلحة من كل الأراضي اللبنانية دون إبطاء، مما يسبب انسحاب الجيش السوري.

وفي زيارتكم المقبلة للبنان سوف تلقون استقبالاً من كل الشعب اللبناني، مسيحيين ومسلمين، كمنقذ لوطنهم».

رفض ثم قبول

وبعد أن رفض العميد زيارة قداسته إلى لبنان العام ١٩٩٤، قبل أن يتحرر من الجيش الإسرائيلي، وبعد وصول بنيامين نتنياهو إلى الحكم، الذي يعمل على تحقيق إسرائيل الكبرى، عاد العميد وقَبِل بزيارة قداسته. وقال في حديث له في نيسان العام ١٩٩٧:

«مهما يكن من أمر، ألاحظ أن قداسة البابا يوحنا بولس الثاني قد عدل عن زيارة جنوب لبنان، كما كان مخططاً في زيارته الأولى. وسوف تقتصر زيارته على حريصا وبكركي وبعبدا، وسيقيم قداساً في وسط بيروت، وعلى مساحة أعدت بالقرب من البحر، تحت ساحة الشهداء. ولذلك غيّرتُ موقفي. وطلبت من المحازبين وأصدقاء الكتلة الوطنية اللبنانية أن يستقبلوا قداسة البابا استقبالاً كبيراً وحافلاً...».

رسالة إلى البـابا

ونتيجة لهذا التبدل في الموقف، وجّه العميد في ١٠ أيار ١٩٩٧ كتاباً إلى قداسة البابا جاء فيه:

«قداسة الحبر الأعظم،

البابا يوحنا بولس الثاني

حريصا ـ لبنان

قداسة البابا

اسمحوا لي بأن أرحّب بكم، باسم الكتلة الوطنية اللبنانية وباسمي الشخصي، لمناسبة حضوركم إلى لبنان.

إن تاريخ وطني يرجع إلى أكثر من ستة آلاف سنة. وقد ذُكِرَ اثنتين وسبعين مرة في الكتاب المقدس، ولولا أرزه الموجود منذ آلاف السنين، لما كان قد بُني هيكل سليمان.

إن شعبه مؤلف حالياً من ثماني عشرة طائفة روحية، معترفاً بها رسمياً، كانت تعيش في انسجام كامل قبل الحرب الأهلية عام ١٩٧٥، التي شنَّها بعض اللبنانيين، متسببين بموت نحو مئتي ألف شخص. أكثرهم من المسيحيين وبهجرة أكثر من مليون لبناني ينتمون إلى مختلف الطوائف.

عليّ أن أشير، هنا، إلى أن لبنان قد رفض أن يشارك في الحربين مع إسرائيل عامي ١٩٦٧ و١٩٧٣. إن قواتها المسلحة قد احتلت دون سبب مشروع جزءاً من أرضنا التي لا تزال تحتلها حتى اليوم ومخالفة القرارين الرقم ٤٢٥ و٤٢٦ الصادرين عن مجلس الأمن في تاريخ ١٩ آذار ١٩٧٨، القاضيين بالانسحاب الفوري وغير المشروط لهذه القوات.

أمَّا القوات الحليفة لسوريا والقوات السورية، فقد دخلت إلى لبنان على مرتين. دخلت الأولى في تاريخ ٧ كانون الثاني ١٩٧٦، مؤلفة من ألفي جندي من جيش التحرير الفلسطيني المتمركزة في سوريا، ودخلت الثانية في تاريخ أول حزيران ١٩٧٦، مؤلفة من عشرة آلاف جندي سوري، واليوم في لبنان نحو خمسة وثلاثين ألف جندي سوري.

إن وزير خارجية سوريا السيد عبد الحليم خدام صرّح للصحف في تاريخ ٧

كانون الثاني ١٩٧٦: «في حال التقسيم (تقسيم لبنان)، فإن سوريا ستضم لبنان دون تردد، لأنه ليس سوى جزء منها».

وفي أثناء وجوده في مؤتمر كولومبو، صرّح السيد خدام في تاريخ ١٤ آب ١٩٧٦: «لم نطلب من أحد إذنا بالدخول إلى لبنان ولن نطلب إلى أحد إذنا بالخروج منه».

قداسة البابا

إن أكثرية الشعب اللبناني تناشدكم العمل للحصول على انسحاب القوات الإسرائيلية والسورية من جميع الأراضي اللبنانية، الأمر الذي يسمح باسترجاع استقلالها وسيادتها. [انتهى كتاب العميد إلى قداسة البابا].

وبعد الزيارة إلى لبنان في ١٠ و١١ أيار وترؤس قداسته القداس في الوسط التجاري في بيروت، صرّح العميد بالآتي:

«أهنئ اللبنانيين بهذا اليوم العظيم، وأقول لهم إنني فخور أكثر من أي يوم بلبنانيتي.

نحو خمسمئة ألف مواطن شاركوا في القداس الذي أقامه الحبر الأعظم في زيارته للبنان، ولم تسجل ضربة كف واحدة.

مرة جديدة أنا فخور بلبنانيتي».

إلغاء زيارة إسرائيل

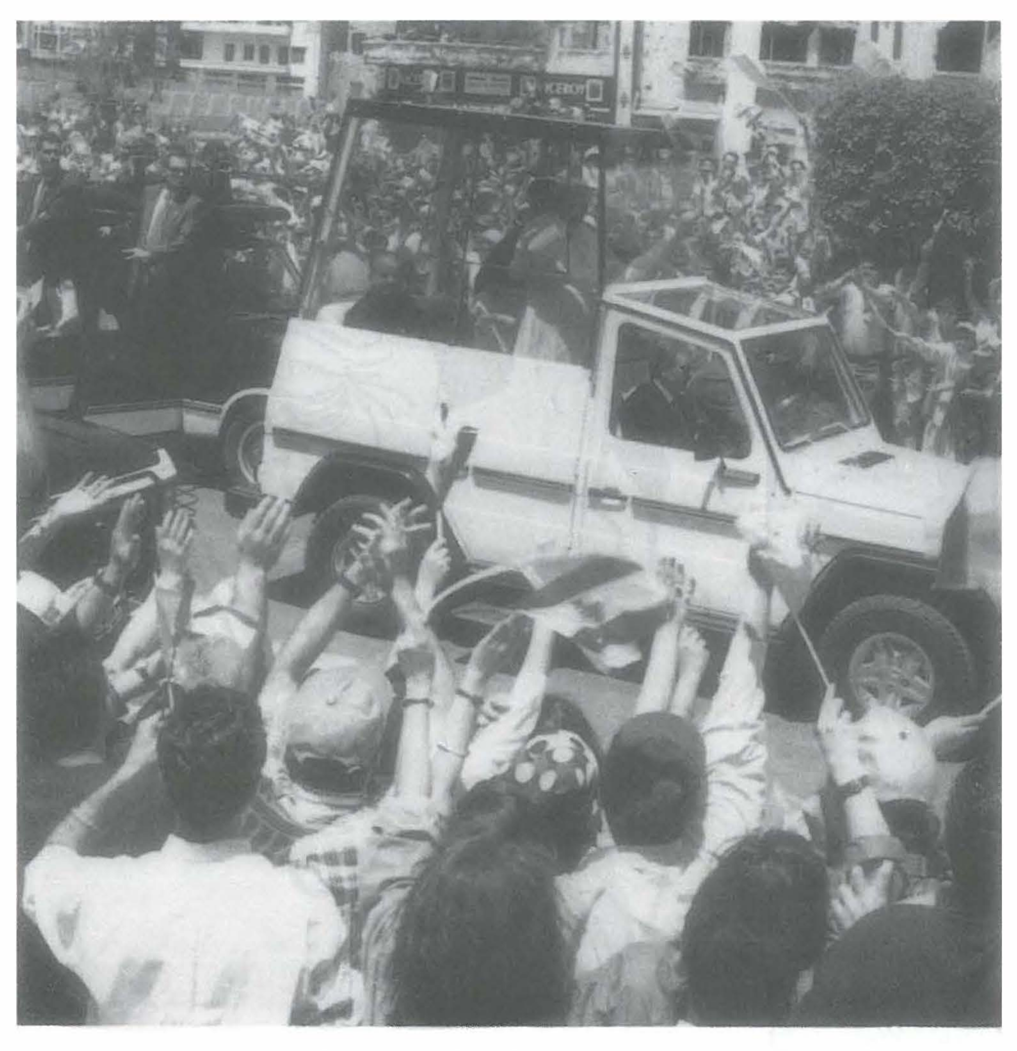
وفي ١٧ كانون الثاني ١٩٩٨،و بعد أن اتخذ قداسة البابا قراره بزيارة إسرائيل، ولأن هذه الأخيرة لم تنسحب من لبنان وفق القرار ٤٢٥، وجه العميد كتاباً آخر إلى قداسته جاء فيه:

«باسمي الشخصي وباسم الكتلة الوطنية اللبنانية، اسمحوا لي قداستكم بأن أطلب إليكم عدم الذهاب إلى القدس قبل أن توقف إسرائيل فوراً عملها العسكري

ضد الأراضي اللبنانية، وأن تسحب قواتها من دون تأخير من كل التراب اللبناني. وإلا فإن في الإمكان أن تترجم زيارتكم كموافقة على التصرفات اللاشرعية لإسرائيل التي ترفض منذ نحو عشرين سنة تنفيذ القرار ٤٢٥ الصادر عن مجلس الأمن في ١٩ آذار ١٩٧٨ والذي ينص على الانسحاب غير المشروط لقواتها..».

ويبقى السؤال: هل كان لزيارة قداسة البابا إلى إسرائيل أثر ما في تحقيق انسحابها من الجنوب والبقاع الغربي، ووفق القرار ٤٢٥؟

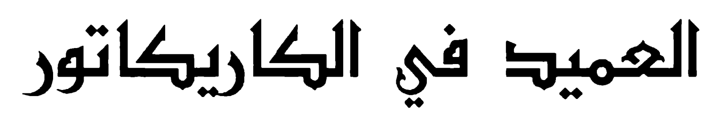
العميد لن يتمكن من التمحيص عن هذا الجواب، لأنه رحل قبل التحرير...



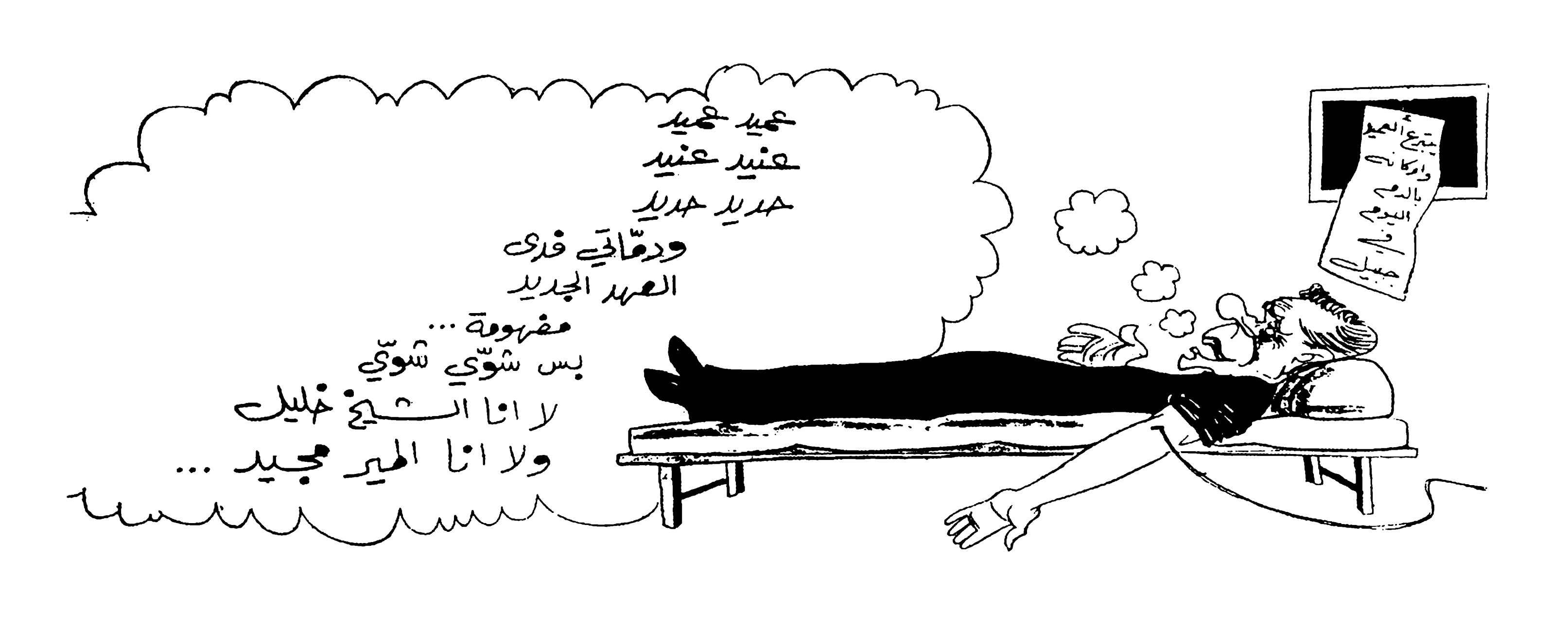
١٩٩٧ : قداسة البابا يوحنا بولس الثاني في بيروت.



القسم الثالث



العميد في الكاريكاتور


عميد عميد
عنيد عنيد
حديد حديد
ودمّاتي فدى
العهد الجديد
مفهومة ...
بس شوّي شوّي
لا انا الشيخ خليل
ولا انا المير مجيد ...
يتبرع العميد
واركانه
بالدم
اليوم
في
جبيل



(أثناء عهد الرئيس سليمان فرنجية)

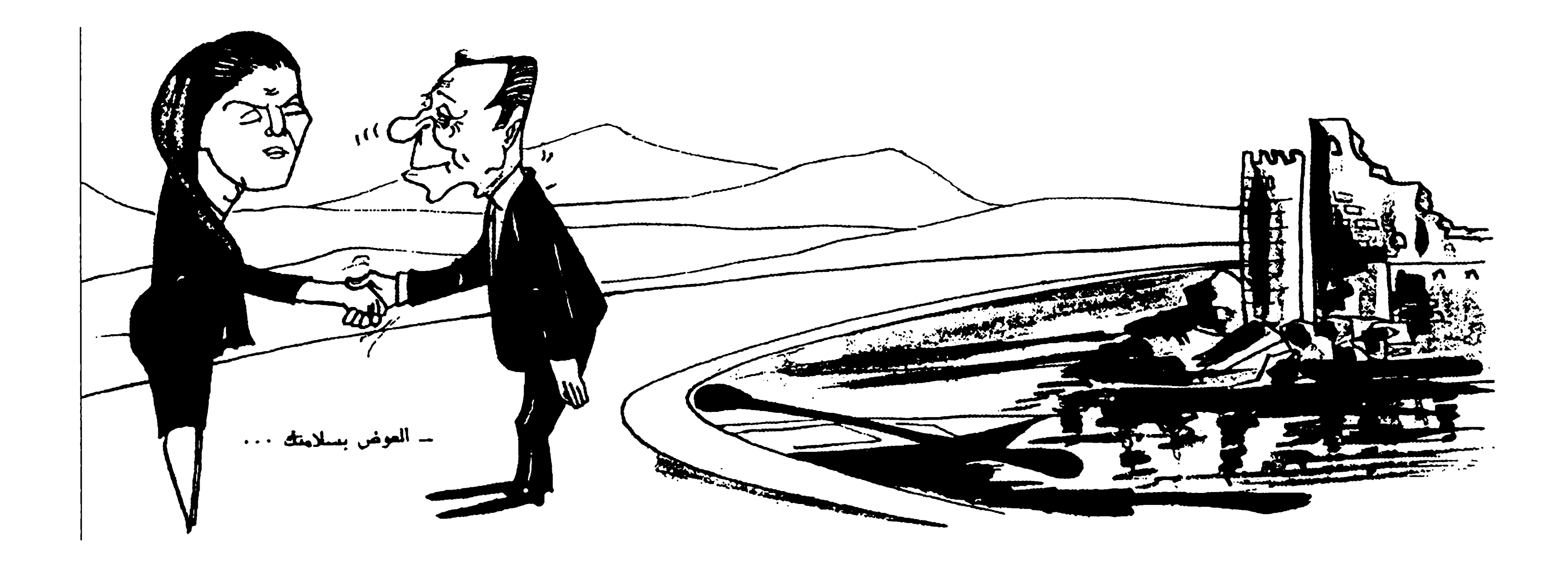


«شروط العميد للدخول إلى الحلف»



كلّنا نازلين...
... وانا طالع وحدي...
بعبدا

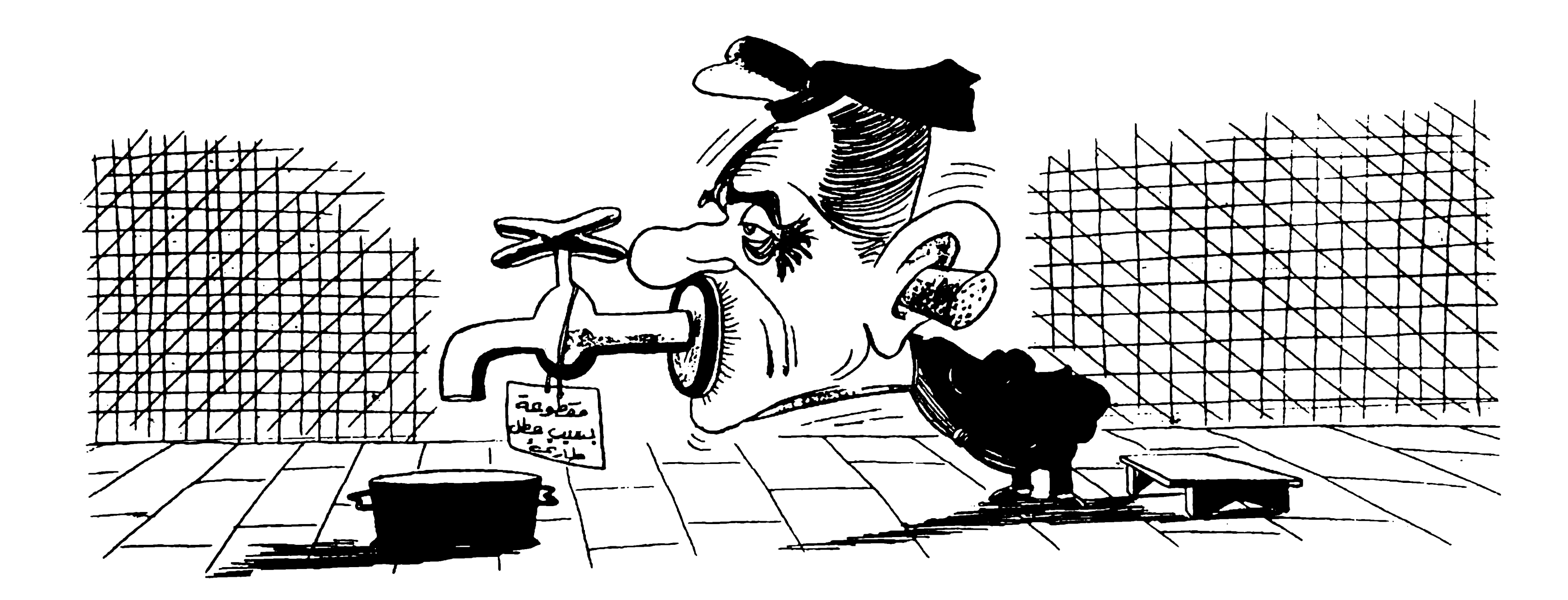

يا عميد إذا
سألوك شو عم
تطلع تعمل
عالقصر شو بتقلّهم؟
بقلهم عم
بطلع بتمرّن
عالكرسي...



إثر سقوط النائب نهاد سعيد (خصمه) في انتخابات عام ١٩٦٥



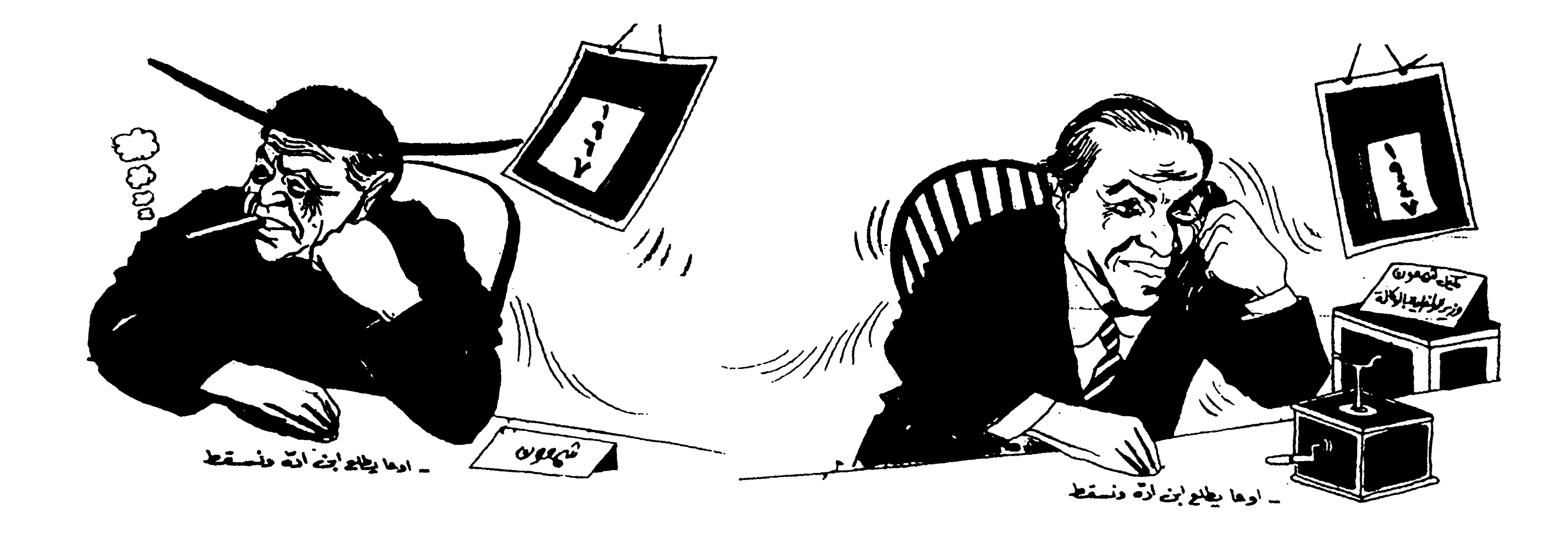
اتفقت الكتلة الوطنية والكتائب على ترك البترون «منطقة حرة» والتنافس عليها



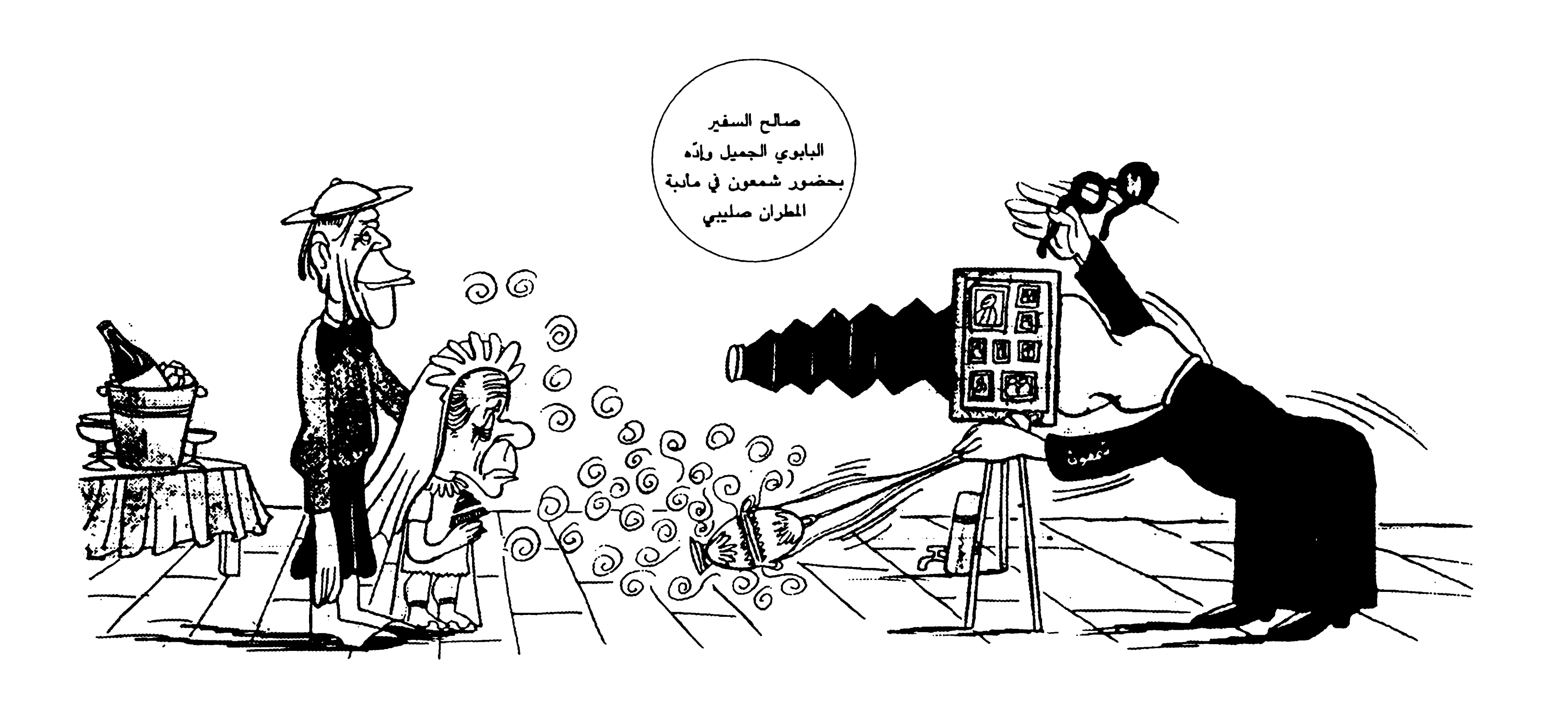
تسكير حنفية العميد بسبب المراقبة عام ١٩٧٣

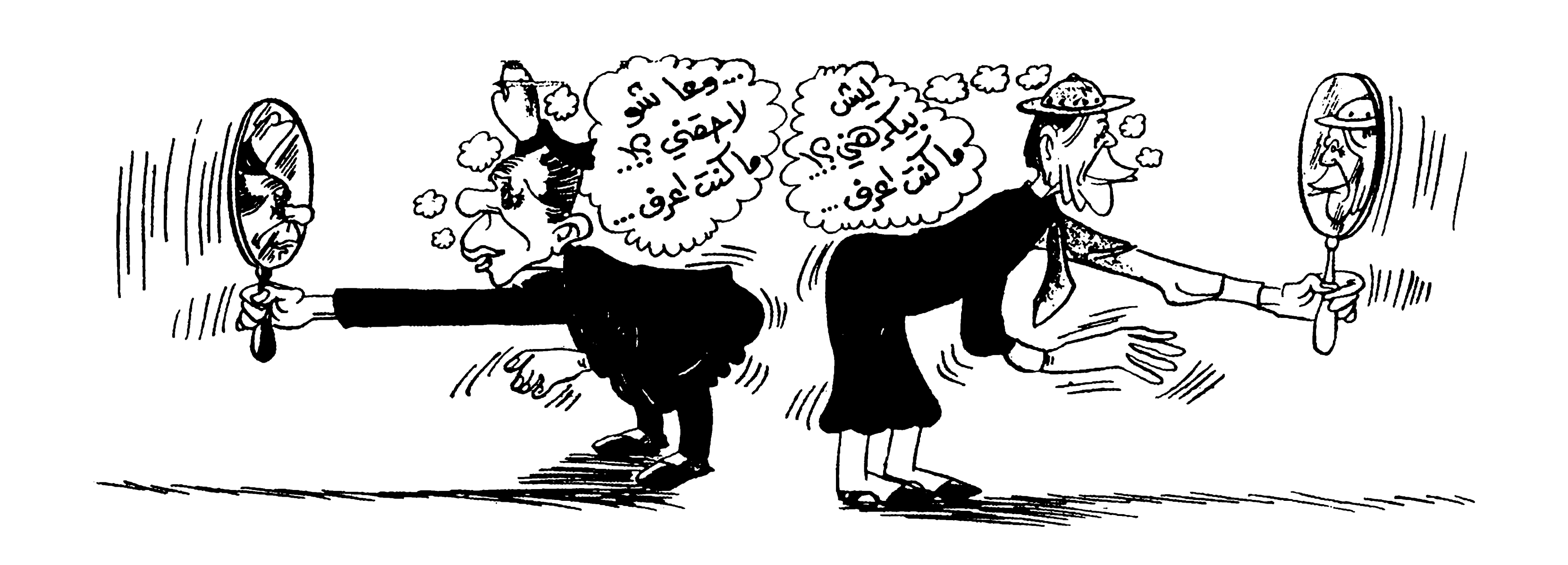


العميد: خلينا نرجع للدفاتر القديمة



١٩٥٧
كميل شمعون
وزير الخارجية بالوكالة
— اوعا يطلع ابن ادّه ونسقط
١٩٦٨
شمعون
— اوعا يطلع ابن ادّه ونسقط


صالح السفير
البابوي الجميل وإدّه
بحضور شمعون في مائدة
المطران صليبي
شمعون


ليش بيكرهني ؟!... ما كنت اعرف...
...وعا شو لاحقني ؟!... ما كنت اعرف...

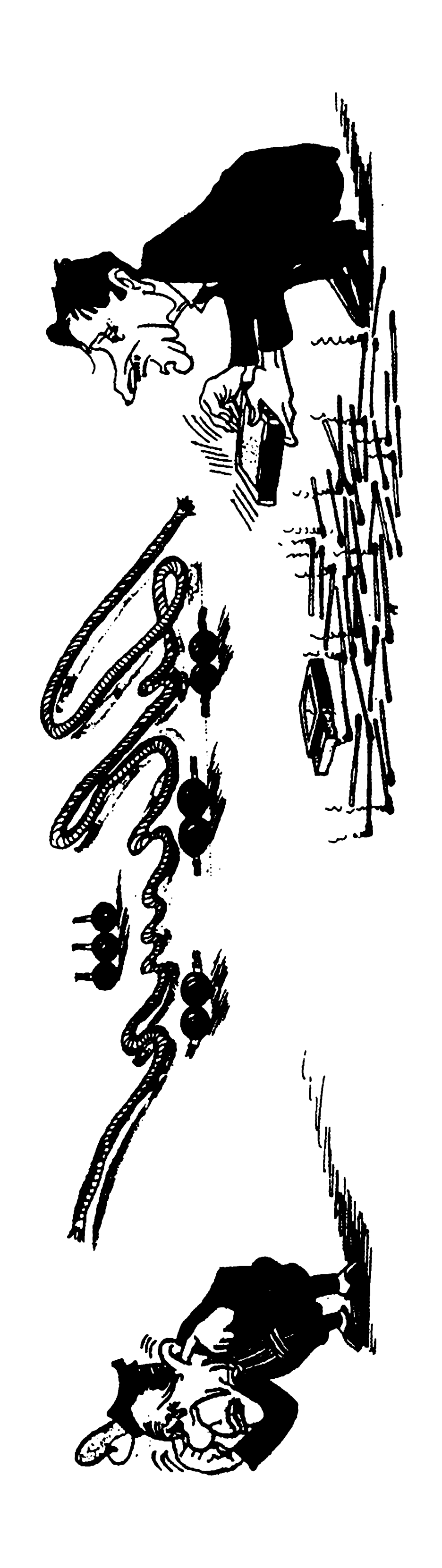




غلطنا مرّة وحبّينا
تعلّمنا .. وجرّبنا
بيكون الحقّ عليهم
بيصير الحقّ علينا
يا خيي غلطنا مرّة .. مرّة
وحبّينا ...


لازم
نرجّع الحلف
لأسباب بعرفها...
لازم
نرجّع الحلف
لأسباب ما بعرفها...
ما لازم
يرجع الحلف
لأني بعرفك...
وبعرفه
وبعرفها...


الحلف الثلاثي
كيف الوضع؟
شمعون
الشيخ بيار
العميد
متل ما تركتوا!

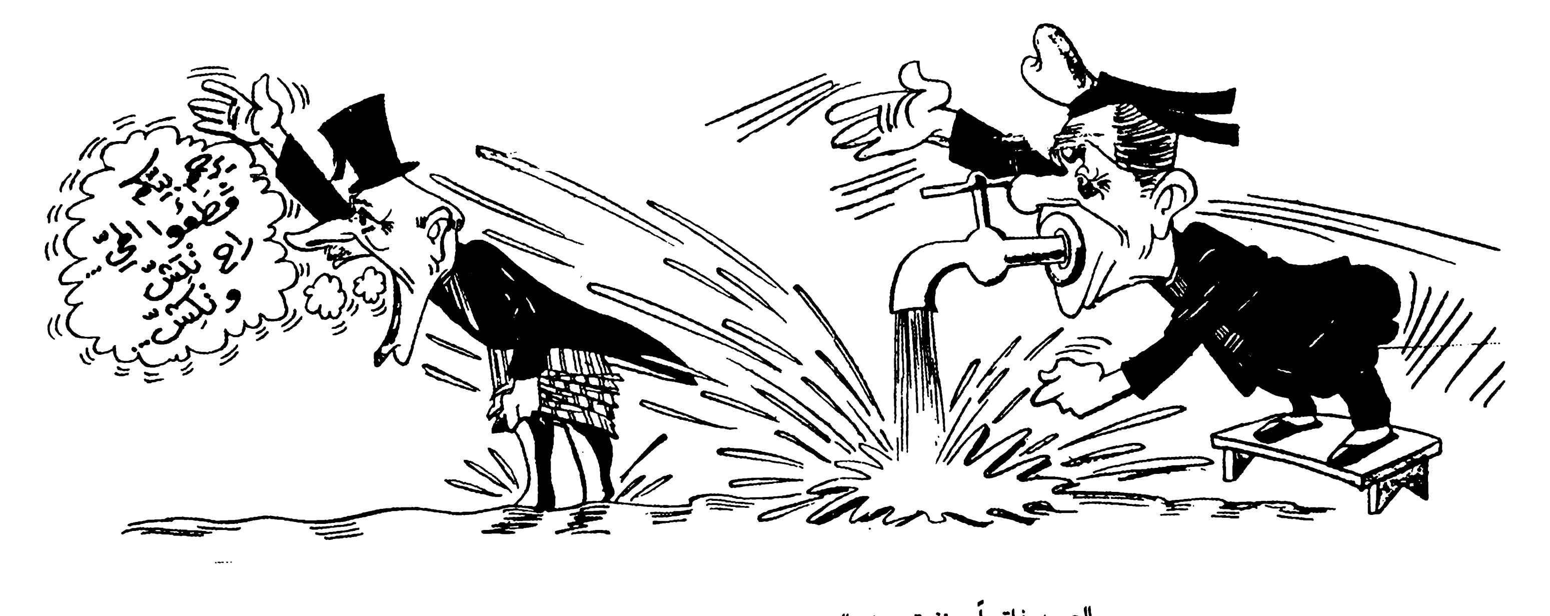



العميد إدّه: على وزير الداخلية
أن يضع حداً لولدنات
الميليشيات خصوصاً أننا نريد
اجتذاب السياح والمصطافين
قالت بترحلك مشوار
قلتلا يا ريت ...
... قالت لكن أوعا تفار
حواليّ الميليشيات كتار ...
... قلتلا بطّلت ...
... خلّيني بالبيت


الف ميليشيا بره
ولا ميليشيا جوّا..



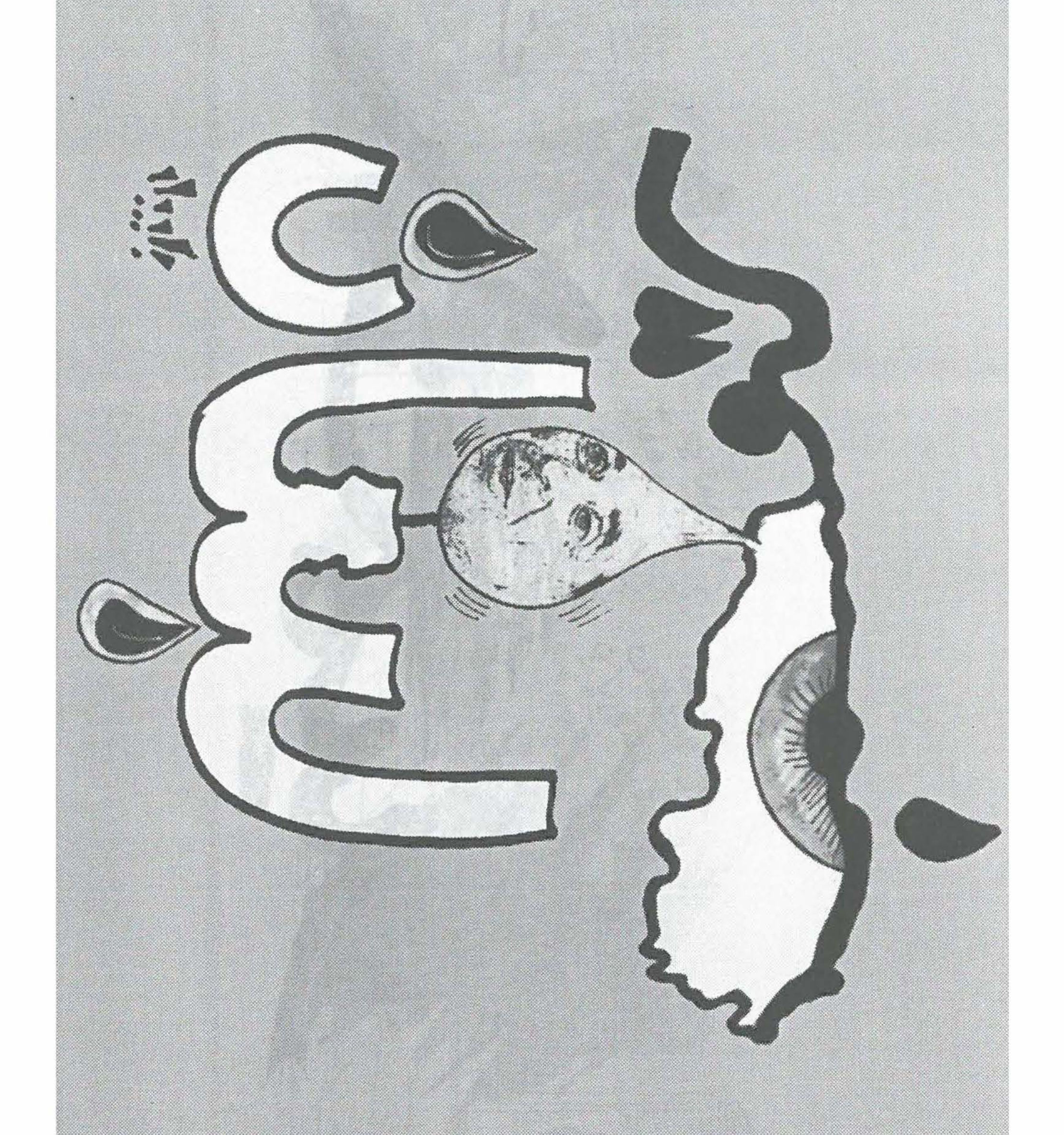
(إثر محاولة اغتياله عام ١٩٧٦)

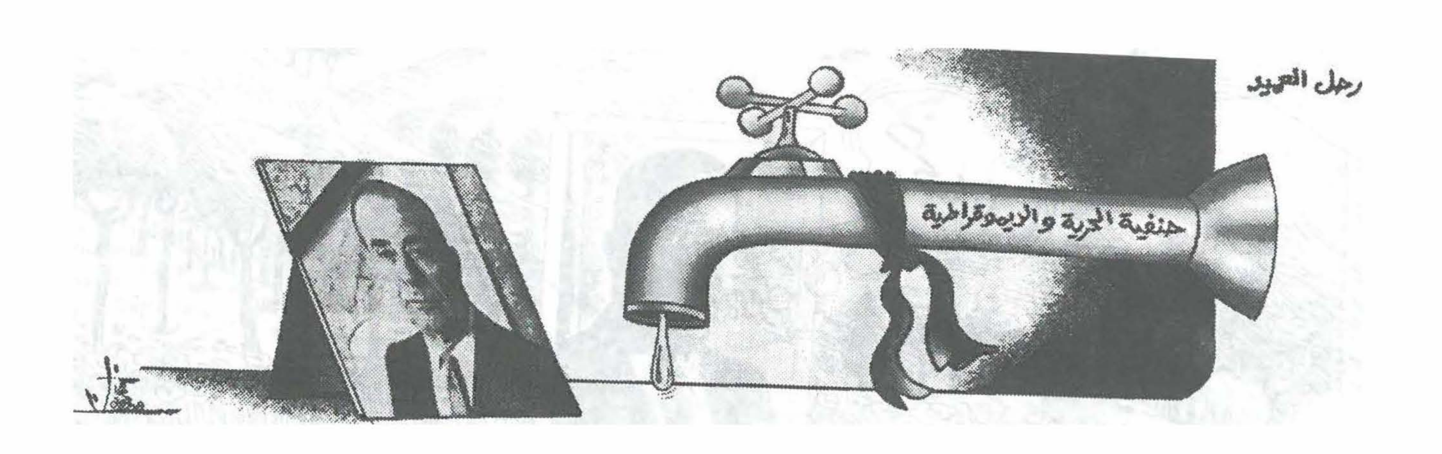


العميد فاتحاً حنفيته على الرئيس تقي الدين الصلح في العام ١٩٧٣


كيف الطقس بسوريا ؟
صدّقني الطقس مغيّر... هوا غربي... هوا غربي...






رحل العميد
حنفية الحرية والديموقراطية



حيّ...



خاتمة

وبعد، هل كان العميد ريمون إدّه على حق؟

سؤال يبقى جوابه للتاريخ. فهو الذي سيحكم له أو عليه.

فالرجال العظام يقدمون أمثولات، تترسَّخ في أذهان الشعوب وعقولها.

وتتوالى الأحداث وتتعاقب، تماما كحياة البشر، مثبتة كبار الرجال وعظمائهم، كالشاهد في مساحة كبيرة مكتسية بالثلج، ولا يوجد فيها إلَّاه.

ويصبح الدليل والمرجع. وإلَّا كان التيه والضياع، والخروج عن المسارات الصحيحة للوصول إلى النهايات السعيدة.

هل كان العميد على حق؟

الحقيقة أن اللبنانيين، الذين أشاحوا بنظرهم عن هذا الشاهد، لم يصلوا بعد إلى هذه النهايات.

فهل يتَّخذون القرار، وفي القرار إرادة، ويعيدون النظر إلى هذا الشاهد؟

والحقيقة أيضاً أن لبنان لا يزال على طريق الجلجلة، ومن دون أن يحدِّدوا لشعبه عدد مراحلها.

فهل يحدد هذا الشعب بنفسه، وفي التحديد قرار، هذا العدد؟

المراجع

الصحف

النهار/ نهار الشباب

الأنوار

السفير

الأوريان لوجور

نداء الوطن

الديار

البيرق

المستقبل

الشرق

الكفاح العربي

المجلات

الحوادث

الأسبوع العربي

الوطن العربي

الصياد

الخواطر

النجوى ـ المسيرة

حرمون

الحوار
الروابط
Arabies

دوريات

ـ ملف النهار: ريمون إده فخامة العميد، ١٩٧٠
ـ ملف النهار: ريمون إده ضمير في المنفى، ١٩٨٨
ـ ريمون إده: كلمات ومواقف، ١٩٥٣ ـ ١٩٧٨
ـ القبعات الزرق في لبنان: تصريحات ومواقف، ريمون إدّه، ١٩٧٨
ـ حزب الكتلة الوطنية: سيرة ومواقف، ١٩٧١

الكتب

ـ الانقلاب على الطائف، ألبير منصور، دار الجديد، الطبعة الأولى ١٩٩٣ .
ـ موت جمهورية، ألبير منصور، دار الجديد، الطبعة الأولى ١٩٩٤ .
ـ شارل حلو، مذكراتي ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥، المطبعة الكاثوليكية ١٩٨٤ .
ـ السلام المفقود، عهد إلياس سركيس، ١٩٧٦ ـ ١٩٨٢، كريم بقرادوني، عبر الشرق للمنشورات.
ـ الخيارات الصعبة، إيلي سالم، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ .
ـ حرب لبنان ومداها، نقولا نصر، دار العمل، ١٩٧٧ .
ـ حوادث لبنان ١٩٧٥، أنطوان خويري، الجزء الأول، دار الأبجدية، ١٩٧٥ .
ـ حوادث لبنان ١٩٧٦، أنطوان خويري، الجزء الأول، دار الأبجدية، ١٩٧٦ .
ـ حكم التاريخ، إبراهيم أسطفان، الجزء الأول، ١٨٤٠ ـ ١٩٦٩ .
ـ نظام حزب الكتلة الوطنية اللبنانية.

ـ آل إدّه في التاريخ، الأب إميل إدّه، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠

- Les Libanais et la vie au Liban - de l'indépendance à la guère, en 2 tomes. Ed. Dar Assayad, 1992.

ـ لبنان القرن في صُوَر، دار النهار للنشر، ١٩٩٩ .

ـ أخبار الأعيان في جبل لبنان ـ طنوس الشدياق، دار نظير عبود، ١٩٩٧ .

الفهرس

القسم الأول
العميد الإنسان
الباب الأول:
الجذور والهوية

الفصل الأول:

الفصل الثاني:

الباب الثاني:
رحيل العميد

الفصل الأول:

الفصل الثاني:

الفصل الثالث:

الفصل الرابع:

الفصل الخامس:

الباب الثالث:

قالوا في العميد

الباب الرابع:

العميد ــ اعترافات وذكريات

الفصل الثالث:

الفصل الرابع:

الفصل الخامس:

الفصل السادس:

الفصل السابع:

القسم الثاني

العميد السياسي

الباب الأول:

العميد في الداخل

الفصل الأول:

الفصل الثاني:

الفصل الثالث:

الفصل الرابع:

الفصل الخامس:

الفصل الثامن:

الفصل التاسع:

الفصل العاشر:

الفصل الحادي عشر:

الفصل الثاني عشر:

الفصل الثالث عشر:

الفصل الرابع عشر:

الباب الثاني:

العميد مع الخارج

الفصل الأول:

الفصل الثاني:

الفصل الخامس:

الفصل السادس:

الفصل السابع:

الفصل الثامن:

القسم الثالث

العميد في الكاريكاتور